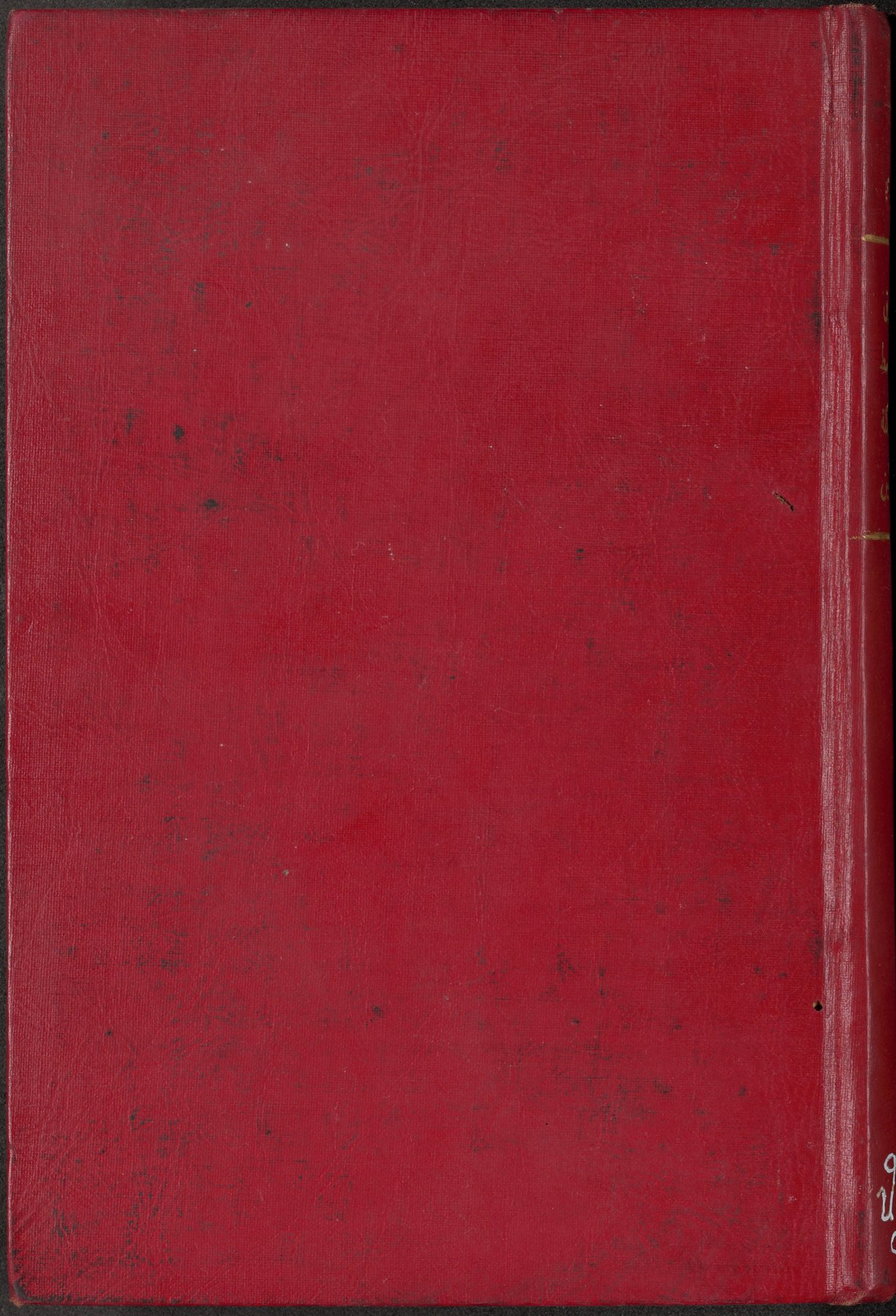


دراسات سياسية

الشرق الأوسط ومشكلة فلسطين

الدكتور

احمد سويلم العمرى

أستاذ العلاقات السياسية الدولية وعلم السياسة
ومدير معهد العلوم السياسية
جامعة القاهرة

مايو سنة ١٩٥٤

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد بك فريد (عماد الدين سابقا)

مطبعة العلوم ١٦٢ شارع الخليج بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن مشكلة فلسطين من أعقد المشكلات التى تجابه رجال السياسة المسئولين عن مصائر الدول الواقعة فى دائرة المنطقة السياسية والجغرافية التى يطلق عليها الشرق الأوسط ، وهذه المشكلة بلغت الذروة فى التعقيد بظهور جسم غريب فيها هو « دولة إسرائيل » يهدد السلام فى هذه البقعة الهامة من الأرض ويعوق الوحدة العربية وحركات البعث القومى .

وهذه المشكلة تهدد بقيام واستقرار حكومة دينية سياسية تعصبية وتنذر بزوال القوميه العربية الصميمة التى تصبو إلى تحرير فلسطين العربية وإضفاء ثوب الرعاية عليها ، والواقع والوضع السياسى والجغرافى والتاريخى للبلاد يؤيدان قضية العرب ، وقيام إسرائيل الغريبة عن القومية العربية يتعارض مع الحياة السياسية للشعوب العربية فى الشرق الأوسط والقواعد الإنسانية والمواثيق الدولية وحق تقرير المصير والميثاق الدولى لحقوق الإنسان

وهذه المشكلة التى فى ظاهرها تنحصر فى رقعة معينة ضيقة من الأرض تمتد إلى مختلف بلدان الشرق الأوسط وخاصة الشعوب العربية التى تحيط فلسطين كما تحيط أطراف الجسم بالجذع والقلب وسائر الأعضاء الرئيسية ، لأن فلسطين معقل حصين من معاقل الإسلام وشعبه ينحدر من الظهور العربية التى شادت مجد الإسلام وحضارته ، وهى أيضاً تهدد حسن العلاقات بين الشرق الأوسط والعالم الغربى وتنذر بشر مستطير .

ومشكلة فلسطين لا تنحصر فى النطاق المحدود لمشاغل رجال السياسة بل هى مشكلة شعبية إسلامية بكل ما تعنيه هذه العبارة ، فهى تمس مستقبل الشعوب التى تعيش فى هذه المنطقة التى يحيق بها الخطر ، وتهدد أمنها ورخاءها ، فإن التسليم بوجهة نظر الصهيونية فى إنشاء دولة سياسية دينية فى ديار العرب معناه تقويض لحياتهم الخاصة والعامة وتشريدهم من ديارهم وحرمانهم من أقواتهم وطردهم إلى البقاع القحلاء المجاورة لأرض إسرائيل قسراً ، مع العلم أن إسرائيل تسعى دائبة إلى ولوج ديار الإسلام شيئاً فشيئاً لتصبح رقيباً عليه وسيفاً مسلطاً على تقدمه ورقيه يعمل عند اللزوم فى طبقته الواعية لصالح الاستعمار كلما شاء جشعه أن يفرض ألوان الاستعباد على بلدان الشرق الأوسط .

وعلاج المشكلة بما لا يتفق وصالح العرب وبما لا يحفظ حقوقهم ويرعى ذمارهم بمثابة إعلان العداء للإسلام ولشعوبه العريقة التواقة إلى تحطيم سلاسل الاستعمار ، ومن شأنه إقامة العراقيل فى طريق تقدم العرب ورفع مستوى المعيشة فى بلادهم ، ولا دواء من هذا الداء العصى إلا برد الحقوق المغتصبة إلى أربابها .

ومشكلة فلسطين لا تقوم أوكارها فى رقعة الشرق الأوسط فقط ، بل أوكارها مبعثرة فى العالم وخطرها ينبعث من شتى بلدان الغرب ، وهى تلفح نيرانها الحامية مختلف الأمم المتمدينة ، فللصهيونية التى سببت هذه المشكلة أصولها فى الغرب وفى العالم الجديد ، ومعاقلها التى تغذيها بالمال والنفوذ السياسى والدعاية فى نيويورك ولندن وباريس وروما وموسكو وبين جدران وزارات الخارجية فى كبريات الدول الاستعمارية بل وفى صميم الأمم المتحدة .

ومواطنو إسرائيل مئات الآلاف من اليهود الذين يفدون من الغرب والشرق ، وقد نبذوا جنسياتهم الأصلية ليحملوا جنسية وهمية لتكون ذريعة معاداة العرب وشن أقسى ضروب الاعتداء عليهم فى ديارهم وبين أسرهم وعشيرتهم ، والصهيونية شغل ساسة الغرب الشاغل فغالبيتهم لا تزال تتأصل الروح الاستعمارية فيهم ، والاستعمار يتخذ من الصهيونية تكأة لمناوأة أمانى العرب القومية وحركات البعث والنهوض لذا جعلوا منها سلاحا ماضياً يسلطونه على العرب دون أن يكبدهم من التضحيات إلا عقد المؤتمرات وإلقاء التصريحات وإثارة النفوس والاحقاد ودفع وتشجيع الصهيونية لمعاداة العرب والاعتداء على القرى وإراقة دماء العرب ، وهم يقفون فوق ربوة عالية هى ربوة الأمم المتحدة يشاهدون ما تصنعه دسائسهم وينعون بنغمات حارة على العرب تمسكهم بالحق ودفاعهم عن قوميتهم وديارهم ، وهكذا يحترق العالم بنيران مؤتمراتهم كما احترقت روما قديماً بأمر نيرون وسط أغانيه وموسيقاه .

وغرضنا فى هذه الدراسة بحث مشكلة فلسطين بحثاً واقعياً فيه عرض لوجهتى النظر العربية والصهيونية مع بيان موقف الغرب منها ، وشرح خطر هذه الأزمة التى لا مثيل لها فى تاريخ العلاقات السياسية على السلام العالمى ، وإلى أى حد تعتبر هذه الأزمة قضية دولية رئيسية حتى يمكن المبادرة بعلاجها عن طريق رد الحق إلى نصابه ، لا باتباع أنصاف الحلول وطرح المنازعات على التحكيم أو القضاء الدولى بحجة فض نزاع قام بين جهتين لكل منهما ناحية من نواحى الحق والواقع فى التمسك بوجهة نظر معينة .

ويتطلب البحث بطبيعة الحال دراسة المشكلة من جذورها العميقة

والبدء بتفسير الفكرة الصهيونية ونشأتها ، ثم حركات البعث الإسلامى ومقارنة العرب باليهود من ناحيتى المثل والعنصر لدحض المزاعم الخاصة بإنشاء وطن قومى فى أرض معينة لبنى إسرائيل حول جبل صهيون .

وخطر إسرائيل يصفه السياسى الوطنى نهرو رئيس وزراء الهند فى كتابه بعنوان « نظرات فى تاريخ العالم »(*) وهو مجموعة رسائل بعثها المفكر الكبير إلى ابنته من سجنه جمعت فى الكتاب المذكور ، ويقول فيه عن سكان فلسطين فى رسالته بتاريخ ٢١ مايو سنة ١٩٣٣ .

« إن الغالبية العظمى لسكان هذه البقعة من الأرض عرب مسلمون وهم ينشدون الحرية والوحدة مع أبناء جلدتهم من عرب سوريا غير ان السياسة البريطانية أقامت عقبة هناك هى مشكلة الأقليات الا وهى مسألة إسرائيل، واليهود هناك يقفون فى صف بريطانيا ويناهضون إعطاء الحرية لفلسطين إذ تؤدى هذه الحرية إلى حكم العرب لأنفسهم هناك ، وهكذا تقع المصادمات والمنازعات ، والعرب فى جانبهم العدد واليهود فى جانبهم النفوذ والوسائل المالية والصهيونية العالمية ، وانجلترا تصدم مطالب العرب القومية بأحلام اليهود الدينية السياسية . وبذا ترى العالم أن وجودها وتدخلها من الضرورة بمكان كحكم وكسلطة للمحافظة على السلام بين الفريقين ، وهذه ألاعيب الاستعمار التى رأيناها فى سائر البلدان الواقعة تحت نفوذ التسلط الأجنبى ، ومن العجيب أنها تتكرر فى كل مكان » .

(*) أنظر كتاب « نظرات فى تاريخ العالم » لنهرو — صفحة ٧٦٢ إلى ٧٦٤ — جزء واحد ، لندن ١٩٤٥ .

(*) « Glimpses of World History» by J. Nehru 1 vol. London 1945 . page 762 - 764

ويقول نهرو فى رسالته المذكورة أيضاً « إن قصة فلسطين منذ أن اشتعلت نيران مشكلتها نزاع بين العرب واليهود مع اشتراك الحكومة البريطانية فى النزاع ، وهى تأخذ صف أحد الجانبين ضد الآخر حسب الظروف ، غير أنها فى معظم الأحيان تنضم إلى صف اليهود » .

ومنذ أن تخلت انجلترا عن انتدابها فى تلك البقعة لم يتغير الموقف كثيراً وهى تتأرجح بين الكفتين ، ولكنها شأنها شأن سائر دول الغرب لا تقف فى صف العرب إلا غراراً ، وتتحيز لاسرائيل فى أمهات المنازعات سعياً فى توطيد قدميها فى أرض الميعاد .

ونحاول فى بحثنا هذا أن نعالج المشكلة بدراسة المثل الاسلامية ومقارنتها بمثل إسرائيل ، ونوازن بين شعبى العرب واليهود ، وندرس حركات البعث فى الاسلام وأثرها فى اليقظة القومية والتحرر من الاستعمار ونبحث الصهيونية من الناحيتين الدينية والسياسية ، ونبين خطرها السياسى على القومية العربية ، وندرس السياسة الدولية ونظراتها إلى الصهيونية ومدى تقديرها لها ، ونشرح ادعاءات الصهيونية ونبين نواحى ضعفها بمقارنتها بحقوق العرب الطبيعية ، ثم نشرح قضية فلسطين من الناحية الدولية وخطر الصهيونية ودولة إسرائيل على السلام العالمى ، وفيما يلى بيان بالأبواب الرئيسية للبحث :

١ ـ **المثل الاسلامية** : ويتناول دراسة الفلسفة الاجتماعية والسياسية للاسلام ، وكيف قامت هذه المثل على التحاب والتفاهم والروح السمحاء التى طبع بها الاسلام وولج بلدان العالم بفضلها كما دخله الناس أفواجا ، وقد آمنوا بروح الرسالة الحقة.

٢ ـ **المثل الموسوية** : ويتناول دراسة الفلسفة الاجتماعية والسياسية

للشريعة الموسوية بوجه عام ، وكيف أن الفكرة العامة لهذه الشريعة واسعة الحدود وتحض على تحاب الناس وتعاون البشرية ، وهى تختلف اختلافا تاما عن الفكرة السياسية العدائية للصهيونية .

٣ — العرب واليهود من الناحية العنصرية : ويتناول البحث مقارنات بين أصول العرب وأصول اليهود مع دراسة نقاء العنصر فى كل ، وما جاء به كتاب دراسة الأجناس من بحوث فى اختلاط الشعوب والأجناس ، وضعف فكرة نقاء العنصر اليوم .

٤ — حركات البعث فى الاسلام : ويتناول البحث دراسة بدء قيام الشعوب الاسلامية من كبوتها فى القرن الماضى ، وتوقد الجذوة الوطنية فيها ، وعملها على لم شعثها وجمع كلمتها فى سبيل تحررها من الاستعمار .

٥ — بلدان الشرق الأوسط المحيطة باسرائيل : ويتناول بيان حالة بلدان الشرق الأوسط المحيطة باسرائيل باختصار من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية مع مقدمة لأزمة اسرائيل اليوم من ناحية الامر الواقع ، ثم من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية .

٦ — الصهيونية أداة سياسية تعصبية : ويتناول بيان ما ترمى إليه الصهيونية ، ومؤامراتها السياسية وتآزرها مع الغرب لعرقلة الحركات القومية فى العالم العربى ، ثم شرح سياستها الدينية العدوانية التى تتعارض مع أبسط القواعد الدولية والانسانية .

٧ — دولة اسرائيل : ويتناول بيان ظروف نشأة إسرائيل ، وتأسيس الدولة هناك فى أثر انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين ، وفكرتها

التعصبية ، وبناء الدولة على أساس اقتصاديات الحرب والهجرة والعصابات الارهابية .

٨ ـ **فلسطين فى الميدان الدولى** : ويتناول بيان موقف أسرة الدول وخاصة الدول العظمى من اسرائيل ، ومدى نشاط هذه فى الفلك السياسى العالمى ، وموقف بريطانيا والولايات المتحدة وروسيا السوفيتية من كل من العرب واسرائيل .

٩ ـ **نظرات فى مستقبل مشكلة فلسطين** : ويتناول بحث التطورات المحتملة للمشكلة ، ومدى أحاسيس الشعوب العربية التى اكتوت بلظاها ، ودراسة الاحتمالات المختلفة فى ضوء العاطفة والأشخاص والسياسة الواقعية ، مع العناية بصفة خاصة بسياسة المقاطعة وأثرها .

الباب الاول

المثل الاسلامية

أهم مراجع الباب الأول

كتب باللغة العربية :

١ — « الاسلام فى حاضره » — لشكيب أرسلان – أربعة أجزاء القاهرة ١٩٣٣ .

٢ — « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم » — لشكيب أرسلان جزء واحد ، القاهرة ١٩٣٩ .

٣ — « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » للكواكبى جزء واحد ، القاهرة ١٩٣١ .

٤ — « تاريخ التمدين الاسلامى » — لجرجى زيدان — خمسة أجزاء القاهرة ١٩٠٢ — ١٩٠٦ .

٥ — « حضارة العرب » تأليف جوستاف لوبون . نقله من الفرنسية إلى العربية محمد عادل زعيتر ، جزء واحد ، القاهرة ١٩٤٥ .

كتب بالفرنسية والانكليزية :

١ — « أديان العالم » صدر باشراف الأستاذ كليمين ترجمة إلى الفرنسية جزء واحد ، باريس ١٩٣٠ .

1—«Les Religions du Monde» Sous La direction du Prof. Clemen, Traduction Française - 1 Vol , Paris 1930.

٢ — « تاريخ الشعوب والدول الاسلامية » للأستاذ بروكلمان ، ترجمة إلى الفرنسية ، جزء واحد ، باريس ١٩٤٩ .

2—«Histoire des Peuples et Etats Islamiques» par Brockelmann, Traduction Française, 1 Vol, Paris 1949.

٣ — « الاسلام والغرب » كراسات الجنوب جزء واحد، باريس ١٩٤٧
3—L'Islam et l'Occident» - Cahiers du Sud - 1 Vol. Paris 1947,

٤ - « تاريخ العرب » للأستاذ حتى ، جزء واحد . لندن ١٩٤٦ .
4—«History of the Arabs» by Hitti, 1 Vol - London 1946.

٥ — « روح الاسلام » لأمير على سيد ، جزء واحد . لندن ١٩٤٦ .
5—«The Spirit of Islam» by Amir Ali, Syed, 1 Vol, London1946.

٦ — «حاضر العالم الاسلامى» للثروب ستودارد، جزء واحد. لندن ١٩٣٢
9 – «The New World of Islam» by Lothorp Stoddard, 1 Vol, London 1932.

٧ — « الخلافة » لأرنولد جزء واحد . لندن ١٩٢٤ .
7—«The Caliphate» by Arnold, 1 Vol, London 1924.

الباب الأول

المثل الاسلامية

الاسلام دين ودنيا وسماحه وديمقراطية ـ إقرار الغرب بعدالة الاسلام وسماحته ـ أثره العميق فى تمدين أوروبا ـ أمثلة من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة

* * *

إن دراسة مشكلة فلسطين بما فيها قضية العرب وإنشاء دولة إسرائيل على حساب موطن العرب وما ترتب على ذلك من زعزعة الامن الدولى فى تلك البقعة التاريخية المقدسة من الشرق الأوسط ـ هذه الدراسة تقتضى تفهم المثل الإسلاميه وروح سياسه الناس وحكمهم فى ظلها .

وهذا البحث يتناول أهم ما تتميز به المثل الإسلامية ، وهو روح الكرم والسماحة والديموقراطية والمساواة التى طبع عليها الاسلام منذ فجره : هذه الروح الحرة التى يدعيها الغرب لنفسه دون سواه اليوم .

وفى إدراك هذه الروح التى نتناولها بالتحليل ما يساعد على تفهم مختلف النواحى المعقدة للمشكلة التى تقلق بال الشعوب العربية وشعوب بلدان الغرب على السواء ، ويلقى الضوء الوضاح على نفسية الشعوب العربية إزاء اعتداءات الصهيونية على موطن العرب وتراثهم ومدنيتهم ، هذه المدنية المشبعة بالحرية والمساواة والتى من طبيعتها أن تنظر إلى الأمور فى صراحة وصفاء نفس وروح عالية أسوة بطبيعة المنطقة التى نشأت فيها .

ويمكننا أن نقارن فيما بعد بين روح الاسلام السمحاء وصفاء نفوس

شعوبه فى الشرق الأوسط ، وبين عنف الصهيونية وتعصبها وخطرها السياسى على السلام .

وأبرز ما فى مثل الاسلام التى نعالجها فيما يلى اهتمامه ١ - بالدين والدنيا وقيامه على مبادىء المساواة بين الناس وسماحته وديموقراطيته ٢ - ولقد أقر كتاب الغرب بعدالة الاسلام وروحه الديموقراطية السمحاء كما أفاضوا فى تعداد إثارة العميقة فى تمدين أوروبا ٣ - وزخرت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول بذكرى صفات الاسلام السامية المذكورة .

* * *

الاسلام دين ودنيا وسماحة وديموقراطية

الاسلام عبادة ودنيا ودين وسياسة ، وتمتزج روحه بشعوبه امتزاجا قويا وتسير فى كل قطرة من قطرات دمائها ، كما تشكل روح هذه الشعوب ، فهو ينظم الحياة الخاصة للفرد ويضع أسس الأسرة وعلاقات الأفراد بعضهم ببعض فنراه يصوغ أسس الزواج والطلاق والميراث والنفقه ويحض على الرفق بالأبوين وينادى بالعطف على الفقير ، ونراه يحض على الزكاة ويأمر بها للأنفاق منها على المسلمين ، ونراه يرسم المعاملات بين المسلمين والذميين ويفرق بينهم وبين المحاربين .

وآيات الله الحكيمة فى القرآن نظمت العبادات كما شرعت للمسلمين وضربت على أيدى الآثمين بما تنص عليه من جرائم وعقوباتها ، وهناك الخطة المثلى فى العقاب بوجه عام وردت فى الآية الكريمة « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » وفى آية

كريمة أخرى « من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » ، وعنى الفقهاء تفسيرا لكتاب الله والأحاديث فى وضع النظم المدنية لحقوق الناس وللتملك والميراث والتبادل والبيع وسائر المعاملات .

والمسلمون إخوة ولا فرق بين مسلم وآخر فالكل سواسية كأسنان المشط ، وهم ليسوا بأجانب فى نظر بعضهم إلى بعض مهما بعدت الدار وتباينت ومهما اختلفت الشعوب التى ينحدرون منها ، ولا فرق فى دار الاسلام بين المصرى والحجازى والتركى والفارسى والصينى والافريقى ، وكلهم يتمتعون بنفس الحقوق التى خلعها عليهم الاسلام ، وهذه المساواة التى يرتع فى بحبوحتها المسلم منذ قرون عديدة لم يحظ بها الغرب إلا بعد ثورات داميات وهجوم على امتيازات النبلاء ورجال الدين لتقويضها ودك معالم القديم بثورات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، واعلان الثورتين الأمريكية والفرنسية لحقوق الانسان منذ أقل من قرنين من الزمان .

ونظم الاسلام أو قل العرب السياسية تتجلى فى بساطة الدين الحنيف وسماحته فالكل أمام الله سواء ، والجميع يسجدون فى خشوع حيث وجبت الصلاة فلا تكلف ولا زخرف ولا تماثيل ولا معابد ، وسلاسة الاسلام تنبع من هذا الخشوع مع البساطة والعدل ودقة أحكام الدين فى شئون الدنيا ، وهى فى عذوبتها كنمير الماء ، وجاء فى كتاب الله الحكيم « ان أكرمكم عند الله اتقاكم » ، كما جاء فى الحديث الشريف « لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » .

والقرآن الكريم بسمو عدله جمع بين مختلف الشعوب ، وألف بين

قلوب الناس وقوى روابط التحاب فى شتى ديار الاسلام فى سبيل اعلاء شأن الدولة والذود عن حوضها عن طريق الاتحاد ، وأحس المسلمون على اختلاف نحلهم وسحناتهم ولهجاتهم بقوة الاسلام وبأنه حصن القومية الحصين ، وهذا الطود الشامخ فى ارتفاعه ورسوخه يأوى اليه الناس بلا فارق بينهم ، ويستنشقون فى جوه عبير الديموقراطية الاسلامية المتضوع ، ولم تستطع أن تنال منه معاول المستعمرين والطغاة وظل قائما قويا على مدى العصور بفضل ديموقراطية الاسلام التى تتمثل فى عبارة عمر بن الخطاب مثلا الى ملك الغساسنة وقد اعتنق الاسلام ثم لطم أعرابيا وطىء ازاره فى موسم الحج فهشم أنفه ، فاشتكى العربى الى عمر الذى أحضر الملك وقال له « افتد بنفسك والا امرته أن يلطمك » فاجاب الملك « كيف ذلك وأنا ملك وهو سوقه » فاجابه عمر « ان الاسلام جمعكما وسوى بين الملك والسوقه فى الحد » ، وهذا الاسلام أيضا هو الذى جعل عليا يقف بين يدى القاضى لمقاضاة شخص سرق سلاحه .

وهذه القوة المستمدة من روح الاسلام السمحاء هى غاية الديموقراطية ولبها ، وتتمثل كذلك فى خطبة لأبى بكر بعد مبايعته بالخلافة يقول « أيها الناس وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فاعينونى وان أسأت فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف منكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه ، والقوى منكم الضعيف عندى حتى آخذ الحق منه انشاء الله ، لا يدع أحد منكم الجهاد فى سبيل الله ، فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل ، اطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا الى صلاتكم رحمكم الله » وردد

نفس هذه المعانى عمر بن الخطاب حينما ولى الخلافة فقال « يا أيها الناس والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه » ، وقوة الاسلام التى تجلت فى عدالة ونزاهة حكامه بفضل ديموقراطيته رددها على يصف نزاهة الحاكم وزهده فقال « والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهدا وأجر فى الاغلال مصفدا أحب إلى من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد وغاصبا لشىء من الحطام ، وكيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها ويطول فى الثرى حلولها »

وليس أفصح أيضا فى أظهار عدالة الاسلام مع اهتمامه بشئون الدنيا وتنظيم أمور الرعية وسياسة الملك من كتاب على بن أبى طالب إلى الأشتر النخعى لما ولاه مصر واعمالها حين اضطرب أمرها وهو من أطول المراسلات ، ويعد عهدا سياسيا جامعا ، وجاء فيه « . . . ثم اعلم يامالك ، إنى قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور ، وان الناس ينظرون من أمورك فى مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم ، وإنما يستدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على ألسن عباده . فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح ، فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك ، فان الشح بالنفس الانصاف منها فيما أحببت أو كرهت ، واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم ، واللطف بهم ؛ ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم فانهم صنفان : إما أخ لك فى الدين أو نظير لك فى الخلق ، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم فى العمد والخطأ . فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ،

فإنك فوقهم ، ووالى الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك ، وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم ، ولا تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا يدى لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ، ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة ولا تقولن : انى مؤمر آمر فأطاع ، فإن ذلك ادغال فى القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير ، ومن هذه العبارات البينات ما يظهر بأجلى بيان مدى ما تكنه الدولة الاسلامية من رحمة ومحبة للمحكومين . كما بين على فى عهده هذا أهمية تعاون طبقات المحكومين وتضافر المسلمين وأهل الذمة فى سبيل العمل والانتاج ، ووجوب رعاية الحاكم أمورهم فقال ،،واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض ، فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال الانصاف والرفق ، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة وكل قد سمى الله سهمه ووضع على حده وفريضته فى كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، عهدا منه عندنا محفوظا ، فالجنود بإذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الأمن ، وليس تقوم الرعية إلا بهم ، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذى يقوون به على جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ، ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون به من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها ، ولا قوام لهم جميعا إلا بالتجار وذوى الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم

ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم، وفى الله لكل سعة ولكل على الوالى حق بقدر ما يصلحه».

ويضاف إلى عدالة النظم السياسية الإسلامية الديموقراطية وسعة صدرها التسامح الدينى الكبير الذى لم يك معروفا لسائر الدول فى عهد ازدهار الاسلام، ولم تر دولة الاسلام مذابح دينية كمذبحة «سانت بارتلمى» وفظائع محاكم التفتيش فى أسبانيا وغيرها والمعارك الدموية الطاحنة التى صحبت حركات الإصلاح الدينى فى أوروبا، وانتشر الإسلام في الهند والصين واندونيسيا والفلبين وأصقاع أواسط آسيا وقلب أفريقيا لا بالغزو والسيف بل بالتجارة وتبادل المنافع مع قوافل التجار من العرب، وكثيرا ما قرب الخلفاء العلماء والشعراء النصارى، ولم يك بمستغرب أن تكون أم الخليفة نصرانية كما نرى ذلك فى عبد الرحمن الثالث من خلفاء الأندلس، وكان الأخطل شاعر النصرانية فى صدر الدولة الأموية، ولم يمنعه الدين من صعود نجمه وذيوع اسمه وتقربه إلى يزيد بن معاوية الذى أكرمه وأجزل له العطاء كما اختصه بعطفه عبد الملك بن مروان، وكان المنصور فى الدولة العباسية يبالغ فى إكرام طبيبه النصرانى جورجيس بن جبرئيل كما كان يستشير طبيبه اليهودى فرات بن شحاثا فى بعض أموره، وكذلك كان يفعل الرشيد بطبيبه جبريل بن بختيشوع، وكان يقول فى صدد إكرامه «صلاح بدنى وقوامه به وصلاح المسلمين بى فصلاحهم بصلاحه وبقائه» وهذا منتهى ما تصل إليه روح التعاون. واستطب المعتصم سلموية بن بنان النصرانى وقربه إليه وائتمنه على أسرار الدولة إلى حد أنه كان يأمره إذا كان حاضرا أن يوقع عنه بخطه ما يوجه من أوامر

وكتابات ، كما ولى أخاه إبراهيم بن بنان خزن بيوت الأموال فى البلاد وخاتمه مع خاتم الخليفه ، وكان المعتصم شديد الثقة والعطف على سلمويه إلى حد أنه كان يدعوه « أبى » ، وكتب العزيز بالله الفاطمى بخطه إلى طبيبه النصرانى منصور بن مقشر وكان مريضا وتأخر عن الركوب إلى الخليفة ثم تماثل إلى الشفاء رسالة رقيقة يقول فيها « بسم الله الرحمن الرحيم على طبيبنا سلمه الله سلام الله الطيب وأتم النعمة عليه ، وصلت إلينا البشارة بما وهبه الله من عافية الطبيب وبرئه والله العظيم لقد عدل عندنا ما رزقناه نحن من الصحة فى جسمنا أقالك الله العثرة وأعادك إلى أفضل ما عودك من صحة الجسم وطيبة النفس وخفض العيش بحوله وقوته »(١)

* * *

الغرب يقر بديموقراطية الاسلام وسماحته

يقول جوستاف لوبون Gustave Le Bon فى سمو أخلاق العرب وسماحة الإسلام وسعه صدره مشيرا إلى عرب الأندلس « ... فهم الذين علموا النصارى وإن شئت فقد حاولوا أن يعلموا النصارى كيف يكون التسامح الذى هو أثمن ماتصبوا إليه الإنسانية ، وقد بلغ حلم عرب أسبانيا إزاء النصارى مبلغا كانوا يسمحون به لا ساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية كمؤتمر اشبيلية النصرانى الذى عقد فى سنة ٧٨٢ ، ومؤتمر قرطبة النصرانى الذى عقد فى سنة ٨٥٢ ، وتعد بيع النصارى الكثيرة التى بنوها أيام الحكم العربى من الأدلة على احترام العرب لمعتقدات الأمم التى

١ ـ أنظر « تاريخ التمدن الاسلامى » لجرجى زيدان ، خمسة أجزاء ـ القاهرة ١٩٠٢ ، ١٩٠٦ ، الجزء الثالث من صفحة ١٦٣ إلى صفحة ١٦٦ .

خضعت لسلطانهم . وقد أسلم كثير من النصارى من غير اكراه ولم يسلموا طمعا فى شيء . وهم الذن استعربوا وكانوا هم واليهود مساوين للمسلمين وكانون يتقلدون مناصب الدولة كالمسلمين ، وقد كانت أسبانيا العربية البلد الأوروبى الوحيد الذى كان اليهود يتمتعون فيه بحماية الدولة ورعايتها وقد زاد عدد اليهود فى أسبانيا العربية كثيرا . وكان عرب أسبانيا خلا تسامحهم يتصفون بنبل الأخلاق أى الفروسية ، فكانوا يرحمون الضعفاء ويرفقون بالمغلوبين ويقفون عند شروطهم ويقولون الصدق وما إلى ذلك من الخلال الحميدة التى اقتبسها الأوربيون منهم أخيرا والتى كانت تؤثر فى نفوس الناس تأثيرا لا تؤثره الديانة »(١)

ويذكر لوبون مشيدا بفروسية العرب واتصافهم بالخصال النبيلة أن والى قرطبه لما حاصر مدينة طليطلة سنة ١١٣٩ وكانت بيد النصارى أرسلت إليه الملكة بيرانجير وكانت محاصرة فيها تبلغه أنه ليس من الشجاعة والشرف والكرم أن يحاصر فارس امرأة فسارع القائد عند سماعه بالنبأ بالارتداد عن المحاصرة والعدول عن سعيه وراء المجد بهزم امرأة ، وترك الملكة وشأنها وأمنها على حياتها ، وبمقارنة هذه الحادثة بما ذكره جوستاف لوبون وروى عن القيصر شرلمان وكيف أهان اخته ، ولم يك للمرأة احترامها فى الوسط الأوروبى كما كانت الحال فى الاسلام ، يمكن أن ندرك جيدا مدى سماحة العرب والاسلام وسمو خلقهم ونبلهم فيقول « والاسلام حقا لا النصرانية هو الذى رفع المرأة من الدرك الأسفل

---

١ - انظر « حضارة العرب » لجوستاف لوبون Gustave Le Bon نقله من الفرنسية إلى العربية محمد عادل زعيتر ، جزء واحد ، القاهرة ١٩٤٥ ، انظر صفحتى ٢٩٦ ، ١٩٧ .

الذى كانت فيه فأنت إذا ما نظرت إلى سيرة أمراء النصارى الاقطاعيين فى القرون الوسطى رأيتهم لم يحملوا شيئا من الحرمة للنساء ، وأنت إذا ما تصفحت كتب تاريخ ذلك الزمن علمت أن رجال الاقطاع كانوا غلاظا إلى النساء قبل أن يتعلم النصارى من العرب أمر معاملتهن بالحسنى.(١)

وروى لوبون ما ذكره أحد مؤرخى ذلك العصر عن غلظة شرلمان حيال أخته فقال نقلا عنه « انقض القيصر شرلمان على أخته فى أثناء محادثته لها وأخذ بشعرها وضربها ضربا مبرحا وكسر بقفازه الحديدى ثلاثا من أسنانها » (٢)

ويشيد لوبون بنظم المساواة فى المجتمع العربى فيقول : « إننا نختم قولنا فى نظم العرب الاجتماعية بأن نذكر أن العرب يتصفون بروح المساواة المطلقة، ونرى مبدأ المساواة الذى أعلن فى أوروبا قولا لا فعلا راسخاً فى نفوس العرب وطبائعهم رسوخا تاما ، ولا عهد لهم بتلك الطبقات الاجتماعية الذى أدى وجودها إلى أعنف الثورات فى الغرب ولا يزال يؤدى ، ثم ليس من الصعب أن ترى بين العرب مسوداً زوجا لابنة سيده ، وأن ترى أجراء منهم قد أصبحوا من الأعيان(٣) » . ثم يردد قول أحد المتخصصين فى شئون الشرق وقد أعجب برأيه فيقول : « وليس من المبالغة أن يقال أن ذلك الشعب الذى يزعم الأوربيون أنهم يرغبون فى إصلاحه هو فى الحقيقة خير مثال يقتدون به فى ذلك »(٤)

---

١ - انظر « حضارة العرب » لجوستاف لوبون ترجمة زعيتر ، صفحة ٤١٩ .

٢ - أنظر « حضارة العرب » ترجمة زعيتر صفحة ٤٢٩ .

٣ - أنظر « حضارة العرب » ترجمة زعيتر صفحتى ٤١٨ ، ٤١٩ .

٤ - أنظر « حضارة العرب » ترجمة زعيتر صفحة ٤١٩ .

أى هو عنوان الدعوة للسلام والصفاء بين الناس عموما لا فرق بين دين وآخر وبين طبقة وأخرى .

ويذكر لوبون فى صراحة ما للعرب من أياد بيضاء على أوروبا فيقول : « وقد تراكمت أوهامنا الموروثة فى الإسلام والمسلمين بتعاقب القرون فصارت جزءاً من مزاجنا وتشبه هذه الأوهام المتأصلة التى أصبحت طبيعة ثانية فينا حقد اليهود الخفى العميق على النصارى ، فإذا أضفنا إلى أوهامنا الفاسدة الموروثة فى المسلمين الزعم الباطل الآتى الذى زاد مع القرون بفعل ثقافتنا المدرسية التقليدية البغيضة وهو أن اليونان واللاتين هم وحدهم منبع العلوم والآداب فى الزمن الماضى أدركنا السر فى جحودنا العام لفضل العرب العظيم فى تمدين أوروبا ، ويتراءى للبعض أن من العار أن تكون أوروبا مدينة للعرب فى خروجها من دور التوحش ولكن من الصعب أن يحجب مثل هذا العار الوهمى وجه الحقائق »(١) .

والخلاصة ان كتاب الغرب المتخصصين فى المسائل الاسلامية لا ينكرون على الإسلام قواعده السمحاء وبعده عن التعصب ، وعباراتهم فى هذا الشأن لا تحصى ونذكر منهم أيضاً الأستاذ « بابنجر » Babinger أستاذ العلوم الإسلامية فى جامعة برلين وما جاء فى بحوثه فى هذا الصدد وهو يقول : «إذا نظرنا إلى مجموع التاريخ الإسلامى من قيام الخلافة إلى اختفائها سنة ١٩٢٤ قررنا بلا تردد أن الاسلام حيث ظهر وفى أى مكان استقر وضحت روحه السمحاء من الناحية القانونية الشرعية ، هذه

(١) أنظر « حضارة العرب » ترجمة زعيتر صفحتى ٥٩٨ ، ٥٩٩ .

الروح البعيدة عن التعصب، مع تحمله، ومراعاته عادات البلاد التى حل فيها، (١)

ونرى الاسلام ديناً ودنيا ومعاملة ومودة وتنظيما لشئون الدولة وحماية لحرية المعتقدات، وكان هم الأديان أو قل مروجيها قديماً التدخل فى شئون الدولة لتستقيم الرعية مع الحجر على حريات الناس وأفكارهم، والاسلام يحض على معاملة الناس بالحسنى وعلى التسامح مع المهزوم وإكرام وفادته وحسن الجوار والمعروف والتفاهم مع الذميين ونشر الدعوة بالتجارة، الدعاية والإقناع، وينهى عن التعصب والمنكر وإذلال المهزوم وتعذيبه وإشاعة الذعر والارهاب والفتك والتقتيل. هذه الرذائل التى غرقت أوروبا بسببهـــا فى بحور من الدماء فى عصر محاكم التفتيش والإصلاح الدين.

وتنفجر من الإسلام وآيات الله الحكيمة ينابيع غزيرة من العدل والإنصاف، وورد فى حديث قدسى «يا عبادى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»، وقال سبحانه وتعالى «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل»، وفى آية أخرى «وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى»، وما أصدق وصف القاضى فى قضية مشهورة من قضايا الأحوال الشخصية للاسلام فى عدله وروحه السمحاء فقال «العدل الإلهى كما صوره القرآن حق طبيعى للبشر جميعا، لا فرق بين جنس وجنس ودين ودين، ولغة ولغة

---

(١) أنظر «أديان العالم» أشرف عليه الاستاذ كليمين من جامعة بون وكتب باب الاسلام الاستاذ بابنجر Babinger وترجم إلى الفرنسية - جزء واحد - باريس ١٩٣٠ صفحتى ٥١٥، ٥١٦.

«Les Religions du Monde» Sous la direction du Prof, Clemen, Traduction Française, 1 Vol; Paris 1930 pages 515 et 516

وكبير وصغير وملك وصعلوك، لا يتقيد بزمان ولا مكان، تتساوى لديه تيجان الملوك والأمراء بقلانس السوقة والرعاع »

* * *

أمثلة من القرآن والحديث

وليس أحكم مما ورد فى آى الذكر الحكيم من قوله تعالى حضاً للناس على أن يبر بعضهم بعضا وأن يمضوا نحو التعاون والتفاهم « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .

وليس أحكم أيضاً مما ورد فى كتاب الله حاضاً على التواضع والرحمة والبعد عن التدمير والفساد وإتلاف ما يصادف الانسان من عمران ، مطالبا المؤمنين بالسلم والطاعة « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ، ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد ، يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ، فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم » .

وليس أصدق مما جاء فى كتاب الله من حض الناس على الاتحاد والألفة فى ظلال الاسلام الذى وحد بين قلوب الجاهلية المتنافرة ومن الدعوة إلى عمل المعروف والخير « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته

إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » .

وليس أفصح من آية الله الحكيمة فى اختلاف الشعوب والدول مع تعاونها وهى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » وقد رددها الرسول فى خطبته يوم فتح مكة وقد وقف على باب الكعبة يخاطب قريش ، ومما قاله لهم : « يامعشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم خلق من تراب » .

وليس أصدق من قول الرسول فى حديثه عن المسلم ، وفيه أن الاسلام دين سلام وإنشاء ، فقال « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » ووصف الخلق المتين فى المسلم بقوله « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » .

وقد وصف الرسول فى حديث له عن التعاون بين الناس والتآزر فى سبيل البناء والسلام ببيان خطر التفرقة فقال « إن قوما ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس ، فقالوا ما تصنع ؟ قال هو مكانى أصنع فيه ما أشاء . فان أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا » .

ويستدل بأجلى بيان على روح الاسلام السمحاء البعيدة عن التعصب ورغبتها فى التعاون بين البشرية من كتاب الرسول إلى هرقل ملك الروم

وقد جاء فيه « من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام . اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فان توليت فان عليك إثم الأريسيين (يعنى بهم الزراع والعمال فهم يتبعون ساداتهم) . ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

وجاء فى آخر خطبة الرسول فى حجة الوداع وهى آخر حجة له « ... أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ، فلا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! فلا ترجعن بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فان قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله . ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم ، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد! قولوا : نعم ! قال فليبلغ الشاهد الغائب والسلام عليكم ورحمة الله . » ، ونرى بوضوح فى هذه العبارات الجامعة تعاليم الاسلام السلسة السمحاء وبساطته مع عدالته ومساواة الجميع أمام الله على أن تفاضل بينهم قوة الايمان والتقوى .

ولرسول الله حديث شريف يدل على احترام الاسلام لشخصية الفرد وإشعاره بمسئوليته مع توزيعها على الناس وفق أعمالهم وهذا ما تحاول النظم الحديثة بثه فى نفوس الأفراد والجماعات، وهو « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ، وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته » .

وهذه كلمة مختصرة فى ديموقراطية وسماحة الاسلام ، فنراه أنقى من نمير الماء وأصفى من أديم السماء ، تتألق المساواة فى جوزائه كما تتألق الكواكب الزاهرة فى ليلة صافية لا تشوبها غيوم .

الباب الثانى

المثل الموسوية

أهم مراجع الباب الثانى

كتب بالفرنسية والانكليزية :

١ – « أديان العالم » صدر باشراف الأستاذ كليمين ترجمة إلى الفرنسية جزء واحد . باريس ١٩٣٠ .

1—«Les Réligions du Monde» Sous la direction du prof. Clemen, 1 Vol. Paris 1980.

٢ – « وجوه عبقرية اسرائيل » كراسات الجنوب جزء واحد . باريس ١٩٥٠

2—«Aspects du Génie d'Israel» Cahiers du Sud-1 Vol, Paris 1950.

٣ – « خلاصات فى دولة اسرائيل » المجلة الدولية الشهرية عدد خاص أغسطس – سبتمبر ١٩٥٢ بروكسل .

3—Synthèses «L'Etat d'Israél» - Revue Mensuelle Internationale, Numero Spécial, Août - Septembre 1952 Bruxelles.

٤ – « اليهود فى فلسطين » لروفسكى، جزء واحد . باريس ١٩٣٦ .

4—«Les Juifs en Palestine» par Revusky, 1 Vol, Paris 1936.

٥ – « تاريخ حضارة اليهود » لبرتوليه، ترجمة إلى الفرنسية، جزء واحد . باريس ١٩٢٩ .

5=«Histoire de la Civilisation d'Israel» par Bertholet, Traduction Française, Paris 1929.

٦ – « جمهورية اسرائيل » لدونر ، جزء واحد ، نيويورك ١٩٥٠ .

6—«The Republic of Israel» by J. Dunner, 1 Vol, NewYork, 1950,

٧ – « اسرائيل » لبنتويتش ، جزء واحد ، لندن ١٩٥٢ .

7—«Israel» by Bentwich 1 Vol, London 1952,

الباب الثانى

المثل الموسوية

دين إسرائيل ومثله ثورة فى الزمان الغابر – الوحدة الربانية والفرد فى الشريعة الموسوية انتقال الدين من العام إلى الخاص – أمثلة عديدة من التلمود تحض على تحاب الناس .

...

المقصود فى هذا العرض المختصر لمثل الشريعة الموسوية أن نبين مدى اتجاه شريعة بنى إسرائيل شأنها شأن شرائع أخرى نحو التعاون والحض على المعروف والخير ، ونحن فى هذا العرض لا نعنى الناحية الخاصة لهذه الشريعة ، وقد يكون ماورد على لسان بعض دعاتها وما جاء فى عباراتها المقدسة المأثورة من أثر إناس على آخرين وتفضيل قوم هذه الشريعة على غيرهم من الأقوام دعوة وتمسك بالدعوة ، فقيل مثلا إنهم الشعب الذى اختاره الرب من بين سائر الشعوب ، وقد نرى فى أديان أخرى أيضا هذه الاثرة وغرضها الترويج للدعوة ، وليس من همنا أن نرجح كفة الخاص على العام .

وان المقارنة بين شريعة بنى إسرائيل وبين مبادىء الصهيونية التعصبية ترى مدى الخطل الذى يرتكز عليه دعاة السياسة الصهيونية فى التمسح بالدين لاغتصابهم أراضى العرب وأموالهم وتشريدهم وتهديد السلام فى الشرق الأوسط .

ونحاول أن نبين بوجه عام الناحية الانسانية فى المثل الموسوية وكيف أنها تحض على تعاون الناس بلا تمييز وقد اتجهت الرسالة للانسان بصرف

النظر عن موطنه وجنسه ، ولقد كان دين إسرائيل فى زمان ظهوره :- ١ - ثورة روحية على المثل العتيقة ، كما انحصر فى الوعظ وحض الناس على عمل الخير ، ولم يهدف إلى بقعة معينة دون سواها . غير أنه ورد فى أقوال زعماء شعب إسرائيل تفضيل لأرض الميعاد على غيرها . ٢ - ونحا الدين نحو الوحدة الربانية ، كما ركز جهده على الفرد كوحدة بروحه ونفسه فى الانسانية ، وكان هم المثل الموسوية الانسان عموما بلا تحديد لفرد معين له جنسية معينة دون غيره من الناس ، ثم اتجه الدين ومثله نتيجة ظروف معينة اتجاها نقله من العام إلى الخاص وانطوى على نفسه ، وجاءت فرصة التعصب تطغى على تعاليمه وتطمس معالمها الأولى . ٣ - والأمثلة عديدة فى التلمود تحض الناس على التعاون والتآزر والتحاب .

* * *

دين إسرائيل ومثله ثورة فى الزمان الغابر وهو يهدف إلى الحض على الخير بوجه عام

دين إسرائيل سابق على المسيحية والاسلام ، ويعتبر فى زمنه ثورة روحية على المثل العتيقة وقوتها الرجعية فى ذلك الوقت البعيد ، والتى لا نزال نلمس ذكرى جبروتها فيما خلفته من بنايات شامخة كأهرام خوفو وغيره .

وليس غرضنا دراسة تعاليم اليهودية من الناحية الدينية ووسائل التعبد فى ظلالها وطقوسها وأركانها ، بل ان كل ما يهمنا هو صلاتها بغيرها من الأديان ومعاملتها لسائر الشعوب التى لا تعتنقها وما تدعيه من سلطان على النفوس والبقاع واتجاهاتها السياسية .

إن العبرية باعتبارها ثورة فى ذلك الزمان الغابر الذى يسلفنا بآلاف السنين خطوة أولى فى اتجاه جديد فى الحياة ، وصاحب رسالتها ينقل عن الرب أنه قال له كيت وكيت وأنه أبلغه رسالة لإبلاغها لقومه ، وهكذا ترسم تعاليم معينة محددة يتعين مراعاتها ، وهى تجعل من الرسالة حقيقة واقعة ، وليس هناك حلقة مفقودة هى الروحانيات والخيالات ، بل الرسالة دعوة واقعية ينقل داعيها عن الرب كيت وكيت . . .

والأمثلة على ذلك عديدة يرويها الأستاذ « بيك » Baeck أستاذ العلوم العبرية بمعهد العلوم العبرية بجامعة برلين ، وجاء فيما كتبه « بيك » عن العبرية فى الكتاب المشهور الذى سبق أن أشرنا إليه بعنوان « أديان العالم » يذكر بعض العبارات المقدسة فى العبرية مما يفيد ما قدمنا وهى « وهكذا خاطبنى الخلود فقال ، لا تقل إننى صغير السن لأداء الرسالة إذ ستذهب فى كل مكان أبعث بك إليه وستقول ما أمرك بقوله » (١) ونرى فى العبارات السالفة نبى اسرائيل يعظ قومه ليتبعوا الوصايا التى أمر الرب باتباعها ، والتى يجب أن ينسج الناس على منوالها ، ويصف فيها المستقبل الذى يحدد الرب دائرته بالخوف من شق عصا الطاعة عليه والعقاب .

وتعنى الرسالة اليهودية بالحض على خلق مستقيم معين ولا حدود فى هذه الحالة لدولة معينة أو لشعب بالذات توجه إليه الرسالة ، فالنبى هو نبى اسرائيل ولكنه ليس لاسرائيل وحدها بل هو للناس بوجه عام ، ويذكر الأستاذ « بيك » فى بعض العبارات المقدسة لليهودية توكيدا

---

١ - أنظر « أديان العالم » جمعة الاستاذ كليمين ، مقال الاستاذ بيك الباب الرابع (اليهودية) صفحتى ٢٩٦، ٢٩٧

لهذا معناه « انى جعلتك نبى الشعوب ... وانظر انى أرسلك اليوم لتهدى الشعوب والممالك » ، وتكررت عبارات كل الشعوب والشعوب وقبائل الأرض وكافة أنحاء العالم على ألسنة أنبيـــاء إسرائيل ، وهم يوجهون خطاباتهم إلى قومهم وإلى سائر الأقوام أيضا ، والدين والحالة هذه دين عام ولا غرابة فى ذلك فهو يعتبر أهل الأرض أولاد نوح الذين أنقذوا من الطوفان ، ولم تك أرض كنعان أو فلسطين إلا مركز العالم بعد أن انجلى الطوفان عن الدنيا بأراضيها من جديد ونجا منه من نجا .

وليس من السهل أن نلم إلماما دقيقا بملابسات التحول من ذلك الموقف العام إلى اتصال الدين بأرض الميعاد ، ولكن هناك بعض الأقوال القديمة لزعماء شعب إسرائيل الغابر يزعمون فيها أن أجدادهم قالوا لهم إن آباءكم سكنوا فيما وراء الفرات ، ومن الفرات توجه إبراهيم إلى كنعان بأمر من الرب ، ويزعمون ان الرب قال له ما معناه « أخرج من بلادك واترك وسط أسرتك ومنزل أبيك » ، وهذا ما جعل موسى وهو نبى إسرائيل الأساسى المعروف وخادم الرب يعطى شعبه ودينه صورة واضحة صادقة من التضحية والشجاعة وقوة الايمان ، ويضاف إلى ذلك أن فلسطين كانت مركز النشاط الثقافى وقلب العالم القديم النابض ، وهبطتها مدنيات عريقة متعاقبة ، وخلدت فيها آثاراً عميقة اقتصادية واجتماعية مما دفع ببنى اسرائيل إلى الاتجاه اليها والقاء عصا الترحال فى ربوعها والاستقرار فيها ، ثم ادعاء أرضها خالصة لهم .

* * *

رسالة موسى عامة للناس وتمتاز بالوحدة الربانية وباهتمامها بالفرد بوجه عام

وتبلورت فى النهاية تعاليم أنبياء إسرائيل فى الوصايا التى تلقاها موسى من الرب ، وكما يرى «بيك» لم يعد هناك فاصل بينها وبين دين إسرائيل الذى أخذ وضعه النهائى على يد موسى وصار نهاية ثورة إنسانية اشتعلت منذ القدم ، هدفها أن تبث فى النفوس البشرية روحا جديدة سمحاء للقضاء على الطغيان والاستعباد ، ويقول الأستاذ بيك بالحرف « إن الدين الذى جاء على لسان موسى صاغ هذا الرسول تاريخه ، لأن المبادىء الجديدة التى قررها وعلقت باسمه حوت منذ بداية بزوغها قوة شخصيته وحافظ دائما فيها على روح التجديد والبحث ، وهذا جعلها دينا عاما . »(١)

وأهم ما ورد فى المثل الموسوية فكرة الوحدة أو التوحيد وضرورتها للايمان بربها ، فالرب واحد ولا تشاركه فى جبروته وسلطانه قوة أخرى ، والفرد وحدة فى ذاته ، وعليه أن يخدم بكل قواه وبروحه ونفسه ربه ويطيعه . والرب خالق العالم وهو أقوى مافى الوجود ، وهو فوق كل عوالمنا وسلطاتنا والشعوب بجواره كالذرة الضئيلة من الغبار إذا وضعت فى كفة ميزان ، والعالم بارجائه الفسيحة كحبة من حبات الرمال ، وألف سنة بالنسبة للخلود كالبارحة تماما من اليوم أو كلا شىء أو كامسية الليلة الفائتة ، وإن هذا الشعور بالخلود وباللانهاية كبر وقوى تبعا لفكرة الرب الواحد وضاعف نشاط التفكير فى الروحانيات .

---

١ - انظر « اديان العالم » مقال الاستاذ بيك عن « اليهودية » صفحة ٣٠٠

أما الانسان فى اعتبار دين اسرائيل فهو ذلك الكائن الراقى بوجه عام بلا تحديد لفرد معين ، وهو فى نظر الدين وحدة فى الانسانية يحبوها الرب بحنانه ، ويقول الرب كما ذكر الأستاذ بيك ما معناه « إعلم أن الرب بسببك خلق العالم » وهكذا يبث الدين فى الفرد روح احترامه لنفسه باعتباره جزءاً من قوة الرب وباعتباره أيضا وحدة تتبع الرب وتستمد منه قوتها ، وتعبر إحدى الصلوات الاسرائيلية القديمة عن ذلك فتقول ما معناه فى الانسان « ربى إن الروح التى منحتنى إياها طاهرة نقية وهى نفحة منك فى نفسى » ، وجعل الدين الرب القاضى المطلق على العالم بلا تمييز بين أراض وأخرى وهو العليم بما فى النفوس والصدور ، واعترف بضعف الانسان واخطائه وبما قد تجره إليه المغريات وتجعله يحيد عن سواء السبيل ، وبأنه قد يعرض للمعصيات التى قد تعترض طريقه المقدر المرسوم .

وتقول المثل الموسوية إن الرب يخلق الروح الطاهرة ثم قد تتلوث بالذنوب والمعاصى ، ولكن لا يفقد الفرد حريته بما يرتكب من ذنوب فهو يكفر عن سيئاته ويطلب المغفرة والصفح ليعود طاهراً نقيا ، ولا يعنى بهذا أنه يضيع كانسان بالمعصية ، فله دائما أن يبدأ من جديد إنسانا نقيا فى طريق الحياة ويعيد كتابة صحيفته ، ويقول الدين فى ذلك ما معناه « إذا بدأ من جديد نشاطه بدأ الرب خلقه كمخلوق جديد » .

ويعتبر الدين الناس أخوة بلا تمييز فحياة الفرد هامة لمعاونة حياة الآخرين ، ويقول فى هذا ما معناه « إن أخاك يجب أن يعيش معك ، ولا شأن فى هذا للجماعة أو الدولة ولا دخل لهما فى تنظيم حياته وتنظيم تعاون الناس بل هذا تقدير الرب الواحد ولا سبيل للاعتداء عليه » ،

ويقول الدين كذلك ما معناه موجها خطابه إلى الفرد « إننى الازل أمرك أن تحب غيرك كما تحب نفسك » ويقول أيضا « يجب أن تحب الرب فى أشخاص الناس الذين خلقهم . »(١) ، وعبارات الحق والعدل والرحمة فى المثل تراعى حماية مصالح الناس بلا فارق ، وتذكر أن من يحيد عنها ومن يتهرب من الناس والحياة يحيد عن الإيمان والعقيدة .

ومن هنا نشأ الدفاع عن حق الأجنبى عن الدين أسوة بالأسرائيلى تماما ومساواة الأثنين فى الحقوق أمام الرب ، وذهبت المثل إلى حد احترام الخادم واعتباره بن الرب ، وهكذا تعتبر الإنسانية فى نظر اليهودية وحدة ، وهى بجموعة واجبات وخدمات يؤديها الناس فى سبيل الوحدة والتوحيد ثم فى سبيل تحقيق مصالحهم ، ولا تقوم الوحدة أو التوحيد إلا بالعدالة وبتعاون الجار وبتحاب الناس ، وقد نبذ الدين على قدر الامكان الكراهية ، وقال ما معناه « أيها الرب الخالد رب أبائى إجعل كراهية الناس بعضهم لبعض تختفى من القلوب . . » ، وقال كذلك « ولتختف الذنوب من الأرض ولا يصبح فيها بعد ذلك مجرمون » .

نرى مما سبق أن المبادىء العامة للمثل الموسوية لا تنصب على جماعة ولا تطالب بأرض محددة ولا تسعى للاستئثار بمكان أو بقوم إتفضلهم على غيرهم وتصب جام غضبها على من عداهم ، ولا تنزع الرزق وتغتصب الأرض من الناس قسرا لصالح شعب مختار ، ولكن الرسالة فى ذاتها وما تفرع منها يتناول مسئولية الفرد عن الآخر تطابلا مع هذا قيام رسل من إسرائيل على توالى الأجيال ، ثم جاءت عصور الاضطهاد ، فاعتزل الدين العالم وقطع صلاته بسائر الشعوب وانطوى على نفسه فى

---

١ - أنظر « أديان العالم » مقال الأستاذ بيك عن اليهودية صفحتى ٣٢٢-٣١٣

جهات معينة فى المدن الكبرى لعواصم أوروبا ، ولم يك فى بحبوحة من العيش إلا فى ديار المسلمين حيث عاش المسلم واليهودى جنباً إلى جنب صديقين ، وقرب الخلفاء مفكرى اليهود وفلاسفتهم . ونبغ منهم بفضل ديموقراطية الإسلام العدد العديد ، وتحول الدين بانطواء معتنقيه على أنفسهم وبانفصالهم عن سائر الجماعة إلى دين أقلية ، وجرى عليهم حكم الأقلية وتعصبها ، ثم شعورها بالضيق فحملاتها على كل من هو أجنبى عنها .

وجاهد اليهود للوقوف فى وجه العدوان فى أوروبا أثناء ظلام العصور الوسطى وحكم الاستبداد إلى قيام الثورة الفرنسية ، بل وقاوموا طغيان القياصرة الروس وغيرهم حتى قيام الحرب العالمية الأولى . وقاسوا طغيان النازية والفاشية حتى انهيار المحور باندحاره فى الحرب العالمية الثانية ، وتحملوا بصبر حركات التطهير فى روسيا السوفيتية فى السنوات الأخيرة ، وزادوا فى مداركهم ونشطوا فى تحصيل العلوم وفى جمع المال وتجارته وقد اضطروا للانصراف عن الجندية والوظائف العامة ومرتبات النبل والشرف فى معظم بلدان أوروبا ، وانحرفوا عن تعاليم دينهم بمعاداة الغير وبرفع راية العصيان أينما حلوا ، وحيث لم يستطيعوا أن يقفوا فى وجه الاضطهاد وأن يصمدوا للعدوان ويردوا الضربات القاضيات تكتلوا ليرفعوا صوت الاحتجاج باسم الأقلية ، وانتشروا أو اختفوا حسب مقتضيات الكفاح حتى لا يفنيهم الحاكم عن بكرة أبيهم ثم اتجهوا إلى إظهار استيائهم والانتقام لأنفسهم وإبراز روح الشر ، وهى ليست فى مثل دينهم ، فى بقاع آمنة هى أرض المسلمين فى فلسطين هذه الأرض التى طالما بادل أهلها اليهود المودة وحبوا أرواحهم وأموالهم وأعراضهم

بالحماية والأمان وخلعوا عليهم العطف والرحمة ، وعاملوهم معاملة لم يروا مثلها في أي بلد آخر ، فكان جزاء المسلمين منهم جزاء سنمار .

* * *

أمثلة من التلمود تحض على تحاب الناس

إن في العبارات المقدسة لليهودية ما معناه : « طالما لا تزال إسرائيل في المنفى فإن العدالة تظل كذلك في المنفى » ، وفي هذه العبارة بالذات وغيرها ما يفيد أن إسرائيل تنشد وفقاً لفلسفتها الدينية مهدها لتستقر فيه أي أنها تهدف إلى تأسيس دولة في أرض الميعاد ، ولكن لا يعني بهذا أن على بني إسرائيل ألا يعملوا في مختلف البلدان التي ضمتهم إلى أعطافها وحبتهم بجنسيتها لإقرار العدالة ونشرها ، بل بالعكس فمثلهم وهي مدعمة بعبارة « شالوم » Chalom أي السلام تنبيء عن هدفها الأسمى ، وهي قيام الإنسانية بجملة في سبيل تدعيم السلام بين البشر .

وتقول هذه المثل مخاطبة الإنسان في عبارة مقدسة لها وتمنيه بالخلاص على يد المسيح المزعوم الذي سيهبط على العالم لنشر السلام « عش وكأن المسيح سيعود حتما ودائماً » ، وهكذا يمكن من هذه العبارة إدراك مدى الفكرة الإصلاحية الاجتماعية للإنسانية اليهودية وهي أنها تحض على العمل للحال والمستقبل ، وهذه المثل تقول أيضا في سبيل التجديد والأمل في دنيا أفضل « يجدد الرب كل يوم الخليقة » وفي سبيل التحرر وانتشال البشرية من وهدة العبودية « إن ما يميز عصر العبودية القديم عن العصور الحالية هو تحرر الشعوب » ، وعلى هذا النمط القائم على الحض على البناء يواصل « التلمود » عباراته الانسانية .

والفلسفة اليهودية لا تعتبر الشعب غاية في ذاته ونهاية ، بل هو أداة

للبناء والانشاء ، وعلى ذلك فالحقوق لا تقدر باعتبار الشعب ، ولكنه هو الذى يتلقى تطبيقها وتنفيذها باعتبارها عدالة سامية مطلقة ولا شك فيها ، ولا يمنع هذا من قول هذه المثل بأن القانون والحق أعطيا لشعب إسرائيل أى « لشعبى » كما جاء فى المثل المقدسة للشريعة الموسوية ، وكان يافع Jehovah قبل كل شىء رباً قومياً وقبلياً لقومه أى لقوم إسرائيل ، وشرحت شريعة إسرائيل وكتبها المقدسة تاريخ هذا الشعب وما لاقاه من عنت واضطهاد قديماً ، وما قام به من كفاح ضد الاسترقاق بالتفصيل مما يجعل لهذا الشعب روحا قومية تعصبية خاصة ، ولكن لا تقر أسسها الرئيسية انتزاع الفكرة الانسانية العامة من المثل لتحل محلها روح تعصبية عنيفة تقضى على التحاب والتعاون بين البشرية وتحول دون اندماج شعب إسرائيل فى العالم ، وأن يصبح تحت تصرف الانسانية بلا فارق بين الملل والأجناس .

وعبارات التلمود وغيره من كتب إسرائيل المقدسة تزخر بالدعوة إلى الرحمة والتعاون ونبذ الشر والعدوان ، وقد ذكرنا العديد منها فيما سبق ، ونذكر بعضها أيضا على سبيل المثال فيما يلى :

فقد جاء فى التلمود عبارات موجهة للإنسان كقوله « إذا دفعتك شهوات النفس إلى الانغماس فيها والغرق فى لججها ، فادفعها بالتعبد والدرس » ، وقوله أيضا « إذا فاقت أعمالك الحسنة علمك فسترى أن علمك سيظل قائما ، ولكن إذا فاق علمك فضائلك فهو لن يكتب له البقاء فى صدرك » ، وقوله « إذا وضعت خوفك من المعصية فوق حكمتك فانت تضمن بذلك بقاءها ، ولكن إذا وضعت حكمتك فوق خوفك من المعصية فلن تضمن استمرار حكمتك » ، وجاء فيه تمجيدا للانسان كوحدة فى

الوجود « إن الفرد الواحد يعادل الخليقة برمتها ، وأيضا « هناك حيث يوجد الناس حاول أن تكون إنسانا بما تعنيه هذه الكلمه »، وجاء فى نبذ استنزاف الأموال « إن المرابين مثلهم مثل الذين يريقون دماء الناس » ولهذه الحكمة معناها البليغ فهى تدعو إلى تحريم الربا حتى لا يؤدى انتشاره إلى تنافر الناس وتدابرهم ، وجاء أيضا حضا على التعاون بين البشر مع التسامح واللين إزاء الصلف « إن ما ينقذ العالم هو خشوع الذين عليهم أن يعقدوا ألسنتهم ولا يفتحوا أفواههم إذا وجهت اليهم الاهانات والسباب ، وورد كذلك مايدل على اهتمام المثل الموسوية بالعالم كمجموعة شعوب فيها شعب اسرائيل « إذا حلت بالعالم نكبات فإن شعب اسرائيل يتألم قبل غيرة » (١)

وفى هذه العبارات ما يرسم بوضوح الناحيه العامة للمثل الموسوية كشريعة للناس عامة . وفى الوصف السالف لتقلباتها و لمصادفاتها التاريخية التى حلت بأبنائها وما ورد على ألسنة بعض زعمائها واتجاهاتها ما يظهر أيضا نا حيتها الخاصة التى دفعت بها نحو تيار الصهيونية المدمر ، وهذا ما سنبينه تفصيلا فى مكانه فيما بعد .

---

١ ـ أنظر « وجوه فى عبقرية اسرائيل » بجموعة كراسات الجنوب لطائفة من كبار الكتاب اليهود ، جزء واحد ، باريس ١٩٥٠ ، بجموعة هذه الحكم من صفحة ٦٤ إلى صفحة ٦٨ بعنوان « من التلمود »

Voir "Aspects du Génie d'Israël" Cahiers du Sud, 1 Vol, Paris 1950, Sentences et Recits du Talmud de page 64 à 68.

الباب الثالث

العرب واليهود من الناحية العنصرية

أهم مراجع الباب الثالث

كتب باللغة العربية :ـــ

١ ـــ « مشاكل العالم العربي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية » ، لمحمد عزة دروزه ، جزء واحد ، دمشق ، ١٩٥ .

٢ ـــ « هذا العالم العربي » لنبيه أمين فارس ومحمد توفيق حسين ، جزء واحد ، بيروت ١٩٥٣ .

٣ ـــ « بعض الحركات الفكرية فى الاسلام » ، لمصطفى الحاج ، جزء واحد ، بيروت ١٩٥٣ .

٤ ـــ « حضارة العرب » لجوستاف لوبون ، ترجمة زعيتر ، جزء واحد ، القاهرة ١٩٤٥ .

كتب بالفرنسية والانكليزية :ـــ

١ ـــ « الأجناس والتاريخ » لبيتارد ، جزء واحد ، باريس ١٩٢٤ .

1—«Le Races et l'Histoire», par Eugène Pittard, 1 Vol, Paris 1924

٢ ـــ « تاريخ سكان العالم » لرينارد ، جزء واحد ، باريس ١٩٤٩ .

2—«Histoire De La Population Mondiale», per Marcel Reinhard 1 Vol. Paris 1949

٣ ـــ « دراسات فى هجرة السكان » لبيير جورج ، محاضرات فى السربون باريس ١٩٥٢ .

3—«Etude Sur Les Migrations De La Population» par Pierre George, Cours de la Sarbonne, Paris 1952.

٤ - «الأصول العنصرية للتاريخ الأوروبي» لجونتر، ترجمة إلى الانكليزية جزء واحد، لندن ١٩٢٧ .

4—«The Racial Elements of European History» by Hans Günther, translated to english, 1 Vol, London 1927,

٥ - «اسرائيل» لبنتويش، جزء واحد، لندن ١٩٥٢ .

5—«Israel» by Normane Bentwich, 1 Vol, London 1952.

٦ - «جمهورية اسرائيل» لدونر، جزء واحد، نيويورك ١٩٥٠ .

6—« The Republic of Israel » by Joseph Dunner, 1 Vol, New York 1950.

الباب الثالث

العرب واليهود من الناحية العنصرية

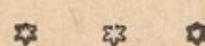
الاستعمار وأثره في العقلية اليهودية ـ روح العرب السمحاء ـ اختلاط الاجناس والشعب العربى ـ اختلاط الاجناس والشعب اليهودى :

* * *

يتضح من العرض السابق أن المبادىء الأساسية لدين إسرائيل تتنافى مع إدعاء أرض معينة لشعب إسرائيل. فهو دين عام له رب واحد ووحدته الفرد ، وهو يحض كما رأينا على التعاون بين الناس ، وهكذا . تنهار فكرة تخصص مكان معين لمعتنق هذا الدين ينشئون فيه دولة ، وقد نشأ الدين عاما ثم صار لأقلية فى بلدان العالم المختلفة ، واندمج بنو إسرائيل فى القوميات المتعددة وأصبحوا مواطنين كغيرهم من المسيحيين والمسلمين وسواهم فى أمم الأرض ، ولا يقبل العقل أن تنشأ قومية سياسية من أحضان دين معين وتستقر داخل قومية عامة للدولة فى بلد ما يقطنها فريق من اليهود ، وإذا كان هذا الفريق ككل أقلية نشأ بعيداً إلى حدما عن سائر المواطنين وجابه اضطهادا نتيجة تعلقه بأهداب سياسة الأقلية ورداً على تعصب المسيحية فى أوروبا وخاصة ماقبل الثورة الفرنسية فلا تؤدى هذه الحال إلى عمل اليهود المبعثرين فى الأرض على التحالف لكيل الضربات لقوم عاشوا قروناً عديدة فى تفاهم معهم وأفسحوا لهم صدورهم وأكرموهم وقربوهم وعاملوهم على قدم المساواة مع المسلمين فى عصر إزدهار الاسلام فى الأندلس العربية وفى العراق ابان مجد بني العباس . والعجيب فى هذا الأمر أنهم يئنون من ضربات

الغرب ومظالمه ، ثم لا يلبثون أن ينقلوا عنه البغي ويوجهونه إلى الأبرياء الآمنين من عرب فلسطين ، ولا ذنب لهم فيما وقع على اليهود فى أوروبا من أذى .

وغرضنا من هذا البحث بيان : ١ - صراع الغرب فى سبيل الاستعمار وأثره فى بنى إسرائيل وتشبع الصهيونية بالفكرة الاستعمارية كرد فعل لاضطهاد اليهود فى أوروبا . ٢ - وروح العرب السمحاء المستمدة من نظمهم الاجتماعية وحياتهم السياسية وأثرها فى معاملاتهم وعلاقاتهم مع سائر الشعوب . ٣ - وكذلك أثر اختلاط الأجناس فى الشعب العربى وهو مكون من شعوب متعددة دخلت الاسلام وامتزجت بالدم العربى بل ومن العرب من امتزج بسائر شعوب الغرب وأصبح اليوم جزءا منها ٤ - ثم اختلاط الأجناس فى الشعب اليهودى ، وهو لا يتميز بطابع معين من ناحية الدم والعنصر ، وسحن أبناء اسرائيل متباينة ، وهناك أشكال يهودية لا شكل يهودى واحد .



الاستعمار الغربى وأثره فى الروح والعقلية اليهودية

شاهد يهود أوروبا الامبراطوريات الاستعمارية فى هذه القارة منذ اتساع سلطان الرأسمالية الصناعية تعمل على بسط نفوذها متذرعة تارة بالقومية وأخرى بالعنصرية أو باللغة وضيق رقعة الأرض . وتسعى إلى الاتساع خارج حدودها وتلجأ إلى العدوان والحروب فى سبيل غايتها ، ورغم ما قاسوه من مظالم نتيجة الاضطهاد القائم على هذه السياسة الجشعة أخذوا بدورهم يسيرون على دربها .

فألمانيا كانت تسعى إلى بسط نفوذها على شرق أوروبا وقد نزلت إلى ميدان الاستعمار متأخرة عن غيرها من منافساتها ، ولم تنل ماتصبوا إليه فى أفريقيا وغيرها من بلدان ما وراء البحار . فاتجهت إلى ما وراء حدودها الشرقيـــة ، وسارت وفق سياسة « السير نحو الشرق » Drang Nach Osten متذرعة بضم العناصر الجرمانية إلى حظيرة الوطن وخاصة أن بعض هذه العناصر حسب ما تدعيه ، من أصول جرمانية . فضلا عن أن بعضها كذلك يتكلم الألمانية . وقد استمرت هذه سياستها باسم المجال الحيوى لشعبها حتى انتهاء النازية أخيراً حيث أدخلت فى نطاق الدولة النمسا والسوديت وتشكوسلوفاكيا وغيرها .

وروسيا كانت تنادى دائما بحماية الشعوب الصقلبية فى الامبراطورية العثمانية، والبت البلقان على الدولة العثمانية وحاربتها مراراً لتحرير الصقالبة فى هذه البقعة،وهى ترمى إلى اتساع رقعتها و بسط سلطانها والوصول إلى البحار الدافئة التى تفتقر إليها وإلى استيلائها على بيزانطة وإعادتها إلى الكنيسة الأرثوذكسية وقد أضحت عاصمة الخلافة برجحان الهلال يوماما على الصليب بواسطة سيف العثمانيين .

ولم يخرج اليهود عن هذه الفكرة الاستعمارية إن لم يبالغوا فيها بمناداتهم بالوطن القومى لليهود المبعثرين فى الأرض وانتزاع ديار العرب لانشاء دولة دينية ذات صفة سياسية يتجه إليها يهود العالم ، وقد خلعوا عنهم رداء قوميتهم، فهم يتبعون جنسيات الدول التى يعيشون فى كنفها، ليلبسوا ثوبا دينياً غريباً عن أصول اليهودية ذات الرب الواحد والتى تجعل من الانسان وحدة فى هذه الحياة لا فارق بينه وبين الآخر .

* * *

روح العرب السمحاء

خرج العرب وهم بناة الحضارة الاسلامية فى بدايتها من ديارهم غزاة ودعاة وتجار ومهاجرين ينشرون الاسلام ويدعون الشعوب المتاخمة لمهد الدعوة لاعتناقه . ودخل الناس فى دين الله أفواجا . واشتد أزر الاسلام يوما بعد يوم بمعتنقيه من شعوب العالم المتمدين القديم فى عصر الدعوة المحمدية من أبناء الروم والفرس والشام وأهل مصر والبربر وغيرهم ، وهبط العرب فى مقر الاسراء والمسجد الأقصى . وخلدوا هناك لساناً وجنساً وديناً . وتأصلت جذور المدنية الاسلامية فى هذه البقعة المقدسة مهبط الوحى والأديان . وأصبحت ركناً حصيناً من أركان الاسلام وأى ركن . ففى هذه البقعة دحر الاسلام على يد صلاح الدين بعد حروب مريرة استغرقت سنين طويلة جحافل الصليبيين فى موقعة حطين . واستبقى هذا المكان العزيز على الاسلام تراثاً وذخراً . وانبعثت فلسطين بالروح العربية . وصبغت بالمدنية الاسلامية منذ فجر الاسلام وبدء فتوحاته . وأقام فى ربوعه العرب يسعون فى طلب الرزق وينصرفون إلى أعمالهم مطمئنين إلى ما يحيط بالعالم المتمدين من مبادىء العدل والحق والانسانية التى تحترم حياة الفرد وملكه وولده وترعاها وتعمل على حقن الدماء ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، وتصوغ أصول العرف والقانون الدولى وفق ما تمليه حقوق الشعوب فى العيش الحر فى ربوعها التى توارثتها جيلا بعد جيل ولا تعرف غيرها وطناً ومقراً فلا تطرد منها باسم استيطان أقوام فيها زعموا أن أجداداً لهم هبطوا بقاعها يوما ما منذ عشرات القرون ثم انحسروا عنها وانتشروا فى شتى فجاج الأرض وعاشوا فى أحضان بلدان ومدنيات متعددة بعيدين آلاف

الأميال عنها . ولم يقع أبصارهم وأبصار أجدادهم عليها بحال .

ولنسمع ما قاله جوستاف لوبون فى العرب وما تركوه من آثار عميقة فى جنوب فرنسا ، وقد اختلطوا بسائر الشعوب المتاخمة لهم والتى ألقوا عصا ترحالهم فى ديارها ولم يعودوا عنصراً يتميز بطابع معين « ... وقد استقر أناس كثيرون منهم بالأراضى القريبة من المدن التى استولوا عليها وتعاطوا فيها أمور الزراعة والصناعة ، وقد عزى إليهم إدخال صناعة البسط فى أبوسون وكثير من أساليب الفلاحة وامتزجوا بسكان البلاد بسبب محالفاتهم الكثير لأمراء النصارى ولاقطاعيين ، وقد أثبت علم وصف الانسان وجود حفدة للعرب فى أمكنة كثيرة من بلاد فرنسا كمقاطعات كروز والألب ومونتمور ونبيوشارانت وبعض قرى لاندوروسيون ولنجدوكة وبيارن ، ويمكن الانسان أن يعرفهم بجلودهم السمر وشعورهم السود وأنوفهم القنو وعيونهم الثاقبة اللامعة ويمكن المرء أن يعرف نساءهم بألوانهن الزيتية ووجوههن الأسيلة وعيونهن النجل الدعج وحواجبهن الزج وقدودهن الهيف ، وقد نشأ بقاء هذه الصفات فى أولئك الحفدة وعدم إمحائها مع الزمن عن تأليفهم جماعات متوالدة فيما بينها دون امتزاج بالسكان الآخرين »(١) .

* * *

---

١ - يبلغ عدد سكان البلدان العربية فى الشرق الأوسط نقلا عن كتاب « آسيا » L'Assie لبيير جورو Pierre Gourou ، جزء واحد سنة ١٩٥٣ . فيما عدا مصر ، فالعدد نقلا عن احصاء سنة ١٩٤٧ مع بيان مساحة كل بلد أيضاً ما يأتى :—

=

	المساحة بالكيلو مترات المربعة	عدد السكان	
بلاد العرب السعودية	١ر٧٠٠ر٠٠٠	٦ر٠٠٠ر٠٠٠	
اليمن	١٩٠و٠٠٠	٤ر٠٠٠ر٠٠٠	
الكويت	٥ر٠٠٠	١٢٠ر٠٠٠	
أرض محايدة بين الكويت وبلاد العرب السعودية	٤ر٠٠٠		
البحرين	٥٥٠	١٠٠ر٠٠٠	
منطقة شاطىء القراصنة	١٥ر٠٠٠	١٠٠ر٠٠٠	
عمان	٢١٥ر٠٠٠	٨٠٠ر٠٠٠	
حضرموت	١٥٠ر٠ر٠ر	٧٠٠ر٠٠٠	
عدن والمحميات	١٥ر٠٠٠	١٥٠ر٠٠٠	
الأردن	١٠٠ر٠٠٠	٦٠٠ر٠٠٠	يضاف إلى هذا العدد نحو نصف مليون لاجىء عربي
العراق	٤٣٠ر٠٠٠	٥ر٠٠٠ر٠٠٠	يضاف إلى هذا العدد نحو ٤٠٠٠ لاجىء عربي
سوريا	١٦٥ر٠٠٠	٣ر٣٤٠ر٠٠٠	يضاف إلى هذا العدد نحو مائة ألف لاجىء عربي
لبنان	١٠ر٠٠٠	١ر٢٠٠ر٠٠٠	يضاف إلى هذا العدد نحو مائة ألف لاجىء عربي

الشعب العربى مكون من أجناس متعددة

ليس هناك شعب نقى بالمعنى الحرفى لهذه الكلمة اليوم ، فقد امتزجت الشعوب بعضها ببعض بفعل الحروب والهجرة ، وإذا تبقى من الشعوب القديمة أقوام لا يزالون يحتفظون إلى حد ما بصورهم الغابرة كسكان أواسط أفريقيا وبعض الهنود الحمر وسكان حوض الأمازون فعددهم محدود ولا يقاس عليه ، والشعوب العربية فى مقدمة الشعوب التى اختلطت بغيرها من أقاصى آسيا إلى أواسط فرنسا ، ولنسمع ما يقوله فى هذا الصدد الأستاذ بيتارد Pittard فى مؤلفه عن « الأجناس والتاريخ » Les Races et l'Histoire فهو يقرر فى عباراته التالية انتشار العرب فى الأرض بخروجهم من شبه الجزيرة واختلاطهم بالشعوب المختلفة ، ويقول فى ذلك « إن بلاد العرب الآن لا تحوى داخل حدودها الطبيعية وفى أى مكان فيها بالتحديد مجموع الجنس العربى النقى كما قد يتصوره البعض

	المساحة بالكيلو مترات المربعة	عدد السكان	
مصر	٩٩٤٫٠٠٠	١٩٫٢٥٠٫٠٠٠	يضاف إلى هذا العدد نحو ربع مليون لاجىء عربى

أما حالة إسرائيل فنقلا عن جورو ما يأتى :ـ

إسرائيل	٢٠٫٠٠	١٫٣٧٠٫٠٠٠	ضمن هذا العدد نحو من ٥٠ ألف إلى ١٢٠ ألف من بقايا العرب فى المنطقة

وحالة اللاجئين مأخوذة من البيانات الرسمية المتنوعة الخاصة بهذا الموضوع .

ويعتقد أنه حقيقة ، كما أنها أبعد ما تكون عن أن تضم اليها العرب فحسب فإن هذا الشعب بدافع من زعمائه بعثر فى مناطق مختلفة من الأرض فى أفريقيا وآسيا وأوروبا ، واتضح طابعه الخاص فى بلاد عديدة بعيدة عن شبه الجزيرة العربية بعدده العديد هناك ، ومن ناحية أخرى فانه تبعا لصفات العرب فى التنقل والرحيل بلا كلل دخل عدد عديد منهم فى البلدان المجاورة لشبه الجزيرة واستقر كثيرون منهم فيها ولم يغادروها بحال ومن الصعوبة بمكان فى كثير من الجهات تمييز العربى القح من المستعرب»(١)

ويشيد الأستاذ بيتار بمدنية العرب ومجدهم القديم ونشاطهم ويذكر أياديهم البيضاء على المدينة الغربية فيقول « إننا مدينون بقسط لا يستهان به من مدنيتنا للعرب ونتساءل كيف يكون وضع عالم حوض البحر الأبيض المتوسط الذى عاصر مدنية الغرب وشاطرها نشاطها، لو أن القرآن صار كتابنا ؟ وقد كان من المحتمل أن يصبح كذلك إذا لم تمزق المنازعات والأحقاد امبراطوريتهم الزاهرة »(٢)

والعرب أقرب إلى جماعة معينة لها عصبيتها فى السياسة والنظم الاجتماعية منها إلى جنس معين بالذات، وهكذا تتكىء هذه الجماعة فى دفاعها عن أراضيها التى استقرت فيها فى فلسطين على ما شادته من مدنية بها،وفيها ديارها وأهلها وقبور أبنائها ومساجدها وبيت المقدس حيث تتمثل فيه تراث مدنية بهرت ولا تزال تبهر العالم ويتجه قلوب مئات الملايين من المسلمين إليه

---

١ - انظر « الاجناس والتاريخ » للاستاذ بيبارد ، جزء واحد ، باريس ١٩٢٤ ، صفحة ٤٣٢ .

voir «Les Races et l'Histoire» par Eugène Pittard, 1 vol, Paris 1924, page 432.

٢ - انظر « الاجناس والتاريخ » للاستاذ بيتار ، صفحه ٤٣٢ .

وإلى جامع عمر، ولا تلجأ دفاعا عن تراثها إلى أن العنصرية تقضى بانحدار الجنس العربى زرافات زرافات إلى بقعة معينة فيه قد لا يعلم العربى عنها شيئا كما تفعل الصهيونية فى تحريض بنى إسرائيل على الهجرة إلى موطن جبل صهيون .

ورأى العالم الايطالى « جفريدا روجيرى » Giuffrida Ruggeri المتخصص فى علم الأجناس البشرية وأصولها بفحص هياكل مقابر العباسية بالقرب من القاهرة ، ويؤكدون أن جوفها يأوى بقايا العرب الفاتحين لمصر — رأى أن هذه الهياكل لعناصر إنسانية مختلفة ومتباينة الأصول والأجناس ، وأن الجنس ذا الوجه العريض المفرطح brachycephale يغلب فى هذه الرفات ، بينما أن الجنس العربى النقى يتميز بالوجه المستطيل الضيق dolichocéphale ، ويقول فى هذا الصدد « إن العربى الأصيل ذا الوجه المستطيل الضيق وسائر صفات الجنس يمتاز بغيابه عنا »(١)، ويزعم المتخصصون فى دراسة الأجناس وعناصرها وأصولها والهياكل العظمية الانسانية أن العربى الأصيل عسبر الوجود حتى منذ فتوحات العرب الأولى وأن القبائل الرحل من البدو هم أقرب الناس إلى العرب كجنس من سائر المستوطنين فى الأصقاع الخصيبة .

ويزعم العلامة « سايس » Sayce أن أحد الأجناس الطويلة القامة البيضاء البشرة ذات العيون الزرق من الأسرات الأولى لقدماء المصريين قد سكن جهات متعددة من غرب النيل ، وهم يقربون من بدو اليوم ، وقد امتدت هجرتهم إلى جنوب فلسطين ، وهذا أصل العمورين ، وكانت شبه جزيرة العرب كما يقول سايس « تقع بين تيارين ، التيار الآرى فى الشرق

(١) انظر « الاجناس والتاريخ » للاستاذ بيتارد صفحة ٤٣٤ .

وتيار البربر فى الغرب والعموريين فى الشمال ، وتأثرت كثيراً بولوج هذه الأجناس زرافات ديارها ، ويلوح منطقياً أن بعض هذه القبائل عبرت الخليج الفارسى أو البحر الأحمر ودخلت بلاد العرب ، ويلوح أن هذا أصل العرب الطوال برؤوسهم المستطيلة وهم مستعربون ويشبهون سكان أفريقيا أيضاً . ونحن نجهل عددهم ونسبتهم إلى أهل شبه الجزيرة الأصليين (١) ، وفى هذه الحالة يقف الباحث فى حيرة ويتساءل هل أصول العرب الحقيقية تنتمى إلى أصحاب الوجوه المستديرة المفرطحة كما يرجح البعض . أم إلى أصحاب الوجوه المستطيلة طوال القامة كما يؤكد الغالبية من الباحثين ؟

وهكذا لانرى أصلا واحداً واضحاً للعرب ، ولم يدع مختلف الكتاب أن العرب يطالبون بوطن قومى باسم العنصرية أو أنهم شعب الله المختار ، انما هم يدفعون عدوان الصهيونية وهجومها العنيف على ديار ا تقروا فيها منذ خمسة عشر قرناً وشادوا فيها المدائن والعمران ، ويستندون فى الذود عن حوضهم إلى الأسس الحديثة التى تكون الدولة والتى رددها رينان Renan وغيره من الفلاسفة والمفكرين فى وصف الشعب بلا اعتبار البتة للعنصرية ، وقد اعتبر الشعب روحا ومبادىء معنوية متماسكة وذكريات وميراث وتاريخ ورغبة فى العيش سوياً فى تضامن ووئام فى فى بقعة معينة من الأرض (٢) ، ولا شك أن للغة والدين والمصالح المشتركة أعمق الآثار فى تكوين الشعب الذى يسعى بكل قواه للمحافظة

---

(١) انظر « الاجناس التاريخ » لبيتارد . صفحة ٤٤٠ .

(٢) انظر « صفحات فرنسية » لارنست رينان . جزء واحد . باريس ١٩٢١ صفحتى ٦٨ و ٦٩ .

Voir «Pages Françaises» par Ernest Renan, 1 vol, Paris 1921, pages 68 et 69.

على شخصيته وكيانه ودولته المستقلة ، وهذا ما عمل ويعمل العرب بحق وقوة على تحقيقه فى فلسطين ، وهذه هى القضية العادلة التى تدافع عنها الدول العربية والاسلامية فى العالم وقد اعتدى على ذمار العرب الآمنين أنصار الصهيونية السياسية الدينية وهي أخطر روح عدائية مدمرة فى جيلنا الحالى .

* * *

أشكال يهودية لا شكل يهودى

واليهود رغم محاولاتهم ومكابراتهم أبعد الناس عن أن يمثلوا جنساً نقياً قائماً بذاته يطلب وطناً باسم هذا الجنس ، ويبرز واضحاً كخلاصة البشرية السامية أو كشعب الله المختار ، ولم يختلف المتخصصون فى علم الأجناس البشرية فى الوصول إلى هذه النتيجة وما هو أبعد منها فى أن اليهود المبعثرين فى العالم اليوم خليط من شتى الأجناس والعناصر بين الطوال والقصار والنحاف والضخام والسمر والشقر ، وتباين أنواعهم هذا أقوى حجة ضدهم تؤدى إلى انهيار مطالبهم فى انشاء وطن قومى يضم هذا المزيج المتناقض الفريد فى العالم .

ولنسمع ما يقوله فى اثر اليهود فى تطور البشرية والتاريخ العلامة بتيارد « يلوح لى أننا إذا نظرنا فقط إلى مملكتى يهودا وإسرائيل وهما نواة تاريخ هذا الشعب فاننا نرى دورهما ضئيلا في هذا الميدان التاريخى والا يمكن القول فى هذه الحالة بأن أهمية اليهود فى بعض الظروف نجمت عن بعثرتهم فى العالم وكانت من العوامل الهامة إلى حدما فى التاريخ، العام وأن أشخاصهم أو جماعاتهم وليس شعبهم هم الذين لهم بعض الأعمال

السياسية البارزة التى كثيراً ما كانت حاسمة »، ويقول أيضاً « إن علماء الأجناس البشرية فيما عدا بعض اليهود المتعصبين لفكرة ثابتة معينة وهى فكرة العنصر اليهودى النقى يقررون أن كافة اليهود أبعد الناس عن أن يتبعوا ما يسمى الجنس اليهودى » ويقول رينان فى هذا الصدد « ليس هناك شكل type يهودى بل هناك أشكال يهودية متعددة » (١)، أى أن اليهود خليط من شتى الأجناس وليس الدين مقصوراً على سحن ووجوه معينة ولم ينعزل فى قارورة عن العالم وعن حركات التطور الانسانى.

وهذا الرأى صادق إلى أبعد الحدود، فاننا بالقاء نظرة على اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين باسم الوطن القومى اليهودى ونقاء العنصر نراهم مختلفى السحن والملامح والأشكال، ولا تخرج الصهيونية عن انها جماعة دينية واجتماعية أوى اليها جماعات من أجناس مختلفة من الفلاشا Faalacha فى الحبشة إلى الألمان ذوى الأشكال الجرمانية الأصل ومن التاميل tamel وهم اليهود السود فى الهند والخازار Khazares من الأصول التركية، (٢) كما أنه يستحيل علينا أن نسلم بوجه شبه بين يهود أوروبا بعيونهم الزرق الذين تجدهم بكثرة فى أواسط القارة ويهود الشرق السمر وعلامات تمييز اليهود اليوم لا وجود لها فرؤوسهم تتأرجح بين المستطيلة والمستديرة بل المربعة المفرطحة، كما أن متوسط أطوالهم متباين فيهود بولونيا لا تزيد أطوالهم عن متر وستين سنتى مترا أو متر واثنين وستين سنتى مترا، بينما يهود الشرق تذهب أطوالهم إلى متر وتسعة وستين سنتى مترا فى أوديسا مثلا وشرقها، وكان عدد اليهود منذ ربع

---

(١) انظر « الاجناس والتاريخ » لبيتارد. صفحة ٤١٣.

(٢) « « « « « ٤١٤.

قرن نحو ١١ مليون نسمة وهو لا يزيد فى وقتنا الحالى عن هذا العدد مع وجوب وضع الاضطهادات التى قاساها شعبهم فى عهد النازية إلى حد ما موضعها من الاعتبار ، غير أننا لا يجب أن نبالغ فى أثر هذه الاضطهادات إذ أن مجازر الحرب العالمية الثانية حلت بشتى الشعوب ولم تقتصر فقط على اليهود ، ومع ذلك لم تحل دون استمرار زيادة عدد السكان فى العالم ، بما فى ذلك الدول التى فقدت عشرات الملايين من بنيها ، وقدزاد عدد سكان العالم من سنة ١٩٠٠ وكان ١ر٦٠٨ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة إلى ٢ر١٤٥ر٢٠٠ر٠٠٠ نسمة سنة ١٩٣٨ وإلى نحو ٢ر٤٠٠ مليون سنة ١٩٤٩ . وقد أربى اليوم على المليارين ونصف مليار نسمة ، وفى رأى بيتارد يرجع ثبات الرقم عند اليهود دون اضطراد زيادة تذكر مما يدل على تقهقره بالنسبة إلى الرقم العالمى للسكان إلى نقص المواليد بين اليهود نقصا واضحا ، فكانت حالة مواليدهم من سنة ١٨٢٠ إلى ١٨٦٦ بنسبة ٢٧ر٧٠٠ فى الألف ونزلت فى سنة ١٩٠٢ إلى ٢٢ر٢ فى الألف وذلك بعكس حالة المواليد فى العالم ، وهذا ما حدا بهم كما يقول إلى الدعوة بينهم إلى الزواج المختلط للمحافظة على شخصية الشعب من الاندثار ، وقد ترجع هذه الحالة إلى ما يزعم البعض من وجود دائرة يهودية مقفلة . وكان هذا التصرف منهم خطوة كبيرة فى سبيل الاندماج بصفة حاسمة فى سائر المواطنين فى الدولة التى ينتمون اليها ، غير أن التعصب الدينى أدى نتيجة التصرف المذكور إلى طرد عدد كبير منهم من هيكل الدين فى المدن الكبرى وخاصة برلين ، ويمكن التساؤل ألا يعتبر هذا الاختلاط حجة على بعد اليهود عن ادعائهم الباطل بانهم من عنصر نقى واحد ؟

ويبلغ تباين التكوين والسحن فى اليهود مبلغا كبيرا حتى فى البلاد

الواحد الذى يسكنونه ، وفى ألمانيا مثلا يتميز يهود دوقية باد Baden برؤوسهم العريضة ويهود كولونيا Cologne وفرانكفورت Francfort بأنهم بين الوجوه العريضة المفرطحة والوجوه المستطيلة الضيقة ، ونرى بين اليهود من المذهب السفاردى Sephardim وهم أقرب اليهود حسب ادعاء البعض إلى الأصل النقى الاستقراطى القديم سحنا متباينة الأجناس والأصول ، واليهود الذين طردوا من أسبانيا مع عرب الأندلس فى سنة ١٤٩٢ يختلفون فى السحن والطول عن يهود روسيا ، وبينما يهود روسيا ليس بينهم الا ١ ٪ من ذوى الوجوه المستطيلة نرى بين اليهود الذين وفدوا من أسبانيا ١٤٫٦ ٪ من ذوى هذه السحن ، وبين الأخيرين ٧٩٫٢٪ من ذوى الشعور السوداء بينما إن الأولين بينهم فقط ٨ ٪ من ذوى هذه الشعور ، وفى بعض المناطق فى أوروبا وبين بعض الجماعات هناك نرى نسبة عدد الشقر بين اليهود من المذاهب المختلفة لشريعة موسى وغيرهم تكاد تكون متجانسة ، وكذلك نرى يهود آسيا فى شمالها وجنوبها خليطا من ذوى الرؤوس المربعة المفرطحة أو المستطيلة الضيقة متأثرين بالشعوب التى يخالطونها وخاصة أهل القوقاز الذين يجاورونهم فى غرب آسيا ، ونرى يهود بلاد العجم جميعا ذوى شعور سود بينما يهود آسيا الوسطى ليس بينهم من هذا النوع إلا ٨٨٫٩٪ ، ويهود غرب آسيا وعدد كبير منهم يسكن بين الدجلة والفرات فى العراق ذوى شعور بين الأصفر والأسود الكستنائى ، ويكون يهود القوقاز فى مدينة تفليس وبجوارها جماعة قائمة بذاتها تدعى أنها هبطت هذه البلاد منذ فجر المسيحية وحالتها تسترعى النظر والاهتمام ، غير أننا بدراستها نرى أن سحن اليهود هناك كما جاء فى كثير من مؤلفات علم الأجناس لا تختلف كثيرا عن سحن

بقية الأهلين ، وتكوينهم الجسمانى يشابه كما يذكر الاستاذ بيتارد بقية سكان الجهة (١)

ولننظر أخيرا إلى أقدم اليهود فى شبه جزيرة العرب ، وهم يهود اليمن وكان عددهم كما يرجح البعض منذ ربع قرن نحو ٤٠٫٠٠٠ نسمة واستقرارهم هناك منذ التاريخ الغابر غير أن وقت هبوطهم اليمن غير معروف بالضبط وعلى كل حال فهم يمثلون أقدم وأنقى عناصر اليهود فى العالم ويذكر الاستاذ بيتارد انه بفحص رؤوسهم وأجسامهم شوهدت أن رؤوسهم مستطيلة وأجسام رجالهم لا يتجاوز ارتفاعها ١٫٥١٤ مترا ونساءهم ١٫٤٦٨ مترا وليس بينهم شقر فالجميع سمر وشعورهم سوداء قاتمة ، وجيرانهم العرب أطول قامة منهم وأشد قـــوة وامتلاء جسم ، وربما يرجع هذا كما يزعم بعض الكتاب الذين يدرسون حالة التغذية فى العالم الى سوء تغذيتهم على توالى الأجيال والأحقاب بمقارنتها بتغذية العرب (٢) ، وسوء التغذية هذا لا يرجع الى شح المنطقة فكل من الفريقين يشترك فى هذا المصير بل الى اتباع كل فريق تقاليده الدينية وأثر ذلك فى الغذاء ، واذا قارنا بين هؤلاء اليهود وبين يهود الشام ودمشق وجدنا فارقا كبيرا فطول اليهودى فى دمشق يبلغ فى المتوسط ١٫٦٦ مترا ، أما يهود فلسطين وكثير منهم ذوو رؤوس الى حد ما مستطيلة فهم أشبه بالفلاح المصرى وفلاح الشرق الأوسط . وليس بينهم كبير خلاف فى السحن والقامة ، ونرى التباين فى السحن والوجوه والقامة وتكوين الرأس بين يهود أفريقيا فى مصر وطرابلس وسائر شمال أفريقيا ، وفحص أحد المتخصصين فى

(١) انظر «الاجناس والتاريخ» لبيتارد . صفحات ٤١٧ و ٤١٨ و ٤١٩ و ٤٢٠
(٢) « « « « « ٤٢١ و ٤٢٢ ،

علم الأجناس عددا من الأطفال اليهود يبلغ ٦٠٦ صبيا فى مراكش من سن خمس سنوات الى ١٦ سنة ووجد بينهم ٧٣ر٩٣٪ ذوى شعور حالكة السواد و٩٤ر٠ ٪ ذوى شعور شقراء وقارن بين هــذه النسبة وبين ما استخلصه من نتائج فى ألمانيا حيث وجد أن اليهود ذوى الشعور السوداء هناك ٨٥ر٥٥٪ وذوى الشعور الشقراء ٠٣ر٣٢٪ ؛ وهكذا وجد أن عدد اليهود الشقر فى ألمانيا بالنسبة الى عددهم فى مراكش هو ستة أمثال ؛ ومثل هذه الملاحظة قائمة بالنسبة ليهود شمال أفريقيا ومثلهم من يهود أوروبا الوسطى ، فيهود شمال أفريقيا بينهم ١٧٪ من ذوى العيون الفاتحة وهذا النوع يبلغ من ٤٠٪ إلى ٥٠٪ فى أوروبا الوسطى ، ودرس بعض المتخصصين تكوين يهود الولايات المتحدة وخاصة أمريكا ونيويورك نذكر منهم بواز Boas ، واستقر رأيه من دراساته الدقيقــة على أن الاقليم والوسط أثرا فى سحنهم وأشكالهم وتكوينهم الجسمانى فأصبحوا لا فرق بينهم فى ذلك وبين سائر الأهلين (١) .

وأزاء هذا التباين فى السحن والقوام وتكوين الرأس وألوان العيون والشعر فى اليهود — ويصف هذه الحالة الأستاذ بتيارد بأنها الفوضى فى النوع بعينها — نرى أنه ليس هناك جنس يهودى نقى بما تعنيه هذه الكلمة فى علم الأجناس ، ويختم الأستاذ بتيارد بحثه بقوله : « إن الاسرائيليين يكونون جماعة دينية واجتماعية لاشك أنها شديدة النفوذ وثيقة التضامن ، غير أن عناصر هذه الجماعة متباينة إلى أقصى الحدود » ويواصل شرحه فيقول « وهكذا تتضح ضعف حجج الذين ينادون بالعنصرية ويودون اقامة جبهات متضادة بزعمهم أن هناك شعبا

---

(١) أنظر « الاجناس والتاريخ » لبيتارد ، صفحة ٤٢٦ .

مسيحيا يواجه شعباً اسرائيلياً . وليس هناك أيضا شعب مسيحى كما ليس هناك شعب اسلامى وكذلك شعب اسرائيلي بالمعنى العنصرى المقصور على جنس معين » ثم يقول كذلك « قد يكون هناك فى كافة الجماعات اليهودية الهامة عدد محدود من الأفراد يمثلون اليهودى الأصيل الأشورى برأسه المستطيل »(١) .

ويقول أيضاً فى عرض أبحاثه بحرارة « إننا نتساءل تجاه بعض تحاليل الجنس فى الشعوب المختلفة إلى أى حد تحوى جماعة يهودية العنصر اليهودى الأصيل ، هذا العنصر الذى نشأ بجوار البحر الميت وكان منه الشعب الشديد الحرارة الذى سمى بالشعب المختار؟ » ، ويرد الأستاذ على هذا السؤال بالنفى فى شتى نواحى بحثه ، ويعزو التباين بين اليهود إلى الاختلاط والاندماج طوعا أو كرها ، وينكر كلية اثر الاقليم والبيئة وما يسمى بتشكل الأقلية بطابع الأغلبية وسحنها وتكوينها فى سحن اليهود وتكوين أجسامهم ورؤوسهم وجلودهم وألوان عيونهم بانعكاس صفات البيئة دون العوامل الفسيولوجية والاختلاط ، إذ أن هذا الرأى فى اعتباره لا يؤيده علم الحياة ، وهو مانراه قريبا إلى العقل والمنطق .

وهكذا نرى أن ليس هناك عنصر يهودى كما يزعم زعماء الصهيونية هو شعب الله المختار له طابعه ومميزاته وهو بعيد عن سائر الأجناس والشعوب ، وهو هذا المواطن الاسرائيلي الذى ينشد وطنا قوميا ولا تسعه البلاد الفسيحة المختلفة التى أوته وهيأت له القوت والعمل والمسكن واعتبر منذ أجيال بعيدة مواطنا من مواطنيها ، ويريد أن يتجه نحو بلاد غيره وينتزعها من مواطنيها عنوة ، بل هذه القصة الغريبة فى بابها هى الصهيونية

---

(١) أنظر « الاجناس والتاريخ » لبيتارد ، صفحة ٤٣٠ .

ذلك المرض السياسى الفتاك العنيف ، وهى بلا شك خطر داهم يهدد العرب الآمنين فى الشرق الأوسط ، وسلاح ماض يستخدمه الاستعمار لمحاربة الأمانى الوطنية للشعوب العربية الناهضة المطالبة بحرياتها العاملة على تحقيق وحدتها ، والشعب اليهودى فريسة فكرة تعصبية تجعل منه دائرة مقفلة ، ولكن الحقيقة ويصفها فيما يلى أحد المتخصصين فى أصول الاجناس «جونتر» Hans Günther (١) تخالف فكرته الخاطئة فى نقاوة أصوله ، ويقول جونتر « ان اليهود شعب كسائر شعوب العالم ، وقد ينتمى إلى أديان عدة ، وهو كغيره من الشعوب مكون من عدة أجناس وأصول » ويؤكد جونتر أن الادعاء بأن اليهود من أصل سامى Simitic race وبأنهم قوم يمثلون جنسا قائما بذاته وبأنهم جماعة لها تفكير مستقل خاص بها - كل هذه الأفكار بعيدة فى نظره عن الحقائق العلمية ، وهو يعزو الى اليهود بالذات الاهتمام بالفكرة القائمة على الاوضاع الطبيعية والوراثة وأثرهما فى خلق الشعوب وصفاتها ، ويقرر أن هذه الآراء التعصبية تفتقر إلى التحقيق العلمى الصحيح .

وهكذا نرى الحقائق العلمية بالذات تطالب اليهود فى سبيل تعاون الإنسانية بان يخرجوا من دائرتهم المقفلة . (٢)

---

(١) أنظر « أصول الاجناس فى التاريخ الاوروبى » لهانز جونتر ، ترجم من الالمانية إلى الانكليزية ، جزء واحد ، لندن ١٩٢٧ ، صفحة ٧٤ .

«The Racial Elements of European History» by Hans F.K.Günther, Translated from English to German. 1 vol London 1927, page 74.

(٢) هجرة اليهود إلى فلسطين (وقد تحولت المناطق التى استقروا فيها إلى دولة إسرائيل) مشتقة ، من الفلسفة الصهيونية التى تدعى أن الشعب اليهودى شعب مختار ، وهذه الفلسفة كما سنرى فيما بعد تقوم على أساس الفكرة الدينية السياسية

التعصبية للدولة وتدعو إلى جمع كافة اليهود من مختلف انحاء الأرض لحشدهم فى البقعة الضيقة من منطقة فلسطين وفق نظرية الدولة الكلية التى تضطلع بالأمور كبيرها وصغيرها Etat Totalitaire، وإذا تحققت دولة إسرائيل التى تجمع شتات اليهود فمعنى هذا أن الشعب اليهودى كما زعم الفيلسوف اسبينوزا Spinoza يعود من جديد الشعب المختار Le Peuple Elu، وقد ذكر ذلك بن غوريون فى خطبته فى المؤتمر الصهيونى الثالث والعشرين الذى عقد ببيت المقدس فى أغسطس سنة ١٩٥١ . ويبلغ عدد اليهود فى العالم نقلا عن محاضرات الاستاذ «بيير جورج» Pierre George فى السربون لسنة ١٩٥٢ وكذلك عن الدليل السنوى اليهودى الأمريكى ما يأتى :

عدد يهود العالم اليوم	١١٫٥٣٢٫٠٠٠
وتوزيعهم على وجه التقريب كالآتى : —	
فى الولايات المتحدة الأمريكية	٥٫٠٠٠٫٠٠٠
فى أوروبا	٣٫٤٦٣٫٠٠٠
فى آسيا	١٫٤٩١٫٠٠٠
فى أفريقيا	٦٩٤٫٠٠٠
فى الأرجنتين	٣٦٠٫٠٠٠

ويبلغ عدد سكان دولة اسرائيل نقلا عن «جورو» فى كتاب «آسيا» (الغالبية الساحقة لمواطنيها من اليهود الذين هاجروا إلى هذه البقعة) ١٫٣٧٠٫٠٠٠ نسمة ، وكان عدد اليهود هناك فى سنة ١٨٨٢ لا يتجاوز ٢٤٫٠٠٠ ووصل عددهم فى سنة ١٩٢٢ نقلا عن «جورو» أيضا ٨٤٫٠٠٠ وبلغ فى سنة ١٩٤٨ نحو ٧٦٠٫٠٠٠ ، وفى المدة ما بين ١٩٤٨ و ١٩٥٠ قدم أكثر من ٥١٥٫٠٠٠ من اليهود المهاجرين ، وبلغ عددهم فى آخر سنة ١٩٥٠ نحو ١٫٢١٠٫٠٠٠ مقابل ١٤٠٫٠٠٠ من المسلمين و ٢٧٫٠٠٠ من المسيحيين المقيمين فى المنطقة وهرب من المنطقة فى سنة ١٩٤٨ ما بين ٥٠٠٫٠٠٠ و ٧٥٠٫٠٠٠ من العرب تاركين بيوتهم وأراضيهم وأموالهم لليهود المهاجرين . وعدد المهاجرين اليهود ما بين سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٠ المذكور بنحو ٥١٥٫٠٠٠ توزيعه كالآتى : ٥٦٪ من أوروبا ، و ٢٦٪ من آسيا و ١٥٪ من أفريقيا الشمالية ، ويهود آسيا وأفريقيا أفقر اليهود وأشدهم جهلا وأقلهم دراية كما يقول جورو .

الباب الرابع

حركات البعث في الإسلام

أهم مراجع الباب الرابع

كتب باللغة العربية :

١ ـ « حضارة العرب » تأليف جوستاف لوبون ، نقله من الفرنسية إلى العربية محمد عادل زعيتر ، جزء واحد ، القاهرة ١٩٤٥ .

٢ ـ « الاسلام فى حاضره » لشكيب أرسلان، أربعة أجزاء القاهرة ١٩٣٢

٣ ـ « لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم » لشكيب أرسلان ، جزء واحد القاهرة ١٩٣١ .

٤ ـ « من أمير إلى سلطان » خطاب لمصطفى فاضل الى السلطان عبدالعزيز سنة ١٨٦٦ ترجمة احمد فتحى زغلول ، جزء واحد ، القاهرة ١٩٢٢ .

كتب بالفرنسية والانكليزية :

١ ـ « الاسلام والغرب » كراسات الجنوب، جزء واحد، باريس ١٩٤٧

1«L'Islam et L'Occident» Cahiers du Sud — 1 vol, Paris 1947.

٢ ـ « الاسلام والعالم الحديث » لالفونس جويي ، جزء واحد ، باريس ١٩٤٥ .

2—«L'Islam Devant le Monde Moderne» par Alphonse Gouilly, 1 vol, Paris 1945.

٣ ـ « وجوه الاسلام » لحيدر باماتي ، جزء واحد ، لوزان ١٩٤٦ .

3— « Visages de l'Islam » par Haïdar Bammate, 1 vol, Lausanne 1946.

٤ — « الصهيونية والانتداب البريطاني في فلسطين » لانيس الصغير ، رسالة دكتوراه بجامعة باريس ، باريس ١٩٣٢ .

4 —«Le Sionisme et Le Mandat Anglais en Palestine» par Anis Saghir, thêse de Doctorat, Paris 1932.

٥ — « العالم والغرب » لتونبي ، ترجمة من الانجليزية إلى الفرنسية ، جزء واحد ، باريس ١٩٥٣ .

5—«Le Monde et L'Occident » par Arnold Toynbee,Traduction française, 1 vol, Paris 1953

٦ — « حاضر العالم الاسلامي » للتروب ستودارد ، جزء واحد ، لندن ١٩٣٢ .

6—»The New World of Islam» by Lothrop Stoddard, 1 vol, London 1932.

الباب الرابع

حركات البعث فى الاسلام

عظمة وتدهور شعوب الاسلام ـ استيقاظ شعوب الاسلام من رقادها ـ الظلم فى الدولة العلية وتدهور الاسلام وبعث هذه الشعوب فيما بعد

* * *

إن دراسة حركات البعث فى شعوب الإسلام تلك الحركات التى تنبىء عن شعورها وتألمها لما حل بها من تأخر وجهالة وانهيار ووجوب أن تخلع عنها ثوب الخمول وأن تبدأ حياة زاهرة جديدة خليقة بماضيها العريق ، ثم وقوف أوروبا موقف المناهض المحارب لهذه الحركات ـ هذه الدراسة توضح بلا أدنى شك روح الغرب المعادية فى مجموعها لاتحاد الشعوب الإسلامية ولسيرها الحثيث دون عائق فى طريق النهوض لأداء رسالتها المجيدة كقوة من قوى الحضارة ، وتوضح مدى تأييد أوروبا للصهيونية فى أعز ديار الإسلام .

إن كتاب الغرب ومفكريه وساسته يعجبون بنواحى النشاط فى الشرق الأوسط وبروح شعوبه الوثابة ويعترفون فى مصنفاتهم وفى تصريحاتهم فى زيارتهم له وجولاتهم فى عواصمه بقيام شعوبه من كبوتها وبصدى الحركات القومية للغرب فى نفوس هذه الشعوب العريقة فى المدنية وما عملته من بعث الحماس فيها لتحطيم سلاسل الاستعمار ، ولكن البون شاسع بين الإعجاب ووصف نواحى التقدم والنهوض وبين التأييد وحث الساسة المسئولين على مساعدتها فى تبوء مكانها اللائق تحت الشمس .

إن ساسة الغرب يعترفون بأن ساعة النهوض لا ريب فيها وبان رجال العرب والإسلام سوف يحققون مايصبون إليه ،ولكن هناك فرق بين التسليم بهذه الظاهرة وتقديم المساعدة للمجاهدين وتمهيد السبل لهم للوصول إلى غاياتهم والتعاون فى بناء صرح المدنية بلا فارق بين جنس وجنس وشعب وشعب ، بل ذهب الغرب أيضاً إلى محاربة روح النهوض والاتحاد وأماني العرب على اختلافها لتحقيق حرياتها .

وفى دراسة حركات البعث فى الإسلام إجمالا وفى عرض موقف أوروبا منها هذا الموقف الذى لا يشجع بلدان الشرق الأوسط على النظر بعين التفاؤل إلى وعود أوروبا وما تغدقه من الآراء لحل المشكلات القائمة وفى طليعتها مشكلة إسرائيل — فى هذه الدراسة لمس لبيت الداء فى قضية العرب فى فلسطين وغيرها، فهو وباء الاستعمار بوجه عام ويبذر الغرب جراثيمه لعرقلة نهضة الشرق والاسلام وتعويق اتحاده .

وهدفنا فى هذا البحث ١ — شرح عظمة وتدهور شعوب الاسلام وتفوق الغرب عليها ٢ — وبيان استيقاظ هذه الشعوب من رقادها وبعثها سياسيا وشعور الغرب باهميتها كقوة فى الحرب العالمية الأولى وأغداقها الوعود لها لضمها لصفها ثم لتخدير أعصابها ٣ - مع شرح أثر الظلم فى الدولة العلية وفى تدهور شعوب الاسلام وجهادها فى القضاء على هذا الظلم .

٭ ٭ ٭

عظمة وتدهور شعوب الاسلام

كان الشرق الأوسط ولا يزال حلقة الاتصال بين المدينات القديمة وأوروبا ، وهو المنهل العذب الذى يستقى منه الباحثون ليكشفوا عن الأسرار الدفينة للعلوم والفنون والفلسفة ، وكما يتكلم أبناء الطبقة الراقية اليوم فى بيوتهم اللغات الانجليزية أو الفرنسية أوغيرها من اللغات الغربية فإن أمراء الأندلس النصارى وقد بلغت حضارة العرب أوجها فى الأندلس اتجهوا إليها يرتشفون مع رعاياهم من مناهلها العذبة وكانوا يتكلمون وحاشيتهم مبالغة فى الترف العربية يوم ساد العرب شبه الجزيرة وفتحوا أبواب جامعاتهم وبيوت علمائهم هناك لكل قادم ، وكثيرا ما وفد عليهم القساوسة النصارى وغيرهم للعلم أو للتداوى ، وإن أشد الأوروبيين تعصبا لا ينكرون ما خلفه الشرق إبان عظمته من تراث ولا يستطيعون تجاهل الشعلة العربية التى ساعدت فى مواصلة العلم والبحث وخاصة فى الفلك والفلسفة والعلوم الطبيعية والكيمياء والرياضة ، وكلمة تعريفه مثلا أخذت فى رأى البعض من كلمة تاريف الحالية عند الغربيين إشارة إلى مكوس الجمرك وضرائبه ، وهذه الكلمة ليست إلا اشتقاقا من ميناء « طريفة » بالأندلس كانت ترسو فيها السفن أيام العرب لتدفع المكوس الجمركية ، وكلمة أسطورة العربية تنطق بالأعجمية هستوار histoire وترشد إلى التاريخ وكلمة سكر واحدة فى العربية والأعجمية ، وبيت الحكمة ودور الكتب ببغداد وقرطبة وغيرهما كانت تحتفظ فيها المحفوظات التى يجد فيها الباحثون غايتهم فى العلم ، ولقد نقل الأوربيون شتى المبتدعات من العرب وحسنوها ، مثال ذلك أدوات القتال كالمنجانيق والبوصلة ، كما أن الفرنجة نقولوا عن العرب أيضاً فكرة وضع القواميس

وشتى أنواع صناعات المعادن وتحويلها وصناعة السكر وأنواع النسيج الرقيق .

وانهارت هذه المدنية العظيمة بعد أن رفرفت على العالم القديم قرونا طويلة بدسائس الأعاجم وضربات المغول والتتار ومن جاء بعدهم من القبائل التى اعتنقت الإسلام حديثا وورثت دوله وأخذت على عاتقها الدفاع عنها ولكنها تمسكت بالقشور دون اللباب ولم تدرك سر عظمة الإسلام ومرونته السياسية والاجتماعية . وتوطدت الخلافة على ضفاف البسفور على يد آل عثمان وقد حلت دولتهم محل بيزنطة المسيحية ، وترقبت أوروبا الدولة العثمانية وقد تزعمت الإسلام واضمرت لها الشر وتحفزت للوثوب عليها بجيوشها وانتزاع دار الخلافة بالاستانه منها لتعيد إلى أياصوفيا رنين النواقيس يحل مكان آذان المؤذن ، ولتلج بواسطتها سائر ديار الشرق والاسلام .

وأرهقت أوروبا الدولة العلية بثورات البلقان ، وأخذ نجمها فى الأفول وشوكتها فى الضعف والضمور تدريجيا عقب انهزام جيوش سليمان الفاتح أمام أسوار فينا ، وقد كانت أولى البلدان فى ذلك الوقت فى قوتها العسكرية ، وشجاعة جنودها وشدة بأسها .

وسبق أن زحفت جحافل المسيحية على الشرق طمعا فى ثروته ولتحطيم الإسلام وتوطيد أقدام المسيحية فى القدس ، وسلب الفرسان حيث مروا بالمدائن العامرة فى أوروبا خيراتها وذلك قبل وصولهم إلى الشرق ، وبهرتهم مثلا ثروة بيزانطة وازدهارها فاعملوا فى دورها النهب وفى أهلها التقتيل وقد انصرفوا عن غرضهم الأصلى والحرب المقدسة ، ورد الصليبيون على أعقابهم ، وباءت حملاتهم بالفشل بعد كفاح قرنين من

الزمان ، ولكن تفتحت عيون أوروبا لمدنيـــة الشرق التى أخرجتهم بالاتصال بهم بالحرب تارة وبالتجارة وتبادل المنافع تارة أخرى حتى أبان المعارك المريرة ، من الظلمات إلى النور ، ثم جاء العثمانيون يقفون فى وجه أوروبا فى هجومها على الشرق ، وكانت مهمتهم شاقة رغم ماحازوه من صيت عريض فى القتال وفنون الحرب وما كسبوه من فتوحات ، واعتمدوا على شجاعة جنودهم وتفانيهم فى الوغى وحزم سلاطينهم فى تشييد الدولة التى اعتمدت كذلك على الانكشارية والصدور العظام والعمائم الضخمة والدسائس والزلفى إلى أقصى حد ، وصارت اعباء بناة الدولة الذين حلوا محل سائر رجال الإسلام وحكمائه وقد دانت لهم مختلف دول الإسلام بحد السيف ثقيلة ينوءون بحملها ، واعملوا التحطيم فى الذخائر الثمينة والدور العريقة وكنوز الحكمة والمعرفة للاسلام وفلسفته من بخارى إلى قرطبة ، ولم يستجيبوا إلى صرخات العرب فى الأندلس فانهارت آخر معاقلهم هناك فى غرناطة ، ودالت دولتهم إلى الأبد فى الغرب .

وكان الخليفة العثمانى مصدر رعب أبان مجده ، والولاء له ليس موضع جدل بحال ، وعسكره مصدر دمار وضرر لكل بلد عامر تبعا لقسوة الولاة فى تحصيل الأموال وجباية الجزية وفرض الطاعة العمياء القائمة على الجمود ، وبتطور علوم الحرب وفنونها ووسائل استخدام الاسلحة ونظم الجيوش مع بقاء وسائل التسلح وأساليب القتال وتنظيم الجيوش على حالها فى الدولة العلية وضح ضعف الدولة وأخذ الهرم والوهن يبدو ان عليها بتتالى هزائمها ، وتعاقب على الخلافة سلاطين ضعاف ونزفت الدولة الدماء الغزيرة العزيزة ووقفت حالة تجارتها وتدهورت اياﻻتها ، وتشمل هذه الاياﻻت شتى بلدان الشرق الأوسط اليوم — نتيجة حروبها مع

روسيا والنمسا وشعوب البلقان ، وصار الخليفة كالقزم يحمل سيف عملاق ويصعب عليه فى هذه الحالة متابعة رفعه ليهوى به على رؤوس أعدائه فى أوروبا ، ولقب « الرجل المريض » وصارت الدولة بايالاتها غنيمة سهلة ترغب دول أوروبا فى اقتناصها وتقسيمها ، ولكنها تؤجل الصفقة طمعا فى أن تفوز كل منها بنصيب الأسد ولعدم اتفاقها على أمر التقسيم ، واطلق على هذه الحالة التعسة « المشكلة الشرقية » ، وقد شغلت جو المؤتمرات السياسية طوال القرن التاسع عشر حتى انهيار الدولة العثمانية بهزيمتها فى الحرب العالمية الأولى وفرض معاهدة « سيفر » على شبح الخلافة .

ولكن رفض أبطال الوطنية فى الاناضول التسليم بالهزيمة والموافقة على اهدار استقلال الوطن وقبول المعاهدة المهينة ، وقاموا يكافحون لتحرير بلادهم وانتزاع استقلال الوطن ، وكان لهم ما أرادوا بفضل روح تضحياتهم العالية وهزموا صنائع الاستعمار فى الاناضول وقذفوا بفلول الجيوش اليونانية إلى البحر ، وانتزعوا استقلال الجمهورية التركية الفتية بمعاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ .

والمشكلة الشرقية التى شغلت ساسة أوروبا طوال القرن التاسع عشر وقد نجمت عن الرجل المريض وكانت موضع مساومات فى المحافل السياسية بين كبريات الدول الغربية وفى طليعتها انجلترا والمانيا وروسيا والنمسا والمجر — هذه المشكلة أجلى برهان على تفشى السوس فى عظام الدولة وانحدار الشعوب الإسلامية نتيجة أفول نجم قواها الحربية والسياسية والروحية الممثلة فى الخلافة والباب العالى وسقوطها فريسة الامبراطوريات الغربية الصناعية الاستعمارية .

وزاد الطين بلة ما حل بها من جهالة وفاقة وركود وبعد عن تطور

العالم، وقد تمزقت حلل مدنيتها العربية التى كانت ترفل فيها وبدت فى اطمار بالية، وكادت تزول عنها الحضارة الإسلامية تماماً، تلك الحضارة التى كانت تتيه بها على أوروبا المتوحشة.

وأخذت أوروبا من جهتها وقد خذلت فى الحروب الصليبية ولم تستطع تحقيق هدفها تبحث عن وسيلة أخرى تصل بها إلى الشرق لا لمجرد الاتجار وتبادل المنافع، بل فى سبيل السلطان والنفوذ، فتحولت عن الشرق الأوسط وغزو الشام إلى الدوران حول افريقيا بواسطة المستكشفين والوصول إلى الشرق عبر المحيطات، ولقد أعرضت فيما بعد عن استخدام البحر الأبيض المتوسط فى أغراضها التجارية وغيرها أثناء سلطان العثمانيين وشوكتهم وخشية أسطول خير الدين بربروسة، ويصف لنا هذه الحالة المؤرخ المفكر «ارنولد تونبى» Arnold Toynbeé فى كتاباته فيقول فى كتابه بعنوان «العالم والعرب» Le Monde Et L'Occident «إن مقاومة العالم الغربى لفتوحات الاتراك فى بلدان المسيحية الأرثوذكسية فى الشرق من القرنين الرابع عشر والخامس عشر كانت بعمله على ضمان سيطرته على البحار لحصار الإسلام بدلا من مهاجمته فى جبهته كما فعل سابقاً فى عهد الحروب الصليبية وكانت النتيجة كارثة بالنسبة له، وإن المستكشفين البرتغاليين بدورانهم حول أفريقيا وصلوا إلى الشواطىء الغربية للهند قبل وصول المغول إليها ببضع سنوات، وهم آخر أمواج الغزو الإسلامية القادمة من أواسط آسيا إلى الهند عن طريق البر، وكذلك الحال بالنسبة للاسبان بربطهم الاطلنطى بالباسفيك عبر المكسيك فقد أقاموا فى الفلبين حدوداً اسيوية جديدة، وهى فاصل فى هذه الحالة بين المسيحية الغربية والإسلام، ولم يكونا جارين فى ذلك الحين إلا فى

الطرف الآخر من العالم عند حوض الدانوب وغرب البحر الأبيض المتوسط ، وترتب على ذلك إنه لم يمض القرن السادس عشر إلا وقد نجحت أوروبا بفضل سيادتها على البحار فى حصار الإسلام ، غير أنها لم تستطع تضييق الخناق عليه إلا فى القرن التاسع عشر » ، ويواصل تونبى شرحه فيقول «وحتى ذلك التاريخ فإن انتصارات الإسلام العسكرية السابقة وشجاعة جيوشه وماضيه المجيد — جعلت هذه العوامل الغرب فى خوف وحيطة منه وبثت فى المسلمين قوة الاعتداد بأنفسهم ، غير أن هذه القوة لم تلبث أن تلاشت شيئا فشيئا بالهزائم العسكرية المتتالية التى قاستها الامبراطورية العثمانية وسائر دول الإسلام ، تلك الهزائم التى منيت بها من خصوم عنيدين مجهزين أحدث تجهيز مدججين بالاسلحة الغربية الفاتكة ويحكمون على الوسائل الفنية والعلمية لحروب اليوم» (١) ،

ونرى أوروبا منذ القرن العاشر للمسيح تسعى إلى الشرق عن طريق ممره الأساسى فى الشرق الأوسط وتلقى بكتل من البشر فى حملاتها الصليبية المتتابعة التى بلغت ثمانى من سنة ١٠٩٦ إلى سنة ١٢٧٠ ، ثم نظراً لعجزها عن تحقيق غايتها فى اختراق هذا الممر ، ولانها لاتكتفى بمجرد تبادل التجارة والمنافع مع الشرق والتعاون معه فى سبيل تقدم الانسانية بل الغاية الانتصار عليه والتسلط على بلدانه تحاصره بحراً قروناً طويلة وتنتزع منه السيادة على البحار وتدور حول المحيطات وتعرض عن حوض البحر الأبيض المتوسط وقد خشيت قوة البحرية العثمانية وبطشها ،

---

(١) أنظر «العالم والغرب» لتونبى مترجم من الانكليزية الى الفرنسية جزء واحد ، باريس ، ١٩٥٢ ، صفحتى ٩٥ ، ٩٦

Voir «Le Monde et l'Occident» par Arnold J, Toynbee, traduit de l'Anglais. 1 vol, Paris 1953, pages 95 et 96.

ولكن الغاية الأصليه فى القساط قائمة، وبمجرد أعياء حارس الممر (الدولة العثمانية) نفذت أوروبا غرضها الأصلى، فقد سقط هذا الحارس المغوار أزاء الضربات المتتالية التى عجز عن مواصلة تحملها، وكان ذلك بانهزام الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى وزوال الخلافة وضياع ايالات الدولة منها وتقسيم تركة الرجل المريض على الحلفاء المنتصرين، وكان من نصيب انجلترا وفرنسا بلدان الشرق الأوسط عن طريق فرض الانتداب عليها، أو الحماية كما جاء فى معاهدة فرسايل التى ضربت على مصر الحماية قسرا رغم إرادة أهلها وبلا اعتبار لمبدء حق الشعوب فى تقرير مصيرها الذى أعلنه الرئيس ولسن كأحد أسس انهاء الحرب.

ووطد الاستعمار قدميه فى القدس وما حولها وبسط أذرعة الاخطبوط الجبارة حول بلدان الشرق الأوسط، وظن أن هذه البلدان التى انسلخت من الدوله العلية لقمة سائغة يتخم بها الاستعمار الذى لا حد لنهمه.

* * *

استيقاظ الشعوب الإسلامية فى الشرق الأوسط من رقادها وبعثها سياسيا

هبت موجات حارة من الحماس الوطنى والقومى أيقظت شعوب الشرق الأوسط من رقادها العميق منذ أوائل القرن التاسع عشر، وأبت هذه الشعوب أن تظل راضية أبدا مغتبطة بحكم آل عثمان المطلق خاضعة لظلم الولاة المستبدين تتخبط فى الجهالة والاستعباد وتئن بلا مخرج من من الفاقة من آلام استنزاف أموالها وقواها مع تسخيرها فى اطماع الاستعمار، ومآل هذا إذا استمر الحال دون تبدل القضاء على البقية

الباقية من تراث الاسلام وفناء عرب الشرق الأوسط ، ولكن صحا الشرق صحوته وأبى بعد اليوم ضيما وأن يسخر لصالح الأمبراطوريات الغربية الصناعية .

واشتد الوعى القومى فى هذه المنطقة من العالم وجابهت شعوبها قوى الاستعمار بشدة وعزم أكيد على العيش حرة مستقلة بلا منازع لها فى عيشها أو ديارها ، وأضيف إلى ذلك توكيد دول الحلفاء وفى مقدمتها انجلترا وفرنسا وهما زعيمتا الاستعمار ضمان استقلال العرب وإنشاء مملكة عربية كبيرة على رأسها زعيم البيت الهاشمى الأمير حسين الذى تبادل الرسائل مع انكلترا طوال الحرب عن طريق السير ماكماهون Mac Mahon المعتمد الانكليزى فى مصر الذى كان يلحف فى طلب انضمام الأمير حسين بقومه إلى صف الحلفاء ، وفى نظير ذلك يضمن الحلفاء للعرب فى حالة النصر فوزهم بالاستقلال وتحقيق وحدتهم كدولة لها كيانها فى الشرق الأوسط ، ثم مالبث أن نكص الحلفاء على أعقابهم ونكثوا بوعودهم ومواثيقهم ، فأشد ما يخشاه الاستعمار أن تسود البلدان المطالبة بحرياتها مواصلات سهلة واتصالات سمحاء لا يحول دونها حائل يقيمه صنائع الاستعمار ، وماذا يعمل المستعمرون فى هذه الحالة ؟ ، إن أقرب ما يسعون إليه هو تمزيق الوحدة وإعاقة وسائل الانتقال ودق أسفين يقض مضجع الدولة المزمع إنشاؤها ويشتت شمل وحدتها ويضعف من شأن قوتها ، بادخال عنصر غريب عليها ، وبذر بذور خطرة فى تربتها ، تنبت الشوك فى الأرض الخصبة ، فتودى بالزرع والضرع وترعى كالطفيليات فى الجسم السليم فتورثه الوهن والمرض .

وهذا ما حدا بالاستعمار الغربى إلى تأييد فكرة إنشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين واحتضان أحلام الصهيونية بتحقيقها فى أعز بلدان الإسلام والعرب إلى أبنائه وأقربها الى قلبه وروحه ، أى فلسطين والقدس بالذات . وهكذا تقوم دولة صهيونية دينية وسياسية تقسم الوحدة العربية وتكون جاسوسا ورقيبا على نهضة العرب ، وهى لسان حال الاستعمار وسلاحه فى هذه المنطقة الحساسة الهامة من العالم .

وحركات البعث فى الإسلام ليست بنت يوم وليلة ، بل إن عوامل عدة مهدت لها ثم أخيرا أوقدت نيرانها ، ومن هذه العوامل ما يفتق الأذهان فى الشرق إلى نعاء الحريات فى الغرب ، ومنها ظروف الحرب العالمية الأولى وموقف الدولة العلية العدائى من العرب ومذابح الشام وقسوة العسكريين العثمانيين حيال شباب العرب المجاهد والصفوة الواعية. ووصفت صحيفة التام Temps الفرنسية الواسعة الانتشار حالة الارهاب على يد العثمانيين فى الشام لمقاومة حركات الوعى الوطنى هناك فقالت فى ٥ أغسطس سنة ١٩١٥ : « إن الحركة العربية أهم مما يظنها المرء لأول وهلة، وتكتشف السلطات التركية كل يوم جمعيات جديدة تعمل فى الظلام لإقامة حكومة عربية ، ولقد قبضت السلطات على عشرين زعيما وقدمتهم للمحكمة العسكرية التى عقدت فى عالية بلبنان وحكمت على إثنى عشر بالإعدام والباقى بالسجن » ، كما وصفت جريدة التام بتاريخ ٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٥ الإعدام الواسع النطاق الذى نفذه العثمانيون فى زعماء العرب ببيروت فقالت : « نصبت المشانق فى ميدان الحرية ببيروت وشنق فوقها احد عشر من الأعيان الساعة السادسة صباحاً بحضور رضا باشا ، وظلت جثثهم معلقة فى الحبال ست ساعات ، ثم ألقيت بعد ذلك فى حفرة المقابر

العامة برمال بيروت » ، وكتبت جريدة الشام فى وصف اضطهاد الصفوة العربية الواعية وفى بشاعة مشانق الترك بتاريخ ٩ أكتوبر سنة ١٩١٥ ما يأتى : « كان بين الذين شنقوا بأمر الأتراك فى ساحة بيروت محمد المحمسانى ، وهو شاب حائز لليسانس الحقوق من جامعة باريس ، وكان قلبه مفعما بالحماسة وعقله متوقداً ذكاء ويمثل الصفوة الواعية هناك ، وهو روح التحرير الإسلامى » ، وتذكر الصحيفة أنه حينما سئل وهو قريب من حبل المشنقة عما يريده أجاب بأعلا صوته موجهاً كلامه للجموع المحشودة : « إننى أعلن أمام الله والناس أن المواطنين الذين سيعدمون الآن أبرياء وأنا وحدى المذنب ، وذنبى لو اعتبر هذا ذنباً إننى أعشق الحرية وأنشد تحرير وطنى ، وإننى أردت بكل قواى هــذا التحرير ولا أندم بحال على ما فعلت ، وإننى سعيد باعتبارى أول الضحايا ، وإن ضمائرنا تثور نحن العرب أبناء أعظم مدنيات العالم كلما فكرنا فيما صرنا إليه من ذلة ساقتنا إليها قبائل الأناضول المتوحشة ، ولقد ضقنا ذرعا بالظلم المزرى الذى يوقعه على رؤوسنا الأتراك » ، ورغم الضربات المبرحات التى لاقاها من جلاده وهو يصيح بكلماته المؤثرة هذه واصل بصوت جهورى إعلان آلام شباب العرب وقال : « كفانا منكم استعباداً ولا جدوى من تقتيلنا فإن الفكرة التى نواصل السعى لها ستعيش وتنتشر من بعدنا .. » ، ووصفت جريدة الشام مذابح العراق التى أشاعها الأتراك هناك فقالت بتاريخ ١٠ ديسمبر سنة ١٩١٦ : « أعدم الجنرال نور الدين باشا قائد القوات التركية فى العراق وصاحب السلطة العسكرية والمدنية هناك رمياً بالرصاص ١٫٠٥٥ شخصاً جلهم من شباب بغداد الحر وشنق منهم عددا كبيراً كما مات بعضهم جوعا فى الصحراء ، وحينما استولى

خلفه خليل بك على كوت العمارة أمر بشنق أربعين من أعيان المدينة وأباح نساءهم لجنوده ، ولم يحتملن الحياة مع عارهن فقذفن بأنفسهن فى النهر وحملت مياهه جثثهن خلال شوارع المدينة التى سبق أن عشن فيها » وقد أذاع جمال باشا مبررات الاعدام التى انتشرت بالجملة ضد العرب فى الشام والعراق والحجاز وهى تدل بلا تردد على عزيمة العرب على خلع النير التركى فقال فى نداء أعلنه على الناس : « ثبت فى التحقيق الذى أجرى فى القضية أن الأحكام التى أصدرتها المحكمة العسكرية ضد المقبوض عليهم والمحبوسين أو المحاكمين غيابيا كانت بنسبة اشتراكهم فى المؤامرة التى كانت تهدف إلى انتزاع الشام والعراق وفلسطين من الامبراطورية العثمانيـة وإنشاء إمارة مستقلة تضمها » ، ووصفت جريدة التام شجاعة أحد المحكوم عليهم بالاعدام من صفوة ضباط العرب بتاريخ ٨ ديسمبر سنة ١٩١٦ فقالت : « وجه سالم الجزائرى وهو كولونيل فى القيادة العليا عباراته لأصدقائه المحكوم عليهم أيضا فقال : « لو أننا متنا بين عشيرتنا فوق أسرتنا بهدوء لبكانا أب أو أم أو أهل فقط ، ولكن اليوم حينما نعلق فوق المشانق سيتجه بنظراتهم إلينا آلاف الرجال والنساء ، وسيتجه إلينا شعب بأكمله ويبكينا بدموع من دم ، ألا وهو الشعب العربى الذى ستتفتح له آفاق عريضة فى الحياة بموتنا » ، ورد عليه صحبه بقولهم : « إننا نموت فداء الوطن هيا بنا سويا إلى ساحة العذاب »(١) .

---

(١) أنظر « الصهيونيـة والانتداب الانكليزى فى فلسطين » لأنيس الصغير ، رسالة دكتوراه بجامعة باريس ، باريس ١٩٣٢ ، من صفحة ٣٩ إلى صفحة ٥٥ .

Voir «Le Sionisme et le Mandat Anglais en Palestine» par Anis Saghir, thèse de Dectorat, Paris 1932, de page 39 à 55.

ومما ساعد على حركات البعث وقد صادف العرب خيبة أمل فى الوعود فزاد حماسهم فى تحقيق التحرر دون اعتماد على الغير وعود الحلفاء المعسولة وتوكيدهم تحقيق استقلال العرب وإنشاء دولتهم وإعادة بناء مجدهم التليد ، غير أنها كانت وعودا عرقوبية .

ولقد أدى الجمود فى ديار الاسلام طوال القرون التى أعقبت الحكم العثمانى إلى انحدار شديد نحو الهاوية وكان حال التأخر فى مصر مثلا حينما دخلها الفرنسيون يعجز القلم عن وصفها ، ويخيل إلى الرائى أن هذه البلاد لم تك يوما من الأيام مهد المدنية العريقة ولم تنشأ فيها حضارة الاسلام الزاهرة ، وكان الريف مقفرا والمدن موحشة ضيقة قليلة العدد بما فى ذلك العاصمة ، ولم يبق من دور العلم غير الأزهر الذى تصر جهوده على تعليم القرآن فى أضيق نطاق ، واختفت العلوم والفنون والصناعات والزخارف وحلت محلها الخرافات والتعاويذ ولم يك الطب والتطبيب والدواء معروفة ، وكانت الأوبئة تحصد الناس حصدا وتودى بسكان أحياء برمتها ، وهبط الأهلون نتيجة ظلم البيكوات المماليك وتهاون أصحاب السيادة الأتراك وفساد حكم الباشوات الولاة إلى نحو مليونين ونصف .

وكان لابد لهذا الجمود والتأخر من نهاية وذلك عن طريق زلازل عنيفة يشعر بعدها الشعب بما آل إليه فيبادر إلى خلع ثياب الخمول . ويصف شكيب أرسلان هذا الجمود فى كتابة « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ؟ » فيقول « ومن أكبر عوامل انحطاط المسلمين الجمود على القدم ، فكما أن آفة الإسلام هى الفئة التى تريد أن تلغى كل شىء قديم بدون نظر فيما هو ضار منه أو نافع كذلك آفة الإسلام هى الفئة الجامدة

التى لا تريد أن تغير شيئا ولا ترضى بادخال أقل تعديل على أصول التعليم الإسلامى ظنا منها أن الاقتداء بالكفار كفر وأن نظام التعليم الحديث من وضع الكفار » ثم وصف الفئة الجامدة من الذين يعيقون تقدم المسلمين فقال « فالجامد هو الذى مهد لأعداء المدنية الإسلامية الطريق لمحاربة هذه المدنية محتجين بأن التأخر الذى عليه العالم الإسلامى إنما هو ثمرة تعاليمه . والجامد هو سبب الفقر الذى ابتلى به المسلمون لأنه جعل الاسلام دين آخرة فقط، والحال أن الاسلام هو دين دنيا وآخرة، وإن هذه مزيه له على سائر الأديان ..... والجامد هو الذى شهر الحرب على العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية وفنونها وصناعاتها بحجة أنها من علوم الكفار فحرم الاسلام ثمرات هذه العلوم وأورث أبناءه الفقر الذى هم فيه وقصر اجنحتهم ، فإن العلوم الطبيعية هى العلوم الباحثة فى الأرض والأرض لا تخرج أفلاذها إلا لمن يبحث فيها . فان كنا طول العمر لا نتكلم إلا فيما هو عائد للآخرة قالت لنا الأرض : اذهبوا توا إلى الآخرة فليس لكم نصيب منى . ثم اننا بحصر كل مجهوداتنا فى هذه العلوم الدينية والمحاضرات الأخروية جعلنا أنفسنا بمركز ضعيف بإزاء سائر الأمم التى توجهت إلى الأرض ، وهؤلاء لم يزالوا يعلون فى الأرض ونحن ننحط فى الأرض إلى أن صار الأمر كله فى يدهم وصاروا يقدرون أن يأفلونا عن نفس ديننا فضلا عن أن يملكوا علينا دنيانا ومن ليست له دنيا فليس له دين . . والمسلم الجامد لا يدرى أنه بهذا المشرب يسعى فى بوار ملته وحطها عن درجة الامم الاخرى ولا ينتبه لشىء من المصائب التى جرها على قومه اهمالهم للعلوم الكونية ، حتى أصبحوا بهذا الفقر الذى هم فيه وصاروا عيالا على أعدائهم الذين لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة

فهو إذا نظر إلى هذه الحالة عللها بالقضاء والقدر بادىء الرأى ، وهذا شأن جميع الكسالى فى الدنيا يحيلون على الاقدار . . هذا الخلق هو الذى حبب الكسل إلى كثير من المسلمين فنجمت فيهم فئة يلقبون بالدراويش ليس لهم شغل ولا عمل وليسوا فى الواقع إلا أعضاء مشلولة فى جسم المجتمع الاسلامى، وهذا الخلق بعينه هو الذى جعل الافرنج يقولون ان الاسلام جبرى لا يأمر بالعمل لأن ما هو كائن هو كائن عمل المخلوق أم لم يعمل»(١)

وبدأ جسم الدولة العلية وكانت جندى الاسلام وحارسه تئن من ضربات الروس الموجعة، وبدأت جيوش العثمانيين تتداعى أمام معدات وخطط الغرب الحديثة ، وقام رد فعل للهزائم فى عاصمة الخلافة وفى سائر الولايات التى كانت تعتبر قلب الاسلام النابض وموطن الدولة السياسى والروحى وهى فروع فى جسم اتحادى ضخم إذا تألم الجذع توجعت له سائر أطراف البدن ، وأحس المسلمون أنه قد آن الاوان لينهضوا من كبوتهم ويعرجوا فى مصاعد المجد كسائر الامم وعليهم الجهاد بالنفس والمال والتضحية كما أمر بذلك القرآن وتعاليمه السامية ، وتشمل التضحية إدراك مزايا النهضة العلميــــة والوعى القومى والتحرير من مخالب الاستعمار ، والتضحية واجبة فى سبيل التحرير من وصاية الغرب ونفوذه وكابوسه المخيف على ايالات الدولة العلية وغيرها ، حتى لم تعد بلاد اسلامية بمنجاة عن الوصاية الاوروبية، وليس بواجب أن تقوم التضحية وقد علم المقدم عليها بمدى الاحتياج إليها بحذافيره فيكفى أن ينفخ فيه حب الوطن والتمسك بأهداب الوعى القومى وروح التضحية ليبادر بها حتى لا يقضى

(١) أنظر « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم » لشكيب ارسلان ، جزء واحد ، القاهرة ١٩٣١ ، من صفحة ٧٧ إلى صفحة ٩٨ .

الاستعمار على البقية الباقية له من حياة وكرامة ومقدرة فى الكفاح .
ويصف السيد جمال الدين الافغانى هذه الحالة بقوله « إن الوالد الشفيق يكون من أجهل الجهلاء فاذا مرض ابنه اختار له أحذق الاطباء ، وعلم أن هناك شيئاً نافعاً هو العلم لا يعلم هو شيئاً منه ، ولكنه يعلم بسائق حرصه على حياة ابنه أنه ضرورى »(١) .

وواصل شكيب أرسلان رسالته فى حض المسلمين على خلع أطمار الجمود البالية فقال أيضاً « فالمسلمون يمكنهم إذا أرادوا بعث العزائم وعملوا بما حرضهم عليه كتابهم أن يبلغوا مبالغ الاوربيين والامريكيين واليابانيين من العلم والارتقاء وأن يبقوا على إسلامهم كما بقى أولئك على أديانهم ، بل هم أولى بذلك ، فإن أولئك رجال ونحن رجال ، وإنما الذى يعوزنا الاعمال ، وإنما الذى يضرنا هو التشاؤم والاستخذاء وانقطاع الآمال فلننفض غبار اليأس ولنتقدم إلى الامام ولنعلم أننا بالغو كل أمنية بالعمل والدأب والاقدام وتحقيق شروط الايمان التى فى القرآن » (٢).

وما لبث أن ظهر فى عاصمة الاسلام ودار الخلافة كتاب ومصلحون وشباب مخلصون متفانون فى سبيل النهوض بالاسلام وظهر فى سائر العواصم فى الايالات العثمانية وسائر ديار الاسلام المصلحون الذين يريدون أن ينقوا تعاليم الاسلام من الشوائب التى علقت به ودفعت بشعوبه نحو التدهور وأوقعتها فرائس الاستعمار ، اما عن طريق الجمود

---

(١) أنظر « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم » لشكيب ارسلان ، صفحة ١٦٥ .

(٢) أنظر « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم » لشكيب ارسلان ، صفحة ١٦٦ .

أو عن طريق البدع والخرافات التي لا تمت للدين بصلة، وتأثرت حركات البعث بالتقشف كما هو الشأن في الحركات الوهابية في قلب الجزيرة وحركات السنوسية في ليبيا وطرابلس تبعا لطبيعة البلاد والمعيشة القبلية ومدى استجابة العشائر التي تسكن هذه المناطق إلى التجديد والاصلاح، فنادى المصلحون بوجوب أن يخلع المسلم عنه هناك رداء الترف والخمول وأن يعود الاسلام إلى بساطته الاولى مع تخليص تعاليمه مما أقحم عليه من بدع وتقاليد ومظاهر لا تمت إليه بصلة، وعملية التطهير هذه في اعتبارهم ضرورية لنهوض الشعوب الاسلامية (١).

(١) ان الحركتين الوهابية والسنوسية يتفقان مع روح البداوة وطباعها في بلاد نجد وبرقة وأرض ليبيا وصحاريها الواسعة، وبساطة عالميهما مرجعها بداوة الشعب وطباعه التي تتمشى مع الفضاء الواسع والحياة الضئيلة المطالب وتقشف أهل البادية.

وقامت الحركة الوهابية في أواخر القرن الثامن عشر في هضبة نجد، واشتد ساعدها وتحولت إلى دعوة دينية سياسية في أوائل القرن الماضي، وصاحب الدعوة محمد بن عبدالوهاب وحمل لواءها بعد موته في سنة ١٧٨٧ سعود ومن جاء بعده ودل على كفايته وحكمته كسلفه، وتعاليم الوهابية هي الرجوع بالاسلام إلى بساطته الاولى وسماحته وديموقراطيته وإبعاد المسلمين عن الموبقات والبدع والترف والظلم هذه النقائص الدخيلة على الاسلام والتي أدت إلى انهيار تعاليمه حتى في منبته وبلاد الحجاز المقدسة، وكان سعود يعتبر نفسه مسئولا كرئيس للوهابية عن تصرفاته أمام الرأي العام فلم يحاول البتة التهرب منه أو أن يعتدي على حريات أتباعه، وكان قضاة الوهابية أمناء مخلصين، وقضوا على السرقات والموبقات التي كانت ضاربة أطنابها في بلادهم نظرا لتدهور الحكم العثماني هناك وفساده، كما شجعت الوهابية العلم وفتحت أبواب المدارس في كثير من الواحات التابعة لها، وحاربت بشدة الانغماس في الترف الذي جاء

= به الحكم العثماني، وأدى هذا إلى غضب السلطان وحقده وإلى محاربته للوهابية وتجريد الجيوش على دعاتها والانتصار عليهم . وتحولت الوهابية من قوة سياسية إلى دعوة روحية دينية تغلغلت فى ضمائر المخلصين ، حتى قيض لها عودتها اليوم إلى الحياة فى صورة سياسية ودولة تحكم جزءا كبيرا من شبه جزيرة العرب ، غير أن التعاليم الاصلية للمذهب تحورت أو اختفت تبعا لتغير الظروف

وفيما يلى أهم تعاليم الوهابية فى نقاوتها وبساطتها البدوية نقلا عن كتاب « الاسلام فى حاضره للوثروب ستودارد . صفحة ٢٥ » وهى « القضاء على البدع والمفاسد التى أدخلت على الاسلام ظلما والعودة به إلى نقاوته الاولى وعدم الاعتراف بما تركه المفسرون مما يتعارض مع أصول الدين فى بساطته وسماحته وترك الطقوس وأنواع الاحتفالات والبدع الخاصة بتقديس المشايخ وأولياء الله وكل ما لا يمت إلى الاصول الاولى للدين بصلة ، وقصر العبادة على التوحيد بالله وفق ما كان يتبعه الرسول وينادى به ووفق تعاليم القرآن بالحرف ووجوب أن يتبع هـــذا الطريق كالوسيلة المثلى والوحيدة للاسلام ، ويتعين فى هـذه الحالة اتباع تعاليم خلقية معينة ، منها وجوب الصلاة والصوم بلا تهرب منهما البتة ، ويجب أن يتقشف المسلم فى حياته الدنيا وفى طرق معيشته ، فلا يقدم على لبس الحرير أو تعاطى الاطعمة الدسمة أو النبيذ أو المخدرات أو الدخان أو القهوة وسائر أساليب الترف ، ولا تعترف الوهابيـــة بالقباب والاضرحة والمآذن وتحرمها وتأمر بوجوب إزالتها . وهـــذا ماصنعته فى قبر الرسول وفى المدينـــة » ويقول ستودارد أيضا مشبها هـذه الوسائل بالاصلاح البروتستانتى المسيحى « ان إصلاحنا الدينى البروتستانتى بدأ بوسائل شبيهة بطرق الوهابية المذكورة » وهو يرد بذلك على الهجمات التى وجهت الى الوهابية تتهمها بالقسوة وشدة تقشفها وضيق أفقها ، ويقول « ان الفساد فى تطبيق ديانة ما يؤدى إلى رد فعل تقشفى وإلى الاتجاه إلى التعاليم الاولى وبذا يمكن مواصلة الاصلاح والنهوض بالشعب والتخلص من البدع ». =

= وأسس السنوسية السيد محمد بن السنوسى من شمال أفريقيا فى مطلع القرن الماضى، وهو من سلالة الرسول مما حضه على التمسك بالورع والتقى والتقشف، وعمل على توسيع مداركه بتعلمه علوم الدين والحكمة بجامعة فاس، ثم طاف فى أنحاء أفريقيا الشمالية يدعو الناس إلى إصلاح أمور الدين عن طريق استبعاد البدع وما أدخل على الدين السمح ظلما وعدوانا فبعد به عن تعاليمه الاولى، وأنشأ زاويته ليدعو الناس من منبرها الى مذهبه كما حض على تعميم الزوايا لنشر العلوم والمعارف والدعوة بين الناس لتآلف الشعوب الاسلامية، وبعد موته فى سنة ١٨٥٩ استمر ابنه وخليفته فى النهوض بالرسالة، ووكل هذا الى ابنه الأصغر أداء الرسالة من بعده لما لاحظه فيه من جرأة ومن إقدام بلا تردد، وانتشرت تعاليم السنوسية فى أفريقيا الشمالية وخاصة طرابلس مما أقلق السلطات هناك، وتعدت هذه الحدود إلى شبه جزيرة العرب والصومال وبعض المناطق فى آسيا.

وتتلخص تعاليم السنوسية كما وردت فى كتاب «حاضر العالم الاسلامى للوثروب ستودارد» صفحة ٤٧ فيما يأتى: «ان برنامج السنوسية هو جمع صفوف المسلمين فى أفريقيا أولا ثم بعد ذلك فى مختلف أنحاء العالم تحت لواء إمامة الاسلام فى نقاوته الأولى، ليضم إلى اعطافه المؤمنين عن عقيدة صافية باسم الجامعة الاسلامية، وترى السنوسية أن تحرير الاسلام سياسيا من التسلط المسيحى يجب أن يسبقه إنعاش روحى ومعنوى عميق لشعوبه، ولتحقيق هذه الغاية يتعين تحسين أحوال وخلق الذين يتبعون المذهب، وكذلك يجب بذل الجهود الجدية لرفع مستواهم المادى بتشجيع وسائل زراعتهم الواحات فى ظروف أفضل، وحفر آبار جديدة وبناء مساكن لإيوائهم على طول خطوط القوافل وتشجيع التجارة وإنماء حركتها».

ونحت حركات البعث نحواً آخراً فى البلدان الخضراء(١) التى تقوم فيها المدائن والعمران وتزرع أراضيها بانتظام ويسكنها الحضر علاوة على بعض البدو والرحل ويمكن ان تستقر فيها مدنية دسمة مفعمة رخاء وثروة كالأيام الخوالى وكما يدل على ذلك تاريخها القديم ، على ضفاف النيل وفى الشام وفى دار الخلافة وفى مهد مدنيات اشور وبابل وبلاد العباسيين ، وبعضها متصل بالغرب وقد تأثر بمفكريه وبدأ يجنى ثمرات البعثات العلمية إلى أوروبا ويفهم الحركات القومية هناك والكفاح فى سبيل الحريات والدستور ، وقد أخذت طابعا شرقيا وغربيا وتريد بحق القضاء على الجمود مع إصلاح ما أفسده الدهر وإعادة بناء ماحطمته معاول الحكام الطغاة الجهلاء فى حدود تحرير تعاليم الدين من البدع الضارة وضرورة تمشيها مع روح العصر ، ثم الأخذ بنظم الغرب فيما يختص بحقوق الانسان وجعله مواطنا له حق الانتخاب بممثل بلاده فى برلمان يسير على نسق دستور حديث شبيه بالدساتير الغربية بدعة ذلك العصر ، وهو يريد الاغتراف من العلوم والفنون والمعارف الغربية بلا قيد ولا شرط ، فلا يجب فى نظره ان يقف رجال الدين بأى حال من الأحوال دون هذا الاغتراف وفتح دور العلم الحديث على مصاريعها (٢)

---

(١) انظر « العالم الاسلامى فى حاضره » للثروب ستودارد ، جزء واحد ، لندن ١٩٣٢ من صفحة ٢٠ إلى ٣٦ .

«The New World of Islam» by Lothrop Stoddard, 1 vol, London 1932 from page 20 to 36.

(٢) قامت حركات البعث فى مصر على أساس تقوية الروح القوميـة المصرية فى ظل الاسلام والاعتزاز بالروح الاسلامية وتدعيم الجامعة الاسلامية ورابطة الشعوب التي تنطق بالضاد، كما اعتمدت النهضة العظيمة هذه فى مصر =

= العريقة فى المدنية الواسعة الموارد والتى جعل النيل منها «شجرة خضراء» كما يصفها عمرو بن العاص وخلد الاسلام فيها لسانا وجنسا ودينا — اعتمدت على مجابهة الاستعمار الغربى الذى يقف فى وجه القومية والاستقلال وحركات البعث بمدنية الغرب ، وطالبت بالأخذ بأسباب النهوض وفق أساليب الغرب ومحاربته بنفس سلاحه ، ونادى المصلحون وعلى رأسهم جمال الدين الأفغانى بأن الاسلام دين تطور وأنه لا يقر الجمود بحال وأنه يتمشى والنهضة العلمية الغربية والمدنية الأوروبية ، وتتلخص تعاليم جمال الدين الأفغانى فى منتصف القرن الماضى وهو قرن البعث بالنسبة للشعوب الاسلامية فيما يأتى كما ذكرها « لوثروب ستودارد » فى كتابه « حاضر العالم الاسلامى » صفحتى ٥٣ ، ٥٤ « إن العالم المسيحى رغم ما يسوده من فرقة فيما يختص بالجنس والقومية يقف صفا واحداً ضد الشرق وخاصة الاسلام ، ويتحد لتحطيم كافة الدول الاسلامية . وإن الحرب الصليبية لا تزال قائمة بروح تعصب بطرس الراهب ، والمسيحية تنظر إلى الاسلام نظرات مليئة بالتعصب والحقد والكراهية . ويتضح هذا من مشاهدات عدة ، فالقانون الدولى مثلا لا يعامل الشعوب الاسلامية على قدم المساواة مع الشعوب المسيحية . والحكومات المسيحية تنتحل الأعذار فى مهاجمتها وتحقيرها الدول الاسلامية بإدعائها مثلا تأخر هذه وانحطاطها ، ومن ناحية أخرى فإنها تقف فى وجه هذه الدول بكافة الوسائل حتى بالحرب كلما أرادت أن تستيقظ من سباتها وتأخذ بأسباب الاصلاح فى ديارها . وإن الشعوب المسيحية بوجه عام تكره الاسلام ، وهذه الروح قد تكون صامتة ، وهى تعمل بهمة وباستمرار لتحطيم الاسلام ، والمسيحية تهزأ بكل شعور للمسلم وتحقره ، والأوربيون ينعتون القومية التى يفاخرون بها والوطنية التى يعتزون بها فى ديارهم تعصبا فى دار الاسلام ، وما يسمونه فى الغرب احترام النفس والكرامة والشرف الوطنى يصفونه فيما يختص بالشرق إمعانا فى التعصب وما يقدرون أنه فى الغرب شعور بالوطنية يصمون الشرق به بقولهم =

وقد تلخص روح هذا العصر السياسية فى عبارة رويت عن جمال الدين الافغانى رداً على رمى الخديوى الشعب المصرى بالجهل والخمول وعجزه عن تحمل المسئوليات السياسية فقال مامعناه « ليسمح لى سمو الأمير ان أقول رأيى بحرية : «ان الشعب المصرى كسائر الشعوب لايخلو من وجود الخامل والجاهل بين أفراده ولكنه غير محروم من وجود العالم والعاقل وإن قبلتم نصح هذا المخلص المتحدث اليكم وأسرعتم فى اشراك الأمة فى حكم البلاد عن طريق الشورى وذلك بأن تأمروا بانتخاب نواب عن الأمة يسنون القوانين ويرعونها باسمها وبارادتها يكون ذلك أثبت لعرشكم وأدوم لسلطانكم » وهذه العبارات لاتخرج عن مضمون أقوال الأحرار المأثورة فى الغرب، ولم يفت المصلحون وعلى رأسهم جمال الدين الافغانى أيضاً ان ينادوا بوجوب تقوية الصلات التى بين الأمم الاسلامية وتمكين الألفة بين أفرادها وتأمين المنافع المشتركة بينها ومناصرة السياسة الخارجية الجماعية لها التى لاتميل إلى الحيف والاجحاف بحقوق شعوبها.

* * *

= إنه روح كراهية وحقد مرجعها الدين، لهذه الأسباب يتعين على العالم الاسلامى أن يتحد بحزم للدفاع عن كيانه بتحالف بلدانه تحالفا لا انفصام له حتى يامن شر الدمار والتحطيم ، وليصل إلى هذه الغاية يتعين عليه أن يملك ناصية الأساليب الفنية والعلمية التى أدت إلى تفوق الغرب ورقيه وأن يتعلم أسرار قوة الغرب وجبروته » .

أثر الظلم فى الدولة العلية وفى تدهور شعوب الاسلام

ونجاحها فى القضاء على هذا الظلم بانهيار الدوله العلية

هاجم كثير من المتنورين بل وبعض السادة فى ذلك الوقت الخليفة وقد وقف مكتوف اليدين تجاه تدهور الدولة العلية حامية الاسلام ، وشرعوا يطالبونه بالمبادرة بعلاج تدهور الشعوب الاسلامية التى أخذ على عاتقه رعايتها وادخال اصلاحات واسعة النطاق فى الدولة ، ونذكر فقرات من الخطاب الذى رفعه مصطفى فاضل إلى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٦ وهى جديرة بالنظر حقيقة بأن توضع موضع الاعتبار وفيها ينذره بسوء مصير الامبراطورية العثمانية إذا استمر الحال على ذلك المنوال السيء « خلت بلادك من رأى عام فأصبح عمالك غير مسئولين أمام رعيتك ومعناه انهم أمسوا غير مسئولين أمام عرشك، فلا من يقدر على أن يبث اليك الشكوى ممن عاثوا فى الرعية . واستباحوا كل منكر، وصار الناس طائفتين حاكم يظلم ولا من يردع ومحكوم يظلم ولا من يشفع، حاكم يدعى ان سلطانه من سلطانك لا حد ولا قيد ويتذرع بذلك إلى النقائص والمعاصى ومحكوم يهوى إلى حضيض الذل بما يساء اليه ، حاكم سد دون الرعية أبواب الشكوى فاذا ما ارتفع بها صوت ملؤه التعظيم قالوا قوم ثائرون ، لهذا تولى اليأس الرعايا ، وأنوا تحت أحمال المظالم وهم صامتون ، وأخذهم الجور وأنتم تعلمون ان الجور يفسد الضمائر ويطمس العقول »(١)، ويقول أيضاً وهو يلحف على الخليفة فى النهوض

(١) أنظر « من أمير الى سلطان » ترجمة الخطاب الذى رفعه مصطفى فاضل إلى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٦ ترجمة احمد فتحى زغلول ، القاهرة ١٩٢٢ ، وتقع الرسالة فى ٢٨ صفحة تحوى الترجمة الحرفية الكاملة للخطاب من الفرنسية الى العربية ، صفحة ١١

بالتعليم حتى تلحق الأمم الاسلاميـة الغرب وتبلغ مستواه بعد ان تحطم سلاسل الاستعمار «نحن فى عصر لاسؤدد فيه إلا لمن كبر عقله وكثر علمه، ولما يئن زمان الحكم لمن هو أطهر نفسا وأشد اخلاصا، من أجل ذلك انصرفت الهمم فى ارجاء أوروبا إلى التعليم حتى ان أقل الحكومات رغبة لاتجد للهرب من الاهتمام به سبيلا، هذه سويسرا قد لاترى فيها رجلا أميا وتلك بلاد الانكليز التى يحكمها طائفة من النبلاء تتخلى رويداً رويداً عن امتيازاتها قدنهضت منذخمسة وعشرين عاما لنشر التعليم الأولى الاجبارى نهضة كبرى وكأنى بالأمة البروسانية ماظفرت بالأمةالنمساوية إلا لأن الغالب كان أعلم من المغلوب، أترضى بالانحطاط العقلى ومن حولنا أوروبا تبذل كل نفيس فى سبيل رقيها، إنى أعيذ بكم ان تظنوا ان الاكثار من المدارس كافيا لنشر التعليم وبث العلوم، فماذا تنفع المنازل لاسكان فيها وما الذى يرجى من مدارس أولادها أبناء ذل خاملون؟ الحرية أول مرب للامم، هى تخلق كل مرب عداها، وما من مرب يسد مسدها، والأمة المستعبدة تحتقر العلم لأنه لايفيدها وإنما ترغب الأمم فى العلم إذا كان لها من الحقوق ماوثقت منه وأمنت عليه فتتعلم لتحسن الانتفاع بحقها، وكل أمة جاهلة مستعبدة هى جبان أوخائنة.»(١)

ثم يواصل قوله فيصف انحلال الحياة الاقتصادية فى الدولة ومدى خطورته على كيانها ومستقبل شعوبها «هوى كل شىء فى الدولة الزراعة ثم التجارة واختمها الصناعة فكأنما ضللنا سبيل الانتاج وجهلنا وسائله وجمدنا من مشاهدة فقرنا فلا يحرك مرآى الفاقة فينا همة ولا يرفعنا إلى

(١) أنظر «من أميرالى سلطان» ترجمة الخطاب الذى رفعه مصطفى فاضل إلى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٦ صفحتى ١٣، ١٤

عمل(١)» وهو يطلب الدستور فى فقرات متعددة من خطابه ويعده العلاج الناجع لسوء الحال ، وضمن ماجاء فيه « والدستور يقيم لنا بناء حكومة قويمة لامنفذ فيها لقول الأجنبى ويبسط الحماية الحقة على صنوف الرعية وينشر على الجميع راية عدل يستوى فيه كل امرىء بأخيه »(٢) ويواصل تحبيذه لهذا العلاج فيقول أيضا «هب الامة دستوراً صحيح الجسم رحيب الصدر خصيب التربة وحنه بالايمان وحطه بما يضمن الاخلاص فى انفاذه والأمانة فى الجرى عليه وبما يصونه من العبث به مدى الأيام دستوراً يتساوى أمامه المسلمون والنصارى فى الحقوق وفى الواجبات ليسود الوئام ويهبط على الكل السلام .»(٣)

وفرضت أوروبا المنتصرة على الدولة العلية الاصلاح الدستورى حماية للوضع القائم فيها حتى لا تنهار نهائيا ويصعب تقسيمها ازاء تضارب مطامع الامبراطوريات الغربية فى ميراث الرجل المريض ، وحتى تكف تدريجيا أو إلى حين شكاوى الشعوب الداخلة فى الامبراطورية ، وخاصة أن الظلم والهوان لم يختص به فريق دون آخر ، بل إن الظلم اشتد بالناس فى دار الخلافة والأناضول ومصر والشام وغيرها بلا فارق بين دين وآخر ، حتى لم يبق فى صدور الرعية بقية صبر وامسى الناس لا يستطيعون

---

(١) أنظر « من أمير الى سلطان » ترجمة الخطاب الذى رفعه مصطفى فاضل إلى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٦ ، صفحة ١٥

(٢) أنظر « من أمير الى سلطان » ترجمة الخطاب الذى رفعه مصطفى فاضل إلى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٦ صفحتى ١٩ ، ٢٠

(٣) أنظر « من أمير الى سلطان » ترجمة الخطاب الذى رفعه مصطفى فاضل إلى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٦ ، صفحة ١٨

كتمان ضجرهم وتبرمهم بالخلافة وجمودها ومظالمها ووجوب المبادرة بتبديل الحال عن طريق الثورة إذا تطلب الأمر ذلك ، ويصف مصطفى فاضل الظلم فى بلاد الخلافة وهو يحيق بالمسلمين والنصارى على السواء فيقول «لم يبق فى قوس صبر المسلمين منزع فقد بلغ بهم الضر نهايته وأكلت أجسامهم الآلام وأمسوا لا قدرة لهم على كتمان ما فاض عن نفوسهم من الضجر والرزايا ، ومن الخطر على أسرتك (يوجه عباراته للخليفة فالخطاب مرفوع إلى أعتاب السلطان) وعلى أمتك أن تترك اليأس يتولى الرعايا» ، ثم يصف صورة الحكم القائم على الفتك بالناس فى سبيل شهوات الحاكم فيقول «اشتد الظلم بالناس وما أنت إلا كاره إياه . وما اخال عظماء أمتك إلا راغبين عنه ، ولكنه أثر لازم للحكومة بجملتها ، حتى أنك وحولك معروف وطولك باد قد لا تقدر على منعه ، إذ هو لا يتصل بعلمك ، مع أنه يضعف من رجولة هذه الأمة وينقص من ذاتيتها ، ويحط من قدر فضائلها» ، ثم يحذر السلطان من مآل الذل الذى سيقضى حتما على حيوية الأمة فيقول «كل الذين يرجون نخاركم ومجد الوطن ينظرون والنفس مثقلة بالأحزان إلى ما حل بالأمة من نقص شهامتها وتدل فى شرفها وعزتها ، وانى لها البقاء على تلك الخلال مهما تأصلت فى نفوسها ، والمسلمون منهم يقاسمون النصارى صنوف الذل ويشربون معهم كأس الهوان ، وكلهم يستجير من عسف الولاة والحكام ، رجال ما خضعوا لسلطانك إلا بالاسم ، وإلا فانك لاتدرى أهم ينفذون ارادتك فى الأمة ؟» (١)

---

(١) انظر «من امير الى سلطان» ترجمة الخطاب الذى رفعه مصطفى فاضل إلى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٦ ، صفحتى ٨-١٠ .

وجاء الدستور والبرلمان فى دار الخلافة فى سنة ١٨٧٦ ثم ما لبث السلطان عبد الحميد مانح الدستور أن حل البرلمـــان سنة ١٨٧٨ ونكل برجال الدستور والأحرار وبطش بالرأى العام ، وأخذت الدولة العلية تتجاذبها الاضطرابات وتيارات المد والجزر السياسية فى الداخل فضلا عن ضغط النفوذ الأجنبى عليها فى علاقاتها مع الخارج وخاصة سنة ١٩٠٨ وهى سنة حاسمة فى الاضطرابات والثورة وخلع ثوب القديم البالى هناك

وكانت روسيا فى الشمال تطمع فى أن تتغلغل فى جسم الدولة إلى الاستانة وايالات البلقان وتعمل شيئا فشيئا بنفوذها على مساعدتها فى المضى فى عصيانها ، ومصر تحتلها جيوش الانكليز احتلالا غير مشروع بحجة أوهى من خيوط العنكبوت وهى حماية عرش الخديوى ، والسبب الأساسى سيطرتها على طريق الهند واقتطاعها غنيمة دسمة من جسد الدولة العلية الضخم العاجز عن الحراك والحيلولة دون تحقيق فكرة الدستور وسيطرة الرأى العـام على التشريع فى مصر وما يترتب على ذلك من رقابة الأمة على أبواب الإيراد والمصروف ، والاستعمار يأبى هذه الرقابة وقد كبل البلاد بدين باهظ هو دين اسماعيل تنوء بحمله البـلاد وتعمل على التخلص منه ، وأنفق الخديوى معظمه فى قضاء شهواته وتحقيق مطامعه الشخصية على حساب عرق الفلاح بل ودمه ، والشام محط أطماع فرنسا الكاثوليكية وروسيا الأرثوذكسيه ففيه اقليات مسيحية تدعى الدولتان عطفهما عليها فضلا عن أنه بالذات مهد المسيحية ومكان بيت المقدس وكنيسة القيامة والناصرة ، وهو أيضا وكر عمليات التبشير ونشر الدعوة المسيحية ، وتعمل دائبة لمعاونتها جمعيات علمانية دينية وسائر مدارسها التى تنتهز فرصة نشر العلم لنشر الدعوة الدينية أيضا .

ونشبت الحرب العالمية الأولى وحركات الوعى القومى ونشاط التحرر من الاستعمار والجمود على قدم وساق فى الشرق الأوسط وشعوبه متحفزة للتخلص من الاستعمار وأذناب الاستعمار وسائر أنواع الجمود التى أدت الى تكبيلها بسلاسل الاستعمار ، وتغيرت الأوضاع بتحرر الايالات العثمانية من نير الترك بانهيار امبراطورية الرجل المريض وباستيقاظ شعوب الشرق الأوسط من رقادها وبسيرها الحثيث فى سبيل الاستقلال، وأحست الامبراطوريات الاستعمارية الغربية الكبرى أنه يصعب أن تبقى طويلا هناك رغم ارادة الشعوب العربية الناهضة التى يتضاعف وعيها القومى يوما بعد يوم ، ولجأت السياسة الرجعية الى خطة خطيرة تعرض سلامة الشرق الأوسط للخطر وتهدد السلام العالمى ، وهى دق أسفين عن طريق جسم غريب فى هذه القوة الدافقة بتشجيع انشاء دولة اسرائيل لتعويق نهوض الشعوب العربية والحيلولة دون تحقيق وحدتها ، وإقامة قلعة تأوى عسكر الغرب ومعداته إذا حزب الأمر ولزم الحال اختيار الشرق الأوسط ميدانا حاسما لحرب عالمية ثالثة .

الباب الخامس

بلدان الشرق الأوسط المحيطة بإسرائيل

أهم مراجع الباب الخامس

كتب باللغة العربية : —

١ — « مشاكل العالم العربي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية » لمحمد عزة دروزه ، جزء واحد ، دمشق ١٩٥٢ .

٢ — « اسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى » للمكتب الدائم لاتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة فى البلاد العربية ، بيروت ١٩٥٢ .

٣ — « هذا العالم العربي » لنبيه أمين فارس ومحمد توفيق حسين ، جزء واحد ، بيروت ١٩٥٣ .

كتب بالفرنسية والانكليزية : —

١ — « المشكلات الحالية فى الشرق الأوسط » محاضرات معهد العلوم السياسية بباريس ، لبيكو ، جزءان ، باريس ١٩٤٨ — ١٩٤٩ .

1—«Problèmes d'Actualité du Moyen Orient» par J. George Piquot, Cours d'Etudes Politiques, 2 vols—Paris 1948—1949

٢ — « البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط » لبيريرو ودريش ، الجزء الأول ، باريس ١٩٥٣ .

2—«La Méditerranée Et Le Moyen Orient» par Birot et Dresch Tome I, Paris 1953.

٣ — « آسيا » لجورو ، جزء واحد ، باريس ١٩٥٣ .

3—«L'Asie» par Gourou, 1 vol, Paris 1953.

٤ — « العالم والغرب » لتونبى ، ترجمة إلى الفرنسية ، جزء واحـــد .
باريس ١٩٥٣ .

4—«Le Monde et L'Occident» par A. Toynbee Traduction Française, 1 vol, Paris 1953.

٥ — « القانون الدولى والتاريخ الدبلوماسى » لـكوليار ، جزء واحد ،
باريس ١٩٤٨ .

5—«Droit International et Histoire Diplomatique» par Colliard, 1 vol. Paris 1948.

٦ — « التاريخ الدبلوماسى » من ١٦٤٨ إلى ١٩١٩ ؛ لدروز ، جزء واحد ،
باريس ١٩٥٢ .

6—«Histoire Diplomatique de 1648 à 1919» par Droz, 1 vol, Paris 1952.

٧ — « التاريخ الدبلوماسى من ١٩١٩ إلى أيامنا الحالية » لدوروزيل ،
جزء واحد ، باريس ١٩٥٣ .

7—«Histoire Diplomatique de 1919 à Nos Jours» par Duroselle 1 vol, Paris 1953.

٨ — « الاسلام حالا ومستقبلا » محاضرات للأستاذ مونتيه فى الـكوليج
دى فرانس ، باريس ١٩١١ .

8—«DeL'État Présent Et De L'Avénirde. l'Islam» Conférences au Collège de France par Montet, Paris 1911.

٩ — « النيل » لهرست ، جزء واحد ، باريس ١٩٥٤

9—«Le Nil» par Hurst, 1 vol, Paris 1954.

١٠ — « مصر » للمعهد الأهلى للإحصاءات والدراسات الاقتصادية
بفرنسا ، باريس ١٩٥٠ .

10—«L'Egypte» Mémento Economique, par l N.S.E.E, Paris 1950

١١ — «القطن» محاضرات فى السربون الأستاذ بيير جورج، باريس ١٩٥٢

11—«Le Coton» Cours de Sorbonne, par Pierre George Paris1952.

١٢ — « نظرة عامة فى البحر الأبيض المتوسط » لسيجفريد، جزءواحد، باريس ١٩٤٣ .

12—«Vue Generale de la Mediterranée» par A. Ségfried 1 vol, Paris 1943.

١٣ — « البحر الأبيض المتوسط » لهوميل وسيفارت ، ترجمة من الألمانية إلى الفرنسية ، جزء واحد ، باريس ١٩٣٧ .

13—«La Mediterranée» par Hummel et Siewert, Traduction Française. 1 vol, Paris 1937.

١٤ — « الشرق الأوسط فى الشئون الدولية » للنكزوفسكى ، جزءواحد، نيويورك ١٩٥٢ .

14—«The Middle East in World Affairs» by G. Lenczowski, 1 vol, New York 1952.

١٥ — « الشرق الأوسط سياسياواقتصاديا للمعهد الملكى للشئون الدولية بلندن»، جزء واحد ، لندن ١٩٥١ .

15—«The Middle East A Political & Economic Survey» by The Royal Institute of International Affairs» I vol,London 1951.

١٦ — « الدولة والاقتصاديات فى الشرق الأوسط » لبونيه ، جزء واحد ، لندن ١٩٤٨ .

16—«State & Economics in The Middle East» by A. Bonné, 1 vol, London 1948.

١٧ — « تاريخ مختصر الشرق الأوسط » لكيرك ، جزء واحد ، لندن ١٩٤٨ .

17—«A Short History of The Middle East» by Kirk 1 vol, London 1948

بعض المجلات : —

أعداد من المجلات الآتية : —

١ — « مجلة باريس » مجلة أدبية وسياسية شهرية تصدر فى باريس .

1—«La Revue de Paris» Mensuelle.

٢ — « المختار » — النسخة الانكليزية .

2—«Reader's Digest» — English Edition.

٣ — « العلاقات الخارجية » مجلة أمريكية تصدر كل ثلاثة أشهر .

3—«Foreign Affairs» an American Quarterly.

الباب الخامس

بلدان الشرق الأوسط المحيطة باسرائيل

تتطلب دراستنا مشكلة فلسطين ثم قيام دولة إسرائل ، إذا أردنا أن نتفهم مدى اتصال هـــذه المشكلة بكل دولة من الدول المتاخمة لها أولدولة إسرائيل والدول الواقعة فى دائرة بلدان الشرق الأوسط تلك الدول التى اكتوت بلظى الأزمات المتنوعة التى ترتبت على قيام دولة اسرائيل - تتطلب عرض حالة كل من دول الشرق الأوسط وحالة شعوبها ووصفها السياسى باختصار ، وهذه الدراسة تسهل وسائل مقارنتنا وتحليلنا لشتى المشكلات التى تفرعت عن تشجيع حركة الهجرة الصهيونية إلى فلسطين ثم انتهاء الانتداب البريطانى على هذه البلاد فقيام دولة إسرائيل بتشجيع الاستعمار الغربى .

وتدعو هذه الدراسة قبل شرح حالة كل دولة من الدول الواقعة فى محيط الشرق الأوسط أن نعرض لأمهات المشكلات التى تشغل بال العالم العربى اليوم نتيجة قيام دولة إسرائيل واستحكام حلقات الأزمة بينها وبين الشعوب العربية ، حتى يمكن إدراك المسائل على حقيقتها واستنباط ما يعن للباحث استنباطه خلال العرض والشرح فى بحوثنا المتعـــددة .

ونتناول فيما يلى عرض : ١ - أمهات المسائل التى أثارتها الأزمات المتعاقبة نتيجة قيام دولة إسرائل ٢ - طبيعة بلدان الشرق الأوسط وحالة

سكانه ٣ - مصر ووضعها الجغرافى والسياسى ٤ - السودان ووضعها الجغرافى والسياسى ٥ - العراق ووضعها الجغرافى والسياسى ٦ - فلسطين بوجه عام ووضعها الجغرافى والسياسى ٧ - شرق الأردن ووضعها الجغرافى والسياسى ٨ - لبنان وسوريا ووضعهما الجغرافى والسياسى ٩ - المملكة العربية السعودية ووضعها الجغرافى والسياسى ١٠ - بعض الأمارات المحيطة بشبه جزيرة العرب ووضعها الجغرافى والسياسى ١١ - تحليل حالة هذه البلدان المختلفة اقتصاديا إجمالا لما لهذه الحالة من أثر فى حياتها السياسية وفى مستقبلها ١٢ - شرح وسائل الأخذ بناصر هذه البلدان لتجارى الأمم الغربية فى تقدمها وقوتها .

* * *

أزمة قيام دولة إسرائيل

تجابه الشعوب العربية فى الشرق الأوسط أزمات جسيمات فى عقر ديارها وفى علاقاتها مع الخارج، فهناك أزمات الجهل والفقر والأمراض المتفشية التى تفتك بسواد الشعب، وهناك أزمات ضعف الانتاج وانحطاط مستوى المعيشة ورقة حال الطبقات الغالبة التى تعتمد عليها الدول فى نهضاتها ، وهناك أزمة الاستعمار وما يكبدها النفوذ الاستعمارى الغربى فى ديارها من عرقلة سيرها سيرا حثيثاً دون عقبات فى سبيل التحرر .

وساعد الاستعمار الغربى على قيام دولة إسرائيل . وهى اليوم قائمة تنذر السلام فى هذه البقعة الاستراتيجية الهامة بالخطر وتعرض مشروعات اتحاد الدول العربية اتحاداً وثيقاً للانهيار ، وهذه الدولة الغربية بتشجيع الاستعمار الغربى تسعى فى سلام على وتيرة سلام « فرسايل » ومشروعات السلام « النازى » أى أنها تريد أن تفرض على الشعوب العربية سلاما

يتفق مع المصالح الاستعمارية للامبراطوريات الغربية وكذلك مع أغراضها فى التوسع على حساب جاراتها ، وهذا هو سلام « التخمة » .

ونجم عن قيام دولة اسرائيل علاوة على ما ذكرناه تشريد أكثر من ٨٠٠ر٠٠٠ عربى من ديارهم صاروا عالة على الدول العربية التى تشكو ضعف الانتاج فى بلادها وانحطاط وسائل المعيشة وضيق أبواب الرزق، وهؤلاء المشردون منتشرون فى شرق الأردن التى أوت منهم نحو نصف مليون وفى مصر ولبنان وسوريا ، والاقلية الضئيلة منهم فى العراق ، ولم يقف عمل اسرائيل العدوانى عند حد تشريد هؤلاء البائسين ، بل أرادت أن تنصب نفسها منظماً لمعاشهم ومستقبلهم فنادت بإمكان إيوائهم أو إيواء الغالبية منهم فى سوريا والعراق وهما قطران سكانهما أقل من حاجة البلاد وقد تكون قدرتها على تحملهم ممكنة مستقبلا ، وأوعزت بهذا الرأى إلى عملائها فى البلدان الغربية كى ينشروه ويحبذوه فى المحافل السياسية، ومشكلة اللاجئين تتعقد يوماً بعد يوم فهم يزدادون سنوياً بمعدل ٢٥ر٠٠٠ نسمة .

وترتب على قيام اسرائيل وقوع مشكلات لاعداد لها خاصة بالحدود وبالقدس وتدويل المدينة ، ورفضت اسرائيل المدللة من الدول الاستعمارية الغربية حتى قبول التقسيم الذى رسمته الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ وما رسمته فيه من حدود ، كما نقلت عاصمتها إلى القدس الجديدة توطئة لابتلاع المدينة برمتها بمعابدها وأماكنها المقدسة بجامع عمر وكنيسة القيامة ومبكى اليهود متى سنحت الفرصة ، وحينما سئل « بن غوريون » Ben Gurion فى خطورة هذا التصرف وانه ينافى ما قررته الامم المتحدة والقواعد الدولية أجاب « إننا على استعداد لقبول تقسيم بيت المقدس كما

هو ولا اعتراض لدينا على فرض رقابة دولية على الاماكن المقدسة غير أن اسرائيل بدون بيت المقدس بمثابة الصهيونية بدون صهيون ، وهكذا وجد مخرجا لاعتداءاته شبيها بتصريحات المستعمرين حينما يدعون حقا على بقعة معينة دفاعاً عن مصالحهم أو عن مبادئهم السياسية . كما صرح « موسى شاريت » Moshe Sharett بهذه المناسبة أيضاً » إن الحدود التى كسبتها اسرائيل بالحروب لن تتنازل عنها إلا بحد السلاح » .

ويظهر زعماء اسرائيل غير ما يضمرون من روح عدائية وحقد على العرب فصرح بن غوريون لادلاى ستيفنسون Adlai Stevenson نائب رئيس الولايات المتحدة والمرشح الديموقراطى للرئاسة ضد ايزنهاور سنة ١٩٥٢ حينما زار اسرائيل فى رحلته الى الشرق الاوسط بقوله « اننا نريد أن نعيش فى تعاون وصداقة مع جيراننا العرب وهدفنا السلام » . وحينما سأله المبعوث الامريكى عن موقف اسرائيل من مطالب العرب ، لم ينبس ببنت شفه ورد وزير خارجية اسرائيل « موسى شاريت » قائلا « إن اعادة اللاجئين إلى ديارهم مستحيلة إننا لن نقبل عربيا واحدا » كما صرح شاريت بما يأتى « إذا كانت اسرائيل رغم مساحتها الصغيرة ومواردها المحدودة ستقبل فى السنوات القليلة القادمة . . . ٢٥٠ اسرائليا من البلدان العربية مما لا شك فيه أن البلدان العربية الاوسع مساحة والاكثر استعدادا يمكنها أن تجد مأوى لمثل هذا العدد من بنى جلدتها » ، وترفض اسرائيل دائما أن تنظر إلى مشكلة اللاجئين وحدها لعلاجها بما يتفق وحقوق العرب المشردين لاعادة أموالهم إليهم وتعويضهم عما حاق بهم من أضرار ومحن ، وتأبى إلا أن تعالج الموقف برمته علاجا واحداً أى أن تساوم عليهم لعقد صلح مع العرب تفرضه عليهم وتنتزع منهم أقصى ما يمكن أن تنتزعه من مزايا .

وقام العرب دفاعا عن قضية فلسطين بفرض حصار اقتصادى على إسرائيل يشمل كذلك الرسائل والبرق ومنعوا عنهم بترول الشرق، فتدفقت على إسرائيل الأموال والعطايا والقروض والأغذية والوقود من الغرب، ويقدر ستيفنسون ما تخسره إسرائيل سنوياً من الحصار الاقتصادى بمبلغ يتراوح بين خمسة ملايين إلى خمسة وعشرين مليوناً من الجنيهات، واستعاضت إسرائيل عن بترول الشرق ببترول فنزويلا، كما دعمت اقتصادياتها بالقروض والمنح التى تلقتها من الولايات المتحدة الأمريكية والمساعدات المالية، وهى مستمرة وتسد عجز الميزان التجارى المستديم فالواردات تصل إلى خمسة أمثال الصادرات، وهى لا تستطيع فى الظروف العادية أن تحصل على أكثر من ٣٠ ٪ من حاجاتها من العملات الأجنبية عن طريق مبيعاتها للخارج، وبلغ مجموع ما حصلت عليه من المساعدات الأمريكية أكثر من ألف مليون دولار، كما حصلت من ألمانيا الغربية بضغط الولايات المتحدة الأمريكية على ٢٦٠ مليون جنيه كتعويضات أدبية نظير ما حاق اليهود فى زمن النازية من أضرار واضطهادات تدفع فى مدى ١٢ سنة فى صورة منتجات وبضاعة.

ولكن يجب ألا يغرب عن الذهن أن هذه المساعدات الواسعة النطاق لم تستطع أن تعالج ضعف الانتاج والحاجة الماسة إلى المواد الأولية والخامات اللازمة للصناعة والأغذية التى تفتقر إليها البلاد، فهى لا تنتج إلا ٣٠ ٪ من طعامها داخل حدودها، ويتطلب الامر ان تشترى باستمرار موادها الغذائية الضرورية لحياة سكانها (١).

---

(١) انظر مقالا «لادلاى ستيفنسون» فى مجلة ريدرز دايجست عدد ديسمبر سنة ١٩٥٣، خلاصة تقريره بعد زيارته الشرق الأوسط أخيرا بعنوان «لا سلام لاسرائيل»

«Reader's Digest» article by Adlai Stevenson entitled «No Peace for Israel» December 1953.

وتطمع إسرائيل فى أن تسيطر على مياه جاراتها وتسخرها فى تعمير أراضيها وتوليد القوى المحركة منها لصناعاتها، وقد بدأت فعلا تتحرش بجاراتها كى تسيطر على مجارى الأنهار التى تخترق أراضيها وتمر فى بلادها أو على حدودها، وهى لا تجرؤ على القيام بهذا العمل إلا اعتماداً على محاباة الاستعمار الغربى لمشروعاتها وحمايته باستمرار لأعمالها العدوانية، رغم مظاهر الاستياء التى تبدو عليه وتنعكس منه فى منظمة الأمم المتحدة، وهى لا تدل على ما يكنه للشعوب العربية المجاهدة فى قرارة نفسه.

* * *

طبيعة البلدان والسكان فى الشرق الأوسط

دخل الشرق الأوسط جسم غريب فى صميم شحمه ولحمه يمتد فى محيط أقرب إلى الدائرة تدخل فيها السودان فى أقصى طرفه ومصر وشبه جزيرة العرب بشتى اماراتها ومحمياتها وشواطئها من عدن إلى الخليج الفارسى والعراق حتى حدود سوريا شمالا وقيليقيا وهى ضمن الولايات التركية اليوم.

وهذه الدائرة ذات صفات متقاربة فيما يتناول الجو والنبات والسكان والتاريخ والعادات واللغات والدين، وقد تصادف اختلافا بين مناطق وأخرى فيما يختص بطبيعة الأرض وانتاجها ومناخ الاقليم؛ غير أننا نلاحظ أوجه الشبه بوجه عام وان تباينت طبائعها فى التفاصيل. وهذا التقارب من أقوى العوامل فى ربط مصائر بلدان هذه البقعة من الأرض بعضها ببعض خصوصاً إذا وضعنا وحدة اللسان والقرآن الكريم موضعهما من الاعتبار فى صقل الأهلين بطابع الشعب الواحد وجعلهم على استعداد

— لولا اعتبارات السياسة — إلى الاندماج فى وحدة واحدة إذا دعت المصلحة والمصلحة تدعو عاجلا إلى ذلك ، ويلاحظ أن للاسلام قوة يتميز بها فى تكوين الجنسية على حد تعبير المؤرخ « تونبى » إلى جانب جنسية المواطن فى الدولة ، وتعد بحق جنسية أخرى لا تقل أهمية عن جنسية الدولة تساعد على تكوين الشعوب الاسلامية وحدة متراصة البنيان

وأولى صفات هذه المنطقة اتساع رقعتها فبلاد العرب تبلغ طولا ثلاثة آلاف كيلومتر وعرضاً ألفين وحوض النيل يبلغ طولا من منبع النهر إلى مصبه ٦٫٥٠ كيلومتر ، وجغرافية المنطقة بوجه عام غير سمحاء ، ويحيط بهضبة بلاد العرب سلسلة من الجبال الصحراوية ، وقلما تقطعها الوديان الخصيبة ، وفيما خلا مصر والعراق والشام حيث الأنهار والمياه المتوفرة فالبلاد صحراء قحلاء مع مجموعات متفرقة من سلاسل الجبال وبعض الوديان الضيقة التى ترويها الأمطار الشحيحة .

وهذا ما جعل من البقعة وحدة ، ويؤيدها مناخ حار جاف فى بعض الجهات فيما خلا المناطق الجبلية فى لبنان واليمن ، ويمكن تقسيمه إلى : —

١ — مناخ قاس فيما عدا مناخ المرتفعات فى بعض المناطق وهو مناخ حوض البحر الأبيض المتوسط الذى يساعد على معيشة الاستقرار والمدن وله أمثلة عديدة كمناخ منطقة دمشق .

٢ — مناخ صحراوى شديد الحرارة نهارا والبرودة ليلا يميل إلى الجفاف مع بعض الزوابع الرملية النادرة ، ونلمسه فى الصحارى المصرية والعربية .

٣ — مناخ بحرى معتدل يحبو المنطقة بنسيمه العليل من حيفا إلى الأسكندرونه ، ولا يخلو فى مجموعه من الرطوبة .

والمياه نادرة نسبيا على الشواطىء وفى الداخل ، وهناك بعض الجداول والنهيرات فى لبنان وبعض الأنهار فى الشام والأردن وفلسطين وهناك النيل والدجله والفرات ، غير أن الصحارى جرداء لا يصادف الانسان فيها إلا الرمال والفضاء الواسع مع الأعاصير من حين لآخر على وتيرة ثورة رياح الخماسين، وعلى وتيرة الأعاصير الهوجاء التى قضت على جيش قمبيز فى غرب الصحراء المصرية قديماً .

وأهل المنطقة يكادون يختلفون كثيراً فى السحن وفى صفاتهم الانسانية، وهم على ثلاثة أنواع وهى : —

١ — الرحل وينتقلون بقطعان ماشيتهم حيث يطيب لهم العشب والمرعى ، وهم فى أثر الأمطار وما يخرج من بطن الأرض الشحيحة ، وفى شبه جزيرة العرب عدة ملايين منهم وخارجها مايزيد على نصف مليون ويضربون بخيامهم خارج حدود المدن والقرى ، وقد يتحولون إلى حضريين بعد عدة أجيال ولكنهم مع ذلك يحتفظون إلى حد ما بصفاتهم البدوية ، وفى مصر مثلا ينسبون إلى أنفسهم صفات قوية تعلو على صفات الحضريين ، ويزعمون انهم سلالة عنصر عربى نقى ، ويفاخرون بهذه الصفات ، ونحن نلمسها كذلك فى الأدب العربى واشعاره ، وتضفى هذه الشخصية قوة واعتزازاً بالنفس يصلان إلى عروق الأصول الملكية للعروش فى بلدان هذه المنطقة وإلى بعض رجال السياسة .

٢ — الحضريون، ونرى إلى جوار الرحل البدو الحضريين ، وينظر الأولون إليهم على انهم أجانب هاجروا إلى هذه المنطقة ، ويعتبرونهم دخلاء ليس لهم نفس اعتبار البدو ، وقد ينظر البدو إلى الحضر نظرات الزهو والفخار باعتبارهم من سلالة الفاتحين العرب يحملون سجاياهم،

وهؤلاء الحضر يعيشون فى المدن والقرى ومصدر أرزاقهم فى العادة ريع الأرض فى الريف ، ومنهم من يعيشون مما يملكون من أرض يؤجرونها للفلاح ولا يؤدون عملا آخر فى المدينة إلا إنفاق هذا الريع ، وهناك أيضاً جيش جرار منهم يعمل فى سلك الوظائف الحكومية ويعيش حياة آلية ليس فيها تغيير يذكر بين جدران الدواوين أو على أرصفة المشارب العامة والمنتديات . ومنهم من يعمل فى تجارة الحاصلات المستحضرة من الريف أو أنواع الصادرات والواردات ، وبعضهم يعمل فى المهن الحرة وتجارة النقود ، ويلاحظ ان الطبقة الوسطى وفى احضانها تنشأ الصفوة الواعية التى تعتمد عليها الدول الغربية بما لديها من ادخار وبما تقدمه إلى الحكومة من معونة إذا طلب منها ذلك لا تزال فى بدء نشاطها هناك ، وسواد هذه الطبقة من الموظفين ذوى الدخول الضعيفة المحدودة والآفاق التى لا تعدو دائرة عملهم .

٣ الفلاحون ، وأخيرا نرى إلى جوار الرحل والحضر يين الفلاحين وهم سواء السكان فى البلدان ذات الوديان التى تروى بانتظام كمصر والعراق ، ويسكنون صغريات القرى والريف عموما ، وينظر اليهم البدو نظرات الترفع والزهو ، وغرضهم الأساسى زراعة الأرض والتبلغ بلقمة مما تنتجه سواعدهم ، ومستواهم الصحى على غير مايرام ، كما ان الفقر والجهل ينشبان أظفارهما فيهم ، ويعطون أصواتهم كناخبين ويتمتعون بحقوق سياسية كاملة . غير انهم لا يهمهم من السياسة الكثير أو القليل ، وكانوا دائما طوع بنان دعاة السياسة ومحترفيها ، وكثيرا ماوجهتهم قوى البوليس فى المركز لمصلحة مرشح الحكومة أو أغرتهم نقود المرشح فى الدائرة الانتخابية لينتزع منهم التصويت لمصلحته ، ولاهم

لهم إلا ان تتكرر عمليات الانتخاب التى تغدق عليهم العطايا بلا حساب ، وكثيراً ما اشتبكوا فى معارك دموية ريفية بسبب الانتخابات بعيدة عن روح الديموقراطية باعثها العصبية الريفية ، والفلاح يلم بأحوال قريته ، ولكن بعده عن العلم وعن تطورات الحياة الحديثة وهو يعيش على الفطرة ويتبع فى زراعته أساليب القرون الخالية أدت إلى ضعف إدراكه للمؤثرات العديدة التى تسير الشعب وتؤدى إلى نهوضه من كبوته . ومع ذلك فهو يدرك بصفة عامة أمراض قريته وهى خلية من خلايا الدولة التى لا عد لها والتى يتكون منها جسمها الضخم وهى مجموع أمراض الوطن ، ولا شك انه يلمس هذه الأمراض فهى تنشب فيه أظفارها ويتوجع منها تبعا لشدة وطئتها عليه .

وهذه المنطقة مهد المدنيات القديمة ومهبط الوحى والأديان ففيها تلقى موسى وصاياه من الرب ، وقام المسيح يهدى الناس إلى المحبة والوئام ونزلت الرسالة على محمد « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ، غير ان عدد المسلمين يزيد بوجه عام على عدد المسيحيين واليهود ، وينقسم المسلمون إلى فريقين رئيسيين هما أهل السنة وأهل الشيعه ، والفريق الأول هو الغالبية ، ويصل عدد السنيين إلى نحو تسعة ملايين فى شبه جزيرة العرب وأكثر من ١٨ مليونا فى مصر ، وعدد الشيعيين نحو مليون ونصف مليون فى العراق ، ومن المسلمين العلويون والدروز وعددهم نحو ٣٠٠ ألف فى سوريا ، وسائر الشيعيين عددهم نحو ١٣٠ ألف فى سوريا ومليون فى اليمن ، وهناك أيضا الوهابيون وعددهم نحو مليون فى المملكة العربية السعودية ، والمسيحيون مبعثرون فى شتى الانحاء ، ومنهم الارثوذكس والكاثوليك والمارون ، وهم يكادون يتعادلون مع المسلمين فى لبنان ، ويبلغ عدد الأقباط الارثوذكس فى

فى مصر وفق الإحصاء الأخير سنة ١٩٤٧ نحو ١٠٠٠٠٠ر١ ويبلغ عدد الكاثوليك نحو ٢٠٠ ألف وعدد اليهود نحو ٦٣ ألف نسمة من مجموع السكان وعددهم أكثر من ١٩ مليون نسمة .

ونذكر بوجه عام ان طابع مصر وغيرها من بلدان الشرق الأوسط منذ ظهور الاسلام وخروجه من مهده وفتوحاته فى البلدان المجاورة وهزيمة الامبراطورية الرومانية المسيطرة على شمال وغرب شبه جزيرة العرب وفارس المسيطرة على شرق شبه الجزيرة هو الطابع العربى الإسلامى، فهى معقل الإسلام وعنوان مجده الغابر ومعقد آمال المستقبل .

ولقد مست القوميات بعصاها السحرية الشعوب فى هذه المنطقة وغلت فيها حركات التحرير بشدة منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، وهى امتداد لحركات التحرير التى قامت فى أوروبا فى منتصف القرن الماضى وثورات القوميات التى أدت إلى تحرر ايطاليا من نير الحكم النمساوى ووحدتها واتحاد مملكة بروسيا مع سائر الامارات الجرمانية واستقلال دول البلقان وصدور الدساتير واعلان حقوق الانسان واحترام حق العمل والعمال فى شتى الدول الأوروبية ، وساعد على هذه النهضة فى الشرق الأوسط أيضا انتشار وسائل النقل مع سرعتها والتعاون الثقافى وانتشار نور العلم وايفاد البعثات إلى مدينة النور وغيرها للاغتراف من مناهل العلم وزيادة الوعى القومى فى الشرق ونشاط الصفوة الواعية ومحاربتها الجمود والاكثار من المدارس ونهضة التعليم واشتداد الكفاح ضد الاستعمار ، وارتبطت مصائر بلدان الشرق الأوسط بعضها ببعض وتشابكت مشكلاتها واضحى الضرر الذى يحل بأحداها لايلبث أن يصيب الأخرى ويسمع له دوى شديد فى شتى انحاء المنطقة بما فى ذلك المشكلة الصهيونية وخطر قيام دولة إسرائيل .

وزيادة فى الفائدة نتناول بالشرح فيما يلى وضع كل بلد من بلدان الشرق الأوسط جغرافيا وسياسيا بالنسبة لاسرائيل هذا الجسم الغريب الذى يهدد المنطقة :

* * *

مصر

تنقسم مصر اقتصاديا وستراتيجيا إلى أربع مناطق : وهى منطقة النيل العليا من وادى حلفا إلى القاهرة وتتكون من واد ضيق منزرع يتراوح عرضه بين ثلاثة وعشرة كيلومترات تحيط به الصحراء من الجانبين الغربى والشرقى ، ومن دلتا تبدأ من القاهرة إلى مصبها فى البحر ويسكنها عدد كثيف من السكان ، بل تعتبر من أكثر البقاع فى كثافة السكان فى العالم وهى ناحية ضعف شديد فى حالة الغزو وتهديد هذه المنطقة اللينة المكدسة بالبشر بغارات عنيفة أو بهجوم عدائى خاطف عليها مباشرة ، ومن صحراوين فى الغرب والشرق مع هضاب نادرة وواحات أندر مبعثرة فى الصحراء الغربية ، وهذان الصحراوان غير مسكونين فيما عدا الواحات ، ومن سينا شرق قنال السويس وخليجه ، وهذه الصحراء تعتبر شبه جزيرة قحلاء ذات جبال وهضاب فى جنوبها بينما تميل إلى سطح البحر كلما قربت من الشمال ، وهى جزء من آسيا بعكس بقية القطر المصرى الذى يفصلها عنه قنال السويس ، وهناك ثروة دفينة فى جوف هذه الصحراء لم تستغل بعد ، أما بقية القطر فواديه خصب بنيله الميمون الغدوات المبارك الروحات وفيضانه المنتظم وزرعه الدسم الذى يعيش عليه عشرون مليونا من الأنفس بفضل انتظام الرى ونظام الزراعة المحكم القائم على ثلاث زراعات فى السنة .

وقامت فى مصر منذ فجر التاريخ مدنية زاهرة من أقدم المدينات فى العالم . ونعمت البلاد بادارة راقية مستقرة وبانتاج وفير ورغد من العيش وبذل المصرى منذ عهد الأسرة الأولى لقدماء المصريين الجهد وقدح زناد الفكر فى سبيل استخراج خيرات واديه من تربته الغنية الخصبة ، واستنبط شتى الوسائل فى سبيل انماء موارده المادية واتساع مداركه وقواه المعنوية ومحيط تفكيره ، وحبته الطبيعة وهى أم رؤوم فى مصر حيث الشمس المشرقة والماء الوفير والأرض السريعة الاستجابة إلى العمل وهى أثمن من التبر — بعطفها فأطعمته بسخاء ورزقته من خيراتها ومهدت له وقد أكل ملء بطنه أو وجد الطعام حيث الجهد والعمل أن يلاحظ هذه المدنية المادية المحيطة به بدقة فاخترع شتى الادوات لمساعدته على استثمار نواحى هذه المدنية ، ونشاهد هذه الظاهرة فى شتى النماذج التى خلدها تاريخ الأقدمين فى مصر خاصة بوسائل معيشة الناس وتنقلهم وأدوات طعامهم وشرابهم وتطبيبهم وغيرها (وهذه النماذج لاحصر لها فى المتحف المصرى وسائر متاحف العالم) .

ونمت الثروة وصعد المصرى القديم سلم المجد وساد سائر الشعوب التى عاصرته طويلا بفضل قوة هذه المدنية المادية وغزارة مادتها وشدة ارتباط أبنائها وسهولة تبادلهم الحاجات والمنافع واستجابتهم للنداء تبعا لصلاحية الملاحة فى النيل وهو أساس هذه المدنية المادية ، وذلك بعكس ماحصل لشعوب أخرى حبتها الطبيعة بانهر لاتقل دسامة وغزارة مياه عن النيل ولكنها محرومة من مزية سهولة الملاحة فيهما مثال ذلك نهر الكونغو والامازون ، فصعب على الساكنين على ضفافهما النهوض والتقدم والاتصال المستمر تبعا لتعذر الانتقال فى مجراها وظلوا فى حالة من الفطرة

والتأخر بعيدة عن أن تقارن بحالة قدماء المصريين .

ومعقد الآمال فى مصر النيل وفيضانه والزراعة ودوراتها والمحصول وتصريفه . وشح المياه منذ العصور الغابرة واضطراب أعمال الرى والصرف واهمال الزراعة عوامل تؤدى إلى انحلال البلاد وهبوطها إلى الدرك الأسفل من التأخر ، وقد شاهدنا على مر التاريخ أثر القحط فى مصر ، وليست قصة يوسف الصديق وعمله على تخزين الحبوب لسد حاجات الاهلين والسنون العجاف والسنون السمان بغريبة على من يهتم باخبار الأقدمين ، ورأينا أيضاً على مر العصور كيف أن الظلم وما صحبه من اهمال أحوال الفلاح واغتصاب الاموال منه بالسياط دون الاهتمام برفاهته ترتب عليه هبوط عدد السكان ومساحات الاراضى المنزرعة وفاقة البلاد وانهيار كيانها ماديا ومعنويا وكان ذلك فى العصور القريبة إبان الحكم العثمانى . وبينما نرى أن المجاعات فى الصين تتبع تحويل مجرى النهر بفعل الطبيعة مما يؤدى إلى اقفار تربة وأغراق أخرى بمن فيها ، إذا بنا فى مصر نرى المجاعات كانت تتبع انخفاض المياه سنوات متتابعة وكذلك تسير جنبا إلى جنب مع الظلم واهمال الوسائل التى تجعل عمل الفلاح مجديا وفى مقدمتها تنظيم الرى وشق الترع والمصارف ورعايته بالتشريعات التى تكفل حرياته وتضمن قوته وعرق جبينه وتصدعنه الاعتداء والطغيان .

ولقد برهنت مصر فى القرن والنصف قرن الأخيرين وقدار تفع عدد سكانها من نحو مليونين ونصف مليون من الأهلين إلى أكثر من عشرين مليونا على سرعة إجابتها إلى الاصلاح (١) فان هذه الزيادة كانت نتيجة تيارات

---

(١) تطرد زيادة عدد السكان فى مصر منذ أوائل القرن الماضى إلى يومنا هذا ، ونذكر الإحصاءات التالية للدلالة على الزيادة التصاعدية السريعة التى لا تقابلها زيادة مثلها فى مساحات الأراضى المنزرعة التى تمد السكان بالأقوات والأرزاق والأعمال والثروات وفيما يلى البيان (راجع النشرة الاقتصادية عن

= مصر بالفرنسية، يصدرها المعهد الأهلى للاحصاء والدراسات الاقتصادية فى فرنسا باريس - ١٩٥٠ (Memento Economique de l'Egypte–I.N.S.E.E. Paris 1950

السكان : —

السنة	عدد السكان	
١٨٠٠	٢,٤٦٠,٢٠٠	إحصاء علماء الحملة الفرنسية
١٨٢١	٢,٥٣٦,٤٠٠	« وفقا لقائمة دافعى الضراب
١٨٤٦	٤,٤٧٦,٤٤٠	« وفقا للملكية
١٨٧٣	٥,٢٥٠,٠٩٠	طبقا للاحصاء العام
١٨٨٢	٦,٨٠٤,٠٢١	« « «
١٨٩٧	٩,٧١٤,٥٢٥	« « «
١٩٠٧	١١,٢٨٧,٣٥٩	« « «
١٩١٧	١٢,٧٥٠,٩١٨	« « «
١٩٢٧	١٤,٢١٧,٨٦٤	« « «
١٩٣٧	١٥,٩٣٢,٦٩٤	« « «
١٩٤٧	١٩,٢٥٠,٠٠٠	« « «

ويبلغ عدد الزيادة السنوية فى السكان فى السنوات الأخيرة (١٩٣٧ — ١٩٤٧) نحو ٣١٠,٠٠٠ نسمة أى بنسبة نحو ١٥,٦٪ من مجموع السكان، ويبلغ عدد المواليد سنويا فى المدة الأخيرة نحو من ٦٥٠,٠٠٠ إلى ٧٨٧,٥٠٠ ويبلغ عدد الوفيات سنويا نحو من ٤٢٩,٠٠٠ إلى ٤٩٥٠٠٠ . ويبلغ معدل وفيات الأطفال فى سنة ١٩٤٢ رقما مرتفعا قدره ١٩٨ فى الآلف.

والمسلمون فى مصر نحو ٩١٪ من مجموع عدد السكان وهم سنيون ، ويبلغ عدد اليهود نحو ٦٣ ألف نسمة

الأراضى الزراعية :

تقدر مساحات الأراضى المزرعة والبور التى يمكن استصلاحها وزراعتها بنحو ٧,١٩١٠٠٠ فدانا أى ما يعادل ٣,٠٢ مليون هكتار ، وذلك طبقا لما

ـــ جاء فى كتاب « تنظيم النيل » Nile Controle للسير مردوخ ما كدونالد Murdoch Macdonald لندن ١٩٢٠ ، ويزرع حسب بيانات سنة ١٩٤٥ من هذه المساحات نحو ٥,٨٨١,٠٦٠ فدان أى ما يعادل نحو مليونين ونصف مليون هكتار يملكها عدد من الأهلين قدره ٢,٦٠٥,٩١٧ سوادهم يملك أقل من فدان ، وزادت المساحات المزروعة والمملوكة للاهلين وفق الاحصاءات من سنة ١٨٩٦ إلى سنة ١٩٤٥ من ٥,٠٠١,٠٠١ فدان إلى ٥,٨٨١,٠٦٠ فدان ، وزاد عدد صغار الملاك الذين يملكون أقل من خمسة أفدنة فى نصف قرن من ٦١١,٠٧٤ مالك إلى ٢,٤٤٦,٩٥٣ ، وحتى قيام الثورة المصرية فى يوليه سنة ١٩٥٢ كانت الثروة الزراعية العقارية مختلة التوازن تبعا لامتلاك نحو ٩٤٪ من مجموع الملاك مالا يزيد على ٣٣٪ من الأراضى الزراعية بينما الذين يملكون أكثر من ٢٠٠ من الأفدنة أى ما يعادل نحو ٨٤ هكتار يقبضون على ٢١٪ من الأراضى الزراعية ولا يمثلون إلا ٠,٨٪ من مجموع الملاك ، وكان يلاحظ أيضا أن الأوقاف الأهلية وعدد الأراضى الداخلة فيها نحو ٥٢٠,٠٠٠ فدان تمثل نحو ٩٪ من الأراضى المزروعة سيئة الادارة غير معتنى بها العناية اللازمة لاتخضع للنظم الاقتصادية الحديثة المرنة ، وقضت الثورة على هذا الاختلال والجمود بتحديد ملكية الأراضى الزراعية بحد أقصى من ٢٠٠ فدان إلى ٣٠٠ فدان وكذلك بحل الأوقاف الأهلية لاكساب الحياة الزراعية النشاط والمرونة اللازمين للمعاملات وللنهوض بالزراعة .

وراجع علاوة على النشرة الاقتصادية المشار اليها الاحصاءات الرسمية المصرية .
وجاء بخصوص ازمة تزايد عدد السكان فى مصر ووجوب مجابهة الأزمة بتحقيق مشروعات الرى الكبرى الكفيلة بزيادة الرقعة المزروعة فى كتاب « الشرق الأوسط سياسيا واقتصاديا للمعهد الملكى للشئون الدولية بلندن صفحة ١٧٠ » ما يأتى « أشار الاقتصاديون إلى ضيق الرقعة المسكونة فى مصر وكثافة سكانها وهى لا تزيد عن ١٣,٠٠٠ ميلا مربعا وتعجز عن تحمل العدد الضخم من السكان

المدنية الحديثه التى هبت على البلاد فأيقظتها من سبات القرون ، وأنعشت نباتها وكان يابساً وبثت فيه الغضارة والنضارة من جديد وزادت مساحات الأراضى المنزرعة من مليون هناك إلى ستة ملايين، وملأت صدور أبنائها بالآمال العراض من المستقبل وقد عم الاصلاح شتى نواحى الحياة العامة والخاصة وغمر نور العلم جيل المستقبل مبدداً ظلمات التعاويذ. والتمائم وشتى المعتقدات البالية ، ومما ساعد على النهضة السريعة ان مصر أقرب إلى حوض البحر الأبيض المتوسط منها إلى آسيا وقد جاءتها النجدة لوضع حد للجمود عن طريق هذا الحوض كما سبق ان انتشرت مدنية مصر القديمة وفينيقيا وديموقراطية أثينا ونظم روما وحضارة العرب وعلومهم ومعارفهم واغترفت منها أوروبا عن طريقه أيضا ، وعقلية شعبها وروحه وطابعة قريبة من سائر شعوب حوض هذا البحر مما جعلها تدرك لب المدنية الحديثة فى قدومها من الغرب عن طريق هـــذا البحر ، وهى ليست غريبة عنها وشعوبها على اختلافها فى نفس الدائرة الشمسية لهذه المدنية وشعبها فى اوقت ذاته مشبع بالروح العربية السمحاء وبطابع الاسلام وحضارته وقد تأصلت فيه جذوره ، ولا أدل على هذا ذلك من لسانه العربى ومن قيادته للرأى والثقافة بين سائر هذه الشعوب العربية

ولقد استطاعت مصر تبعا لقوة مدنيتها المادية ولسهولة العيش فى دارها ، وقد يكون العيش حياة البذخ وقد يكون تبلغا بلقمة ، ولا شك ان لقمة العيش متوفرة فى محيط هـذه المدنية المادية. استطاعت مصر أن

= فيها ، ويمكن إعداد أراض جديدة فى الوقت المناسب وذلك بتحقيق مشروعات رى واسعة النطاق واستثمار النيل هندسيا وزراعيا فى واديه وفى الدلتا على نطاق أوسع ، ويمكن أيضا إعداد أراض جديدة للسكنى غرب شاطىء الاسكندرية ،

تتغلب على الصعاب الجسام التى اعترضت قوميتها ذات الطابع العربى المندمج فى الوادى وفى البحر الأبيض المتوسط بنزوح زرافات الجاليات الاجنبية إليها، وابتلع الوادى الخصيب منذ الهكسوس فالبطالسة فالرومان فالعرب فالترك القادمين واندمجوا فيه وصاروا جزءا لا يتجزأ من تربته، اعتزوا بهذه التربة وشمسها ومياهها وخضرتها وخيراتها وشادوا صروح الوطن باعتبارهم مصريين، ونرى هذا فى أنس الوجود وبناته وفى معالم مدننا الحديثة اليوم وكلها على الطراز الغربى يقطنها أقوام من المصريين لسانهم عربى وحضارتهم إسلامية عربية غربية وتجمعهم المصرية الحقة لا العنصرية المتعصبة، وهمهم إعلاء شأن الوطن متعاونين على أساس أن كيانهم وحرياتهم وأرزاقهم فى تدعيم شخصية الوادى الذى سحرهم وامتصهم وصاروا كالنحل فيه ينتقل بين الزهور والخلية همه الجد والعمل والانتاج المستمر.

ولقد اشتهرت مصر منذ أكثر من قرن بجودة قطنها حتى أصبح عماد حياتها الاقتصادية، والقطن عملة دولية يسهل تبادله فى الاسواق الخارجية تبعا لاقبال الصناعات عليه، والمصريون على اختلاف طبقاتهم ينظرون إلى هذا الذهب الأبيض باعتباره مصدر نعمة أو نقمة وفق ارتفاع أسعاره وانخفاضها، وهذه الاسعار تتذبذب وفق حالة المحصول العالمى، إذ أن المحصول المصرى لا يزيد عر ٦ ٪ من المحصول العالمى، وتزيد وتنقص مشتريات مصر من الخارج وفق مبيعاتها من القطن فى الاسواق العالمية، وقد بلغت صادرات مصر من القطن فى سنة ١٩٣١ نحو ٢٤٫٥ مليون جنية من مجموع صادراتها وقدرها ٣٤ مليون جنيه وفى سنة ١٩٤٩ نحو ١٠٦ ملايين من الجنيهات ومجموع صادراتها نحو ١٣٦ مليونا

من الجنيهات وبلغت قيمة الواردات فى سنة ١٩٣٩ نحو ٣٤ مليونا من الجنيهات وفى سنة ١٩٤٩ نحو ١٧٨ مليونا من الجنيهات ، ومع ماتتعرض له حياة مصر الاقتصادية من تقلبات وحمى ارتفاع اسعار ومضاعفة نشاط أو ركود وكساد فلا يزال القطن وسيظل لمدة طويلة من خيرة المحاصيل الزراعية التى يمكن للبلاد الزراعية الاعتماد عليها لتبادلها مع الخارج فى سبيل حصولها على حاجاتها من الآلات والمصنوعات .

وإن الوضع الاقتصادى لمصر القائم على الاعتماد على الزراعة(١) ونظام المحصول الواحد وهو القطن له أثر كبير فى حياة السكان وهو يحتم على المسئولين لا مواصلة برنامج انتعاش الوطن فقط بل يتطلب لضمان معاش الأهلين العناية عناية قصوى بالتصدير والاكثار منه لإمكان استيراد حاجات السكان الأولية من الغذاء وخاصة القمح وآلات الرى والمواصلات والوقود لتسيير الآلات والأدوية وغيرها ، وإن ضعف حركة التصدير وكساد المحاصيل المصرية فى الأسواق الخارجية أوهبوط أسعارها يفرض على البلاد الفقر والانحدار فى هوة التأخر ، يضاف إلى ذلك الخطر الناجم عن اطراد تزايد عدد السكان الذى وصل فى قرن من الزمان من أربعة ملايين إلى نحو عشرين مليونا مع ركود مساحة

---

(١) مساحات الأراضى المزروعة فى سنة ١٨٩٦ كانت على وجه التقريب ٥,٠٠١,٠٠١ فدانا ووصلت فى سنة ١٩٤٥ إلى نحو ٥,٨٨١,٨٦٠ فدانا ، ووصل عدد السكان فى نفس المدة من نحو ٩,٨١٤,٥٢٥ نسمة فى سنة ١٨٩٧ إلى نحو ١٩,٢٥٠,٠٠٠ نسمة فى سنة ١٩٤٧ .

الأراضى المزروعة وبقاء رقمها بين خمسة أو ستة ملايين فدان(١) .

وحالة الزراعة فى مصر وتزايد عدد السكان مع ضيق المساحات المزروعة فعلا وموقف النهضة الصناعية فى البلاد وهى لا تزال فى طورها الأول محتاجة إلى مضاعفة العناية بها وانحطاط مستوى المعيشة وارتفاع نسبة الأميين فى السكان وعدم توفر العمال الفنيين اللازمين لنهضة البلاد الاقتصادية - كافة هذه العوامل تضاعف صعوبات مجابهة الأزمات الاقتصادية فى مصر وتنادى بوجوب زيادة السهر على تذليل العقبات التى تحول دون صبغ البلاد بالصبغة الاقتصادية الحديثة وترقية الزراعة والصناعة ، وهى كذلك تنشىء أزمة تعطل عن العمل جزئية فى الريف تبعاً لقلة حيلة الفلاحين وجهلهم بالوسائل الاقتصادية الحديثة مع كثافة عددهم تكدسهم فى المدن تبعاً لنزوح الفلاحين من قراهم إلى المدن الكبرى وقد أغرتهم أضواؤها البراقة وما سمعوه عن ارتفاع الأجور فيها ، غير أن درايتهم

---

(١) القطن عماد الحياة الاقتصادية ، ورواج زراعته وارتفاع كميات المحصول وأسعاره ونشاط تجارته الخارجية وحركة التصدير تلبس البلاد حلة زاهية من الرخاء وتساعد على وفاء تعهداتها وشراء حاجاتها من الآلات والوقود والمصنوعات من الخارج وعلى تنمية حياتها الاقتصادية ، ومحصول القطن المصرى يمثل نحو ٦ ٪ من المحصول العالمى وهذا ما يجعل تحديد الأسعار بالنسبة له لا يخضع للمؤثرات المحلية بقدر خضوعه للمؤثرات والأسعار العالمية غير أن محصول القطن المصرى يمتاز بجودة النوع وطول الفتلة ونعومتها مما يجعل تهافت المصانع الخارجية عليه شديد وجله يستهلك فى الخارج بينما نسبة ضئيلة تستهلكها المصانع المحلية ، وفيما يلى بعض البيانات الخاصة بالقطن المصرى . =

= تبلغ مساحات الأراضى المزروعة قطنا فى سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٧ مقدرة بالهكتار كالآتى : —

فى الأمريكتين	نحو	١٠,٠٠٠,٠٠٠
فى آسيا	نحو	٩,٠٠٠,٠٠٠
فى روسيا السوفيتية	نحو	١,٣٠٠,٠٠٠
فى افريقيا	نحو	٢,١٠٠,٠٠٠ (فى مصر منها نحو نصف مليون هكتار وارتفع الرقم فى بعض السنوات الى اكثر من ثلاثة أرباع المليون) كما انخفض إلى أقل من ٤٠٠,٠٠٠ هكتار فى بعض سنى الحرب)
والمجموع	نحو	١٤,٣٠٠,٠٠٠

وذلك طبقا لما جاء فى محاضرات الأستاذ بيير جورج Pierre George فى السربون فى الجغرافيا الاقتصادية (فرع القطن) لسنة ١٩٥٢ .

وطبقا لمحاضرات الأستاذ بيير جورج وكذلك للنشرة الاقتصادية عن مصر التى يصدرها المعهد الأهلى للاحصاء والدراسات الاقتصادية فى فرنسا والاحصاءات الرسمية يبلغ متوسط محصول القطن فى مصر بوجه التقريب مقدراً بالأطنان ما يأتى . —

فى السنوات	١٨٩٥ — ١٨٩٩	نحو	٢٦٧,٧٠٠
«	١٩٢٠ — ١٩٣٤	نحو	٣٢١,٠٠٠
«	١٩٣٨ — ١٩٣٩	نحو	٣٩١,١٠٠
«	١٩٣٩ — ١٩٤٠	نحو	٤١٢,٠٠٠
«	١٩٤١ — ١٩٤٢	نحو	١٩٠,٢٠٠
«	١٩٤٣ — ١٩٤٤	نحو	٢٠٨,٥٠٠

وكفايتهم وقوة إنتاجهم ضعيفة مما يجعلهم عالة على المدن ويضاعف أزمة التعطل عن العمل فيها(١) .

=	«	١٩٤٧ — ١٩٤٨	نحو	٣٩٢,١٠٠
	«	١٩٤٨ — ١٩٤٩	نحو	٣٦١,٠٠٠

واختلاف كميات الانتاج ترجع إلى تفاوت المساحات المنزرعة من ناحية وإلى ضعف المحصول فى بعض السنوات من ناحية أخرى وخاصة فى سنى الحرب نظراً لزراعة الأرض أنواع الحبوب اللازمة لغذاء الشعب تبعا لشلل المواصلات والتجارة الخارجية وصعوبة تصدير القطن واستيراد الحبوب :

ويذكر الأستاذ بيير جورج فى محاضراته فى الصفحة ٣٢ بخصوص القطن المصرى ما يأتى : من ناحية الكمية يبلغ إنتاج مصر ٦ ٪ من الانتاج العالمى ، وهو إنتاج ضعيف ، ومصر من الناحية العملية لا تستهلك قطنها محليا بل تصدر من ٩٠ ٪ إلى ٩٥ ٪ من المحصول ، ومن ناحية أخرى فهذا القطن كله من نوع عالى الرتبة والجودة يلائم الصناعات الدقيقة الرقيقة وصناعات الترف ويدخل ضمن المنسوجات الثمينة كالدنتيلا وأنواع الملابس الداخلية الغالية وحرائر الطائرات وأطاراتها الخ . . . وتبلغ صادرات القطن المصرى فى مجموع الصادرات المصرية نحو ٩٢ ٪ منها » .

(١) جاء فى كتاب « الشرق الأوسط سياسيا واقتصاديا للمعهد الملكى للشئون الدولية بلندن صفحة ١٧١ » بخصوص التعطل عن العمل فى مصر ما يأتى : « إن نسبة التعطل عن العمل بعد الحرب العالمية الثانية فى مصر مرتفعة فيبلغ الرقم نحو ١٠٠,٠٠٠ ويرجع هذا إلى أن الشباب من الفلاحين ينزح من القرى إلى المدن ليزيد فى رقم المتعطلين من العمال فيها وكذلك إلى إغلاق ورش الحلفاء هناك بعد الحرب وإلى أن الأسواق المفروض تصريف المصنوعات فيها محدودة ، ولم تعد المصانع المصرية تنتج المصنوعات للقوات

= المتحالفة ، وكذلك يلاحظ أن التمييز بين العمل والتعطل عنه فى مصر ليس من الدقة بمكان كما هى الحال فى بلاد بلغت شأواً بعيداً فى الصناعة ، وجل سكان المدن من المصريين لهم أصول وجذور فى الريف والقرى ، وإذا فقدوا أعمالهم فى المدن فانهم يعودون إلى الريف ليعيشوا على أعمال يومية بسيطة ليتبلغوا بلقمة وتصبح حياتهم من اليد الى الفم hand to mouth existeuce

ويرتبط نجاح الصناعة برواج الزراعة وارتفاع المعيشة حتى يمكن السكان الاقبال على الصناعات المصرية ، ثم برواج هذه الصناعات يطرد ارتفاع مستوى المعيشة ويمكن التوسع فى الاصلاحات والقضاء على الافات التى تفت فى عضد البلاد وفى مقدمتها الأمية والأمراض المتوطنة والفاقة الضاربة أطنابها فى الريف ، وجاء فى كتاب « الشرق الأوسط سياسياً واقتصاديا للمعهد الملكى للشئون الدولية بلندن صفحة ١٨٤ » بخصوص الصعوبات التى تجابهها الصناعة فى مصر ما يأتى :

« ان الصعوبات الرئيسية التى تواجه انتشار الصناعات فى مصر الافتقار إلى رؤوس الأموال والأيدى العاملة المدربة ومصادر القوى المحركة مع ملاحظة أن الأسواق الداخلية للصناعات محدودة ، وربما يلوح ان الافتقار إلى رؤوس الأموال موضع دهشة نظراً لاتساع نطاق الأموال الأجنبية الموظفة فى مصر ، غير أن هذه الأموال وظفت فى الغالب فى مشروعات زراعية وبقلة فى الصناعة ، والقسط الأكبر منها وظف فى شركات لاستثمار الأراضى ولتمويل القطن أو فى الدين العام ، وان صاحب رأس المال الأجنبى لم يك بحال راغبا فى وضع أمواله فى الصناعات لأسباب عدة منها تعرضها للاخطار فى حالة توظيف المال فى الصناعة فى بلاد زراعية محضة عدد الطبقة الأمية من السكان مرتفع للغاية فضلا عن افتقارها إلى العمال المدربين وضيق نطاق أسواقها الداخلية ولأسباب أخرى أيضا منها سرعة تحقيق الربح المرتفع من توظيف المال فى الأبواب الأخرى المذكورة ، كما يحدد حاجة الرأسمالية المصرية إلى الأموال انصراف الشعب برمته إلى الأرض وثمراتها ، وإن كافة أنواع الإدخار التى لم تك تخفى فى طبقات الارض

ونظام مصر السياسى فى علاقاتها مع الخارج اليوم يخضع إلى :

١ — معاهدة لوزان التى أبرمت بين الجمهورية التركية بعد تحررها سنة ١٩١٣ لتمزيق معاهدة سيفر والحلفاء ، وفيها تتنازل الجمهورية عن حقوق سيادتها كوريثة للدولة العثمانية على مصر والسودان وقد أعقب المعاهدة تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الذى أعلنت انجلترا فيه استقلال مصر واعتبارها دولة دستورية ، وبذا اعترفت بأن إعلانها الحماية على مصر وتوكيدها هذه الحماية فى معاهدة فرسايل لا تتفق وحق الشعب

= العميقة كانت توجه لشراء أراض زراعية ، وهذا الجوع الشديد الى الأرض أدى الى ارتفاع شديد فى أثمان الأراضى وابتلع قناطير مقنطرة من رؤوس الأموال كانت البلاد فى حاجة اليها فى وجوه أخرى « وكان يمكن توظيفها اقتصاديا فى نواح أخرى أكثر فائدة للبلاد ولرأس المال » .

وواصل المعهد المشار اليه شرح صعوبات الصناعة فى مصر وخاصة فيما يختص بوسائل الإنتاج وتصريف منتجات الصناعة فقال فى الصفحتين ١٨٤ ، ١٨٥ ما يأتى « ان توفير العمال المدربين تحقق بزيادة عددهم أثناء الحرب ، وفى سنة ١٩٤٤ كان عدد العمال نحو ٥٠٠,٠٠٠ يشتغلون مباشرة لحاجات القوات البريطانية فى مصر ودرايتهم الفنية عالية وهناك عدد آخر يفوق هذا العدد يعمل بصفة غير مباشرة لمصلحة هذه القوات ، والواقع أنه اتضح أن الافتقار إلى اليد العاملة المدربة أمكن تذليله ، غير أن ضيق نطاق الأسواق الداخلية فى البلاد صعوبة جديدة وعقبة تقف فى وجه انتشار الصناعات . ويرجع هذا إلى فاقة الريف نتيجة ماخلفته قرون عديدة من عجز ، وهكذا نرى الاقتصاد المصرى فى حيرة داخل دائرة ضيقة فاسدة ، فالتصنيع ضرورى للقضاء على فاقة الريف وأزمة تزايد عدد السكان ، غير أن فاقة الريف فى ذاتها إحدى الصعوبات الأساسية ، التى تقف فى طريق التصنيع » .

المصرى فى تقرير مصيره ، وقواعد القانون الدولى والمواثيق القائمة ، وذهب هذا الاعتراف إلى التسليم ضمناً بعدم مشروعية احتلال الجيوش البريطانية مصر فى سنة ١٨٨٢ ، وصارت مصر دولة مستقلة ذات سيادة كما جاء فى التصريح ، وما موقف جيوش بريطانيا المغتصبة فى الوادى منذ هبوطها عنوة فى أرضه بغير رغبة الأهلين ؟ ، وتأيد هذا الموقف الشاذ وحالة الاغتصاب بتنازل تركيا عن حق سيادتها على مصر والسودان ورد الحقوق إلى أربابها ، كما ثبت استقلال مصر فى وثيقة دولية هى معاهدة لوزان بانتهاء حقوق السيادة لتركيا على الوادى .

٢ — التحالف الانكليزى المصرى الذى أبرم سنة ١٩٣٦ ، وقد حلت بواسطته بعض المشكلات التى ظلت معلقة بعد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، وأهمها اعتراف انجلترا الصريح باستقلال مصر وبوجوب الجلاء عن البلاد ، وتحددت إقامة جيوشها وعددها محدود على ضفاف القنال فى منطقة معينة ، غير أن المعاهدة اليوم لم تعد تطابق روح العصر فهى محالفة أبدية مما يضفى عليها طابع الاجبار واملاء شروط القوى على الضعيف ، إذ أن النص على تعديلها بعد مرور عشرين سنة من ابرامها لا يتناول صلب التحالف ولبه ، وهذا التحالف الأبدى وهو شبه حماية لا يقره ميثاق الأمم المتحدة والعرف الدولى القائم اليوم الذى يحتم بالا تحتل دولة قسرا رغم ارادة مواطنيها ، فضلا عن خطر بقاء جيش الاحتلال على ضفة القنال على حرية الدولة وسياستها العامة واستقلالها ، مما حدا بالحكومة إلى اعلان الغاء المعاهدة وإلى موافقة البرلمان على هذا الالغاء فى اكتوبر سنة ١٩٥١ وقد فشلت المفاوضات بين البلدين لتعديل الشروط المجحفة باستقلال مصر فى المعاهدة وعقد اتفاق الند للند بين البلدين .

وجاءت اسرائيل تزيد فى التبعات الثقيلة الملقاة على شعب مصر ، ولكن مصر الناهضة الفتية تجابه هذه المتاعب بقوة وحزم ، وليست هذه المتاعب ناشئة عن حرب فلسطين وهدنتها التى عقدت فى فبراير سنة ١٩٤٩ ، بل هى ناجمة عن متاخمة اسرائيل لسينا بصحراء النجف والشقة الحرام التى تخترقها الكتائب الصهيونية وتتوغل فى الأراضى المجاورة من آن لآخر لمجرد التحرش والعدوان ، وعن تأييد الرأسمالية الصهيونية والدبلوماسية الدولية الاستعمارية لهذه الدويلة التى لا تزال تعطى كميات كبيرة من الأوكسجين الصناعى لتنفسها وللابقاء عليها دون جدوى ، وعن ترك مشكلة اللاجئين العرب الذين يقربون من المليون بلا علاج يعيشون عالة على بلاد تكتظ بالسكان بما فيها مصر ، وتضطر إلى مدهم بالقوت والمال وإلى مساعدتهم عاجلا حتى لا يقضون جوعا .

٣ — معاهدة مونترو ، وقد أيدت هذه المعاهدة التى أبرمت سنة ١٩٣٧ استقلال مصر القانونى وسيادتها التشريعية على أراضيها بلا تمييز بسبب الجنسية ، وألغت الامتيازات الأجنبية ، وصار للمشترع مطلق الحرية فى فرض الضرائب بلا اعتبار للإعفاءات التى استمدت أصلا من اتفاق الخليفة العثمانى سليمان القانونى مع ملك فرنسا فرنسوا الأول ، وما جاء بعده من اتفاقات ، وهذه المعاهدة الهامة فى تقرير سلطان الدولة على أراضيها بلا منازع ما كان يمكن عملا عقدها إلا بعد إبرام معاهدة التحالف المصرية الانكليزية التى وقعت فى لندن سنة ١٩٣٦ .

* * *

السودان

يعد هذا الاقليم الضخم متمما للجذع المصرى أو قل أن كلا من البلدين رئة تنفس للآخر يجرى عليه ما يجرى على شقيقه من مسئوليات ومصائر سياسية بحكم الاخوة واتحاد المصالح . وتبلغ مســـاحة السودان نحو ٩٦٧ر٥٠٠ ميلا مربعا أى أنه يعادل مرتين ونصف مساحة مصر ، وعدد سكانه غير معروف بالضبط ، ولـكن يمكن تقديره بنحو من ستة ملايين إلى سبعة ملايين ونصف مليون نسمة (١) ، وينقسم جغرافيا إلى أقاليم ثلاثة : الشمال وهو صحراوى وأهله أقرب إلى العرب ويمتد إلى الخرطوم والوسط وهو مكون من مرتفعات وهضاب ، ويعيش أهله على المراعى والجنوب وهو مكون من أحراش ومستنقعات وسكانه زنوج وثنيون غالبيتهم زراع ويعيشون حياة الفطرة الأولى (٢) ، والسكان بوجه عام

---

(١) هذا الاحصاء وفق بيان حـكومة السـودان فى دليلها لسنة ١٩٤٨ ، والرقم المذكور فى هذا الدليل عن السكان هو بالضبط ٧ر٥٤٧ر٥٠٠ نسمة

(٢) جاء بخصوص اقتصاديات السودان عموما فى كتاب « الشرق الأوسط سياسيا واقتصاديا للمعهد الملـكى للشئون الدولية بلندن صفحة ٣٧٣ » ما يأتى : « ان التقدم الاقتصادى للسودان منذ سـنة ١٨٩٩ يميل نحو حجب الحقيقة الأساسية وهى أن السودان بلد فقير بوجه عام ، وفيما عدا مايحويه هذا القطر من كميات ضئيلة من الذهب فهو لا يحوى أية معادن أخرى ، كما أن استعداده الصناعى محدود للغاية ، والسودان كمنتج للمواد الخام والقطن المصرى الطويل الفتلة والصمغ والزيوت النباتية هو يساهم بنسبة ضئيلة فى مد العالم بحاجته من الخامات ، وقوته الشرائيـة ضعيفة ، وهنـاك مساحات من الأراضى صحراوية ومستنقعات يصعب الانتقال من مكان إلى آخر فيها ، وسواد السكان يشتغلون

هناك يمتون بالصلاة الوثيقة إلى المصريين منذ الأسرات الأولى لقدماء المصريين فى العادات واللغة والدين وكذلك فى الدم والسحن كما تدل على ذلك الحفريات هناك قرب أم درمان وغيرها ، وفيما عدا الجنوب البدائى فالسودان مصرى بتكوينه وطبعه .

أما خطوات نظامه السياسى فهى كما يأتى : —

١ — اتفاق سنة ١٨٩٩ بين مصر وانكلترا ويقوم على الحكم الثنائى .

= فى الزراعة وجلهم رحل ينتقلون باستمرار من بقعة إلى أخرى وأساس حياتهم الاشتغال بالرعى وتربية الماشية ومستوى معيشتهم غاية فى الانخفاض ، وفيما عدا بعض المناطق العامرة بالمشروعات الحديثة فلا تزال الحياة الاقتصادية على الفطرة ، وفى كثير من الجهات تهطل الأمطار بغير انتظام وقد تستمر سنوات الرخاء كما قد تعقبها سنوات شح ومجاعات ، والقطر فى ظل النظم الفنية الحديثة يمكنه أن يفى بحاجاته الغذائية من تصدير جزء منها فى سنوات الرخاء »

وجاء فى بيان المعهد المشار اليه بخصوص تجارة هذا القطر ومستوى معيشة السكان صفحة ٧٤ ما يلى : « ان بنـــاء القطر الاقتصادى يقوم على أساس تصدير القطن والصمغ العربى والمنتجات الحيوانية وسائر منتجات الأرض ، وعلى هذا الأساس يتمتع الأهلون بوجه عام بمستوى معيشة بلا شك أفضل أفضل من آبائهم وأجدادهم وهو أحسن بمقارنته بمستوى معيشة الفلاح المصرى والسورى ، وقدرتهم الشرائية تتضح فى مستوردات البضائع القطنية والسكر والشاى والبن والمصنوعات المعدنية . غير أن حاجات الأقلية المتنورة المطردة الزيادة وتتناول مواد الترف ومنتجات أوربا لا يمكن تحقيقها بسهولة ، وإن المستوى الاقتصادى للقطر هو فى درجة مستوى الجماعة التى تعيش على الفطرة ، ولم يبلغ بعد حتى مستوى البلدان الاقطاعية والرأسمالية للشرق الأوسط حيث هناك بناء للثروة مطرد النشاط يقوم على استغلال الطبقات الفقيرة للفلاحين »

هناك واشتراك كل من البلدين فى ادارة شئون القطر الشقيق مع تعيين حاكم عام انكليزى على السودان بمرسوم مصرى ، وهذا الحكم الثنائى نتيجة اعادة فتح السودان بالجيش المصرى والأموال المصرية بعد ثورة المهدى واجبار الانكليز الذين احتلوا مصر الخديوى على اصدار أمره باخلاء السودان من جند مصر ، واشترك مع الجيش المصرى فى اعادة فتح السودان نفر من الضباط الانكليز فرضوا بواسطة الاحتلال الانكليزى لتنال انكلترا من النصر نصيب الأسد كعادتها فى سياستها الاستعمارية ، وهذا الاتفاق الثنائى فصمته مصر فى اعلانها إلغاء معاهدة التحالف البريطانية المصرية سنة ١٩٥١ .

٢ — أجبر الانكليز مصر على ترك الحكم الثنائى من الناحية العملية باجلاء الجيش المصرى عن السودان سنة ١٩٢٤ عقب مقتل السردار حتى ينفردوا بالسودان ويقيموا دعائم نظمه الادارية والاجتماعية وفق خططهم الاستعمارية ، وظلت انكلترا تستأثر بحكم السودان وحدها وتبث أسوأ الدعايات ضد مصر أكثر من ربع قرن ، غير أن الوحدة الطبيعية بين البلدين لم تنفصم عراها بحال بل زادت ارتباطا تبعا لمظالم الانكليز هناك وانتهى الحال باتفاق مصر وانكلترا فى يناير سنة ٩٥٣ على ترك السودان لأهله يقررون مصيره وتحريره نهائياً من ربقة الاستعمار الانكليزى ، وانتهى نظام الحكم الثنائى لينشأ السودان نشأة قومية فى ظل وحدة النيل وهذه الوحدة الجغرافية السياسية تربطه حتما سياسياً واقتصادياً بشمال الوادى .

٭٭٭

العراق

تكون هذه البلاد مثلثا يبدأ من الخليج الفارسى وينتهى عند آخر حدود سوريا فى الشمال والهضبة العربية ، ورأس هـذا المثلث دلتا النهرين وقاعدته شمالا ، وتحددت تخوم هذه المملكة الفتية جنوبا بينها وبين ملك العرب فى أواخر سنة ١٩٢٢ وشمالا بينها وبين تركيا سنة ١٩٢٦ ، وتركت لها الأخيرة منطقة الموصل التى كانت تطالب بها ، وفيما يختص بحدودها الغربية الصحراوية التى تفصلها عن سوريا فهى حدود وهمية نظرية ، ونظمتها اتفاقاتها مع فرنسا صاحبة الانتداب على سوريا فى ذلك الحين بين سنة ١٩٢٠ و سنة ١٩٢٣ ، وتبلغ مساحة العراق نحو نصف مليون كيلو مترا مربعا ويقطنها نحو خمسة ملايين من السكان ، وهم خليط من الكرد والترك والعرب والبدو والحضر ، وبينهم عدد كبير من الشيعيين ، وكان عدد اليهود فيها يربو على المائة ألف ، والنصارى هناك يضارعون العدد المذكور ، وسكان المدن غالبيتهم من الموظفين العرب أما الترك والأكراد فيسكنون فى الشمال والشمال الغربى وخاصة فى الجبال (١) .

وتنقسم البلاد جغرافيا إلى ثلاث مناطق فهناك منطقة العراق الشمالية وتقع فى الشمال الشرقى وهى جبلية ويصل ارتفاعها إلى ٣٫٥٠٠ مترا ،

---

(١) أنظر « الشرق الأوسط سياسيا واقتصاديا » نشرة المعهد الملكى للشئون الدولية جزء واحد لندن سنة ١٩٥١ ، صفحتى ٢٦٨ ، ٢٧٠

«The Middle East, a Political and Economic Survey» by the Royal Institute of International Affairs » 1 vol, London 1951 page 268—270.

وبين سلسلة الجبال وديان خصبة وفيها المدن القديمة لحضارة الاشوريين وفيها مدينة الموصل التاريخية ، وفى غرب هذه المنطقة هضبة صحراوية يخترقها نهران وغالبية سكانها بدو ، والمنطقة الثالثة وهى منطقة العراق الأسفل حيث قامت فيها الحضارات القديمة لبابل حيث مات فيها الأسكندر الأكبر ، وبها دلتا مليئة بالمستنقعات وفيها بغداد العاصمة وتمتد إلى البصرة وشط العرب فالخليج الفارسى ، ويتباين مناخ هذه المناطق فمن برودة قارصة إلى حرارة شديدة مع جفاف فرطوبة خانقة فى الجنوب .

واقتصاديات هذه البلاد لا تزال فى طور الطفولة ، وهى قائمة على الزراعة التى يشتغل بها سواد الشعب . وهناك أيضا عدد لا يستهان به يعيش على المراعى ، وكانت قد نشأت هذه البلاد لأغراض سياسية من شأنها تحقيق الأطماع البريطانية وهدفها فى السيطرة على منابع البترول فى كيركوك ، ولبترول العراق أهمية كبرى لانكلترا وغيرها من الأمبراطوريات الاستعمارية ، وبلغ مورد الميزانية فى سنة ١٩٥٦ من أتاوة البترول ٢٫٢٢٥٫٠٠٠ دينار تصرف فى المشروعات الإنتاجية ، ويخرج الذهب الأسود غزيرا من الأرض هناك ، وتتقاضى الدولة أتاوة نظير امتياز البترول ، وبالعراق كذلك ما يزيد على خمسة عشرة مليونا من شجيرات النخيل تفى بنحو ٨٠٪ من الصادرات العالمية للبلح ، وميناء العراق البصرة التى تذكرنا بقصة السندباد البحرى ، وهى قصبة التنفس الوحيدة للعراق وتجمع بين الميناء النهرى والبحرى (١) .

---

(١) توزيع السكان فى العرق كما جاء فى كتاب « الشرق الأوسط سياسيا واقتصاديا للمعهد الملكى للشئون الدولية بلندن »

وفق الآتى : —

ولبغداد عاصمة هذه البلاد العريقة لوعة فى النفس وحنين اليها ، فهى موطن مجد العباسيين وهى مدينة الرشيد والمأمون ومسرح نوادر أبى نواس واسحق النديم وبيت كيد النساء فى قصص ألف ليلة وليلة ثم ساحة نكبة البرامكة ، ولم يبق الظلم والغزو المغولى والتدمير من هذا المجد التليد شيئا، ويصف هذه المدينة التى بهرت العالم فى عصر شرلمان يوم تبادل مع الرشيد البعثات والهدايا كاتب وصحفى فرنسى زارها حديثا فيقول « إننى أحس بسرور هو شعورى بهبوطى إلى مدينة بغداد وما يحدثه هذا الاسم فى النفس من نشوة دائما ، ولكن ماذا بقى من مدينة الخلفاء؟ كيف يمكننا أن نثير عظمتها الغابرة وسط هذا الفقر المدقع والذى لا يمحوه تدفق بترول الشمال ولا يخفف من وطأته ، لقد كانت قنطرة العبور إلى الاندلس بما ترجم وحفظ فيها من كتب الأقدمين إلى العربية مثال ذلك أفلاطون وارسطو واولسيد وجاليان ، ولكن بغداد منافسة بيزانطه لم يبق منها مثلها

= إحصاءات سنة ١٩٤٣

المسلمون السنيون	عددهم	٢,٠٠٠,٠٠٠	نسمة
« الشيعيون	«	٢,٠٠٠,٠٠٠	«
الشبك	«	١٢,٠٠٠	«
المسيحيون الأشوريون	«	٣٠,٠٠٠	«
« الآخرون	«	٦٠,٠٠٠	«
اليهود	«	١٠٠,٠٠٠	«
اليزيديون	«	٣٠,٠٠٠	«
السابيون	«	٣,٠٠٠	«

هناك أيضا بهائيون ومسلمون ينتمون إلى شيع أخرى وعددهم قليل

مثل هذه شيء يدل على عظمتها الغابرة ، ولم تعد تحكم على شيء تجتذب بواسطته الشعراء والفلاسفة والعلماء ، ولم يبق أى أثر لمدرستها المسماة دار الحكمة ، لقد أتت غزوات المغول فى القرن الثالث عشر على هذه المدينة التجارية الزاهرة ، وفى مدى سبعة قرون من الحروب والاضطرابات والاحتلال التركى لم يبق من المدينه العربية [أ]بما شاده فيها من عظمة خلفاء بنى العباس أى أثر (١) ».

والفلاح العراقى ومفروض أنه عصب الحياة الاقتصادية يباشر زراعته وفق أساليب غاية فى التأخر ، وما يحققه من ربح أوأجر لايسد الرمق(٢)

---

(١) أنظر « مجلة باريس الشهرية » عدد يونيه سنة ١٩٥١ بعنوان العراق وإيران لاجينس شابرييه ، من صفحة ٥٢ الى صفحة ٧٠

«Revue de Paris» article Intitulé Irak et Iran pa Agnés Chabrier Juin 1951 page 52a 70

(٢) يتبع فلاح العراق الطرق البدائية فى الزراعة ووسائله اليوم هى نفس الوسائل التى كانت تتبع هناك منذ عشرات القرون ، والمحرات يحفر الأرض دون أن يقلبها ، والمساحات المنزرعة ضئيلة فى جنب المساحات الواسعة القابلة للزراعة وإنتاج الأرض ضعيف وطرق الرى متأخرة والملكية الزراعية وفق ما كان يتبع فى العصور الوسطى ، فنظام الاقطاع هو السائد هناك مما يجعل الفلاح وهو فى حالة شبيهة بالرق لا يصرف جهده فى إنماء إنتاج الأرض والعناية المستمرة بها ، وجاء فى كتاب « الشرق الأوسط سياسيا واقتصاديا للمعهد الملكى للشئون الدولية بلندن - صفحة ٢٥٥ » ما يأتى بخصوص الزراعة هناك « رغم ان ثروة البلاد وحياتها قوامها الزراعة ، فالمساحة المنزرعة ضئيلة إذا قيست بالمساحات القابلة للزراعة فيقدر البعض أن المساحة المزروعة فعلا بنحو ٥,٧ مليون اكر Acres وذلك من مساحة قدرها نحو ٣٠ مليون اكر قابلة للزراعة إذا استصلحت » وجاء فى نفس الكتاب صفحة ٢٥٨ « كل وسيلة من وسائل الإنتاج الزراعى هناك متأخرة إلى غاية حدود التأخر بما فى ذلك المحرات ولم =

ولا ترجع حالة التأخر وانحطاط المعيشة إلى اكتظاظ البلاد بالأهلين فالبلاد تحتمل تضاعف عدد السكان ، ومشكلتها تختلف عن مشكلات الأقطار التى تئن من التزاحم على الرزق تبعاً لتزايد عدد السكان المطرد كمصر ، بل مشكلة المشاكل هى سوء تنظيم وسائل الرى بخلاف دقة هذه الوسائل فى مصر مما لايساعد على نهضة البلاد الاقتصادية هناك ، ومما يلفت النظر إن بابل قديماً كانت تعتمد فى حياة الدولة على انتظام طرق الرى والصرف ، وكان ملوكها فى القرن الثامن عشر قبل المسيح يحثون حكام الأقاليم على العناية عناية قصوى بالقنوات والسدود ، ولا ننسى أيضاً اهتمام العباسيين بتحسين وسائل الرى والصرف باستمرار وبادخال

= يدخل عليها أن تغيير من آلاف السنين ومن سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٣٠ استوردت العراق بنحو ٢٥٠,٠٠٠ جنيها استرلينيا آلات زراعية ، غير أن الكساد الاقتصادى والأزمات وصعوبات الصيانة أنزلت عدد المحاريث الآلية إلى ١٤٢ فى طول البلاد وعرضها . » وجاء بخصوص الملكية الزراعية , صفحة ٢٦٠ « ان نسبه صغار الملاك هناك غاية فى الضآلة ، فالأرض بوجه عام يملكها ثراة سكان المدن وكبار المشايخ ورؤساء العشائر ، وعلى ذلك نرى الزراعة فى أيدى طبقة معينة تشترك مع الفلاح فى المحصول على أساس المزارعة ، ولا يحكم الزراع على الضمانات اللازمة فى هذا الصدد، فالمحصول يوزع فى النهاية فى صالح المالك » ، وواصل الكتاب البيان فقال « والزراعة لاتزال تتبع الوسائل البدائية فيما يختص بأدواتها وطرق الإنتاج ويرجع ذلك إلى حد ما إلى جهل الفلاح وعلى الأكثر إلى عدم اهتمام الفلاح بالأرض وتحسين الانتاج ورفع مستواه وإصلاح الأرض ، إذ يعيش فى ظل نظام يجنى المالك وحده مزايا كل تحسين يدخل على الأرض » ، واستمر فى بيانه فقال أيضا « وإن إنشاء مزارع واسعة تتبع الوسائل الآلية الحديثة فى الانتاج معدوم ، وذلك لعدم وجود طبقة من المزارعين وعمال الزراعة يشتغلون نظير دفع أجور نقدية لهم » .

كل مستحدث من شأنه أن يزيد طاقة الانتاج الزراعى عليها ، ولقد دمر المغول كل هذا ولم يعمل الأتراك شيئاً فى سبيل نهضة البلاد الاقتصادية فأقفرت من أهلها وزرعها . (١)

ويزيد فى تعقد الأزمات الاقتصـادية هناك وفى ضعف الانتاج الصعوبات التى تواجهها الحكومة فى مباشرتها الحكم وقيادة دفة البلاد والتنابذ والتنافر بين العشائر والطوائف وبين السنة وهى التى تدير شئون السياسة والشيعة وعددها لايستهان به وخاصة فى النجف وكربلاء .

والعراق من ناحية موارده المعدنية وتوفر المياه فى داره واستعداد تربته قابل للنهوض السريع والاصـلاح ، ويمكنه فى بحر سنوات معدودات ان يضاعف انتاجه وان يأوى المهاجرين من الأقطار الشقيقة التى تكتظ بسكانها وإن يمثل قوة لايستهان بها فى الشرق الأوسط ، وهذا الاصلاح الممكن تحقيقه يتطلب الخطط الحكيمة والجهد والمثابرة ومعاونة هذا القطر الناهض برؤوس الأموال التى يمكن استثمارها فى انتشال البلاد من وهدة التأخر ، ويتطلب الأمر البدء بالنهوض بالزراعة نهوضاً جدياً ثم إنشاء الصناعات التى من شأنها معاونة الزراعة على النشاط ورفع مستوى المعيشة . (٢)

---

(١) أنظر « آسيا » لبيير جورو ، جزء واحد ، باريس ١٩٥٣ ، صفحة ٤٨٤

« Asie » par Pierre Gourou, 1 vol, Paris 1953 page 484

(٢) الصناعات فى العراق تكاد تكون معدومة والبلاد تفتقر إلى الفنيين الماهرين الذين يمكنهم مباشرة هذه الصناعات ، كما لاتحكم على رؤوس الأموال اللازمة والمساعدات الخارجية الضروريه لتصنيع البلاد ، وجاء فى كتاب « الشرق الأوسط سياسيا واقتصاديا للمعهد الملكى للشئون الخارجية بلندن » ، =

ووضعها السياسى يقوم على الأسس الآتية : —

١ — اعتلى عرش العراق الملك فيصل فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢١ وكان أمامه حمل ثقيل هو مجابهة عشائر العراق المتناقضة لتحويلها إلى شعب واحد يعيش فى كنف وطن موحد ، ليعمل جاهداً فى بناء الدولة ورفع مستوى المواطن المادى والمعنوى ، وكانت الرقابة البريطانية على الحكومة مع احتلال البلاد باسم الانتداب البريطانى على العراق تجعل من العراق قطراً داخلا فى كنف الامبراطورية البريطانية ، غير أنها أزاء مجابهة حركات الوعى القومى ومناهضة الاحتلال فضلت ان تعقد مع العراق معاهدة فى ١٠ اكتوبر سنة ١٩٢٢ ، وبموجبها وطدت رقابتها على البلاد بالاحتلال وبتدريب الجيش العراقى والاشراف عليه ومد الحكومة بالخبراء الانكليز وحماية مصالح الأجانب وبالاشراف كذلك على الشئون المالية والخارجية ، على ان تتعهد بريطانيا بألا تضم العراق إلى امبراطوريتها وان يظل الباب مفتوحاً للمباحثات السياسية فيما بعد لصالح العراق ، وكانت المعاهدة لعشرين سنة خفضت إلى أربع سنوات ببروتوكول سنة ١٩٢٣ ، غير ان الوضع القانونى للانتداب على العراق لم يتغير فظل القطر خاضعا

= صفحة ٢٦٣ » ما يأتى بخصوص الصناعة : « ان إنشاء مصانع حديثة فى العراق يرجع إلى تاريخ قريب جداً ، وصدرت تشريعات هامة لبناء صرح هذه الصناعات فى سنة ١٩٢٩ وخاصة لتشجيعها بالحماية الجمركية عن طريق إعفاء الآلات والمواد الاولية اللازمة لها من الجمارك كما أنها أخرجت من قائمة الضريبة على الملكية أو الدخل » وجاء فيه بخصوص العمل والعمال « ان الطبقة العاملة فى ميدان الصناعة لا تزال محدودة العدد ، غير أن العدد آخذ يزداد أثناء الحرب نتيجة اشتغال العديد من العمال فى الورش البريطانية أثناء الحرب » .

للانتداب بحكم المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم ، وعلى بريطانيا ان تقدم حسابا بذلك إلى العصبة .

٢ - تعدلت رقابة بريطانيا على العراق ومعاهداتها مع هذه المملكة فى ظروف عدة ، تبعاً لاشتداد الحركة الوطنيـــة هناك وعزم الشعب الأكيد على التخلص من نير الحكم البريطانى عن طريق الانتداب والوصاية التى تفرضها معاهدات التحالف ، وأمضت معاهدة فى ٣٠ يونيه سنة ١٩٣٠ وهى تنص على تحالف بين البلدين لخمسة وعشرين سنة، وتتعهد فيها بريطانيا بمساعدة العراق فى دخول عصبة الأمم وتعترف بالاستقلال التام للعراق مع انهاء الانتداب ومسئولياته بمجرد ان تصبح عضواً فى العصبة ، وقد دخلت العصبه فى اكتوبر سنة ١٩٣٢ واعترفت هذه باستقلال العراق ، وتتعهد البلدان فى المعاهدة بأن يسلكا سبيلا واحداً فى السياسة الخارجية لصالحهما المشترك ، ومنحت المعاهدة طائفة من الامتيازات والتسهيلات لقوات بريطانيا المحتلة ، كما تعهدت هذه بالدفاع عن العراق فى حالة الحرب وبتدريب الجيش العراقى وإعداده اعداداً حديثاً ، وتبادلت العراق مع الخارج بما فى ذلك بريطانيا التمثيل السياسى فى أوسع نطاق وصار ممثل بريطانيا فى بغداد وممثل العراق فى لندن فى مرتبة سفير ، وهذه المحالفة لها أهميتها القصوى فى انها الخطوة الأولى للسير فى طريق مماثلة تجاه مصر وسوريا ولبنان ، فقد عقدت بريطانيا مع مصر كما سبق ان بينا معاهدة التحالف فى سنة ١٩٢٦ ، وكذلك عقدت فرنسا مع كل من سوريا ولبنان فى نفس السنة اتفاقات مماثلة لم يصدق عليها البرلمان الفرنسى .

٣ - أبرمت بريطانيا مع العراق أخيراً فى يناير سنة ١٩٤٨ معاهدة أطلق عليها معاهدة برتسموت Portsmouth لتحل مكان معاهدة التحالف

السالفة الذكر ، وهذه المعاهدة تحالف لعشرين سنة ، وهى كسائر المعاهدات التى تعقدها بريطانيا عادة مع شعوب الشرق الأوسط اتفاق الذئب والحمل، ويحل بموجب هذه المعاهدة التحالف محل احتلال البلاد على ان يعود الجيش البريطانى إلى العراق إذا لزم الحال للدفاع عن البلاد فى بعض الحالات ، وترسم المحالفة قواعد معينة خاصة بتنظيم الجيش وتدريبه هناك وفق أسس مشتركة فى دائرة الدفاع عن الامبراطورية، غير ان البرلمان العراقى رفض التصديق على المعاهدة المذكورة ، وصار الموقف كما كان قبل المعاهدة التى تحاول بريطانيا ان تسق من كأسها المعسولة المسمومة سائر شعوب الشرق الأوسط على وتيرة مشروع معاهدة صدقى — بيفن فى مصر ، والعراق لم يعقد بعد اتفاقا مستقراً مع انجلترا ، كما ان محالفة سنة ١٩٣٠ لم تعد تتمشى والروح الدولية الحديثة وتطور الحركة القومية فى العراق واشتداد الوعى الوطنى هناك ، وبريطانيا تحاول ان تسير شئون العراق الخارجية وان تفرض نفوذها هناك وفق روح معاهدة بورتسموت الذى لم يمكن تنفيذها قانوناً برفض البرلمان العراقى التصديق عليها . (١)

* * *

---

(١) أنظر « الشرق الاوسط فى الشئون الدولية » لجورج لينكزوفسكى، جزء واحد . نيويورك ١٩٥٣ , من صفحة ٢١٨ إلى ٢٣٠

«The Middle East In world Affairs» by George Lenczowski 1 vol, NewYork 1953 page 218 — 230

وكذلك « المشكلات الحالية فى الشرق الأوسط » لجورج بيكو ، جزءان ، باريس (محاضرات معهد العلوم السياسية) سنة ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ، الجزء الاول من صفحة ١٦ إلى ٢٠

«Problèmes D'Actualité du Moyen Orient» par G. Piquot, 2 vols, Paris 1948 - 1949, Tome 1 page 16 à 20

فلسطين

هى من أصغر بلدان الشرق الأوسط . وكانت جزءاً من الشام أيام حكم العثمانيين ، وتنقسم جغرافياً إلى ست مناطق ليس فيها إلا منطقتين خصيبتين ، وفى طرفها الجنوب صحراء النجف ، وهى من أهم المناطق السياسية اليوم تبعا لما تسببه من متاعب لمتاخمتها لمصر واسرائيل. وفى قلب هذه البلاد بيت المقدس حيث جامع عمر وتراث المسيحيين وكنيسه القيامة ومبكى اليهود،وفيها أيضاً البحر الميت بما يحويه من ذكريات تاريخية مقدسة مجيدة وبما يشتمل عليه من إملاح ومعادن . وعدد سكان فلسطين فى ازدياد مطرد ارتفع من ٨٥٢ر٠٠٠ فى سنة ١٩٢٢ إلى ١ر٩١٢ر٠٠٠ فى سنة ١٩٤٦ . ولم يك يهودها يزيدون فى أوائل قرننا الحالى عن ٤٠ر٠٠ نسمة . وازدياد السكان فى هذه البلاد وتدفق اليهود عليها وقيام دولة اسرائيل فى صميم هيكلها عقدة مشكلة فلسطين . (١)

---

(١) كان مجموع عدد سكان فلسطين برمتها حتى ٣١ ماس سنة ١٩٤٧ وفق بيانات كتاب « الشرق الاوسط سياسيا واقتصاديا للمعهد الملكى للشئون الدولية بلندن صفحة ٢٧٥ » وقد استقى المعهد بياناته من الاحصاءات التى كانت تنشرها حكومة فلسطين شهريا (يناير – فبراير سنة ١٩٤٨) ما يأتى ،

زيادة عدد السكان فى فلسطين من سنة ١٩٢٢

السنة	المسلمون	اليهود	المسيحيون	بقية الملل	المجموع
١٩٢٢	٤٨٦,١٧٧	٨٣,٧٩٠	٧١,٤٦٤	٧,٦١٧	٦٤٩,٠٤٨
١٩٣١	٦٩٣,١٤٧	١٧٤,٦٠٦	٨٨,٩٠٧	١٠,١٠١	٩٦٦,٧٦١
١٩٣٥	٧٧٠,١٣٥	٣٥٥,١٥٧	١٠٥,٢٣٦	١١,٠٣١	١,٢٤١,٥٥٩
١٩٤٠	٨٨١,٢٩٣	٤٦٣,٥٣٥	١٢٠,٥٨٧	١٢,٥٦٢	١,٤٧٧,٩٧٧

السنة	المسلمون	اليهود	المسيحيون	بقية الملل	المجموع
١٩٠٦	١,٠٧٦,٧٨٠	٦ ٨,٢٣٠	١٤٥,٠٦٠	١٥,٤٩٠	١,٨٤٥,٥٦٠
٣١ مارس ١٩٤٧	١,٠٩٠,٨٧٠	٦١٤,٢٣٩	١٤٦,١٦٢	١٥,٨٤٩	١،٨٦٧,١٢٠

ومتوسط المواليد والوفيات فى فلسطين وفق بيانات المعهد الملكى للشئون الدولية بلندن ما يأتى : —

(فى السنوات من ١٩٤٢ - ١٩٤٦) وذلك بمعدل واحد فى الالف

	معدل المواليد	معدل الوفيات	الزيادة الطبيعية	الوفيات من المواليد
كافة الاديان	٤٢,٨	١٣,٨	٢٧,٣	٩٢,٥
المسلمون	٥١,٩	١٧,٧	٣٤,٢	١٠٨,٢
المسيحيون	٣٠,٣	١٠,٦	١٩,٧	٧٦
اليهود	٢٨,٣	٧,٣	٢١	٤١,١
الآخرون	٤٥,١	١٥,٨	٢٩,٣	١٠٠,٧

يلاحظ بوجه عام ارتفاع المواليد وكذلك ارتفاع نسبة الوفيات ، وذلك لتأخر الحيـــاة الاقتصادية والصحية وفاقه البلاد هناك وخاصة سواد السكان والطبقات العاملة وجلها من المسلمين ، ويلاحظ ضعف معدل المواليد فى اليهود بمقارنة النسبة بسائر الملل ، ولو أن حركة الهجرة وقفت لتعذر على يهود فلسطين مع المهاجرين الجدد منهم حتى تاريخ قبيل قرار التقسيم للجمعية العامة للأمم المتحدة سـنة ١٩٤٧ أن يكون لهم شأن هناك ، ويلاحظ أيضا ضعف نسبة الوفيات فى مواليد اليهود بمقارنة الرقم بسائر الملل وخاصة برقم الوفيات عند الجماعة المسلمة وهو ١٠٨,٢ فى الالف ويرجع ذلك الى العنـــاية الصحية فى المستعمرات اليهودية وإلى ارتفاع مستوى المعيشة بين اليهود .

وفلسطين بوجه عام فقيرة فى زراعتها نظراً لضعف كميات الميـــاه هناك ولانهاك الأرض على مر السنين ولتأخر الفلاح الفلسطينى واتباعه وسائل بدائية فى الزراعة ، كما أنها فقيرة كذلك فى المواد الخام ، غير أن المعادن الراسبة =

ولقد اختلط الحابل بالنابل فى هذه المنطقة . واشتعلت فيها نيران الحرب عقب اضطرابات وعدوان من اليهود وأعمال ارهابية أتلفت الأموال والأرواح . وبيت الداء فى الشرق الأوسط وخطر انفجار البارود نتيجة طبيعية لتنفيذ السياسة الصهيونية العدوانية وفتح أبواب الهجرة فى فلسطين حيث نزح مئات الآلاف من بنى إسرائيل من مختلف أقطار الأرض إلى أرضها القحلاء الشحيحة مما هدد الغالبية العربية بتلك البقاع بمقارنتها ببنى اسرائيل . فالعرب المسلمون والمسيحيون لم يرتفع عددهم فى ربع قرن إلا إلى الضعف موزعين كالآتى . العرب المسلمون من ٥٨٩٫٠٠٠ إلى ١٫١٤٢٫٠٠٠ والمسيحيون من ٧١٫٠٠٠ إلى ١٤٥٫٠٠٠ وذلك من سنة ١٩٢٢ إلى سنة ١٩٤٦ بينما ارتفع عدد اليهود إلى ثمانية أمثال من ٨٣٫٠٠٠ سنة ١٩٢٢ إلى ٦٠٨٫٠٠٠ سنة ١٩٣٦ ونيف اليوم على المليون .

= فى البحر الميت ذات قيمة لا تقدر بثمن مما حدا باليهود إلى توجيه هممهم نحو استخراج هذه المعادن وإنشاء صناعات واسعة النطاق منها ، وفيما يلى الأرقام التقريبية لكمياتها نقلا عن كتاب « الشرق الأوسط سياسيا واقتصاديا للمعهد الملكى للشئون الدولية بلندن صفحة ٢٠٧ » : —

	ملايين الأطنان
كلورات البوتاسيوم	٢,٠٠٠
برومات المغنيسيوم	٩٨٠
كلورات الصوديوم	١١,٠٠٠
كلورات المغنيسيوم	٢٢,٠٠٠
كلورات الكلسيوم	٦,٠٠٠

ومن الناحية التجارية أهم هذه المنتجات البوتاسيوم والبرومات ، والاول يستخدم كسماد للأرض والثانى لأغراض الفوتوغرافيا والطب ولصناعات البترول

ووضع فلسطين اليوم سياسيا كالآتى :

إن فلسطين هى البلد الوحيد الذى لم ينظم بعد تنظيما سياسيا إنسانيا يتفق مع رغبات أهله ولم ترسو قواعده وفق المبادىء الدولية الحقة . فقد أنهى الانكليز انتدابهم على هذا القطر فى مايو سنة ١٩٤٨ بجلائهم عن فلسطين نهائياً بعد ان مرنوا عصابات الصهيونية هناك على أعمال التخريب والفتك والعدوان بلا مبرر طوال الحرب العالمية الثانية . وتركوا للوكالة اليهودية التى شجعوا قيامها لإنشاء دولة اسرائيل إعلان هذه الدولة بمجرد خروجهم من البلاد ، وضربوا بأمانى العرب وبمواثيقهم ووعودهم واتفاقاتهم مع أمراء العرب عرض الحائط . ولم يجف مداد تاريخ هذه البلاد الذى يكتبه الشعب العربى بدمائه . ولن يجف إلا إذا عادت الأمور إلى وضعها السليم ودكت القلعة الاستعمارية التى يشيدها الاستعمار فى فلسطين لتهديد القومية العربية وهى اسرائيل الغريبة عن هذه المنطقة كغرابة السم عن الطعام . والشعب العربى النبيل وقد تضاعف وعيه الوطنى لن ين فى فى سبيل الكفاح وتحقيق الوحدة وهدم معاقل الاستعمار ، وشعاره كفاح الضيم والاستعباد والسير قدما فى سبيل التحرر لايلوى على شىء .

* * *

الاردن

تقع هذه الإمارة أو المملكة فى شرق فلسطين وتمتد إلى قلبها ، وهى تتاخمها كما تتاخم العراق والمملكة العربية السعودية فى الجنوب الشرقى ، وتبلغ مساحتها مائة ألف كيلو متر مربع وعـــدد سكانها ينوف على ٦٠٠٠ر٠٠٠ نسمة منهم ٢٠٠ر٠٠٠ فى العاصمة عمان يضاف اليهم أكثر من نصف مليون لاجىء عربى من فلسطين، ومعظم أهلها سنيون. وأراضيها قحلاء ، وهى فقيرة لاتكاد تحكم على زراعة تذكر ، وليس لها من شهرة إلا ماورد بخصوصها فى الكتب المقدسة ، ويعيش الأهلون هناك على الرعى ونحو نصفهم من البدو الرحل مما يزيد فى صعوبة حصرهم ورقابتهم وإخضاعهم للسلطة الحاكمة . وهذه المملكة دائمة الاصطدام باسرائيل تبعا لجوارهما عن طريق البحر الميت ولمشروعات اسرائيل المستمرة فى التصاعد لاستخراج معادن هـذا البحر واستثماره اقتصاديا . ويزيد فى تعقد المشكلات بينهما طمع اسرائيل فى المياه العـذبة الجارية فى المنطقة ونظراتها الاستغلالية اليها ومحاولاتها بالسدود والوسائل العلمية الحديثة تسخيرها لصالح اسرائيل على حساب العرب والدول العربية المتاخمة بما فيها مملكة الأردن .

وكفاية هـذه البلاد الاقتصادية دون المستوى، وقد انحدر مستوى المعيشة هناك نتيجة إعالة اللاجئين العرب ، وهم يعيشون اليوم من إغاثة هيئة الأمم ، ولـكن ممكن ان ننظر إلى المستقبل الإقتصادى بنظرات أقل تشاؤما إذا لاحظنا آثار مشروعات الرى من عهد الرومان هناك . وكانت المنطقة رغم شحها بالمياه عامرة بالزرع والانتاج . وترعى ميزانية البلاد الحكومة البريطانيـة حليفة المملكة ، وقد أنشأتها نشأة مصطنعة فى

نظر بعض الكتاب لاتقوم على دافع قومى أو حركة وعى سياسى ، بل لغرض الدفاع عن الامبراطورية . وبريطانيا تسد بمساعدتها المنظمة حاجات الحكومة والتاج وقد كانت هذه الاعانة ١٠٠٫٠٠٠ جنيه سنة ١٩٢٠، وبلغت أكثر من ٢ مليون جنيه سنة ١٩٤٠ . ويقول كتاب الجغرافيا السياسية ان التهريب منتشر على طول الحدود الصحراوية غير المعينة بدقة هناك. (١)

ويتلخص مركزها السياسى فيما يختص بعلاقاتها الخارجية كالآتى : —

١ — أنشأت بريطانيا هذه الامارة وأصبحت مملكة فيما بعد بمعاهدة عقدتها معها فى سنة ١٩٤٦ ، وكانت هذه الامارة ضمن نطاق الانتداب الذى حدده صلح سنة ١٩١٩ . واعترفت باستقلالها فى سنة ١٩٢٨ ولكنها ظلت واضعة يدها عليها بعد هزيمة الامبراطورية العثمانية وتفككها ، وغرض بريطانيا من اقامة الامارة تحت وصايتها ان تنشىء حاجزا لها السلطان عليه بين بلاد العرب وسوريا وفلسطين ولبنان أى الشام سابقا ، وان تضمن سلامة طريقها الاستراتيجى لحماية الامبراطورية فى الشرق وخاصة طريق العقبة العراق ، وان تحمى أنابيب البترول وطريقه من الخليج الفارسى إلى البحر الأبيض المتوسط ، وان تنشىء قاعدة عسكرية لها مطلق النفوذ فيها بعسكر خاضعين للضباط الانكليز يبادرون بتلبية نداء الامبراطورية عند الحاجة ، وان تضمن مطاراً قويا هو مطار « المفرق » لحماية مصالحها فى المنطقة وخاصة بترول السويس .

٢ — عنيت بريطانيا بتدريب الجيش الأردنى وهو مكون من خليط

---

(١) أنظر « آسيا » لجورو صفحة ٤٨٢ ، وكذلك انظر « الشرق الأوسط فى مشكلات العالم » للينكزوفسكى ، من صفحة ٣٠٠ إلى ٣٠٩

من العناصر المتاخمة للأردن الشديدة البأس ومن أهل البلاد المشهود لهم بالقوة البدنية . وهم يتبعون نظام التدريب والتسليح الانكليزى ويأتمرون بضباط من الانكليز ، كما تغذيهم الميزانية الانكليزية باعانة منتظمة. وحددت انكلترا تخوم هذه الامارة التى صارت مملكة فيما بعد بسماحها لأميرها ان يتوج نفسه ملكا عليها بمعاهدة سنة ١٩٤٦ التى سبق الاشارة اليها . وكان تحديد التخوم وفق مصلحة الامبراطورية لتحول دون اتصال دول الشعوب العربية اتصالا سياسيا مباشرا يترتب عليه اتحادها فيما بعد . ثم أبرمت انجلترا مع الملك معاهدة أخرى فى ١٤ مارس سنة ١٩٤٢ تنظم بمقتضاها جلاءها نهائيا عن البلاد وقد جرف تيار الوعى القومى فى البلدان العربية مايبيته ويدبره الاستعمار للوحدة العربية ومستقبل العرب . ولكنها احتفظت بحقها فى احتلال مطارين فى عمان والمفرق ، وتضع هذه المعاهدة أسس التحالف بين البلدين . وهى شبيهة بمشروع صدقى — بيفن وبمعاهدة بروتسموت بين العراق وانجلترا التى لم يصدق عليها البرلمان العراقى .

٣ — تربط مملكة شرق الأردن والمملكة العراقية أواصر قرابة الأسرتين المالكتين، وهما تسيران فى طريق الغاء الحواجز بينهما وتوحيد سياستهما الخارجية ونظمهما الثقافية والدفاعية . وقد أبرمتا اتفاقا فى هذا الصدد لألغاء الحواجز الجمركية بينهما وتنسيق سياستهما الخارجية ونظمهما الثقافية والتربوية وسياسة الدفاع الوطنى .

٤ — ان وضع الأردن السياسى مصطنع فكيانها الاقتصادى وهو من أهم مقومات الدولة غاية فى الضعف والعجز فضلا عن صعوبة تحديد تخومها الوهمية وهى صحراوية مرسومة على الخريطة فحسب . وميزانها

التجارى فى عجز مستمر . وهذا العجز يثير فكرة اندماجها فى العراق أو إدماج فلسطين العربية فيها ، ولقد استولت على جزء منها بعد حرب فلسطين ولا ننسى ان المقادير السياسية فلت عنانها من الانكليز فى هذه البقعة بحكم تأثرها بالوعى القومى فى الشرق الأوسط ومصيرها مصير سائر البلدان فى هذه المنطقة (١)

* * *

لبنان وسوريا

وهما أهم اصقاع الشام . وينقسمان إلى أربع مناطق هامة ، هى : المستطيل المطل على البحر الأبيض المتوسط ، ثم لبنان وجبالها المرتفعة المحاذية لهذا المستطيل ، ويعقب ذلك أرض مرتفعة كالهضبة ،هى سوريا وتقع فى قلبها دمشق ، وهناك فى الشمال هضبة أخرى فى أعلى الدجلة والفرات مشهورة بخصوبتها ، وفى الجنوب جبل الدروز المرتفع ويسكنه شعب شديد المراس غريب الاطوار ، وليست هذه البلاد من الخصوبة والرخاء بنسبه شهرتها التاريخية وعزم أهلها وجدهم وحدة ذكائهم .

وتبلغ مساحة لبنان وهى اليوم جمهورية مستقلة نحو عشرة آلاف كيلو متر مربع ويبلغ عدد سكانها ١٫٢٠٠٫٠٠٠ نسمة ، ورغم مايقال من أن شعبها أقرب إلى الشعوب الأوروبية منه إلى العرب لأنه من بقايا نزلاء فرسان الصليبين فالحقيقة التى لاشك فيها انه شعب مستعرب فيه كافة سجايا العرب فضلا عن لسانهم وتاريخهم وأدبهم وكرمهم ، وهو يحتفظ

---

(١) أنظر «المشكلات الحالية فى الشرق الاوسط» لبيكو ، الجزء الاول ، من صفحة ٢١ إلى ٢٤ .

أيضا بمقدرة الفينيقيين القديمة على الاختلاط والتجارة وتبادل المنافع ، والمنزرع من أراضى لبنان محدود مما حدا بالأهلين وقد زاد عددهم وضاقت البلاد بهم إلى الهجرة والاشتغال بالتجارة وسائر أعمال الوساطة والنقد .

وتبلغ مساحة الجمهوريه السورية نحو ١٦٥٠٠٠ كيلو متر مربع وعدد سكانها نحو ٣٫٥ مليون نسمة ، وغالبية الأهلين الساحقة فيها من المسلمين أما لبنان فنصف سكانها مسلمون والنصف الآخر مسيحيون جلهم من المارون ، وتحوى سوريا مساحات واسعة غير مزروعة وتتطلب الجهد والمال لزراعتها ، وهى لاتشكو إزدحامها بالسكان بعكس لبنان ، غير ان مشكلاتها الاقتصادية شديدة التعقيد فتاريخها الحافل يفوق وصفها الاقتصادى القائم اليوم ، وهى تفتقر إلى الطرق ونظم الرى والصرف الحديثة ، وفلاحها يقاسى الجهل والفقر والمرض ، ومستوى معيشته منخفض ، ويعول الريف المتأخر هناك نحو مليون نسمة يسكنون المدن مع ملاحظة انعدام الصناعات الهامة فى هذا القطر ، ومع ذلك فوضع سوريا الاقتصادى يساعدها على علاج مشكلاتها برسم الخطط الاقتصادية الناجعة لاصلاح الأراضى البور الواسعة هناك وتنظيم وسائل الرى واستخدام المياه وإدخال الصناعات الملائمة للبلاد ، وفى هذه الحالة تستطيع إيواء عدد وفير من اللاجئين البها . (١)

---

(١) وجاء فى كتاب « الشرق الاوسط سياسيا واقتصاديا للمعهد الملكى للشئون الخارجية بلندن من صفحة ٤٠٠ إلى ٤٠٣ » بخصوص حالة الزراعة فى سوريا ولبنان وحالة الصناعة فى سوريا ما يأتى : —

« ان وسائل الزراعة بدائية واستعمال الطرق الميكانيكية فيها غير معروف ، =

= والمنتشر هناك هو المحراث العربى الذى يشق التربة ولكن لا يقلبها رأسا على عقب . والفلاحة القائمة على الرى المنتظم نادرة » وذكر المعهد بخصوص ملكية الأراضى فى لبنان وسوريا « ان الأرض فى لبنان مقسمة إلى قطع صغيرة مملوكة للفلاح كما فى أوروبا ، ولكن فيما يختص بسوريا فان جل أراضيها الزراعية خاضعة لنظام القرية الجماعية كما كانت الحال فى العصور الوسطى فى انجلترا ، وبواسطة هذا النظام فان الأراضى المزروعة للقرية تقسم إلى قطع يشترك فى زراعتها فلاحو القرية ، وقد يكون من نصيب الفلاح عدة مساحات مختلفة مبعثرة فى المنطقة » ولا شك أن هذه الطريقة لا تدع الفرصة للعناية بالأرض والاهتمام بالمحصول ويزيد الطين بلة تغير المساحة الموزعة على الفلاحين من وقت لآخر .

وذكر المعهد أيضا « أن نحو ٦٠ ٪ من الأراضى المزروعة فى سوريا فى أيدى كبار الملاك ، ومعظمهم لا يباشر زراعة الأرض ، ويزرعها فعلا فلاحون على أساس المشاركة فى المحصول ، ويختلف نصيب المالك من منطقة لأخرى ولكنه بوجه عام يبلغ نحو نصف المحصول ، ولما كان المالك لا يقدم أية مساعدات للزراع نظير هذه المشاركة فان هذا النظام يحمل الفلاح عبئا ثقيلا للغاية ، أما فى لبنان فان صغار الملاك هم الغالبية ورغم كثافة السكان فان مستوى معيشة الفلاح أعلى منها فى سوريا » .

وجاء فى بيان المعهد عن الصناعة فى سوريا ما يأتى : « ان الصناعات فى سوريا لا تزال تتبع الوسائل البدائيـــة ، وان الكثير من الصناعات الحرفية كانت فى حالة احتضار قبل الحرب ، كما نشأت صناعات أخرى على أسس فنية حديثة . وان صناعة الحرير وفق الوسائل العتيقة وكذا صناعات الصابون تقاسى بشدة من المنافسة الأجنبية ومن السياج الجمركى الذى تقيمه حيالها سائر بلدان الشرق الأوسط . » ولا شك أن هذه الحالة تتطلب إمعان النظر فيها على أساس تدعيم الحياة الإقتصادية للشرق الأوسط العربى وفق صالح عام مشترك .

وتختلف لبنان عن سوريا فى ان أكثر من نصف سكانها لا يشتغلون بالفلاحة فعلا ولا يستطيعون ذلك لضيق مساحة الأراضى هناك ، وهم ينصرفون إلى التجارة وأعمال السياحة والمعيشة فى المدن وبعض الصناعات المنزلية وأعمال التعريب والمكتبات ، وتساعد الطرق الحسنة التى تربط العاصمة بيروت بالجبال على تنشيط السياحة هناك ، وتعتبر لبنان وجه جسد الشام إذا اعتبرنا سوريا الجذع أو النافذة المطلة على البحر الأبيض المتوسط وأوروبا للشام ، وهذا ما حدا إلى ارتباطهما الجركى إلى سنة ١٩٤٨ ، وقد فصم هذا الرباط فى السنة المذكورة ، وذلك لأن سوريا بلد قارى يوجه صادراته إلى البلدان المجاورة مباشرة بينما لبنان بلد يعتمد فى تجارته وحياته الاقتصادية على الصادرات المستترة كالسياحة والوساطة التجارية والخدمات ، وعلى هذا تميل سوريا إلى سياسة الحماية الجركية بينما من مصلحة لبنان ان تأخذ بسياسة حرية التبادل ، وهذا ماحدا إلى اتجاه دمشق إلى العالم العربى وبيروت إلى العالم الغربى . (١)

ووضعهما السياسى بالنسبة إلى الخارج يسير وفق الخطوات الآتية :ـ

١ ـ كانت سوريا ولبنان من نصيب الانتداب الفرنسى وقد رسمت حدودها نهائيا وتأكدت مع ترك سنجق الاسكندرونة إلى تركيا وتحديد التخوم بين سوريا والجمهورية التركية الفتية ، وقد تنازلت عن حقوقها فى الشام فى معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ ، وقامت محاولات فى سنة ١٩٢٠ لضم سوريا والعراق وشرق الأردن سوياً على يد الأمير فيصل الهاشمى وقد صار فيما بعد ملك العراق وكان ذلك بتشجيع انجلترا ، غير ان فرنسا عارضت فى ذلك وتمسكت بالانتداب ونشبت معارك دموية هناك انتهت بهرب الأمير فيصل من سوريا

(١) أنظر « آسيا » لجورو ، صفحة ٤٩١ .

٢ — استمرت المفاوضات بين ممثلى سوريا ولبنان والحكومة الفرنسية مدة طويلة وهى بين المد والجزر ، ثم استقر رأى فرنسا فى سنة ١٩٣٦ على الموافقة على فكرة انهاء الانتداب والاعتراف باستقلال البلدين ، غير ان معاهدتى الاعتراف بالاستقلال لم يصدق عليهما البرلمان الفرنسى ، وسرعان ماقامت الحرب العالمية الثانية ، وظل الانتداب قائماً حتى نهاية هذه الحرب.

٣ — رغبت الجبهة الديموقراطية وهى فى صراعها المرير ضد المحور ان تجلب إلى صفها الشعوب العربية فى الشرق الأوسط وأخذت تمنيها بالأمانى المعسولة لتأمن جانبها أثناء الحرب ، وحثاً للبلدين المفروض الانتداب عليهما قسراً وحتى يتعاونا مع الدول الديموقراطية فى ميادين الحرب فى الشرق أعلن الجنرال كاترو Catroux عن لسان ديجول De Gaule باسم فرنسا الحرة فى سنة ١٩٤٣ الاعتراف باستقلال سوريا ولبنان ، واستمر كسب البلدين حقوقهما بالتتابع على أساس معاهدتين أبرمتاهما مع فرنسا الحرة حين ان وضعت الحرب أوزارها .

٤ — وقعت عقب انهاء الحرب العالمية الثانية هناك حوادث دامية تحمسا لتحرير البلاد من نير الانتداب نهائيا ، ومطالة لجيوش فرنسا المحتلة وموظفيها الذين يتغلغلون فى الادارات ان ينسحبوا ويتركوا الديار لأصحابها ، واعتزمت فرنسا فى سنة ١٩٤٥ تنفيذ ماتعهدت به من منح البلاد استقلالها التام وشرعت تنسحب عنها بسرعة تهدئة للحالة فى الشرق الأوسط ، وانتظرت ان تحذو انجلترا حذوها فى سائر بلدان الشرق الأوسط التى تحتلها حتى تستقر الأمور فى هذه المنطقة الاستراتيجية الهامه وان يقوم سلام الند للند هناك ، ولكن كان تحمس انجلترا لاجلاء فرنسا بغية استئثارها بالموقف دون سواها . (١)

* * *

(١) أنظر « الشرق الأوسط فى الشئون الدولية » للينكزوفسكي ، صفحة ٢٣١ إلى ٢٥٢ .

المملكة العربية السعودية

المملكة العربية السعودية هي الدولة العربية التي لا تزال تحتفظ بطابعها القبلي القديم وحياة الفطرة ونظام الحكم المطلق للفرد ، ويقوم في نفس الوقت الذي نشاهد فيه القوافل ونظام القبائل والعشائر استثمار آبار البترول المجهزة بأحدث الآلات والمعدة بوسائل الصناعة الراقية والمحاطة بمدن صناعية على أحدث طراز يسكنها فنيون بأسراتهم ينعمون بوسائل الراحة الحديثة على وتيرة الحياة الأمريكية المترفة بحمامات السباحة والثلاجات والمطارات وطرق السيارات المعبدة والملاهي ، وإلى جوار هذه المدن الصناعية الراقية نرى قرى تعيش على الكفاف يجهل أهلها القراءة والكتابة والعيش خارج حدود بضع وحدات من التمر ولبن النوق والتدثر بوبر الابل . ولقد جعل البترول لهذه الدولة العربية أهمية خاصة منذ سنة ١٩٤٦ بين بلدان الغرب وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية صاحبة امتياز الاستغلال هناك ، وأصبحت موضع الاطماع الاستعمارية والتنافس على السيطرة والنفوذ ، وقيل إن الرئيس روزفلت في عودته من مؤتمر يالتا yalta ألقى مراسيه في البحر الأحمر خصيصا ليقابل ابن السعود ، ونقل البعض عنه انه على أثر اجتماع الزعيمين قال رئيس الجمهورية الديموقراطية الكبرى « إنني لأول مرة يتضح لي بجلاء أهمية الشرق الأوسط » ، وهكذا بدأ النشاط الأمريكي السياسي الاستعماري في هذه المنطقة ووضعها يدها عليها للتزود بحاجتها من البترول عصب الصناعة والحرب .

والمملكة العربية السعودية تشمل أكبر مساحة في شبه جزيرة العرب تتكون من نجد في قلب شبه الجزيرة والحجاز في غربها على طول البحر الأحمر ، وكان يجلس على عرش الحجاز الملك حسين الهاشمي فأقصاه عنه

ابن السعود الوهابى سنة ١٩٢٥ ، ولم تسند انكلترا عرش الأول ، وقد تنفست الصعداء بالتخلص منه نظراً لنكثها بوعودها حياله فى إنشاء دوله عربية موحدة ، والحافه هو فى تحقيق هذه الوعود ، وتمسكه بالمراسلات الدبلوماسية التى تثبت تعهدات الحلفاء حياله فى الحرب العالمية الأولى ، ولعلم انكلترا علم اليقين ان فى نفسه مرارة لعدم وفاء انكلترا لتعهدها واضياع أحلامه فى تربعه على عرش امبراطورية عريضة وملك كبير ، ولأنه من أشد المعادين لفكرة قيام دولة اسرائيل لوقوفها كالشوكة فى طريق إنشاء المملكة العربية الكبرى التى تدخل فيها الشام والعراق والأردن ، ثم اعترفت انجلترا بمملكة ابن السعود بعد انتصاراته على الملك الهاشمى وهربه وانهيار ملكه هناك فى ٨ يناير سنة ١٩٢٦ .

وتبلغ مساحة المملكة العربية السعودية ١٫٧٠٠٫٠٠٠ كيلو مترا مربعا يسكنها مايقرب من ست ملايين من الأنفس على وجه التقريب اذ يصعب تحديد عددهم على وجه الدقة نظراً لاستمرار تنقل العدد الوفير منهم من جهة إلى أخرى لأنهم بدو رحل ، وتتكون المملكة من خمس مناطق ، وهى : نجد فى قلب المملكة وهى معقل الوهابيين ودار ابن السعود ، وهى هضبة للرعى مع عدد من الواحات وعاصمتها الرياض ولا تزيد عن كونها واحة كبيرة يسكنها نحو ٢٠٫٠٠٠ نسمة ، ومجموع سكان هذه الهضبة نحو مليون نسمة من البدو الرحل ، ومنطقة غرب نجد على طول البحر الأحمر وهى الحجاز بمدينتيها المقدستين مكة وعدد سكانها نحو مائة ألف والمدينة وعدد سكانها نحو ٣٠٫٠٠٠ نسمة وبمينائها الوحيدة وهى جدة وبها معمل تكرير المياه المالحة وتحويلها لماء حلو وعدد سكانها نحو ٥٠ ألف نسمة ، وهذه المنطقة تكاد تكون جرداء فيما خلا بساتين المدينة

وفضلا عن ذلك فهى صخرية شديدة الحرارة ، وعلى ساحلها ينشط التعامل التجارى ، خاصة فى موسم الحج عن طريق مينائها الموصلة إلى قلب الأراضى المقدسة للإسلام ، ويبلغ مجموع سكان الحجاز نحو المليون وجلهم يعيشون على المراعى وموسم الحج تبعا لشح المياه هناك وانعدام الحياة الزراعية المستقرة ، وشهرة الحجاز الدينية والتاريخية فى غنى عن الشرح فهى قلب الاسلام النابض وفى عاصمته مكة الكعبة الشريفة رائد الحجاج وفى المدينة الزاهرة الخضراء قبر الرسول ، والحجاز هذا موطن قريش وصحاريه ووديانه وهضابه وتلاله ومغاراته أعلام واضحة فى تاريخ العرب وانتشار الاسلام ، ومنه امتد الدين الحنيف برسالته السمحاء وبمدنيته الباهرة إلى أغنى الاصقاع وأعرقها مدنية فى العالم القديم وطلع بشمسه الساطعة على سائر المدنيات التى عاصرت ظهوره فغمرها بنوره وحسنها بضوئه . وهناك منطقة العسير وهى جبلية وفى الوقت ذاته فيها بعض جهات خصبة ، وتمر عليها الرياح القادمة من الهند وعدد سكانها ينوف على المليون ، وهناك منطقة شرق نجد على الخليج الفارسى ويطلق عليها الحسا وتكسوها آبار البترول الغزيرة ، وهى فى الوقت نفسه صحراوية مع قليل من الواحات وعدد سكانها نحو نصف مليون نسمة من البدو الرحل ، وهناك منطقة الربع الخالى فى الجنوب وهى محرقة تكاد تكون خلوا من الدار والديار ، ويعيش فيها بعض الرحل المبعثرين فى ارجائها وفيافيها القفراء وهم على الفطرة لايعرفون من أدوات المدنية إلا الأدوات الحجرية ، ونرى من تكوين هذه المملكة الذى عرضناه فيما سلف ان أهلها أقرب إلى البدو . وبعضهم حضر يعيشون فى المدن على مواسم الحج مع الاشتغال بالتجارة ، والأقلية منهم تعمل فى الزراعه وفق الطرق البدائية

التى اتبعت منذ القرون السحيقة ، ومطالبهم فى الحياة ضئيلة تبعا لشح الأرض وصعوبة المعيشة وعدم انتظامها باعتمادها على التنقل والأمطار طلبا للرزق ، وطائفة ضئيلة من الأهلين تعمل فى آبار البترول الأمريكية وتستفيد من أرباح الامتياز ، ويغدق عليها الامريكيون شتى معدات الترف من الطائرات والسيارات وسائر الأدوات الكهربية التى يتخذونها مغريات للسيطرة الاقتصادية والسياسية على البلاد . (١)

وخطوات سياستها بالنسبة للخارج مايأتى : —

١ — ان نشأة المملكة العربية السعودية حديثة فقد خلفت مملكة الحجاز التى كان على رأسها الملك حسين شريف مكة ، وقد اعتلى عرشها عقب انضمامه إلى الحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى ضد الدولة العثمانية صاحبة السيادة على الحجاز ، ووعد الحلفاء فى الرسائل الدبلوماسية التى تبودلت بينه وبين بريطانيا عن طريق ماكماهون المعتمدالبريطانى فى مصر باستقلال الحجاز وتنصيبه ملكا على الدولة العربية المزعومة بعد ان تضع الحرب أوزارها ، وقد ظفر الملك حسين باستقلال الحجاز دون سائر البلدان العربية بعد الحرب فقد فرض على شعوبها الانتداب الانكليزى والفرنسى قسرا ، بل فرض على مصر الحماية بحكم معاهدة فرسايل مما أدى إلى اندلاع نيران الثورة فيها وسيرها بعزم نحو الاستقلال التام ، وربما يعزى استقلال الحجاز إلى خشية الحلفاء من احتلال الأرض الاسلامية المقدسة التى يعز على شعوب الاسلام وعددها يزيد على ثلاثمائة مليون فى

(١) أنظر « آسيا » لجورو , من صفحة ٤٧٥ إلى ٤٨١ ، وكذلك أنظر « المشكلات الحالية للشرق الاوسط » لبيكو ، الجزء الاول من صفحة ٢٧ الى ٢٩ .

العالم ان تطأها جيوش لاتمت للإسلام بصلة وان تصل إلى أبواب الكعبة الشريفة والروضة ، وكذلك إلى أن هذه المنطقة قحلاء جرداء وليست بذات بال من الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية وذلك قبل اكتشاف آبار البترول فى ربوعها .

٢ — انقضى ملك البيت الهاشمى هناك فى سنة ١٩٢٥ بعد حرب قصيرة شنها ابن السعود عليه ، وضم زعيم الوهابيين الحجاز إلى دياره نجد واتخذ من عاصمة نجد الرياض وعاصمة الحجاز مكة مدينتيه المفضلتين يتنقل بينهما لتسيير شئون دولته وفق إرادته الفردية وما تمليه عليه روحه البدوية وما تفرضه تعاليم القرآن وأحكامه وهى مشبعة بالكرم والسماحة، فتراه يتنقل بين قومه فى بساطه وقد لقبوه بطويل العمر ، وليس بمستغرب ان يستوقفه بدوى لسؤال أوطلب وان يمسك بكمه لكى يلفت نظره وقد اعتبره أباً وأخاً له فى الدين وراعيا شديد العطف على رعيته، وقد اعترفت انجلترا بالأمر الواقع باتفاق عقدته مع الملك ابن السعود بخصوص الحدود بينه وبين الأردن ، ثم عقدت اتفاقا آخراً معه فى سنة ١٩٢٧ تعترف فيه بالاستقلال التام للمملكة وباقامة علاقات مودة وصداقة بين الدولتين .

٣ — وقف ابن السعود فى الحرب العالمية الثانية موقف الحياد التام من الحرب وفيافيه ليست بحال فى متناول الطرفين المتنازعين أومحط اطماعهما ولكن لم يمنع هذا من اظهار العاهل عطفه بين الحين والآخر على قضية الديموقراطية ، واتضح هذا فى استيائه من انقلاب رشيد عالى الكيلانى الذى قام به هناك ضد الجبهة الديموقراطية واستنجاداً بالمحور لتحقيق استقلال بلاده استقلالا تاماً ، كما أوفد الأمير منصور فى سنة ١٩٤٢ لكى

يخاطب الفرق الهندية المعسكرة فى غرب الدلتا قبيل معركة العلمين ويستحث همتها ، ورفض العروض اليابانية والألمانية المتعددة قبل الحرب وكذلك فى السنوات الأولى للحرب لمنح برلين وطوكيو امتيازات استغلال آبار البترول فى دياره، مفضلا بذلك قصر الامتياز على الولايات المتحدة الأمريكية

٤ - أدت الحرب العالمية الثانية إلى انكماش الحج وإلى ضيق موارد ابن السعود الاقتصادية، وطالب الدول المتحالفة بانتشاله من خطر الافلاس وبمعونته ماليا بمساعدات متتابعة وأوضح فى مناسبات متتابعة المزايا التى حصلت عليها الديموقراطية من حصولها على امتيازات البترول ، لصالح الشركة العربية الأمريكية فى سنة ١٩٣٤ وأصر فى سنة ١٩٤١ على حصوله على مبلغ ٣٠ مليون ريال كقرض يدفع له على خمس سنوات أقساطاً متتابعة ، وقد رخصت الولايات المتحدة للحكومة البريطانية ان تمد ابن السعود تدريجياً بالمساعدة من القرض الذى منحته حليفتها وقدره ٤٢٥ مليون دولار ، وبذا حصل ابن السعود على ٤٠٠ ألف جنيه فى أواخر سنة ١٩٤١ وارتفع المبلغ إلى أكثر من ٢ر٥ مليون جنيه من سنة ١٩٤٥، وذلك علاوة على ما استفادته من قانون الاعارة والتأجير lend lease الذى امتد تطبيقه إلى المملكة العربية السعودية إبتداء من ابريل سنة ١٩٠٣ ، ومهد هذا التحول من الحياد المطلق إلى الميل نحو جبهة الديموقراطية ، فتلقى المساعدات المالية منها ، إلى ضمان قواعد طيران قوية لصالح الديموقراطية فى الشرق الأوسط تربط القاهرة بكراتشى وتضمن مواصلة الولايات المتحدة الحرب ضد اليابان. وشادت الولايات المتحدة الأمريكية مطاراً فى الظهران بجوار امتيازات البترول بلغت نفقاته ماينوف على ٤ مليون دولار بتصريح من المملكة العربية السعودية يمتد إلى ثلاث

سنوات من سنة ١٩٤٤ وتوطدت الصداقة بين الديموقراطية الأمريكية والمملكة الوهابية دل على ذلك امتداد امتياز المطار المذكور بمعاهدة جدة بين البلدين تقوم على أساس الدفاع المشترك بينهما وتؤيد امتياز المطار خمس سنوات أخرى ، ودل على ذلك ماقاله روزفلت بعد التقائه بالعاهل العربى فى البحر الأحمر فى فبراير سنة ١٩٤٥ فى رسالته إلى الكونجرس الأمريكى وقد تباحث معه فى قضية العرب ، وانتهز الملك العربى الفرصة فأظهر له خطر الصهيونية على الشرق الأوسط « فيما يختص بمشكلات بلاد العرب ، إننى تعلمت بحديثى مع ابن السعود خمس دقائق فى هذه المسألة وما يتفرع عنها من مشكلة المسلمين والصهيونيين أكثر مما كان يمكن ان أتعلمه من تبادل أربعة وعشرين أو حتى ستة وثلاثين خطابا فى هذا الشأن (١) »ولقد كان لروزفلت منزلة كبرى فى نفس ابن السعود أدت إلى توطيد صداقة هذا العاهل وأسرته بالولايات المتحدة الأمريكى : وزاد فى هذه الصداقة أيضاً الهدايا المستمرة من الطائرات والسيارات وخلافها من معدات الراحة التى تقدمها عن طيب خاطر هذه الديموقراطية الواسعة الثراء لزعماء هذه المملكة العربية الحديثة العهد بالدبلوماسية الغربية .

٥ — قام اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بصداقة العاهل العربى الكبير على أساس بترول شبه الجزيرة والامتياز الذى أعطى للشركة الأمريكية المساة الشركة العربية الأمريكية Arabian American Oil Company فى سنة ١٩٣٤ (وكان الامتياز للشركة الكاليفورنية العربية فى سنة ١٩٣٣ وبانضمام شركة تاكساس إليها تغير الاسم كما سبق ذكره)

---

(١) انظر « الشرق الأوسط فى الشئون الدولية » للنكزوفسكى ، من صفحة ٣٣٩ الى ٣٥٦ .

وزاد هذا الاهتمام بزيادة تدفق الذهب الاسود هناك وبوضوح الأهمية الاستراتيجية لشبه الجزيرة العربية فى الحرب العالمية الثانية ، وصار الدولار مقياس اهتمام الجمهورية الديموقراطية الكبرى ببلاد الإسلام العريقة ، وكلما صعد رقم المساعدة كلما وضحت الأهمية السياسية فى اجتذاب المملكة السعودية إلى صف الديموقراطيه ، ولقد أطلق الروس على هذه السياسة دبلوماسية الدولار ، ولقد تعكر الجو مؤقتا بغيوم قليلة فيما بعد سنة ١٩٤٦ (ما لبثت أن انقشعت وعادت الأمور إلى مجراها من الود) تبعا لتصريح الرئيس ترومان بوجوب قبول مائة ألف لاجىء يهودى فى فلسطين مخالفا بذلك ماقطعته الحكومة الأمريكية على نفسها من ضرورة استشارة العرب ووضع أمانيهم موضعها من الاعتبار حين علاج مشكلة فلسطين ، ولقد بلغت أرقام المساعدات وما تأتى به أرباح امتيازات البترول مبالغ تكاد تكون خيالية فى السنوات الأخيرة ، وبلغ مايستخرج من الآبار فى سنة ١٩٥٠ نحو ٢٥ مليون طن فى السنة وهذا الرقم يأتى فى الشرق بعد رقم عبدان (وكان صاحب الامتياز رأس المال البريطانى إلى أن أممت إيران الشركة البريطانية منذ نحو ثلاث سنوات) وهو ٣٠ مليون طن سنويا (١) ، وارتفع ايراد ابن السعود من نحو ٣٠٠ ألف

---

(١) تزخر منطقة الشرق الأوسط بالنفط الخام ، ويقدر بالأطنان المكعبة من سنة ١٩٣٨ إلى سنة ١٩٤٨ وفق الأرقام الآتية موزعة على بلدان الشرق الأوسط التى تحوى هـــذا الزيت ، والوحدة تعادل الف طن مكعب ، نقلا عن « الشرق الأوسط ، سياسيا واقتصاديا للمعهد الملكى للشئون الخارجية صفحة ٤٨٠ - لندن ١٩٥١ » .

الدولة	١٩٣٨	١٩٤٥	١٩٤٦	١٩٤٧	١٩٤٨
إيران	١٠,٣٥٩	١٧,٠٠٠	١٩,٤٩٧	٢٠,٤١٨	٢٥,٠٠٠

دولار فى سنة ١٩١٧ إلى ٩٠ مليون دولار فى سنة ١٩٥٠ ، وإذا وزعنا هذا المبلغ على السكان البالغ عددهم نحو ستة ملايين نفس خص الفرد ١٥ دولار ، ولا شك أن هـذا المورد المتدفق على البلاد يتيح لها إذا شاءت القيام باصلاحات واسعة النطاق لصالح الشعب الذى يئن من التأخر والفاقة والجهالة وعدد الاميين هناك يزيد على ٩٥٪ ، ويضـاف اليه المساعدات المستمرة لتسليح الجيش وتدريبه وفق الأساليب الامريكية وملايين الدولارات التى يقدمها بنك الاستيراد والتصدير لتعمير المدن والقرى ومد الخطوط الحديدية والطرق واصلاح الموانى والأراضى القابلة للزراعة .

والمشكلة الكبرى التى تواجهها هذه المملكة التى لاتزال تتبع الاساليب العتيقة فى الحكم وسياسة الدولة هى كيفية التوفيق بين التقدم الفنى والعلمى اللازمين لنهضة الشعب وأصول الحياة السياسية والاجتماعية التى تتبعها

= العراق	٤,٣٦٤	٤,٧١٢	٤,٧٠٠	٤,٤٧٨	٣,١٥٠
بلاد العرب السعودية	٦٧	٢,٠٠٠	٨,٢٠٠	١٢,٣٠٠	١٩,٢٦٠
مصر	٢٢٣	١,٣٤٧	١,٢٨٠	١,٣٣٢	١,٨٨٠
الكويت	—	—	٨٠٠	٢,٢٠٠	٦,٤٠٠
البحرين	١,١٣٧	١,٠٠٠	١,١٠٠	١,٣٠٠	١,٥٠٠

وبمقارنتها بالإنتاج الخارجى نرى الأرقام الآتية : —

الولايات المتحدة الامريكية	١٦٤,٠٦٦	٢٣١,٣٢٠	٢٣٤,٢١٥	٢٥٠,٧٩١	٢٧٦,٩٣٠
روسيا السوفيتية	٢٩,٧٠٠	٢٥,٠٠٠	٢٢,٨٠٠	٢٧,٠٠٠	٣٠,٥٠٠
فنزويلا	٢٦,٨٩٠	٤٦,٠٠٠	٥٦,٧٠٠	٦٣,٥٦٢	٦٩,٧٠٠
مجموع الانتاج العالمى	٢٧١,٥٨٣	٣٥١,٠٥٨	٣٧٦,٤٥٣	٤١٤,٠٧٦	٤٧١,٢٦٠

عشائر يعد أفرادها بالملايين لايزالون يعيشون على الفطرة فى عصر سريع التطور يعد بحق عصر الثورة والذرة .



امارات عدة تحيط بشبه جزيرة العرب

يضاف الى الدول السالفة الذكر طائفة من الممالك والامارات العربية المبعثرة حول شبه الجزيرة ، وأهمها اليمن ، وتقع فى غرب شبه الجزيرة على ساحل البحر الأحمر ويصل ارتفاع بعض مناطقها من ٣٠٠٠ متر إلى ٤٠٠٠ متر ، وتمر عليها الرياح القادمة من الهند وجوها صحى وطقسه معتدل بوجه عام ، والرى والزراعة فيها من السهولة بمكان ، وتكثر فى مناطق منها الحاصلات . ويبلغ عدد سكانها نحو ٣ر٥ مليون نسمة بينهم وفق تقدير تقريبى نحو من ٥٠ ألف إلى ٩٠ ألف يهودى ، نقل منهم إلى إسرائيل بطائرات ذات خطوط منتظمة فى مدى سنة ونصف بعد قيام دولة إسرائيل من عدن إلى إسرائيل ماينوف على ٤٠ ألف . وطائفة اليهود هناك شأنها شأن سائر الأهلين غاية فى التأخر . والمسلمون هناك غالبيتهم شيعيون .

وهذه المملكة مستقلة ولكنها تعيش حياة القرون الخالية وتشرف عليها انجلترا عن طريق احتلال ميناء عدن القريبة منها ، وكان لايطاليا الفاشية نفوذ كبير هناك حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، وكانت تطمع عن طريق كاشتها بواسطة الارتريا وسلطانها على مينائها الوحيد فى اليمن وهى الحديدة فى أن تخنق قصبة التنفس للمواصلات البريطانية إلى امبراطوريتها فى الشرق بتعويقها فى البحر الأحمر .

وهناك أيضا حضرموت جنوبى شبه الجزيرة وأهلها سنيون ويبلغ

عدد سكانها نحو ثلاثة ارباع مليون نسمة، وهى مقسمة الى عدة امارات تحت الحماية البريطانية .

وتقع فى الجنوب الشرقى عمان وعدد سكانها نحو ٨٠٠ ألف نسمة وهى تخضع أيضا للنفوذ الانكليزى. ويضاف اليها ساحل القراصنة، وعدد سكانه نحو ١٠٠ ألف نسمة يعيشون على الصيد منذ الغاء القرصنة هناك فى القرن التاسع عشر، وهو خاضع كذلك للنفوذ البريطانى . ولا ننسى منطقة البحرين وعدد سكانها مائة ألف نسمة يعيشون فى ظل الحماية البريطانية على صيد اللؤلؤ . ولا تفتأ ايران تطالب باستردادها باعتبارها صاحبة السيادة الشرعية عليها ، وهناك سلطنة الكويت فى نهاية الخليج الفارسى، وهى تفصل العراق عن المملكة العربية السعودية وعدد سكانها ١٢٠ ألف نسمة وهى خاضعة للنفوذ البريطانى ومشهورة بآبار البترول التى تستثمر لصالح الرأسمالية البريطانية ، ويقابلها فى الطرف الجنوبى الغربى لشبه الجزيرة امارة عدن على مدخل البحر الأحمر وبوغاز باب المندب. وهى محمية بريطانية وتحكم على ميناء صالحة هى الميناء الجنوبية الهامة حتى ميناء مسقط فى الطرف الجنوبى الشرقى لشبه الجزيرة ، وتستطيع بريطانيا بواسطة سلطانها على هذه الامارة المحمية أن تسيطر على طريق المواصلات من الغرب عبر قناة السويس فالبحر الأحمر الى الشرق الأقصى وجنوب افريقيا (١) .

* * *

(١) انظر « آسيا » لجورو صفحة ١٠٤ .

تحليل حالة البلدان المذكورة اقتصاديا اجمالا (٢)

نلاحظ من العرض السريع للدول العديدة التى تتاخم اسرائيل ومن دراسة تاريخها وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية ما يأتى :

١ - انها بلدان زراعية والصناعة فيها تكاد تكون معدومة ، ومصر أهم هذه البلدان التى بدأت تهتم بالصناعة ، ولكن التصنيع فيها لا يزال فى طوره الأول . وسيمر بعض الوقت قبل أن تنشأ فيها الصناعات الثقيلة وهى أساس التصنيع ، وقبل أن تعد التربة الصناعية التى تنبت المخترعين والمبتدعين وتعد العدة لتشييد المصانع الضخمة التى تصمم وتصنع فيها آلات المصانع وافران صهر المعادن وشتى محركات السفن والقاطرات والطائرات

٢ - ان الزراعة فى هذه البلدان ليست على درجة مرضية من التقدم الاقتصادى والعلمى والفنى ، وبعضها يعيش على الزراعة غير المنتظمة

---

(١) هناك إلى جانب بلدان الشرق الأوسط الاسلامية العربية تركيا واليونان ، وهما لا يدخلان بصفة مباشرة فى دائرة البلدان ذات الوحدة الثقافية والتاريخية واللغوية والسياسية فى الشرق الأوسط التى سبق الاشارة اليها ، غير أن لاتجاههما وسياستهما الأثر الواضح فى مجرى السياسة العامة للشرق الأوسط ، فضلا عن متاخمتهما لدائرة بلدان الشرق الأوسط ولتعاملهما كذلك مع اسرائيل ، وهما يسيران بحماس فى ركاب الدول الغربية ويعلقان مصيرهما ورواج حياتهما الاقتصادية واتجاههما السياسى على مساعدة الدول الغربية الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية ، ومن أهم الأسباب : ١ - انهما فى طليعة الاصطدام مع روسيا السوفيتية فى حالة قيام حرب عالمية ، وتعمل الطبقة البورجوازية الرسمالية هناك وهى الحاكمة على زيادة الحيطة والحذر واليقظة البالغة وتدعيم الأداة العسكرية حتى تتفادى الوقوع فى دائرة النفوذ الشيوعى والاجتياح عسكريا اجتياحا ساحقا فى حالة قيام الحرب ، ولن يمكن تحقيق هذه =

وفق حالة الامطار كما فى المملكة العربية السعودية ، والمشتغلون بالزراعة فيها لايزالون يتبعون الاساليب العتيقة التى أتبعها الاجداد منذ قرون سحيقة ، ولا تستخدم الآلات الزراعية إلا فى بعض المناطق فى مصر ولبنان وسوريا .

٣ — ان مستوى معيشة الفرد منحطة والطبقة الغالبة تعيش على الكفاف، وليس هناك طبقة سكان المدن من متوسطى الحال الذين يكونون

= الأهداف إلا بواسطة المساعدة الغربية ٢ — هذه المصلحة مرتبطة بشدة بمصلحة الديموقراطية الغربية التى تقدم لهما المساعدات المالية وتقوى جيوشهما وتمدها بالعتاد اللازم حتى يمكنها الاعتماد عليها فى حالة قيام الحرب ٣ — الدعاية للديمقراطية ومحاربة الشيوعية هناك يتطلبان مساعدة البلدين اقتصاديا ومدهما باستمرار بالمال، وكان له أثر كبير فى القضاء على الثورة الشيوعية فى اليونان ، ولا تتردد الولايات المتحدة الأمريكية فى إغداق الأموال على البلدين لتقوية الجيش ومد الطرق وإنشاء الصناعات ٤ — ان انضمام تركيا واليونان إلى ميثاق الإطلنطى للدفاع عن الغرب فى فبراير سنة ١٩٥٢ وقبول تركيا عضوا فى الاتحاد الأوروبى، وسعى الدولتين فى سبيل المحافظة على استقلالهما بربط عجلتهما بقوى الغرب عن طريق الاتفاقات والمحالفات وقبول المساعدات المالية والأدبية — تحدو هذه العوامل إلى تنسيق سياستهما وفق توجيهات الغرب وبالتبعية ، غض الطرف عن مشكلات إسرائيل أو الاشتراك فى أى عمل من شأنه عرقلة نموها أو إقامة العقبات فى وجه عدوانها .

وتبلغ مساحة الجمهورية التركية الحديثة نحو ٢٩٦،٢٩٧ ميلا مربعا فى أوربا وآسيا ، ويسكنها نحو ١٦ مليون نسمة عدد الأتراك منهم نحو ١٦,٥ مليون، وجاء بخصوص المساعدة الامريكية لتركيا فى كتاب « الشرق الأوسط سياسياً واقتصادياً للمعهد الملكى للشئون الدولية بلندن — صفحة ٤٤٣ » ما يأتى « أوصى الرئيس ترومان فى رسالة خاصة للكونجرس بتاريخ ١٢ مارس سنة ١٩٤٧ أن =

عدداً ألا يستهان به من أبناء الأمة أو طبقة المزارعين المتوسطين الذين يمكن أن تعتمد عليهم الدولة فى بناء صرحها الاقتصادى وفى عقدها القروض تبعا لجدهم وانتاجهم المثمر المستمر وادخارهم ، كما نرى فى الأمم الغربية .

٤ — ان البلاد فى حاجة الى مضاعفة صادراتها فى الزراعة وارسال كميات كبيرة من حاصلاتها الزراعية خارج حدودها لكى تستعيض عنها بالآلات والوقود وسائر المصنوعات التى هى فى سيس الحاجة اليها للنهوض بمرافقها وتحقيق التصنيع فى ديارها ، وهذا الجهد يتطلب تضحيات جسيمة وقوى انتاج جبارة ومضاعفة العمل ومواصلة الليل بالنهار فى

= تمنح مساعدات مالية للأغراض العسكرية والمدنية لتدعيم استقلال تركيا ولاستقرار الحياة الإقتصادية هناك . وضمن ما قاله ان الشعوب الحرة عليها أن تدافع عن النظم الحرة والاستقلال القومى فى مواجهة ضغط النظم الديكتاتورية ، ووافق المجلسان بأغلبية الثلثين على المقترحات المالية ، وأرسلت بعثات عسكرية وبحرية واقتصادية لمعاونة تركيا وصلت إلى هنــاك فى يوليه سنة ١٩٤٧ ، واختصاصها وضع الخطط لصبغ الجيش التركى بالصبغة الحديثة وتحسين طرق النقل ووسائله ولزيادة طاقة البلاد صناعياً ولبحث بناء قاعدة بحرية فى مرمرة وعلى شاطىء بحر إيجة » .

وبلغت المساعدات الماليه التى أعطيت لتركيا نقــلا عن كتاب « الشرق الأوسط فى الشئون الدولية لنكزوفسكى من صفحة ١٤٧ إلى ١٥٠ » ما يأتى . « وافق الكونجرس فى سنة ١٩٤٧ على اعتماد قدره ٤٠٠ مليون دولار للشرق الأوسط نصيب تركيا منه مائة مليون دولار ، وأبرمت الولايات المتحدة وتركيا اتفاقا أساسه استخدام ٥ مليون دولار لتبادل الطلبة بين البلدين ، وأذاعت الحكومة أن تركيا واليونان حصلتا حتى مايو سنة ١٩٥٠ على مبالغ قدرها ٧٠٠ مليون دولار للناحية العسكرية و ٧٦٤ مليون دولار فى سبيل المساعدة الاقتصادية »

سبيل زيادة الرقعة المزروعة ، وتتعقد المشكلة تبعا لزيادة عدد السكان ولعدم تمشى الإنتاج الزراعى مع نمو السكان ، مما يزيد فى نفقات المعيشة ويؤدى الى ارتفاع الأسعار والالتجاء الى الاستيراد لشراء الحبوب والاغذية على حساب الآلات اللازمة للنهضة الاقتصادية والتصنيع .

٥ — ان البلاد فى حاجة الى المزيد من الفنيين والى الاهتمام بنشر التعليم فى ربوعها وخاصة الفنى والى استقدام رؤوس الأموال لاستثمار مرافقها البكر والى الالتجاء الى الخبراء المختصين لارشاد أبنائها الى الوسائل الفنية الحديثة فى الإنتاج وإدارة مصانعها المنشأة حديثا وفق الطرق العلمية الصائبة، ولا يمكن تحقيق التصنيع إلا بنشر التعليم ، كما لا يمكن رفع مستوى المعيشة وتشجيع الناس على استخدام وسائل الرفاهة والراحة الحديثة إلا عن طريق نور العلم ، وبذا يمكن فتح أسواق لاستهلاك الصناعات المحلية الناشئة .

٦ — ان دول الشرق الأوسط فى أشد الحاجة الى تقوية روابط الألفة بينها من الناحيتين المعنوية والمادية وتوحيد جهودها لانماء العلاقات بينها وتعاونها فى استثمار ثروتها ، ويحسن أن نعير عناية خاصة نشاط وسائل النقل بينها وتبادل الفكر والتجارة ، وليس هذا الأمر بالعسير فهذه الاقطار ذات روح وطبيعة واحدة ، والشرقى إذ ينتقل من مدينة فى قطر الى أخرى فى قطر آخر شقيق لايشعر البتة بغربة ، غير أن الوحدة لاتتدعم إلا مع تقارب مستوى التفكير والثقافة والرفاهة بين مختلف شعوب الشرق الأوسط حتى تتجانس العقليات وتتكافأ التضحيات . ويتعين فى هذه الحالة المبادرة بمحاربة الجهالة والتأخر بين هذه الشعوب كخطوة أولى وأساسية فى سبيل الوحدة الحقيقية .

وهذا الوضع يتطلب سياسة عامة تتكاتف فى سبيلها دول الشرق

الأوسط ، أساسها الخروج من جمود الماضى والتمشى مع التيار العالمى حتى لايجرفها ويكتب عليها الاستعباد لصالح الدول الأقوى والأكثر رقيا . ولست هنا فى صدد رسم برنامج تفصيلى لخلع القديم البالى ونسج ثوب جديد يتفق وتطور العصر ، فهذا يخرج عن نطاق البحث ، بل غايتنا ان نخط الطريق الرئيسى فحسب وفق منطق الحياة الحديثة القائمة على المدنية الغربية وقد اضحت مدنية عالمية .

إن الشرق العريق بمدنيته القديمة الغنية بعلومها وفنونها وآدابها وحكمتها وبتاريخه الحافل بالعظات البالغات ، وهو منبع حضارة الغرب مافى ذلك من شك ، وهو التربة الأولى لمدنيته التى تسود العالم اليوم ، يتطلب اليوم تعويض مافاته ومسارعة الخطى للحاق بموكب الحضارة العالمية الحديثة ، وان التغنى بالتاريخ الحافل والماضى المجيد وبان شعوب الشرق علمت الإنسان فلسفات وحكم ومهدت سبل البحث فى الرياضة والكيمياء والطبيعة والطب وغير ذلك من العلوم لايفيد فى إعادة بناء ما أفسده الجمود فى ديارنا ، وعلينا ان نجددوان نقدم للآجيال القادمة أسساً جديدة للنهوض ولا نترك الدار تنعى من بناها ونبكى على اطلال القدماء .

ولا مندوحة فى هذه الحالة من المبادرة بلا تردد إلى اتباع وسيلتين رئيسيتين لنجابه عدوان الغرب بقوة من نوع قوته ، ونفل حديده بحديد مثله فى شدته وصلابته ، ونقضى على الاستعمار الناشب أظفاره فى الشرق الأوسط وقد انتهز فرصة ضعفنا المؤقت ، وهاتان الوسيلتان الرئيسيتان هما : —

الوسيلة الأولى : —

الأخذ بالمدنية الغربية كوحدة تتفجر منها قوة العلم الحديث وتطوراته المختلفة ، ولا يمكن بحال تقسيم هذه المدينة وتوزيع قواها ونبذ أجزاء منها ، وذلك للأخذ بالقليل وبالقدر الذي يصبح كالدواء المسكن من الداء العياء لا المعالج له ، وهو التأخر والاضمحلال .

ورأينا فى روسيا بين سنة ١٦٩٩ وسنة ١٨٢٥ وفى تركيا بين سنة ١٧٨٩ وسنة ١٩١٩ ان الثورى الذى ينادى بالتطور هو الشاب الضابط فى الجيش أو البحرية ، وربما يكون الأمر غريباً ان يأتى التفكير التقدمى من العسكرى المشهور بأنه مبالغ فى المحافظة على التقاليد لا من المدنى الأكثر استعداداً للثورة والانقلاب ، وقد وجد بطرس الأكبر معاونيه على تغيير معالم القديم وتنفيذ برنامج الإصلاح وصبغ البلاد بالصبغة الغربية فى روسيا بين ضباط حرسه ، كما ان ضباط الحرس هناك هم الذين ثاروا ضد القيصر المحافظ نيقولا الأول سنة ٢٥ ١٠ وقد تأثروا بالآراء الثورية والأفكار الحرة المنتشرة فى أوروبا وكان موطنها الأصلى فرنسا نتيجة حروب نابوليون وولوج شحاذى المجد ربوع أوروبا بما فى ذلك روسيا ونتيجة احتلال الجيش الدولى فيما بعد بما فيه جيش روسيا فرنسا سنة ١٨١٤ بعد هزيمة نابوليون ، وطوال القرن التاسع عشر كان المنادى بالاصلاح أو رسول التطور أو الثورى الذى يعد العدة للانقلاب ابن الرجل الثرى بما يملكه من أراضى ، وهو يلتحق بخدمة الجيش أو الادارة وينشر بما قطفه من ثمار الثقافة وقرأه من المقالات الفلسفية فى المجلات الأدبية آراءه التقدمية ، ويحصل على تقاعده مبكراً ويقضي بقية أيامه

مستعيناً بدخله الخاص ، ويتصدى للظلم وينصب نفسه بطلا للإصلاحات السياسية والاجتماعيه ، وهـــذه كانت الحالة في بلدان أوروبا المتأخرة وخاصة فى روسيا .

وكانت الحالة فى الدولة العثمانيـه مشابهة فى نواح ومخالفة فى أخرى ، وكان الخليفة العثمانى سليم الثالث بطل الاصلاح هناك شديد الشغف فى صبغ البلاد بالصبغة الغربية ، غير انه فشل فى سعيه ، وجاء بعده يحمل نفس التفكير محمود الثانى ، ووجه همه إلى تنظيم الوحدات العسكرية على طريقة الغرب ، وقد لاحظ ما أصاب الدولة من هزائم نكراء تبعا لقدم نظام جيشها وسلاحه ، وان العلوم العسكرية فى ديار الاسلام لم تعد تصلح لمجابهة عدوان روسيا وغيرها ، ونذكر مثلا ان حرب روسيا ضد تركيا سنة ١٧٦٨ كانت وبالا على الأخيرة ودرسا شديد القسوة ، وأظهرت فى وضوح مدى عجز الامبراطورية المريضة وما يهددها من خطر الزوال ، وحشد الأتراك جيشا قوامه ربع مليون جندى لم يستطيعوا الصمود أمام وحدات روسيا العسكرية وقوامها نحو خمسين ألف رجـــل ، وسرعان ماتداعت المقاطعـة تلو الأخرى وسقطت فى يد الروس الذين زحفوا بسرعة من القرم حتى بلغاريا ، كما دمرت القوة الروسية الحديثة الأسطول التركى البحرى العتيق ، ودان للامبراطورية الارثوذكسية التى أخـذت بالمدنية الغربية كوحدة لاتجزئه فيها البحر الاسود إلى البواغيز ، وتتالت الهزائم على الأتراك حتى ضياع الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى ، ونذكر ان ضباط الدولة العثمانية الشباب وهم زهرة الأتراك كانوا روح ثورة سنة ١٩٠٨ وهى شبيهة بثورة روسيا سنة ١٨٢٥ التي سبقتها بقرن من الزمان في سبيل الاصلاح ، وكان هدف ثورة سنة ١٩٠٨ إقامة الدستور

الذى صدر سنة ١٨٧٦ على نسق الدساتير الغربية ثم عطله السلطان عبد الحميد وحكم البلاد قرابة ثلاثين عاماً حكما استبدادياً مطلقا ، وحاول بكياسته السياسية وحنكته ان يمنع تسرب الحريات الغربية وسائر أفكار الغرب الفلسفية إلى تركيا فيما عدا استعمال السلاح الحديث ، وعرقل سياسة التعليم وفرض الرقابة على النشر والكتب ، ولم يمد يد المساعدة إلا للمدارس العسكرية ظناً منه انه يكفى للمحافظة على كيان الدولة تدريب وتجهيز جيش قوى وفق الوسائل الحديثة ولا ضرورة لسائر الاصلاحات، وكان عبد الحميد شديد الفرق من الثورة، ولكنه كان ذكياً إلى حد انه يعرف انه سيفقد امبراطوريته بوسيلة أو بأخرى وان عليه ان يساعد طلبة المدارس العسكرية على الالمام بآخر ماوصل اليه الغرب فى العلوم العسكرية ، وحاول ان يحصر التعليم فى الحدود المهنية المحضة ، غير ان هذا الشباب التركى الوثاب بمجرد ان استطاع ان يقرأ اللغات الأجنبية ويعكف على قراءة الكتب أخذ علما بسائر أفكار الغرب السياسية والأدبية والتاريخية ونشأ من هذه الطبقة صفوة واعية، وكانت نواة حركة الاصلاح التى أدت إلى اعادة استقلال تركيا وفق النظم الغربية بالقضاء على الخلافة وعقبات الجمود بعد حرب الاستقلال التى تحرر الوطن فيها من معاهدة سيفر ، وأبرمت الجمهورية الفتية معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ تغسل بدماء أبنائها الزكية هزائم الحرب العالمية الأولى .

ويبين المؤرخ تونبى Toynbee خطط تجزئة المدنية الغربية للخروج من الجمود فى كتابه بعنوان العالم والغرب فيقول بخصوص ماحصل فى الدولة العثمانية « إن أشد الأنصار تحمسا للأخذ بالمدنية الغربية فى الدولة العلية كانوا فى قرارة أنفسهم يميلون فى حدود ضيقة إلى هذه

المدنية الأجنبية التى يقبلون عليها بجسارة لهضم قسط منها ، وكانت نيتهم ان يأخذوا منها المقدار الضرورى للابقاء على الرجل المريض فى أوروبا، وهـذه الحالة من التفكير الغامض هى التى أدت إلى فشل محاولات الاصلاح وفق أساليب الغرب هناك الواحدة تلو الأخرى ، والتاريخ يصدر حكمه بعبارة . دائماً النذر اليسير ودائماً بعد فوات الأوان كشعار لهـذه المدرسة القديمة من المصلحين هناك ، وكانوا يريدون ان يجعلوا تركيا قادرة على الدفاع عن نفسها ضد الدول الغربية كامبراطورية النمسا والمجر أوضـد الدول التى فى طريق الأخذ بناصية المدنية الغربية كروسيا ، وذلك بطريقة بسيطة وهى الباس العسكرى التركى الزى الغربى وتجهيزه بالأسلحه الغربية الحديثة وتمرينه على الفنون العسكرية الغربية، مع المحافظة فى الوقت نفسه على الحياة الرجعية التركية ، وهذه سياسة مادون الحد الأدنى لجرعة الدواء ، وكان لابد ان تفشل لأنها تنكر حقيقة ناصعة أصم المصلحون الأولون آذانهم حيالها بينما أدركها تماما بطرس الأكبر فى روسيا ، وهذه الحقيقة هى ان كل مدنية وكل وسيلة معيشة وحدة غير قابلة للتقسيم وان كل جزء فيهما يعتمد على الآخر ولا يمكنه الحياة بدونه ».(١)

ويواصل المؤرخ تونبى شرحه فيقول «ان سر تفوق الغرب على سائر العالم فى وسائل الحرب ابتداء من القرن السابع عشر لا يكمن فقط فى استخدام الاسلحة الغربية ووسائل التدرب ولا يكمن أيضا فى الفنون التى يستخدمها المدنيون لعمل السلاح وتقديمه للعسكريين . اننا لا يمكننا

(١) أنظر «العالم والغرب» لتونبى ، ترجمة جزء واحد، باريس سنة ١٩٥٣، صفحتى ٩٩ و ١٠٠ .

«Le Monde et L'Oocciden t» par Arnold J. Toynbee, 1 vol, Trad. Paris 1953 pages 99 et 100

أن نفهمه إلا إذا أدركنا ماذا يعنى بالتفكير وبروح الجماعة الغربية كمجموعة وكتلة ، ان فن الحرب فى الغرب ليس فى الحقيقة إلا وجها من وجوه الحياة الغربية. وان جماعة أجنبية تريد ان تملك ناصية هذا الفن بدون أن تحاول أن تعيش وفق الحياة الغربية يكتب عليها الفشل بلا محالة ، وبالعكس إذا أراد ضابط روسى أو تركى أو ضابط آخر ليس بالغربى أن يرتفع إلى مستوى كفاية الضابط الغربى المتوسط ، فهذا يأتى عن طريق اعتناق المدنية الغربية أكثر منه عن طريق قراءة الكتب واجراء التمرينات . وبعبارة أخرى المسألة الغربية التى احتدم أوارها فى تركيا وحاول الناس هناك زمنا أن يجدوا لها علاجا ناجعا لايمكن حلها بواسطة هذه الكميات الضئيلة من المدنية التى لاتغنى فتيلا ، وليس هناك عمليا إلا طريقان للوصول إلى الغايه ، إما أن يدفع الترك ثمناً غاليا يوما ما على خطئهم وبذا ينهارون كلية ونهائيا وإما أن يفلتوا من الفناء الكلى ببذل قواهم وأفكارهم وقلوبهم للأخذ بناصية المدنية الغربية ، وكانوا على شفا الهاوية ثم انقذوا فى اللحظة الأخيرة بأخذهم الى أقصى الحدود بالمدنية الغربية بقيادة مصطفى كمال اتاتورك» (١)

وبما يسترعى الاهتمام أن هذا المؤرخ الفذ يمتدح روح الإسلام القوية القائمة على التآخى بين أبنائه، ويتساءل ماذا يحدث وقد دخلت فكرة القومية Nationalite فى ديار الإسلام وما نتيجة مثلها وهى الضيقة المجال، بينما أن العالم الإسلامى حسب تعاليمه وحدة واسعة النطاق ؟ ، ويقول بالحرف «إن المسلمين بحكم دينهم أخوة وهو يضمهم الى اعطافه رغم اختلاف

---

(١) أنظر « العالم والغرب » لتوينبى - صفحتى ١٠٠ و ١٠١ .

اجناسهم ولغاتهم ووسائل معيشتهم » (١) . ويقول أيضا متسائلا وهل فكرة الأخوة هذه مع ما نعرفه من أن عالم الساعة الراهنة لا يعرف بعد المسافات التى ذللتها العلوم الحديثة لن تأت بين المسلمين بحل موفق المشكلة الاجتماعية والتقاليد الغربية التى تتمسك بالسيادة ، وتتعصب أشد التعصب الاستقلال ؟ إن منازل الشعوب فى اعتباره مفككة متحزبة وحرب على نفسها ، وهو يأمل ألا يصاب العالم الإسلامى بعدوى الانقسام المنتشرة فى الغرب وأن يظل محتفظا مع أخذه بشتى وسائل تقدم الغرب بلا تفرقة بين وسيلة وأخرى بتماسكه ووحدته فأن « الوحدة السياسية والاجتماعية فى ميدان النشاط السياسى العالمى ضرورية اليوم فى عصر الذرة ، وهى أهم حالا منها فى أى وقت مضى لانقاذ الانسانية من أشد المصائب خطراً » (٢)

ولم تستطع اليابان أن تنافس كبريات الدول العالمية وتضع حداً لاطماع الاستعمار فى ديارها إلا حينما بدأت تتحلل من التقاليد العتيقة وتخلع ثياب الخمول وتأخذ بأقصى قسط من المدنية الغربيـة ، حتى أصبحت ديارها صورة لهذه المدنية ، وهى تسير هناك مستقلة فى نواح معينة ، وبارشاد التطورات العلمية والفنية الغربيـة فى جل فروع نهضتها ، ولقد ترددت اليابان والصين فى بادىء الأمر فى الأخذ بهذه المدنية كمثل تدين بها . فهذا ما لا يمكن أن تهضمه ، ثم سرعان ما ساقتها الظروف وضرورة النهضـة إلى الاتجاه بكليتها نحو المدنية الغربية ، وهضمت علومها وفنونها ومعارفها بل ووسائل معيشتها ، ولم تترك بابا من أبواب الرقى فيها دون أن تطرقه هاتان الدولتان ، الأولى ابتداء من سنة ١٨٦٠ والثانية ابتداء من سنة ١٩٢٠ ،

---

(١) أنظر « العالم والغرب » لتوينبى ، صفحة ١٠٥ .

(٢) أنظر « العالم والغرب » لتوينبى . صفحتى ١٠٥ و ١٠٦ .

ويقول فى هذا الصدد تونبى «رأينا فى القرن التاسع عشر أن الصين واليابان وكانتا قد نبذتا المدنية الغربية فى وضعها الدينى تقبلانها فى وضعها المدنى حيث يسود العلم والفن والمعرفة لا الدين ويصبح فى المقدمة كنظام تطور» (١)

الوسيلة الثانية : —

الوصول بكفاية ومقدرة وعقلية المواطن العربى المتوسط أو بعبارة أخرى الذى يسمى الرجل العادى Common man ويوكل اليه شتى الأمور من أقلها الى أهمها ويعد شخصا مسئولا فى الدولة وخلية عاملة من خلاياها — الوصول به الى مستوى عقلية الرجل الادارى administratif الذى يستطيع أن يضطلع بمهمته بدقة ويقدر مسئوليتها ، وقد أطلق على هذا المستوى «الادارى» أو مستوى «تسيير أمور الإنتاج» وأطلق على الجو الذى يعيش فيه عصر السكرتارية Sécrétariat

معروف أن الجماعات تمر فى مراحل متعددة لتبلغ شأوا بعيدا فى التقدم الفنى والاقتصادى والسياسى ، وهذه الجماعات تبدأ متنقلة لا تستقر فى مكان معين طويلا ، ثم تهبط بقعة تطيب لها وتكون فيها العمران وتنشىء الدولة الزراعية ، ثم تأخذ بناصية التجارة فالصناعة ، وهكذا تنشأ الدول الزراعية التجارية الصناعية ، وتبلغ مراحل المدنية الراقية بقيام الدولة التى تعول أهلها عن طريق الزراعة والتجارة والصناعة، التى لا تعتمد على ديارها فقط بل تنشر أموالها ومصنوعاتها ونفوذها فى شتى بلدان العالم ، والصناعة وثيقة الصلات بتقدم العلوم على اختلافها ، كما أنها

---

(١) انظر « العالم والغرب » لتونبى ، صفحة ١٤٢ .

حافز نحو الاختراع والابتداع والابتكار، والوسيلة المثلى للربح والادخار وتشغيل الأموال فى أرض الوطن والخارج، وهى طريق اعداد القوة الكفيلة بالدفاع عن البلاد وبتمويل الحروب الحديثة. ثم بتحمل الحصار الطويل بالكفاية الذاتية وتسخير موارد البلاد وفق الاقتصاد الموجه والاستعاضة عن المنتجات المستوردة بأخرى مثلها أو شبيهة بها أو تغنى عنها إذا لزم الحال، وأخيرا يمكن لمثل هذه الدولة وقد انتشرت رؤوس أموالها وشركاتها ومشروعاتها وصناعاتها ومنتجاتها فى الخارج أن تذيع أيضا ثقافتها وأن تنشر روح علومها ومعارفها وأن تجلب الى صفها الشعوب التى تعجب بمبتكراتها وأفكارها. وهذه الأسلحة امضى من المدفع والبارود وأقوى فعلا فى الدعاية السياسية واتساع النفوذ الدولى.

وممن درسوا خطوات هذا التطور الاقتصادى التدريجى توطئة لتدعيم حياة الأمة السياسية وسيطرتها الاقتصادى الفيلسوف الألمانى فردريك ليست Frederic List (١٨٧٩ - ١٨٤٦)، وأطلق على مذهبه «المذهب الاقتصادى الوطنى»، كما جعل بآرئه للشعب الراقى مستوى عاديا يجب أن يصل اليه، وأن الشعب مادام دون هذا المستوى فهو لا يستطيع أن يحافظ على كيانه وأن يحقق إهدافه فى الرخاء والثراء وأن يصبح له شأن فى الأسرة الدولية، ويرى أن أهم مايجب أن يتحلى الشعب به لتحقيق هدفه الوحدة القومية، ويقول فى هذا الصدد «ان قوى إنتاج الشعوب لا تقوم فقط على أساس العمل والادخار وذكاء الناس وخلقهم أو على أساس حيازة المواد الأولية ومصادر الثروة الطبيعية، بل هى تقوم أيضا على أساس القوانين والنظم الاجتماعية والسياسية والوطنية. وقبل كل شىء على أساس قوى تحمل هذه الشعوب ومدى استقلالها وصلابة عودها

وإنه لايجدى فتيلا أيضاً نشاط الافراد وجدهم واقتصادهم فى المعيشة وذكاؤهم وخبرتهم وقواهم المعنوية وميلهم إلى تحقيق المشروعات النافعة إذا لم تك هذه الصفات مصحوبة بالوحدة القومية والاعتصام بها وبتوزيع الأعمال وتعاون قوى الانتاج ، فالبلاد لاتستطيع بدون هذه العوامل الهامة إن تبلغ شأواً بعيداً فى التقدم والنجاح وان تحتفظ مدة طويلة بثروتها الثقافية والاجتماعية والمادية » . (١)

ويصف « ليست » الشعب الناهض فى عباراته الآتية ، إذا قبض شعب وفير العدد يعيش فوق بقعة معينة من الأرض يعتمد بمساحتها له حضارته وثقافته على مرافق ثروة متنوعة تشمل الزراعة والصناعة والملاحة النهرية والبحرية، وإذا اشتغل علاوة على استثمار مرافقه استثماراً حكيماً بالتجارة داخل حدود بلاده وخارجها أصبح بلا شك ذا صولة وسلطان ، وتفوق على الشعب الذى يقصر إنتاجه على الزراعة ، وذلك لأن ربح الصناعة يزيد بمراحل على ربح الزراعة ، كما ان الصناعة هى الغالبة فى التجارة الخارجية ، وكلما تمادى هذا الشعب فى تنشيط الصناعات اتسع نفوذه واحتكر الأسواق العالمية » .(٢)

وهذه الخطة الاقتصادية فى الاتساع الصناعى يعاونها انتشار الآلات وتسخير قوى الطبيعة على اختلافها واستخدام العلوم فى نطاق واسع لنمو الانتاج والاعتماد عليها فى كافة مرافق تنمية ثروة البلاد واعداد حاجات الفرد وتوفير وسائل راحته ، ولقد غيرت الثورة الصناعية معالم الحياة

---

(١) انظر « الاسلوب القومى للاقتصاد السياسى » لفردريك ليست جزء واحد ترجمة باريس ١٨٥٧ صفحة ١٠٢ .

« Système National d'Economie Politique » par Frederik List, 1 vol, Traduction, Paris 1857 page 102 .

(٢) انظر « الاسلوب القومى للاقتصاد السياسى » لفردريك ليست ، صفحة ١٠٠

الاقتصاديه تغييراً شاملا ، وكان الانسان حتى القرن الثامن عشر يعتمد فى الصناعة على الوسيلة الحرفية ومهارة يديه ، ثم استعاض عن هذا الوضع بالآلات وتطورت الصناعة فى ظلها . وصار الانتاج واسع النطاق ووحداته لاعد لها وهى فى متناول الناس جميعا بلا تمييز ، ثم انتقلت الانسانية المتمدينة إلى طور الحياة الفنية التى تعتمد فى تقدمها الاقتصادى على التطور العلمى والفنى ، وأخيراً ظهرت أهمية الاداة المنظمة لهذه الحياة الاقتصادية الجديدة ، وأصبحنا فى « الطور الادارى » لما تتطلبه الصناعة من تنظيم اتجاه آلاف العمال وتوزيع الأعمال عليهم ورقابة انتاجهم ، ولما يتطلبه أيضا التبادل من اعداد المواد الأولية وتحويلها وفق حاجات الأسواق ثم توزيعها وفق مصالح المنتجين والمستهلكين ، وصارت أهمية مدير العمل ومدبر خططه تضارع أهمية المهندس ان لم تفقه ، ومعنى هذا إننا اليوم فى عصر يطلق عليه « عصر نظام السكرتارية » (١)

وقد انتهت حمى عبارة البروليتاريا Prolétariat وأثرها فى الانتاج ، وجاء عصر السكرتارية Sécrétariat وهى روح العمل والصناعة والبحث العلمى والتنقيب وتجارب المعامل وجهود الفنيين الملحقين بالعمل ، وهى مكتب القيادة الحربية للصناعة أسوة بأركان الحرب Etat Major فى الجيش ، ورقى الأمة يحسب بنهضة الصناعات فى دارها وبحذق مهندسيها وعمالها ويقظتهم وعنايتهم بالآلات ، فلا اهمال ولا تراخى ولا تهاون فى تركيب أقل مسمار فى قطعة ثانوية من قطع الغيار فى المصنع .

---

(١) أنظر «مجلة باريس» الشهرية . عدد اكتوبر سنة ١٩٥٣ ، مقال لاندريه سيفجريد بعنوان « عصر السكرتارية » صفحتى ٣ ، ٤

«Revue de Paris» No. Octobre 1953, Article par André Siegfried, pages 3 et 4.

ولم تعد أعمال السكرتارية اليوم وهى التى تجهز سير المصانع مجرد طائفة من الأوراق والدفاتر والمحابر، بل هى تعتمد على السرعة واستخدام الاختزال وآلات التسجيل والمحاسبة على اختلافها ، ثم سرعة ترجمة الاجتماعات إذا تطلب الأمر ذلك إلى عدة لغات على نسق ماشاهده فى اجتماعات عصبة الأمم سالفاً وهيئة الأمم المتحدة اليوم ، ونرى فى المشروعات الصناعية الحديثة أن الانتاج يشتمل على ثلاثة تطورات يمر فيها ، وهى : الاعداد ، والتنفيذ ، والرقابة ، ونشاهد ان التنفيذ يفقد صدارته وأهميته بالنسبة للاعداد والرقابة وهما من اختصاص التنظيم والسكرتارية ، نعم لقد كانت هناك إدارة دقيقة للانتاج منذ العصور السحيقة فى بناء الاهرامات وسور الصين وبرج بابل مثلا ، غير انها اليوم صارت معقدة وتقوم على أكتافها النهضة الصناعية فى البلاد ، وانتظامها أحد أركان المدنية الغربية الحديثة، ودلالة على الاهتمام بالتنظيم هذا يوماً بعد يوم نشاهد ان عدد الذين يباشرون الانتاج فى الولايات المتحدة ٧٦ ٪ من السكان فى سنة ١٨٧٠ وهو اليوم فى سنة ١٩٥٠ يبلغ ٤٤ ٪ من الشبان فقط . وفى نفس المدة صعدت نسبة المشتغلين بالتوزيع (أى التنظيم) من ٢٤ ٪ إلى ٥٦ ٪ وزادت نسبة المشتغلين فى المكاتب إلى عدد السكان هناك من ٢ ٪ سنة ١٨٧٠ إلى ١٤ ٪ فى سنة ١٩٤٠ ، وهذا نفس الحاصل فى البلدان الغربية العريقة فى الصناعة ، والقوة الصناعية الحديثة هى أساس رقى الغرب اليوم ، وكلما تألق نجم الدولة صناعياً وملكت ناصية انتاج الآلات واستخدامها استطاعت ان تقف فى وجه الصراع الدولى الحديث . وهكذا نرى ان أهمية اعداد العمل وكذا توزيع الحاجات تزيد اليوم على أهمية التنفيذ والتطبيق . (١)

(١) انظر «مجلة باريس» مقال لاندريه سيجفريد بعنوان «عصر السكرتارية» صفحة ٩

وعلينا ان نضع نصب أعيننا لا مجرد التقليد والنقل عن الغرب فحسب وان نصير آلة أو ننفذ وسيلة صناعية ونقف عند هذا الحد ، بل علينا لنضمن النجاح فى صراعنا ضد خصمنا المجهز بأحدث الوسائل الصناعية والفنية وقد ساهم فى التنظيم الصناعى الحديث والبحوث الفنية وابتكر منها ما ابتكر ان نعير اهتماما بالغا للوسائل الاقتصادية والتنظيم الغربية التى تعد الروح المحركة للصناعات الحديثة وتطوراتها ، وهى سر تقدم الغرب وتفوقه .

ومبادؤها الأولى ان يراعى الفرد مهندسا كان أو اداريا أو رب عمل أو عاملا دقة استخدام الآلات والعناية بها واحترام ساعات العمل ونظامه وعدم التهاون البتة فى أى أمر من الأمور الخاصة بالانتاج أو التنظيم أو التنفيذ أو التوزيع وان نعلم علم اليقين ان تطورات الصناعة سريعة وان الأمر لا يقف عند حد استخدام آلة وتنفيذ وسيلة من وسائل الانتاج ، بل ان مايشد أزر الصناعة هو البحث والتجارب العلمية. وان ندرك أيضا ان الادارة والتنظيم والسكرتارية هى العوامل الأولى فى نجاح الصناعة ، ولنذكر ان الحرب العالمية الثانيه لم تك بالنسبة لليابان فى مراحلها المختلفة إلى مايقرب من نهايتها ضدها ، غير ان تفوق الغرب فى ميدان التجارب والبحوث الفنية وتنظيمها عليها بوصوله سريعا إلى العثور على أسرار تحطيم الذرة واستخدامها واختراعه القنبلة الذريه ثم تفجيرها فوق تربتها نفسها ودكه « هوراشيما » و « ناجازكى » بواسطتها لانهاء الحرب - هذا التفوق العلمى هو الذى أنهى الحرب فى غير صالح امبراطورية الشمس المشرقة.

ولقد ذكر الاستاذ مونتيه Montet من جامعة جنيف فى محاضراته عن حاضر الاسلام ومستقبله فى «الكوليج دى فرانس» Collège de France

وهو أكبر معاهد العلم فى فرنسا فى سنة ١٩١٠ مايحسن ان نردده « ان مستقبل الشعوب الاسلامية فى تحريرها ، ومعنى ذلك ان تذلل هذه الشعوب عقبات التقاليد العتيقة التى تقف فى وجه تقدمها ونهوضها، وإننى أعنى بذلك الشعوب الاسلامية فى مجموعها ، وفى هذه الحالة يمكن للعالم الاسلامى ان يسير بخطوات راسخة فى طريق التطور الذى يقوده تدريجيا نحو التقدم ويجعله فى مستوى مابلغه الغرب اليوم » . (١)

ولقد تلقت الشعوب الاسلامية على يد الاستعمار وصنائعه الضربات والدروس القاسيات . وعليها حتى تقضى على الطفيليات التى تهدد كيانها ان تنتصح بآراء الناصحين من أطباء العصر المصلحين لا ان تمتنع عن الاستماع إلى انذارهم وتضرب بالدواء عرض الحائط لأنها تريد ان تبقى القديم البالى على قدمه ، ولقد شاهدت الدمار يحل بديارها وبديار كل من عجز عن مسايرة تيار العصر وهو خير عظة وعبرة ، ولكنها هروبا من الموقف تتمسح ببعض العبارات، التى يتبرأ منها الدين وتعاليمه ، فى ان أمور الدنيا تافهة وهى تفضل الذلة لأن لها الآخرة .

ويجدر بنا ان ننظر بعين الاعتبار إلى تلك الكلمة المأثورة عن الكواكبى فى طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد « العاقل من يستفيد من مصيبته والكيس من يستفيد من مصيبته ومصيبة غيره . » (٢)

---

(١) انظر « الاسلام حالا ومستقبلا » ست محاضرات القاها الأستاذ مونتيه فى الكوليج دى فرانس سنة ١٩١٠ طبعت فى باريس سنة ١٩١١ صفحة ١٣١

«De l'Etat Présent et de l'Avenirde l'Islam» Six Conferences par E. Montet au College de France en 1910, Paris 1911 page 131.

(٢) انظر « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » للكواكبى ، جزء واحد القاهرة ١٩٣١ صفحة ١٠١ .

الباب السادس

الصهيونية اداة سياسية تعصبية

أهم مراجع الباب السادس

كتب باللغة العربية :

١ ـ « مشاكل العالم العربى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية » ، لمحمد عزة دروزة جزء واحد ، دمشق ١٩٥٢ .

٢ ـ « اسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى » ، للمكتب الدائم لاتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة فى البلاد العربية ، جزء واحد ، بيروت ١٩٥٢ .

٣ ـ « الخطر اليهودى » ، ترجمة لمحمد خليفة التونسى ، جزء واحد ، القاهرة ١٩٥١ .

٤ ـ « الصهيونية سافرة » للسيد أحمد حامد الفقى ، جزء واحد ، القاهرة ١٩٥١

كتب بالفرنسية والانكليزية :

١ ـ « مشكلات الشرق الأوسط الحالية » لبيكو ، محاضرات فى العلوم السياسية ، جزءان ، باريس ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩

1—«Problèmes D'Actualités Du Moyen Orient» par Picot, 2 vols Institut D'Etudes Politiques, Paris 1948-1949.

٢ ـ « وجوه عبقريه إسرائيل » كراسات الجنوب ، جزء واحد ، باريس ١٩٥٠ .

2—«Aspects du Génie D'Israel» Cahiers du sud, 1 vol, Paris 1950

٣ - « خلاصات فى دولة إسرائيل » المجلة الدولية الشهرية عدد خاص ، أغسطس — سبتمبر ١٩٥٢ ، بروكسل

3—Synthèses «L'Etat D'Israel» Revue Mensuelle Internationale, Numéro Spécial-Août-Septembre 1952, Bruxelles.

٤ - « الصهيونية والانتداب الانكليزى فى فلسطين » لأنيس الصغير. رسالة دكتوراه بجامعة باريس ، ١٩٣٢

4— «Le Sionisme ct le Mandat Anglais en Palestine» par Anis Saghir, these de Doctorat. Paris 1932.

٥ - « محاضرات الدكتوراه فى تاريخ القانون العام » للاستاذ أو ليفية مارتان باريس ١٩٢٦ — ١٩٢٧

5—«Histoire du Droit Public» par Olivier Martin,Cours de Droit (Doctorat) Paris, 1926—1927.

٦ - « جمهورية اسرائيل » لدونر ، جزء واحد ، نيويورك ١٩٥٠ .

6—«The Republic of Israel» by Dunner, 1 vol, NewYork 1950

٧ - « اسرائيل » لبنتويش ، جزء واحد ، لندن ١٩٥٢

7—«Israel» byBentwich, 1 vol, London 1952.

٨ - « حصن الديموقراطيه فى الشرق الأوسط » لدونر ، جزء واحد . ايوا ١٩٥٣

8—«Democratic Bulwark In The Middle East» by Dunner, 1 vol, Iowa 1953.

الباب السادس

الصهيونية أداة سياسية تعصبية

تعريف الصهيونية — نواتها الاولى — حركتها الجديدة — هرتزل وبرنامجه — فلسفتها التعصبية

الخطوة التالية في دراساتنا وقد استعرضنا بوجه عام مثل العرب وإسرائيل والأصول التي ينحدر منها شعباهما ووجوب ابعاد فكرة نقاوة العنصر اليوم في دراساتنا أحوالها وحالة البلدان العربية المحيطة باسرائيل وما خلقته الأخيرة من أزمات متعاقبات في سبيل نشأتها بالقوة واتساعها، الخطوة التالية هي دراسة الفلسفة التي تستند إليها إسرائيل سياسيا وما تدعيه بموجبها من حقوق لا تخرج عن أنها مناورات سياسية بعيدة عن روح الاديان السمحاء وطبائعها بما فيها الأصول الأولى للشريعة الموسوية.

وفيما يلي شرح الصهيونية التي انشئت بموجبها عنوة دولة إسرائيل ونواحي نشاطها منذ أواخر القرن الماضي ، ويتناول البحث : ١ — تعريف الصهيونية ٢ — وبيان نواتها الأولى ٣ — وشرح خطوات حركتها الجدية ٤ — وبيان الدور الذي قام به هرتزل زعيمها السياسي وبرنامجه وكفاحه في أهم مؤتمراتها ٥ — وكيف صارت فلسفة دينية سياسية تعصبية .

* * *

تعريف الصهيونية

يمكن تفهم الصهيونية من وصفها ، وهى خطر سياسى يقوم على ادعاء دينى أو بعبارة أخرى تصرف عنيف قاس ذريعته الدين الموسوى والتعصب له والعنصرية والتعلق بها واستذراف الدموع وانتزاع العطف من القلوب انتزاعا واستنزال الرحمة على من تزعم الصهيونية واعتبار أن أنصارها فرائس الاضطهاد العنصرى الدينى، وإذا بنا نجدها تسرى سريان النار فى الهشيم وتدب دبيب المرض الفتاك فى الجسم النحيل الضعيف المناعة وتصبح بدورها عنصرية متعصبة إلى أبعد حدود التعصب وعملا ايجابيا عدوانيا لا للحصول على حق أو لرفع الظلم بل لارتكاب المظالم وأقصى ضروب الوحشية للحصول على المغانم والاسلاب من أمم مسالمة تعيش هادئة فى ديارها وتعمل فى سبيل عيشها وبناء صرح مدنيتها وفق تاريخها وتقاليدها . فالصهيونية تقوم على مزج الفكرة الدينية بالفكرة السياسية وقد خرجت الأولى من بطن أرض معينة هى أرض صهيونية كما تخرج الاشواك من تربة شحيحة لتصيب السالكين بابرها ، وتعلقت بهذه الأرض دون سواها وقصرت همها على طائفة معينة من أتباعها نابذة رسالة الدين فى حض الناس على التعاون ، وهدفت فلسفة التعصب هذه الى تحقيق سياسة تتفق مع قصر الأرض على أنصارها أى اقامة دولة دينية تعصبية عنصرية، وتعين لذلك الالتجاء الى القوة والاعتداء على أصحاب الدار لطردهم منها والحلول محلهم .

وهذه الصهيونية سلاح فتاك من أسلحة الاستعمار وما أكثر أسلحته همها النيل من الإسلام وبث روح الذعر والتفرقة والدمار فى دياره وتعويق بعثه ونهوضه ووحدة شعوبه ، وقد شجعته الامبراطوريات

الاستعمارية منذ أواخر القرن الماضى لتفكيك وحدة الامبراطورية العثمانية والتعجيل باتخاذ ما من شأنه أن يحول دون نمو الروح القومية العربية فى هذه البقعة من الشرق الأوسط التى تزعم الصهيونية أنها يجب أن تؤول إليها بحكم الماضى التاريخى الدينى المزعوم .

ولقد رأينا فى دراساتنا السالفة كيف أن مبادىء الدين الاسرائيلى فى ذاتها كما شرحها الأستاذ « بيك » تدل على أنه دين عام شأنه شأن سائر الأديان يدعو الناس إلى اعتناقه بصرف النظر عن عنصرهم ، وهو دين عام كذلك لأنه ينشد الأنصار ليشد بهم أزره ، ولا يعقل وليس له من معتنقيه إلا نفر أن يحصر نشاطه فى نطاق ضيق محدود ، غير أن الصهيونية وهى الدعاية السياسية الحديثة التى صادفت هوى فى نفوس المستعمرين حينما نادى بها فريق من الذين أمعنوا فى التعصب اتخذت الروح الدينية أداة للتنكيل بالغير نظير إنشاء وطن قومى لليهود ، ولينشأ الوطن القومى هذا فى اعتبارها ولا أهمية لما يحدث بسببه من مجازر ومذابح واضطراب للسلام العالمى .

وهكذا يمكن أن تحدد أهداف الصهيونية فى أنها انشاء وطن قومى لليهود فى المكان الذى يزعمون أنهم عاشوا فى ربوعه ردحا من الدهر منذ آلاف السنين ثم انفرط عقدهم وهاموا على وجوههم فى مشارق الأرض ومغاربها واندمجوا فى شتى المدنيات والقوميات ، فهى صرخة تريد أن تلحق بالتربة الاسرائيلى الصهيونى الغريب عنها وتجعل من هذه التربة بعثه وحياته ، وهذا الاسرائيلى لم ير هذه الأرض من قبل ، بل له موطنه وتراثه وقومه بعيداً عنها بآلاف الأميال ولم يعمل يوماً ما فلاحاً فى أرض معينة ليتعلم الشغف بالأرض والتعلق بها ، بل كان همه منذ القرون

السحيقة التجارة والمال ، ولم يك له أرض يلتصق بها التصاق العظم باللحم فلا تهمه جنسية الدولة التى ولد فيها ويعيش فى ظلال قوانينها .

والصهيونية أحياء أحلام هى تكوين شعب يهودى قائم بذاته له دولته يعمل فى الأرض والزراعة ويعيش حياة المستعمرات الزراعية التعاونية ولا ينطق إلا بلسانه الذى يتلو به صلواته ، وكانت فى ترديد أحلامها تذكر أن أرض الميعاد هذه فى فلسطين (ومعنى هذه الكلمة كما يدل على ذلك اسمها القديم أرض العجائب) حيث المكان يتسع للمسلم ولغير المسلم وإنها لا ترمى إلى إقصاء المسلم من دياره ، ولكن بمجرد أن هبطت إلى فلسطين وتمكنت بواسطة الاستعمار الغربى من إنشاء مستعمراتها الأولى كشرت عن أنيابها وطردت أصحاب الدار منها .

***

نواتهـــا الأولى

أول تفكير جدى فى تحقيق الصهيونية كان بمناسبة قضية « دريفوس » Dreyfus الضابط اليهودى فى فرنسا الذى اتهم بالخيانة فى آخر القرن الماضى ، وحوكم بقسوة أمام المجلس العسكرى وجرد من رتبه فى رحبة المدرسة العسكرية فى باريس ، وكان ضمن الحضور مندوبو الصحافة الدولية ومنهم صحافى نمساوى يهودى يدعى « هرتزل » Herzl ، هو مراسل جريدة « الصحيفة الجديدة الحرة » من فينا ، وكان رغم ثقافته النمساوية الراقية وتخرجه من جامعة فينا حيث درس القانون والأدب بحكم حنينه لبنى دينه وملته ينحو ناحية تعصبية ، ولم يرض ككثيرين غيره من الكتاب من مختلف الأجناس والأديان عن المحاكمة ، وأخذ يشن

عليها حرباً قوية ، وتطور الحال إلى تفكيره فى تحقيق الصهيونية من الناحية السياسية ، ولما كان واسع الصيت فى عالم الصحافة أخذت الصحف تقبل عليه وتشجعه فى شرق أوروبا وامبراطورية النمسا والمجر وتنشر له أى شىء يكتبه ، وفضلا عن ذلك كان يمد الناشرين بالقصص والروايات المسرحية ، وتعددت كتاباته لصالح تآزر الشعب اليهودى ضد الاضطهاد العنصرى على أساس الصهيونية ، وأزكى النار ما وقع على رؤوس اليهود من مظالم فى روسيا القيصرية وخاصه فى بولونيا ، وكذلك فى سائر أنحاء أوروبا(١) .

---

(١) إن مؤثرات تاريخية عدة ساعدت على زيادة نيران الصهيونية اشتعالا على مر العصور ، وأهم هذه المؤثرات نبذ المجتمع الأوروبى فى العصور الوسطى وعهد الاقطاع بعكس المجتمع العربى والإسلامى اليهود من وسطه ، وفرض معاملة قاسية حيالهم أقلها اعتبارهم أجانب ، وحرمانهم من الوظائف العامة والجندية ومراتب النبل فى الدولة ، وانصرف اليهود وقد اقتصرت سكناهم على أحياء معينة وتميزوا بلباس خاص إلى أعمال التجارة والنقود وقد تعذر عليهم تملك الأرض والزراعة واستخدام السيف والقلم فى خدمة الدولة .

وتولدت فى نفوس اليهود مرارة قاسية وحقد على المجتمع وتكتلوا لمحاربته وبالغوا فى التشكك فى كل ما يحيط بهم ، ثم انقلب هذا الموقف الى مساهمة فى كل انقلاب وثورة وهدم للنظام القائم للمساعدة على قيام آخر يحققون فى ظله أحلامهم فى الحرية ثم الاتساع ثم فى أنهم شعب الله المختار .

ومن المبالغة القول بأنهم مصدر الثورات والانقلابات وهم الذين يعملون دائما على وقوعها ، فهذا ما لا يتفق مع طبيعة العالم السياسية الوثابة وتطور الحياة العامة للجماعات باستمرار وانتقال الانسانية من طور اقتصادى الى آخر وفق حاجاتها ودرجتها فى الرقى ، وهذا معناه أن اليهود وهم أقلية ضئيلة فى العالم

الواسع يسيرون شعوبه ونهضاته ووثباته الكبرى ، فإن قصر الثورات على جهودهم وتصرفاتهم هو الاقلال من رسالات الشعوب الأخرى .

وجاء نقلا عن محاضرات الدكتوراه فى الحقوق فى جامعة باريس عن تاريخ القانون العام للأستاذ « اوليفيه مارتان » Olivier martin لسنة ١٩٢٦ — ١٩٢٧ ماخلاصته «إن الجماعة فى العصور الوسطى كانت جماعة مقفلة الدائرة قاسية ، وكان اليهودى فيها يعتبر أجنبيا ، ولم يستطع اليهود أن يكونوا بأى حال من الأحوال شعبا ، وكل ما أمكنهم أن يعملوه هو تكوين أقليات ضعيفة كانت عاجزة عن الدفاع عن كيانها» وجاء فيها أيضا ما خلاصته « لم يك لليهود فى فرنسا فى النظام الملكى القديم حقوق مدونة البتة ينعمون فى ظلالها بالحماية من الاضطهاد ، وفى القرن السادس عشر تمتعوا بقليل من الحرية التى منحتها لهم السلطات الادارية ، وكان موقفهم يختلف باختلاف المقاطعات هناك ، ففى الالزاس مثلا كانوا يتمتعون بحرية مباشرة عباداتهم نظير اتاوات خاصة يدفعونها لأمراء المنطقة » ، ومعروف أن الثورة الفرنسية وسائر الثورات ضد الرجعية فى أوروبا أعلنت فيما بعد حقوق الانسان ومساواة المواطنين وحرية العبادات .

وجاء فى كتاب « الصهيونية سافرة » لسيد احمد حامد الفقى — طبع فى مصر سنة ١٩٥١ ، من صفحة ١٣٤ إلى ١٣٦ مايوضح هذه المرارة التى حولت اليهود إلى كتلة نارية ضد الانسانية السمحاء وقادتهم إلى تيار الصهيونية التعصبية فى المثل الآتى وله نظائره التى لا تحصى فى تاريخ الصهيونية « فى عام ١٨٨٠ نشرت مجلة الدروس اليهوديه التى تتقاضى نفقاتها عن جيمس روتشلد مستندين يوضحان أن حكماء صهيون يعملون منذ القرن الخامس عشر فى سبيل الفتح اليهودى ، ففى كانون الثانى سنة ١٤٨٩ كتب شامور ربانى يهود مدينة ارل (من أعمال مقاطعة البروفنس) الى المجمع اليهودى العالى القائم فى الاستانة يستشيره فى بعض حالات حرجة قال : إن فرنساوبي اكس وارل ومرسيليا يتهددون معابدنا

فماذا نعمل ؟ فتلقى الجواب التالى : « أيها الأخوة الأعزاء بموسى تلقينا كتابكم وفيه تطلعونا على ماتقاسونه من الهموم والبلايا فكان وقع الخبر هذا شديد الوطأة علينا . واليكم رأى المرازبة (الحكام) والربانيين . بمقتضى قولكم ان ملك فرنسا يجبركم أن تعتنقوا الدين المسيحى ، فاعتنقوه لأنه لا يسعكم أن تقاوموا ، غير أنه يجب عليكم أن تبقوا شريعة موسى راسخة فى قلوبكم . بمقتضى قولكم أنهم يأمرونكم بالتجرد عن أملاككم فاجعلوا أولادكم تجارا ليتمكنوا رويدا رويدا من تجريد المسيحيين من أملاكهم . بمقتضى قولكم انهم يعتدون على حياتكم فاجعلوا أولادكم أطباء وصيادلة ليعدموا المسيحيين حياتهم . بمقتضى قولكم انهم يهدمون معابدكم فاجعلوا أولادكم كهنة واكليريكيين ليهدموا كنائسهم . بمقتضى قولكم انهم يسومونكم اعتداءات أخرى كثيرة فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوى وكتبة عدل وليتدخلوا دائما فى مسائل الحكومة ليخضعوا المسيحيين لنيركم فتستولوا على زمام السلطة العالمية وبذلك يتسنى لكم الانتقام . سيروا بموجب أمرنا هذا فتتعلموا بالاختبار أنكم فى ذلكم وضعتكم تتوصلون إلى ذروة القوة والعظمة . التوقيع . . . أمير اليهود » .

وجاء فى كتاب « الخطر اليهودى ، بروتوكولات حكماء صهيون » ، ترجمه إلى العربية محمد خليفه التونسى ، وطبع فى مصر سنة ١٩٥١ ، فى أكثر من موضع مايعزو الثورات العالمية الاشتراكية والشيوعية إلى اليهود والصهيونية ، ونحن لانتعرض إلى أصول هذه الثورات وآثارها ، غير اننا لا نشارك الكتاب الرأى فى تركيز كافة الحركات السياسية والاقتصادية والتطورات وعليها مصائر الشعوب وهى توجه المدنية فضلا عن أنها فى طبيعة الحياة السياسية الدائمة الحركة « dynamique » فى جهود الشعب اليهودى وابناء صهيون . إن مثل هذا التفكير يرفع من شأن اليهود رفعا كبيرا مصطنعا بلا مبرر ويحكم على آلاف الملايين من شعوب العالم بالجمود وانعدام تفكيرها فى تحسين مصائرها وتحطيم سلاسل الاستعباد والقضاء على استرقاق الناس سياسيا

واقتصاديا ، اليهود شأنهم شأن سائر الأمم ساهموا فى الثورات ودفعتهم مرارة ما قاسوه من اضطهاد إلى المسارعة بالاشتراك فى الانقلابات الخطيرة التى علقوا عليها آمالا كبارا فى انهاء عهد الظلم والاضطهاد وتحريرهم من الغيتو الذى سجنوا فيه باعتبارهم منبوذين .

وإن حقد اليهود على المجتمع ومناصبتهم هذا المجتمع العداء نتيجة اهمال المجتمع شأنهم واعراضه عن التعاون معهم حدا إلى قيام جبهة معادية تحولت بمساعدة الاستعمار فيما بعد إلى السياسة الصهيونية التعصبية الخطيرة ، ودولة اليهود التى نشأت نتيجة الصهيونية ، كما جاء فى كتاب «الخطر اليهودى ، بروتوكولات حكماء صهيون» الذى سبق الأشارة اليه — صفحة ٢٦ ، ليست لها حدود أو أرض بالذات فهى كالزلازل ينبعث خطرها من شتى الجهات ، وعبارات الكتاب مايأتى « ان دولة اليهود قائمة دون شك ، لكن لا فى إسرائيل ولا فى أى رقعة واحدة محدودة فى جهة من الأرض ، فليست لها حدود جغرافية ولا لغة واحدة ولا نحو ذلك من مقومات الدولة فى بعض الدول ، وليس لهذين المقومين ونحوهما أهمية كبيرة ، وان كان اليهود قد اتجهوا أخيرا إلى تكوين مملكة إسرائيلية بدأت فى فلسطين ، وهى تهدف إلى الاستيلاء على رقعة الشرق الأوسط والبلاد العربية خاصة ، لتتحكم فى تجارة العالم بين الشرق والغرب لقيامها فى ملتقى القارات الثلاثة : آسيا واوروبا وافريقيا ، وتشمل قناة السويس ، وتستغل سكان هذه الرقعة الضعاف فى نظرها ، وتستولى على آبار النفط وكل المعادن ... » وجاء فى نفس الكتاب فى صفحة ٢٧ « .. فالذين يقصرون الخطر اليهودى أو خطر الدولة اليهودية على هذه الرقعة الضئيلة فى فلسطين أو فى الشرق كله — قوم لا يفهمون احداث التاريخ وتياراته وروحه ولا يفطنون الى نظم الاجتماع البشرى ، ولا يعرفون شيئا عن الروح الملية لليهود ... »

وشفع هرتزل جهاد القلم فى الصحف بخطاب كتبه فى مايو سنة ١٨٩٥ إلى البارون هيرش Hirsch الألمانى اليهودى المشهور باغداق العطاء والكرم، وجاء فيه «أريد أن أبحث معك برنامجاً يهودياً سياسياً أثره قد يمتد إلى المستقبل البعيد يوم لا نكون نحن الاثنان فى هذه الحياة الدنيا»، ووضع هذا البرنامج السياسى فى رسالة بلغت ٦٥ صفحة كانت الخطوة الجدية الأولى نحو الصهيونية بعنوان «الدولة اليهودية»، ومما ذكره ما يأتى: «إننى أنتشل مرة أخرى تقاليد شعبى المهدر الحقوق وأتوجه بها إلى أرض الميعاد ... وهناك فى نهاية المطاف يمكننا أن نعيش جميعاً أحراراً كسائر الناس فى أرضنا، وكذلك هناك نموت فى سلام فى أرض أجدادنا، وهناك ننتظر كلمة الشرف والفخار التى ننالها نظير ما نقوم به من أعمال عظيمة، وتختفى عبارات الإهانة التى توجه إلينا بنعتنا باليهود وتصبح كلمات تبجيل وفخر مثل كلمة الألمانى والانكليزى والفرنسى شأننا شأن سائر أبناء العالم المتمدين، وهناك يمكننا أن نكون دولتنا كما نشاء وأن نعلم شعبنا وندربه على الواجبات التى لا تزال بعيدة عن متناولنا، وأنظارنا، ومن المؤكد أن الله ما كان يتركنا أحياء هذه المدة الطويلة إذا لم يك قد حدد لنا دوراً هاماً معيناً نقوم به فى تاريخ الإنسانية»، هكذا كانت صرخات هرتزل هذه مدوية بين اليهود، ومع أنها لم تك الأولى فى شأن تحديد وطن قومى لليهود فقد كان لها أثرها فى الدوائر اليهودية الراقية وفى المحافل السياسية.

وإذا كان هرتزل قد سجل بدقة الفكرة الصهيونية، فمع ذلك لم يك أول من نادى بها من بنى ملته فقد سبقه إليها اليهودى الألمانى الاشتراكى «موسى هيس» Moses Hess فى سنة ١٨٤٠، وقد كتب فى هذا الصدد

« سنظل دائما أجانب بين مختلف الشعوب التى نأوى اليها ، حقيقة سيمنحوننا حقوقا وفق مبادىء حقوق الإنسان مع شعورهم بوجوب تطبيق قواعد العدل والحق ، ولكنهم لن يحترموا البته وضعنا طالما نجعل ذكرياتنا فى المرتبة الثانية بينما يجب أن تصبح مبادئنا الأولى » ، كما لا نغفل أيضا ذكر العالم اليهودى الروسى « ليو بنسكر » L. Pinsker فقد نشر فى سنة ١٨٨٢ تحليلا عن مشكلة اليهود بعنوان « التحرير يجب أن يأتى من أنفسنا » Autoemancipation ، وزعم فيه أن هذه المشكلة هى مأساة العصر الحديث وأن على يهود أوروبا الا يأملوا فى بروز شخصيتهم بين الشعوب التى يعيشون فى كنفها ، ولن يكون لهم جنس خاص قائم بذاته طالما هم فى هذا الوضع ، ونذكر أيضا ممن دعوا إلى الصهيونية جماعة بيلو Bilo أو جماعة « بيت يعقوب » ، وهم طائفة من الطلبة الروس اليهود ، وكانوا يقولون إن اليهود لا يطيقون الحياة فى شرق أوروبا وعليهم أن يهاجروا منها ، غير أن هذه الهجرة إلى أية جهة غير فلسطين لن تحل المشكلة فسيظل اليهود هائمين على وجوههم بلا وطن ، وان الساعة فى اعتبارهم حانت كى يعود اليهود إلى أرض أجدادهم ، وجماعة « بيلو » هم من أبناء « الغيتو » أى الأحياء المخصصة لليهود فقط فى المدن الأوروبية Ghetto ، وكانوا خليطا من التجار والطلبة ورجال الدين وغيرهم ولم يك بينهم مزارعون ، غير أنهم بالمثابرة صاروا أول من كون المزارع التعاونية فى فلسطين (١)

وأخيرا نذكر أحباء صهيون ، وكانوا جماعات متفرقة من اليهود الروس المتحمسين ومن بينهم الدكتور « وايزمان » Weismann المشهور

---

(١) انظر « مشكلات الشرق الأوسط الحالية » لبيكو ، محاضرات فى العلوم السياسية ، الجزء الثانى ، صفحة ٢٣٦ .

وكانوا ينتقلون من منزل لآخر لجمع الأموال لإنشاء المستعمرات فى فلسطين ومن أشد معاونيهم ومشجعيهم البارون دى روتشلد Rothschild فى باريس، وقد مدهم بالأموال بسخاء، وكان ذلك فاتحة انشاء أول مستعمرتين زراعيتين هناك، وتبع ذلك عدة مستعمرات هامة بمساعدته.

* * *

حركتها الجدية

اتخذت الحركة الصهيونية كما سبق أن شرحنا حركتها الجدية المنظمة بتوجيه هرتزل، وهو الذى قام بثورة عالمية يهودية ودعا إلى عقد اجتماع يهودى لوضع سياسه صهيونية منظمة على وجه الدقة، ولقد سبقه يهود آخرون فى المناداة بعقد مؤتمر صهيونى عالمى، ولكن وسائل تحقيق الخطط ورسم السياسة الصهيونية وإخراجها إلى نطاق التنفيذ من بنات أفكار هرتزل.

ولقد كانت فكرة المؤتمر اليهودى العالمى أيضا من اقتراح الكاتب اليهودى الألمانى «ناتان برنبوم» Nathan Birnbaum الذى أخرج المصطلح المشهور وهو الصهيونية Zionisme إلى عالم الفكر والسياسة، ويعنى به القدس فى عرف اليهود، وصادف اقتراح عقد المؤتمر صعوبات وحاربه بعض اليهود الأثرياء فى أوروبا ومنهم «هيرش» الذى رفض فكرة إقامة اليهود فى بلاد مستقلة باسم الدولة اليهودية، ورد على الاعتراضات «هرتزل» بخطاب إلى أحد اتباعه ومؤرخى حياته فيما بعد الانكليزى اليهودى «جاكوب هاس» Jacob Hass فى سنة ١٨٩٦ فقال

« هناك رد على هـــذا الموقف ، فلننظم الجماعات اليهودية ولنعمل على تـكتلها حالا »(١)

ولا ننكر أن الجهود المذكوره التى سبقت حركة هرتزل كان لهـا أثر فى دفع اليهود إلى الحركة الصهيونية التعصبية ، غير ان فكرة هرتزل كما سبق أن ذكرنا تعدت مجرد الناحية النظرية والالتجاء إلى أغنيـــاء اليهود فى انجلترا وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية إلى نطاق أوسع وهو جمعهم فى صعيد فكرة واحدة يعقدون العزم على تنفيذها بكل ما أوتوا من الوسائل السياسية والأدبية والمالية ، بل وبالقوة حينما تدق الساعة ، فهرتزل يرمى إلى عقد مؤتمرات عامة لبحث مشكلة اليهود وقد أنشأ مشكلة ولدت شيطانا هو الصهيونية ، ثم اتجاها إلى صهيون أى بيت المقدس مطمع اليهود وأرض الميعاد التى لم يحطوا عصا ترحالهم فيها منذ عشرات القرون إلا ليرحلوا عنها ، وكانت حياتهم فى هذا الوادى المقدس عراكا وحرباو تقتيلا فيما بينهم ، وهم يهادنون ويداهنون ويلينون ويتذللون للدول الـكبرى والدولة العثمانية صاحبة السيادة والسلطان فى فلسطين ، ويطلبون منها أرضا يعيشون فيها مع المسلمين فى أمان ، ويريدون أن يفهموا العالم أن ليس وراء أغراضهم أى مطمع سياسى ولـكن شرورهم وعدوانهم ونواياهم الاستعمارية لا تلبث أن تظهر سافرة بمجرد إقامتهم فى هذه الأرض ، ويصبح ديدنهم القتل والدمار ، ويفقد العرب وهم أصحاب البلاد اسراتهم وأموالهم ويشردون فى الأرض

---

(١) انظر « جمهورية اسرائيل » لجوزيف دونر جزء واحد ، نيويورك ١٩٥٢ ، من صفحة ٢٠ إلى ٢٧ .

«The Republic of Israel» by Joseph Dunner, I vol, NewYork 1952, from page 20 to 27.

ويقول هرتزل تأييدا لفكرته أيضا ، إن قيادة شئون اليهود يجب ألا تلقى على عاتق الأفراد مهما كانت نواياهم طيبة ، ويجب انشاء حلقة Forum يجتمع فى صعيدها اليهود تبحث فيها الطائفه ما يجب أن يعمله كل فرد لصالحها ، وكذا مالم يستطع تحقيقه ، ووجه هرتزل رسالة لليهود يحض فيها على عقد أول مؤتمر صهيونى جامع فى ميونيخ عاصمة بافاريا من أعمال ألمانيا ، غير أن زعيم اليهودية الألمانية عارض فى هذا الاقتراح واحتج عليه وعلى فكرة الصهيونية السافرة وعقد مؤتمراتها فى ألمانيا ، وكان فى رأى اليهود الألمان — ويلاحظ أن موقفهم هذا كان سابقا على حركة النازية بسنوات طويلة — ان مرامى واطماع الصهيونية تتعارض مع الرسالة الاسرائيليه المقدسة وواجب كل يهودى فى أن ينتمى الى البلاد التى يعيش فيها بلا أدنى تحفظ ، وهذا الوضع طبيعى ومنطقى فهو مشتق من الفكرة الدينية نفسها ثم من روح القوميات وحركتها التى لا تتعارض مع قيام جنسية ودين لكل مواطن ، وأن الدين لا يعد مجال جنسية (١) .

ولكن غلبت روح التعصب وفازت ، وضرب هرتزل وأنصاره على نغمة اضطهاد اليهود وانتشار الفقر بينهم ووجوب انتشالهم من المظالم التى يقاسى بعضهم آلامها وأنه يوجه دعوته لمن يشعرون بأنهم يتقمصون روح صهيون ، واجتمع المؤتمر الصهيونى الأول فى ٢٩ أغسطس سنة ١٨٩٧ فى مدينة بازل Basel التاريخية الجميلة على نهر الرين من أعمال سويسر بدلا من ميونيخ ، وهكذا كان لاثارة الشعور والاحقاد فعلها. وضمن ما تشدق اليهود به فى المؤتمر المناداة بمبادىء الصهيونية أن

---

(١) انظر « جمهورية اسرائيل » لدونر ، صفحة ٢٢ .

شملهم التام لأول مرة منذ عام ٧٠ للمسيح حينما زالت شخصيتهم السياسيه من عالم الوجود .

* * *

هرتزل زعيم الصهيونية وبرنامجه

افتتح هرتزل المؤتمر المذكور وكان عمره لا يتجاوز ٢٧ سنة فطلب إلى أكبر الأعضاء سناً ترأسه ، وأسندت الرئاسة إلى عضو السن الدكتور « ليب دى جاسى » Lippe De Jassy من جماعة أحباء صهيون ، ومنح الاجتماع بركاته للصهيونية على لسان رئيسه وأغرورقت العيون بالدموع ووقف الرئيس وردد بعض الصلوات العبرية القديمة ، ومنها « أيها الرب باركنا فأنت مبارك يارب العالم الذى حفظنا أحياء إلى يومنا هذا لكى نشاهده بأعيننا » ، وهكذا كان الشطر الأول من المؤتمر ومن الصلاة عاما تنم عنه روح الدين التى سبق أن شرحناها ، ثم تفجرت بعد ذلك روح تعصبية للصهيونية . تلوح من معانى الصلاة نفسها المذكورة ، فهى تخلق مشكلة تقرأ بين عباراتها هى مشكلة الصهيونية ، تزعم أن ثمة تهديداً لليهود بالدمار ثم تبارك إنقاذهم من الزوال وتتوعد كرد فعل للاضطهاد بالتنكيل بالخصوم .

ووصف هرتزل فى الاجتماع واجبات المؤتمر فقال : « إننا اجتمعنا هنا لكى نضع الحجر الأساسى للمأوى الذى سيضم إليه الشعب اليهودى ، وإن العالم كانت معلوماته دائماً غير صحيحة عن الشعب اليهودى ، وإن الشعور بوجوب اتحادنا ذلك الشعور الذى دفعنا إليه سائر البشر فى مراحل عدة وبحرارة كان فى طريقه إلى التحلل حينما قامت فى وجهنا

أسلحة الاضطهاد العنصرى تطاردنا ، وهذا الاضطهاد بث فينا القوة من جديد ... إن الصهيونية هى عودة اليهود إلى حظيرة الفكرة اليهودية المحضة حتى قبل أن يحققوا عودتهم إلى أرض الميعاد ... ونحن الصهيونيون نعمل على إحياء روح الشعب اليهودى وبث الحماس فيه كى يمد كل يد المساعدة للآخر ، وعلينا أن ننشىء حالا والآن هيئة منظمة وهذه الهيئة تصبح دائمة، وكان يفتقر إليها الشعب اليهودى حتى اليوم » .

وتعاقب الخطباء يرددون فكرة الصهيونية ويندددون بمظالم الحكومات التى اضطهدت اليهود ، ثم أصدر المؤتمر قراره بالموافقة على فكرة جهود الصهيونية . وهو يتلخص فى العبارات الآتية : « إن أمانى الصهيونية هى إنشاء وطن للشعب اليهودى يعترف به من الناحيتين الرسمية والقانونية ، ويصبح الشعب بإنشائه فى مأمن من الاضطهاد على أن يكون هذا الوطن فلسطين » ، وقرر المؤتمر تحقيقاً لهذا الغرض ما يأتى :

١ — اتباع الوسائل العملية الفعالة لإنشاء مستعمرات زراعية وعمرانية فى فلسطين تأوى عمال الزراعة والصناعة من اليهود .

٢ — تنظيم الشعب لجماعات اليهود بواسطة المنشئات المحلية والدولية الملائمة لهذا الغرض والتى تتمشى مع قوانين البلاد التى يعيش فى كنفها اليهود .

٣ — تقوية الروح القومية اليهودية وشعور اليهود بشخصيتهم وإشعال الحماس فى صدورهم .

٤ — الإقدام على خطوات جدية فى سبيل الاستفادة من تنافس الدول ومساعدتها لتحقيق هدف الصهيونية(١) .

---

(١) انظر « جمهورية اسرائيل » لدونر . صفحة ٢٤ .

وقرر المؤتمر إنشاء الهيئة الصهيونية المشار إليها ، وهى نواة الفكرة التى اشتقت منها « الوكالة الصهيونية » فيما بعد ، ولكل فرد يهودى ذكراً كان أو أنثى بلغ الثامنة عشرة من العمر الانضمام إليها نظير دفع اشتراك رمزى لبرنامج بازل أى لبرنامج قرارات المؤتمر قدره من العملة « شيكيل » Shekel وهى عملة إسرائيلية قديمة تعادل نصف دولار أمريكى ، وقسم اليهود لتحصيل الاشتراك من مختلف انحاء العالم إلى مناطق إقليمية ، وتكون اتحاد منهم فى كل دولة ، وصار لهم مندوب يمثل كل ١٥٠٠ يهودى أى (شيكيل) فيما عدا فلسطين ذاتها فهم يختارون مندوبا لكل ٧٥٠ (شيكيل) ، وتكون مجلس عام ومجالس تنفيذية فرعية من سبعين عضوا لأدارة شئون الهيئة وتوجيه سياستها ، ووضع على رأس الهيئة سلطة تنفيذية لتصريف المسائل اليومية . وكان مقرها بالتتابع فينا وكولونيا وبرلين ولندن ثم انتهى بها المطاف فى بيت المقدس .

وبدأت الهيئة تعمل بجد ، وصادف اقتراح أحد أنصار الصهيونية هرمان شابيرا Herman Shapira فى مجلة الصهيونية الشهرية وعنوانها « العالم » « Die Welt » وهو انشاء صندوق قومى لشراء الأراضى فى فلسطين هوى وتشجيعا عاما من الصهيونيين ، وتقرر تأييد المشروع ، وفعلا أقر المؤتمر الأول انشاء هذا الصندوق ، وتأسس بنك لهذا الغرض ، كما اقترح « شابيرا » أيضا إنشاء جامعة عبرية فى فلسطين ، وطالب ببعث القوة والحياة فى اللغة العبرية لاستخدامها فى الحياة اليومية بين اليهود ، وهكذا وضع مؤتمر بازل الحجر الأساسى لشتى المشروعات الصهيونية التى نفذت تدريجيا فيما بعد ، وقامت دولة اسرائيل على أسسها(١) .

---

(١) انظر « جمهورية اسرائيل » لدونر ، صفحة ٢٤ .

ولم يقف الصهيونيون وعلى رأسهم هرتزل عند حد القرارات ، بل أخذوا يتصلون بالدوائر السياسية الكبرى فى أوروبا وبعواهل الغرب وزعمائه لكى يكسبوا عطفهم على الصهيونية ، أو على الأقل لكى يأمنوا جانبهم ويتقوا محاربتهم الفكرة، وتقربوا من العالم المسيحى بالذات ومن بعض رجال الدين فيه لتنفيذ خططهم ، واستطاع هرتزل عن طريق السفارة البريطانية وأحد قساوستها فى فينا أن يتقرب إلى دوق بادن وأن يبسط له وجهة نظر الصهيونية ويجعله فى صفها، ونجح الدوق فى الحصول على موعد ليحظى الزعيم الصهيونى بمقابلة « غليوم الثانى » ، ومع أن فلسطين كانت ايالة عثمانية غير أن هرتزل رأى أن القيصر الألمانى هو خير وسيط عظيم للتأثير على السلطان فى ولوج مهاجرى اليهود أبواب فلسطين ونزوحهم اليها(١) . وقابل هرتزل فعلا القيصر ، وتشعبت المحادثة، وأشار القيصر إلى قضية دريفوس وقال مشيرا إلى موقف الفرنسيين « هل يظنون فعلا اننى شخص ساذج إلى حد اننى أكتب خطابات وأمهرها بخاتمى لأول قادم ، أن هانوتو Hanotaux (وهو مؤرخ فرنسى معروف) وضع ٢٧ ألف فرنك على المنضدة لكى يحصل على هذه الاختام » ويقصد الأختام القيصرية الممهورة بها الخطابات . وتعتبر أداة الجريمة التى اتهم بها دريفوس وهى ثبوت خيانته بلاده بتراسله مع ألمانيا لتسليم بعض أسرار الدفاع الوطنى إليها.(٢) .

وعبر هرتزل فى صراحة عن غرضه الأساسى من الوطن القومى لليهود فى الاتحاد اليهودى البريطانى بلندن ، فقال : « إننا نريد الحصول

---

(١) انظر « جمهورية اسرائيل » لدونر ، صفحة ٢٥ .

(٢) انظر « جمهورية اسرائيل » لدونر، صفحة ٢٥.

على ميثاق من الحكومة التركية كى تستعمر فلسطين تحت سيادة السلطان »، وهذا الميثاق فى اعتبار الصهيونية يقوم على أساس ضمان الاستقلال المحلى لليهود وحكمهم لأنفسهم بأنفسهم والتصريح لهم بقوة دفاعية لدرء الاعتداء عنهم ، والخلاصة هو نواة دولية لتأييد القضية اليهودية الصميمة.

غير أن هــذا البرنامج الصهيونى صادف معارضة من فريق من الصهيونيين أنفسهم ، وأبرزهم « أحاد حام » Ahad Haam ، وقد أثرت كتاباته فى شباب الصهيونيين ، وخاصة الجيل الصهيونى الجديد فى روسيا ، وخلاصة ما تقوله هذه المعارضة ما يأتى : « إن إنقاذ اسرائيل سيأتى عن طريق الأنبياء لا عن طريق السياسة والسياسيين » ، وقد عبر عن هذه الفكرة وايزمان فى كتابه بعنوان « المحاكمة والاخطاء » Trial And Error فقال « إن الصهيونية فى نظرى شىء ملموس قائم بذاته يجب تعهده كالنبات كى ينموا ويترعرع ، ويتعين مراقبته ورعايته حتى يبلغ أشده وينضج ... إن هرتزل كان منظما ، وكان شخصية توحى بالنشاط ، ولكنه لم يك من الشعب ولم يحكم على طبيعة الروح الشعبية التى تنبعث منها قوى معينة »(١) ، وفى رأينا أن هذا الخلاف ليس بذى بال(٢)

(١) انظر « جمهورية إسرائيل » لدونر ، صفحة ٢٥

(٢) وقفت حكومات الدول الكبرى من الحركة الصهيونيــة موقف الحذر والمعارضة فى أول قيامها ، وكان أول وأهم المعارضين تركيا ، ووقف السلطان عبدالحميد موقفا حازما من الحركة الصهيونية ، وضم اليه فى معارضـة هذه الحركة اليهود التابعين للامبراطورية ، وأصدر فى سـنة ١٨٩٢ أمراً بحظر اقامتهم واعطائهم الأراضى فى فلسطين ، وحاول هرتزل فيما بعد أن يقنعه الرجوع عن هذا القرار ، وطرق أبواب يلدز مرارا ، وقوبل بالجفاوة =

فهذا الجيل الجديد يريد إمعـــاناً فى الصهيو نية أن يجعل منها فلسفة عميقة الجذور بمثابة الدين والإيمان لتحقيق الصهيو نية السياسية إلى أبعد مدى .



الصهيو نية فلسفة دينية سياسية تعصبية

هكذا اعتبر فلاسفة الصهيو نية هرتزل مجرد بناء أو سياسيا واقعيا ، وطبيعة الصهيو نية كما بينا ووفق ما بنيت عليه من تعصب تتطلب ايقاد حماس الجماعات وتحريك ضمائرهم واستهوائها بالروحانيات وسائر القوى المعنوية

= وانتزع من السلطان وعدا بالغاء القرار وبألا يقف فى وجه تحقيق برنامج الصهيو نية فى نظير دفع مبلغ ٥٠ مليون فرنك ذهب إلى خزينة السلطان ، غير أن هرتزل وأعوانه رغم مساعيهم المتكررة لدى الدوائر المالية اليهودية لم يستطيعوا جمع هذا المبلغ الضخم فى ذلك الوقت ، واستمرت المفاوضات لتخفيض المبلغ ولكن السلطان رفض بتاتا اقامة اليهود المهاجرين فى فلسطين بالذات ، وهكذا أصيبت الصهيو نية بخيبة أمل فى ظل سلطنة عبد الحميد ، وهذا ما دفع الصهيو نية إلى البحث فى ذلك الوقت عن وطن مؤقت لها فى المستعمرات الأفريقية أو فى أمريكا لإيواء اليهود المهاجرين من روسيا ورومانيا . وظلت سياسة الدولة العلية على حذر من الصهيو نية بعد زوال حكم عبد الحميد بخلعه ، وعارض شباب الترك وهم الذين يؤيدون قيام جامعة طورانية لضم كافة العناصر التى من أصول طورانية فى ظل الدولة العلية فكرة الصهيو نية بل حاربوها ، وأصدرت حكومة القسطنطينية فى سنة ١٩١٤ قبيل دخولها الحرب العالمية الأولى قرارات حاسمة لتحديد الهجرة إلى فلسطين وتخفيض النسبة إلى أدنى حد . ويمكن الرجوع فى هذا الصدد إلى رسالة الدكتوراه بعنوان « الصهيو نية والانتداب الانكليزى على فلسطين » لانيس الصغير ، باريس سنة ١٩٣٢ ، صفحة ١٥ .

فانحرفت الصهيونية عن وضعها الأول إلى الهجوم التعصبى العنيف وإلى الحرب الدينية التى لا مبرر لها على وتيرة الحروب الصليبية قديما ومذابح الاصلاح الدينى فى أوروبا .

ثم تعاقبت المؤتمرات الصهيونيـــة ، ومات هرتزل فى ٣ يوليو سنة ١٩٠٤ ورثاه أحد كتاب الصهيونية ، ونم الرثاء عن روح التعصب فقال « كان أمامنا شخص فريد فى قوى الايمان ، كانه فى جسم وحجم الملك الجبار ، له عينان غائرتان يقرأ المرء فيهما العظمة والاسى العميق .. وكان على وشك تحقيق أحلام الفى سنة خلت . . وكأنه المسيح بن داود قد طلع علينا ، وقد اعترتنى رغبة جامحة فى وسط عاصفة السرور هذه لأصرخ بعلو صوتى كى يسمعنى الجميع بعبارة العزة لله » ، وهكذا عبر الكاتب فى الكلمات السالفه عن شخصية هرتزل الذى ولو أنه لم يك من الشعب إلا أنه كان بمثابة رسوله الجديث فى العالم الحاضر ، ولاشك أن شخصيته سحرت اليهود وحيرت العالم وكانت بمثابة المعبر بحق عن حقيقة الشعب اليهودى ونواياه .

وكانت جنازة هرتزل مظاهرة صهيونية ، وكان المتوفى قد أعدها فى سبيل الحركة الصهيونية التى تفانى فى نجاحها ، وقد أوصى أن توضع جثته بجوار التابوت المعدنى لأبيه بالمقبرة الاسرائيلية بفينا « وتظل هناك حتى ينقل الشعب اليهودى جثته إلى رمسه بفلسطين » ، وطلب أيضا « أن يكون الدفن كما كانت العادة عند أفقر الطبقات بسيطا للغاية فلا خطب ولا ازهار ولا رياحين » ، وتبعه إلى المقبرة أكثر من ستة آلاف مشيع ، فى مقدمتهم زعماء الصهيونية ومندوبوها ورجال الأدب والسياسة من مختلف بلدان

أوروبا، ولم ير اليهود جنازة رهيبة فى مثل رهبة وضخامة جنازة هرتزل منذ أكثر من ألفى سنة(١).

وبدأت العجلة السياسية البريطانية الضخمة تتحرك بفعل هرتزل وأنصاره، وأعلن سكرتير وزارة المستعمرات فى لندن «جوزيف شمبرلن» Joseph Chamberlain ومن زعماء الامبراطورية والسياسة المحافظة رأيا له معنيان هامان: الأول بدء استخدام بريطانيا الصهيونية أداة للاستعمار باستغلال الموقف، والثانى إرضاء الصهيونية واجتذابها لصفها لتصير فى المستقبل سلاحا مسلطا على أمانى الشعوب العربية فى الشرق الأوسط ولتهدد بها الاسلام فى عقرداره، وهذا الراى يتلخص «فى منح اليهود الوطن القومى الذى ينشدونه فى مستعمرة بريطانية فى أفريقيا موائمة للحياة الغربية نظرا لارتفاعها واعتدال مناخها وغناها وهى أوغاندة فى أفريقيا الشرقية البريطانية»، ويشمل المشروع مساحة واسعة من الأراضى هناك مع تعيين إسرائيلى فى هذه المنطقة لادارتها محليا ومنح المستعمرين اليهود الحرية فى إدارة منطقتهم والتشريع لها محليا فيما يختص بالمسائل التى تهمهم وأحوالهم الشخصية وأمورهم الدينية، وقدم العرض رسميا للهيئة الصهيونية عن طريق وزارة الخارجية، وكان ذلك أثناء حياة هرتزل، وأجاب عليه بأن أفريقيا ليست فلسطين ولا يمكن بحال أن تحل محل صهيون(٢).

وأطلق بعض كتاب الصهيونية على أوغندة المأوى المظلم المكفهر ومنتصف الطريق إلى فلسطين، غير أن بعض أعضاء المؤتمر الصهيونى

---

(١) انظر «جمهورية اسرائيل» لدونر صفحة ٢٦ .

(٢) انظر «جمهورية اسرائيل» لدونر صفحتى ٢٦، ٢٧ .

السادس رأوا فى هذا العرض مغنما وألا ضرر من قبوله ، إلا أن معظم المندوبين وخاصة الذين لم يكونوا معرضين للاضطهاد العنصرى فى روسيا وقفوا بقوة ضد المشروع ، وقال وايزمان باسم الصهيونيين الروس : « إذا كانت الحكومة البريطانية وشعبها كما أظنهما ، وهما عند حسن ظننا هذا يقدمان لنا عرض أفضل » ، ولم يتحقق مشروع أوغندة وطويت صفحته نهائيا ، ورفض المشروع بحرارة فى المؤتمر الصهيونى السابع سنة ١٩٠٥ بعد وفاة هرتزل بعام باستثناء أقلية ضئيلة أطلق عليها جماعة الصهيونية الباحثة عن مقر Territorialists وعلى رأسهم الروائى الانكليزى اليهودى المشهور « اسرائيل زانجفيل » Israel Zangwill رأت وقد صعب تحقيق رغبة الصهيونة فى النزوح والاستقرار فى فلسطين أن تقبل فكرة الإقامة فى أوغاندة لإيواء عدد كبير من اليهود . حتى لا تظل الحالة معلقة ولا تجد الصهيونية مأوى لها .

وتجلت هذه الروح التى تنشد الوطن القومى وتحارب بتعصب فى سبيله على مقبرة هرتزل فى خطاب الزعيم الصهيونى الذى خلف هرتزل وولفسن Wolffsohn ويقول فيه مخاطباً ذكرى هرتزل : « لا تريدنا أن أن نلقى خطباً لرثائك ، ولكن نحن نهب أنفسنا للتضحية لتحقيق العمل الذى بدأته وإننا سنحفظ إسمك دائماً مقدساً طاهراً طالما ظل فرد يهودى واحد على ظهر الأرض ، ونكرر قسم الجماعة فى هذه الساعة ، وهو : إذا نسيتك أنت يا أرض بيت المقدس فلتفقد يدى اليمنى قوتها وحركتها(١) » .

ولقد فاز الصهيونيون الواقعيون على السياسيين طوال رئاسة وولفسن

(١) انظر « جمهورية اسرائيل » لدونر . صفحة ٢٧ .

فى تحقيق النزوح إلى فلسطين وجعلها موطن اليهود القومى ، وكان السياسيون يريدون تحقيق هدفهم عن طريق ميثاق سياسى لبناء دولة إسرائيل بانتصار الصهيونية فى الميدان الدبلوماسى ، وكلا السياسيين والواقعيين اتحدوا على أن اليهود ان يعيشوا بالخبز وحده بل يجب ألا يغفلوا الحاجات الأخرى الروحية للشعب اليهودى ، ويذكر الأستاذ دونر Dunner أنه « عند موت وولفسن فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٤ بعد قيام الحرب العالمية الأولى كان فى فلسطين نحو ٥٠ ألف يهودى مهاجر من المغامرين الذين كانوا يكافحون بقوة وعزم فى سبيل تحقيق الصهيونية التعصبية يؤيدهم علم إسرائيل الأزرق الأبيض بنجمة داود »(١) ، وربما كان الرقم السالف يزيد عن الحقيقة ولكن مما لا شك فيه أن وولفسن عمل كثيراً فى تحقيق نزوح الصهيونية إلى فلسطين بكافة الوسائل لوضع الحجر الأساسى فى دولة إسرائيل .

(١) انظر « جمهورية إسرائيل » لدونر . صفحة ٢٧ .

الباب الرابع

دولة إسرائيل

أهم مراجع الباب السابع

كتب بالعربية :

١ - مشاكل العالم العربي ، لمحمد غزة دروزة. جزء واحد . دمشق ١٩٥٢

٢ - « اسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى » للمكتب الدائم لاتحاد عرف الصناعة والتجارة والزراعة ، جزء واحد ، بيروت ١٩٥٢

٣ - « هذا العالم العربي » لنبيه أمين فارس ومحمد توفيق حسين ، جزء واحد ، بيروت ١٩٥٣

كتب بالفرنسية والانكليزية :

١ - « خلاصات فى دولة إسرائيل » المجلة الدولية الشهرية عدد خاص ، أغسطس - سبتمبر ١٩٥٢ بروكسل

1—Syntheses«L'Etat D'Israel» Revue Mensuelle Internationale Numéro Spécial-Août -Septembre 1952 Bruxelle.

٢ - « الصهيونية والانتداب الانكليزى على فلسطين » رسالة دكتوراه فى الحقوق لانيس الصغير ، جامعة باريس ١٩٣٢

2—«Le Sionisme Et Le Mandat Anglais En Palestine» par Anis Saghir, Thése de Doctorat, Paris 1932.

٣ - « جمهورية اسرائيل » لدونر ، جزء واحد ، نيويورك ١٩٥٠

3—«The Republic of Israel» by Dunner, 1 vol, NewYork 1953

٤ - « اسرائيل » لبنتويش ، جزء واحد ، لندن ١٩٥٢

4—«Israel» by Bentwich, 1 vol, London 1952.

٥ ـ « حصن الديموقراطية فى الشرق الأوسط » لدونر ، جزء واحد ، ايبوا ١٩٥٣

5—«Democratic Bulwark In The Middle East» by Dunner, 1 vol, Iowa 1953.

٦ ـ « الدساتير وقوانين الانتخاب والمعاهدات لبلدان الشرق الأوسط » جمعه ديفز ، جزء واحد ، لندن ١٩٥٣

6—«Constitutions, Electoral Laws, Treaties of States In The Near And Middle East» by Hellen Davis, 1 vol, London 1953.

٧ ـ « الشرق الأوسط سياسيا واقتصاديا للمعهد الملكى للشئون الخارجية بلندن » ، جزء واحد ، لندن ١٩٥١

7—«The Middle East APolitical And Economic Survey» by The Royal Institute of International Affairs-London 1951.

٨ ـ « الشرق الأوسط فى الشئون الدولية » للنكنزوفسكى ، جزء واحد نيويورك ١٩٥٣

8—«The Middle East In World Affairs» by Lenczowski, 1 vol, NewYork 1953.

٩ ـ «الشرق الأوسط والدول العظمى» لفراى، جزء واحد، هارفارد ١٩٥١.

9—«The Near East & The Great Powers» by Richard Frye, 1 vol, Harvard 1951.

١٠ ـ « مشكلة فلسطين» لويليام تومسون ، جزء واحد ، لندن ١٩٤٦

10—«The Palestine Problem» by Williams-Thompson, 1 vol' London 1946.

١١ ـ «خمسون سنة فى فلسطين» لفرنسيس نيوتن ، جزء واحد ، لندن ١٩٤٨

11—«Fifty Years in Palestine» by Frances Newton 1 vol, London 1948.

مجلات : ـــ

١ ـ « كونستيلاسيون » مجلة شهرية فرنسية تصدر كل شهر

1—«Constellation»Revue Mensuelle imprimée en France.

٢ ـ « العلاقات الخارجية » مجلة أمريكيه تصدر كل ثلاثة شهور .

2—«Foreign Affairs» American Quarterly Review.

الباب السابع

دولة اسرائيل

تحول الصهيونية إلى دولة – طبيعة اسرائيل التعصبية – اقتصاديات الحرب هناك – الهجرة – قانون العودة – عصابات اسرائيل الارهابية

غرضنا فى هذا البحث بيان الخطوات المتتابعة التى سارت فيها الصهيونية لإخراج حلمها إلى حيز التنفيذ وتحقيق إنشاء دولة اسرائيل، ثم بيان الأسس التى قامت عليها هذه الدولة وتحليلها.

وهكذا نبحث: ١ – تحول الفكرة الصهيونية إلى الناحية العملية وتحقيقها إنشاء دولة إسرائيل والأسس التى تستند إليها الدولة وهى فى صميم الفكرة التعصبية السياسية الدينية التى حدت إلى ظهور الصهيونية ٢ – طبيعة اسرائيل التعصبية ٣ – وبناؤها على أساس اقتصاديات الحرب ٤ – وكذلك على أساس الهجرة ٥ – خطوات قانون العودة وأثره فى كيانها وأهميته فى بناء الدولة ٦ – عصاباتها الارهابية وما أدته وتؤديه للدولة من خدمات.

* * *

تحول الفكرة الصهيونية إلى حقيقة واقعة بدولة اسرائيل

تحولت فكرة الصهيونية إلى حقيقة واقعة تبعا لدعاية أبناء صهيون السياسية وقوة المال الصهيونى الدولى وممالأة الاستعمار لها، وقد جعل من الصهيونية، تكأة، لدق أسفين فى الشرق الأوسط، وتعويق نهوض

شعوبه ، وهى تضرب بمبدأ حق هذه الشعوب فى تقرير مصيرها بعد انسلاخها من الامبراطورية العثمانية المنهارة عرض الحائط ، وتقطع الشريان الذى يصل بلدان الشرق الأوسط بعضها ببعض بدولة اسرائيلية سياسية ممالئة للغرب تتخذ قلعة لتحويل جحيمها كلما شاء الظلم أن ينفث سمومه نحو الشعوب الآمنة المطالبة بحقوقها وحرياتها .

وكانت الظروف السياسية مواتية لبنى إسرائيل ، استغلوها أقصى استغلال كأنها مادة من مواد الربا ، وصدر تصريح بلفور سنة ١٩١٧ بأقامة دولة يهوديه فى فلسطين تصبح موطنا قوميا لهم . وكانت الدولة العلية فى النزع الأخير تعانى سكرات الموت ، ونشط دعاة اسرائيل ينتزعون الدار من أهلها ليتربعوا فيها بتأييد دعاة الحق والحرية .

وهذه المأساة ليست كمأساة العرب فى الأندلس ، فالأندلس بلد غريب على العرب ، وظل العرب ، ولو أنهم مدنوها وتركوا فيها آثارا جليلة عميقة لن تمحى على مدى الدهر ، أقلية أو هم الطبقة الحاكمة مع اختلاطهم بالناس ، وكانت طبيعة الاسلام السمحاء تساعد على معاشرة العرب المسلمين للذميين وعيشهم سويا فى أمان واطمئنان دون حرب ، ثم قلب الدهر للعرب ظهر المجن ، وأدت مشاحناتهم وتنافس الأمراء ودسائس الساسة إلى هزيمتهم وزوال ملكهم من بلاد ليست موطنا من مواطن العرب الأصلية ، فهى قطر فتحوه وظلوا أقلية فيه ، ثم قوضت خيامهم عنه دون أن تتأثر مواطنهم الأصلية ، وفى مقدمتها فلسطين حيث المسجد الأقصى ، وهى بعكس الأندلس جزء من كيانهم القومى وروحهم الاسلامية ، ويتأثر الجسد العربى بما يقع فيها من محن ، وأى قاطع جغرافى أو عنصرى كقيام الدولة اليهودية هناك يهدد وحدة الشعوب العربية .

وهذه المأساة ليست كالحرب الصليبية فى كل معناها ، فالصليبيون رحلوا إلى الشرق غزاة لا مهاجرين ، وجاءوا وقد عضهم بنابه الفقر والجوع لكى ينهبوا خيرات الشرق ولينعموا بمائه وزرعه ، ويعودوا من حيث أتوا وقد تركوا فى أوروبا ديارهم الأصلية وبيوتهم وأهلهم وبنيهم وابقوا بعض العسكر لاحتلال الأراضى المقدسة ، وهم وفدوا إلى الشرق الأوسط ليفتحوا الأبواب إلى ماوراء هذا الشرق ، ليحصلوا على كنوز الشرق الأقصى ويصلوا قوافلهم وسفنهم بالبحار المجهولة والأراضى الغربية ببلاد السند والهند ، وأخبارها مغرية مشوقة فى كتب الأقدمين وأساطيرهم المثيرة فى السندباد البحرى ورحلات بن بطوطة ، وقدم الصليبيون أيضا بفكرة الجهاد ونوال الثواب بالسقوط فى معارك الحرب الدينية أو الحج إلى بيت المقدس أو مناجاة مهدالمسيح عن قرب ثم العودة إلى ديارهم فى أوروبا .

وأخيرا ليست مأساة فلسطين على غرار حرب طرابلس قبيل الحرب العالمية الأولى يوم هبط الأيطاليون على سواحل هذه البلاد القحلاء لكى يرضوا كبرياءهم فى الحصول على مستعمرات أيا كانت ومهما قل خيرها بثمن بخس ، فقد انتهزوا فرصة مشاكل الدولة العثمانية صاحبة السيادة على طرابلس وقلة حيلتها وضعف جيشها وعدم تسلح سكان هذه الايالة أو درايتهم بالفنون الحربية الحديثة ، فالأيطاليون المستعمرون مع شدة قسوتهم فى معاملة المهزومين ، وقد قام الأخيرون بالدفاع عن تراثهم بكل عزم ثم خارت قواهم وأووا إلى فيافيهم الواسعة وتركوا وراءهم ثرواتهم ، لم يصلوا إلى حد انتزاع الأهلين برمتهم من ديارهم لاحلال المستعمرين بمئات الآلاف محلهم ، لقد استعمر الايطاليون بعض البقاع وكان هذا على حساب العرب ، ولكن لم تك الابادة كاملة شاملة .

بل إن إقامة دولة إسرائيل مشكلة خطيرة وقاسية ، فهى انتزاع العرب من ديارهم بالجملة والقذف بهم فى هوة المجهول السحيقة ، وليبادوا عن بكرة أبيهم فلا أهمية مطلقاً لذلك فى نظير تحقيق حلم الصهيونية ، ووافق على ذلك العالم الغربى صراحة أو ضمناً ليرضى سلالة الذين اجتمعوا فى مؤتمر « بازل » وأنصارهم ، وكل من يحل محل العرب من اليهود والمهاجرين يستقر نهائياً فى البقعة التى اغتصبها ويخرج بذلك وهو الغريب صاحب البيت من بلده الأصلى .

وهؤلاء اليهود الذين عاشوا كسائر بنى البشر من أديان مختلفة فى شتى الدول وقد أوتهم ونعموا بجنسياتها وظهر منهم الكتاب والفنانون والروائيون والعلماء والساسة بل والمفكرون والاشتراكيون والشيوعيون وغيرهم يريدون إلا أن يهجروا عواصم المدن الزاهرة العامرة فى الغرب إلى فلسطين ليقيموا دولة على إشلاء الضحايا من أبناء الوطن العربى الصميم ، وكما يقول نهرو « إنهم لم ينسوا يوما حلمهم فى تحقيق دولتهم ببلاد القدس التى تبرز فى مخيلتهم أكثر ضخامة مما هى فى حقيقتها الواقعة ، ويسمون القدس فى لغتهم صهيون ، وهى فى اعتبارهم نداء الماضى الذى يدفعهم دفعاً نحو هذه المنطقة من فلسطين »(١) .

ودولة أو جمهورية إسرائيل هذه نشأت بناء على وعد بلفور كما سبق أن ذكرنا ، ثم إعلان انجلترا انتهاء انتدابها على فلسطين فى مايو سنة ١٩٤٨ مع سحب كافة قواتها منها . وهى محددة بالمنطقة الضيقة المستطيلة من حدود العقبة إلى حدود لبنان ، وشرقها الأردن بما فى ذلك جزء من القدس وغربها سيناء ، وقد تأيد قيام الدولة باضطلاع الوكالة الصهيونية هناك

(١) انظر « نظرات فى تاريخ العالم » لنهرو ، صفحة ٧٦٣ .

باعباء إدارة شئون الدولة الجديدة حتى يتم تكوينها نهائيا قبل وبعد انسحاب الانكليز وباعلان استقلال اسرائيل فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨، ثم باعتراف الأمم المتحدة بهذه الدولة وبقبولها ضمن أعضائها فى ١١ مايو سنة ١٩٤٩ . وتتالت اعترافات الدول بها ، وفى أول فبراير سنة ١٩٤٩ اعترفت بها الولايات المتحدة الأمريكية ، وأعقب ذلك اعتراف كافة دول أوروبا الغربية بها بحكم الواقع أو القانون .

وجاء فى إعلان استقلالها فى مجلس حكومتها المؤقت فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ ما يأتى « إن دولة اسرائيل ستفتح أبوابها لهجرة اليهود من كافة الأقطار التى كانوا مبعثرين فيها ، وأنها ستعمل على النهوض بالبلاد لصالح سكانها ، وستقوم نظمها على أساس الحريات والعدالة والسلام ، وهى تعاليم الرسل اليهود ، وستحقق المساواة الاجتماعية والسياسية لمواطنيها بلا فارق مصدره العنصر أو العقيدة الدينية أو الجنس ، وستضمن للناس حرياتهم الكاملة فى معتقداتهم وعباداتهم وفى التعليم والثقافة ، وستحترم وتحمى الأماكن المقدسة لكافة الأديان وتمنع أى اعتداء على حرماتها ، وستخصص جهودها أيضا لمبادىء ميثاق الأمم المتحدة »(١).

غير أن هذه الحريات صارت مقصورة على العدد القابل للزيادة التصاعديه السريعة باستمرار من أبناء صهيون دون غيرهم (أى العرب الذين ظلوا هناك) فهى من نوع حريات الغرب وحقوق سيادة الشعب

---

(١) انظر « حصن الديموقراطية فى الشرق الأوسط » لجوزيف دونر ، جزء واحد ، أييوا ١٩٥٣ . الصفحة الأولى .

« Democratic Bulwark In The Middle East » by Joseph Dunner, 1 vol, Iowa 1953, page One.

أو السيادة القومية التى اقتصرت فى دياره على أبنائه دون الشرق ، وقد فرض عليه الاستعباد والاستعمار ، وذكر كتابه فى مناسبات عدة أن مبادىء سيادة الشعب وحقوق المساواة ليست للتصدير ، وعجيب أن تنشأ دولة تعتمد على مواطنين يأتون من بلاد بعيدة ، هم مواطنون لدول أخرى ، سحنهم ورطاناتهم وعاداتهم متباينة ، يتنازلون عن جنسيتهم الأصلية لينازلوا أبناء الوطن الأصليين دون مبرر ، وليس هذا إلا عدوان وإشعال نار حرب حامية سيزداد خطرها على مر الزمن . (١)

---

(١) مشروع دستور «إسرائيل» من وضع لجنة فنية كان على رأسها الدكتور ليوكوهن Leo Kohn مستشار وزارة الخارجية وكلفت بتسطير مشروع دستور شامل للدولة الجديدة ، وقد شكلت هـذه اللجنة عقب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية هناك ، وقد رفعت اللجنة مشروعها إلى لجنة فرعية من مجلس الدولة المؤقت ، ثم رفع المشروع بعد ذلك إلى الجمعية التأسيسية فى يناير سنة ١٩٤٩ .

ومبادىء مشروع الدستور الاسرائيلى ديموقراطية فى ظاهرها كما تدل على ذلك النصوص ، غير أنه شتان بين القول والعمل والتسطير والتطبيق ، فأن حكومة اسرائيل تسير وفق الروح الصهيونية التى أوحت بقيامها ، والدولة هناك دولة كلية Totalitaire تقبض على أعنة الحياة الاقتصادية لتدعيم أداة الحرب وتتدخل فى الحريات العـامة إلى أقصى الحدود لإعداد المواطنين للاعتداء المسلح وتحقيق أطماع التوسع الذى يحلم به كل صهيونى ، وتقصر حق المواطن وما جاء فى الدستور من مبادىء خلابة على اليهودى فى أرض إسرائيل دون العربى .

ومشروع الدستور مقسم إلى أبواب عدة ، فهناك باب الأحكام العامة ، وباب الحريات والحقوق الأساسية ، وهنـاك أبوب السلطات التشريعية

والتنفيذية والقضائية وتعديل الدستور وإصدار القوانين والتصديق ، وتذكرنا هذه الأبواب المنقولة من أحدث النظم الدستورية فى الغرب بدساتير أمريكا اللاتينية ، فالديموقراطية والحريات وحقوق المواطن وضماناتها تتألق فيها ، غير أن نظم الحكم هناك فعلا تسير فى طريق دكتاتورى غالباً ، تبعاً لمزاج الناس وروح الحكام وأطماع القادة .

ولم ينج مشروع الدستور الاسرائيلى من الروح التعصبية التى وضحت فى المادة الخامسة فجاء فيها « اللغة الرسمية لدولة إسرائيل هى اللغة العبرية ، وتعطى تسهيلات للناطق باللغة العربية من السكان لاستعمال لغتهم شفويا أو تحريريا فى الهيئة التشريعية وأمام القضاء ولدى السلطات التنفيذية والجهات الادارية » . وهكذا يبرز بصفة غير مباشرة التمييز بين الأجناس الذى قامت على أساسه « إسرائيل » ، وتتضح الناحية التعصبية بدرجة أشد فى المادة السادسة ، فتقول : « ١ — الأشخاص الوارد بيانهم فيما بعد يعدون مواطنين فى إسرائيل ويتمتعون بالحقوق والامتيازات ويخضعون للواجبات التى على المواطنين مباشرتها ، وهم : (ا) كافة اليهود الذين كانوا يقطنون داخل حدود الدولة وقت تطبيق الدستور (ب) كافة اليهود الذين يزيد سنهم عن ١٨ سنة الذين يسكنون فى فلسطين ولكن لا تدخل مناطقهم ضمن دولة إسرائيل ويختارون فى خلال سنه جنسية إسرائيل ، وتشمل مباشرة حق الاختيار الزوجة والأطفال الذين يقل سنهم عن ١٨ سنة (ح) كافة المقيمين فى إسرائيل غير اليهود وكانوا مواطنين فلسطينيين وقت انتهاء الانتداب ، ويستثنى من من ذلك الذين لا يختارون جنسية إسرائيل فى خلال سنة ، ويشمل مباشرة حق عدم الاختيار الزوجة والأطفال الذين يقل سنهم عن ١٨ سنة ٢ — شروط الحصول على الجنسية الاسرائيلية وتنظيمها يحددها قانون خاص بالجنسية يصدر فيما بعد » ، وهكذا يتضح اهتمام الدستور بالفكرة الصهيونية التى أدت إلى قيام دولة إسرائيل . وثالثة الاثافى المادة الثالثة من الدستور بالذات فهى تظهر بجلاء روح الدولة التعصبية ، فتقول استمراراً للوصف الذى

أعطاه الدستور فى المادة الأولى للدولة « اسم الدولة إسرائيل » والمادة الثانية « دولة إسرائيل جمهورية ديموقراطية مستقلة ذات سيادة » - فتقول المادة الثالثة « دولة إسرائيل وطن الشعب اليهودى القومى ، وتقبل كل يهودى يرغب فى الإقامة فى أراضيها ، وتنظم قبوله قوانين خاصة يصدرها مجلس النواب حسب الظروف » .

وكما ذكرنا نص مشروع الدستور الاسرائيلى نقلا عن الدساتير الأخرى أوذرا للرماد فى العيون فى مادته الرابعة على الحماية القانونية للجميع على قدم المساواة ، وذكر فى الفقرة الأولى أنه « لا تعطى امتيازات من أى نوع للمواطنين فى الدولة بسبب الجنس أو الدين أو اللغة » كما سوت المادة فى الحقوق والواجبات بين الذكور والأناث ، وجعلت معاملة الجميع فيما يختص بالحقوق السياسية والوطنية والوظائف على قدم المساواة وحددت نزع الملكية للمصلحة العامة بشرط منح التعويض العادل لصاحب الحق .

وتناول باب الحقوق الأساسية فى مواده ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ احترام شخص الانسان وحياته وحرياته « وان الحرية الشخصية مقدسة ولا تمس » وكذلك « لا يجوز القبض على فرد إلا بأمر من المحكمة أو فى حالة التلبس أو لاحضاره أمام القاضى نظراً لتوجيه تهمة معينة له » ، واحترام مسكن المواطن « وأنه لا يجوز تفتيشه إلا فى حدود القانون » ، وكذلك إحترام المراسلات الخاصة البريدية والتلغرافية والتليفونية ، غير أن مشروع الدستور عطل هذه الحقوق فى حالة الحرب أو الطوارىء بشرط صدور تشريع خاص بذلك مع مراقبة البرلمان ، وتناولت المادة ١٥ احترام حرية العبادات ، ثم نصت الفقرة الرابعة على أن « يوم سابات Sabbath وسائر أيام الأعياد اليهودية تعتبر أيام الراحة والعطلة الرسمية للدولة » ، وتناولت المادة ١٦ احترام حرية الخطابة والتعبير عن الآراء كتابة أو بوسائل أخرى مع ضمان ذلك بشرط ألا يترتب على هذه الحرية إثارة الاحقاد الدينية أو العنصرية أو التحريض على ارتكاب

الجرائم أو أعمال العنف أو القضاء على حقوق الانسان أو هدم النظام الديموقراطى للحكومة أو إفشاء أسرار الدفاع الوطنى أو أن يكون فيها ما يخالف الآداب والنظام العام .

وتمشيا مع الاتجاهات الدستورية الحديثة خصوصا اتجاهات دساتير ما بعد الحرب العالمية الثانية ، جاء مشروع دستور إسرائيل بنصوص تتناول الضمانات الاجتماعية والاقتصادية للمواطنين ، فنصت المادة ٢١ على ما يأتى : « يقوم النظام الاقتصادى للدولة على مبادىء العدالة الاجتماعية ، وكل مواطن يحصل على حصة عادلة فى الدخل القومى كما أن له حق فى التأمين الاجتماعى ، وتشجع الدولة وتساعد كافة أنواع التعاون والجهود فى سبيل هذا النظام » ، ونصت المادة ٢٢ « لكل الحق فى أن يعمل ، وتعمل دولة إسرائيل جاهدة فى ضمان مستوى معقول للمعيشة لكافة مواطنيها بلا تمييز وكذلك ضمان الفرص المتكافئة فى كسب العيش ، وتصدر التشريعات لضمان الأجور المعقولة والساعات المحددة للعمل وشروطه ، وكذلك لضمان التعويضات ضد حوادث العمل والمرض والعجز والتعطل عن العمل والشيخوخة وسائر الأسباب التى تؤدى إلى الحاجة والعوز ، كما تصدر التشريعات وتتخذ الاجراءات التى تكفل حماية الأمهات والعائلات والأطفال والأرامل والأيتام » ، ونصت المادة ٢٣ على أن « حق العمال فى تأسيس النقابات والاتحادات والجمعيات وفى التعاقد الجماعى والأحزاب لحماية حقوقهم الاقتصادية ومصالحهم مكفول بحكم الدستور ، وكل ما ينص عليه فى عقد أو اتفاق عمل ومن شأنه النزول عن أى حق من الحقوق المذكورة باطل ولا ينظر إليه البتة » .

وهذه النصوص ترى بوضوح تأرجح مشروع الدستور الاسرائيلى بين الفكرة السياسية التعصبية القائمة عليها الصهيونية والمبادىء الحديثة للدساتير الغربية ، ويمكن الرجوع إلى نصوص مشروع الدستور الاسرائيلى هذا فى كتاب « جمهورية اسرائيل » لدونر وكذلك فى كتاب « الدساتير وقوانين

وليست حدود إسرائيل هذه بالواضحة أو بعبارة أخرى لا تقف اطاع أبناء مؤتمر (بازل) عند حد ، فقد ارتضوا فى مطلع القرن بأرض يحددها لهم السلطان فى فلسطين يعيشون فيها فى كنف نظم الدولة العلية

الانتخابات والمعاهدات لبلدان الشرق الأوسط » جمعه ديفز ، جزء واحد ، لندن ١٩٥٣ .

« Constitutions, Electoral Laws, Treaties of States in the Near and Middle East,» by Hellen Davis, 1 vol. London 1953.

وأجريت انتخابات فى إسرائيل وتألف البرلمان هنـــاك لأول مرة فى فبراير سنة ١٩٥٠ وسمى الكنيسيت Knesseth ، واتخذ القرار الآتى فى ١٣ يونيه سنة ١٩٥٠ « إن الكنيسيت الأول هذا يكلف لجنة الشئون الدستورية والقضائية أن تعد مشروع دستور للدولة ، ويسطر الدستور بدقة مادة مادة ليصبح قانونا أساسيا للدولة ، ويعرض الدستور على الكنيسيت بعد أن تنتهى من وضعه اللجنة وتبحث كل مادة على حدة ، وتكون المواد مجتمعة دستور الدولة » ، وإلى صدور الدستور كاملا روعى تطبيق قوانين انتقال أصدرها البرلمان حتى لا تتعطل أداة الدولة وكذلك تطبيق سائر القوانين التى كان جارى العمل بها فى ظل الانتداب البريطانى ، كما صدرت تشريعات متتابعة تتناول شئون الانتخابات والتشريع والهجرة والجنسية والحقوق المدنية وبحث الميزانية وفرض الضرائب وسائر ما يمس السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية وينظم أعمالها ، وينتخب أعضاء الكنيسيت لمدة أربع سنوات على الأكثر وعددهم ١٠٠ عضواً ونظام الانتخابات هناك وفق التمثيل النسبى ، وبلغ عدد المقترعين لأول كنيسيت هناك فى انتخابات ٢٥ يناير ١٩٤٩ نحو ٤٤٠ر٠٩٥ وزاد عددهم فى انتخابات ٣٠ يوليه ١٩٥١ على ٨٠٠ر٠٠٠ من الذكور والاناث (ويمكن الرجوع فى صدد هذه البيانات إلى كتاب « حصن الديموقراطية فى الشرق الأوسط » لدونر ، جزء واحد . أبيوا سنة ١٩٥٣) .

وتحت امرتها وسيادتها ، ثم طلبوا المزيد على مر الزمن ، وصارت دولتهم الشاذه التكوين عضوا فى الأمم المتحدة ، فلا عجب أن يحاولوا السطو ما أمكن على الجيران ، وهذا هو السر فى اعتداءاتهم المتكررة على القرى المتاخمة لحدود اسرائيل ، المزعومة ، وهذا هو السر فى سعيهم الأخير للاستقرار فى القدس نهائيا ونقل العاصمة اليها وتحويل مجرى نهر الأردن ونسف البيوت العربية القريبة من مستعمراتهم لابادة المعالم العربية إبادة شاملة وإنشاء مستعمرات صهيونية جديدة .

وتدل وثائقهم الجغرافية وتصريحات رجالهم على اطاعهم الاستعمارية فخريطة مملكة إسرائيل المنقوشة داخل مؤسساتهم والمعلقة فى حوائط قاعاتهم وأنديتهم ومعاهدهم ودورهم العامة بل ومجلسهم النيابى تتناول فلسطين برمتها والأردن وسوريا ولبنان ومصر والعراق ، وهم ينظرون إلى المنطقة ن العالم التى تمتد من الفرات إلى النيل باعتبارها « أرض إسرائيل » وسجل ذلك على جدران البرلمان الاسرائيلى ذاته فى عبارة « من الفرات إلى النيل أرضك الموعودة يا إسرائيل » . وجاء فى خطاب أحد زعمائهم فى برلمانهم بتاريخ ٧ ابريل سنة ١٩٥٠ « لن يكون سلام لشعب اسرائيل ولا فوق أرض إسرائيل حتى ولا للعرب أنفسهم مادمنا لم نحرر وطننا باجمعه ولو وقعنا معاهدة صلح بهذا المعنى »،(١) أى أنهم وقد تعلموا نكث الوعود من الغرب يريدون تطبيق القاعدة على جيرانهم إذا أعطى لهم الجيران فرصة عقد الصلح ، وجاء فى خطاب نائب آخر

---

(١) انظر « اسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى » تقرير أعده المكتب الدائم لاتحاد غرف الصناعة والزراعة والتجارة فى البلاد العربية ، بيروت ١٩٥٢ . صفحة ١٨ .

بتاريخ ٣٠ مارس سنة ١٩٥٢ « إن إسرائيل العظمى الممتدة من العراق حتى السويس هى الدولة القوية التى تستطيع تأمين السعة والاستقرار فى الشرق الأوسط فى الداخل والخارج » . وجاء فى الكلمة الرسمية للحكومة الاسرائيلية فى أحد المؤتمرات الهامة فى القدس ما يعتبر تعصبا رسميا ، وقد القاها حاخامهم وزير الأديان بتاريخ ٧ أغسطس سنة ١٩٥١ « لا يزال أمام صندوق التمويل القومى لاسرائيل أعمال عظيمة وإن دولة اسرائيل كلها فى كنف هذا الصندوق وحدودها من النيل إلى الفرات » ، وجاء فى خطاب الدكتور « التمان » أحد زعمائهم أيضاً بتاريخ ٢٩ يولية سنة ١٩٥١ « إن جمع الشتات معناه حشد خمسة ملايين يهودى على الأقل فى دولة إسرائيل خلال السنوات العشر القادمة ، وهذا شىء لا يمكن اتمامه فى الحدود الحالية لدولة اسرائيل ولذلك فان جمع الشتات يتطلب سياسة خارجية ترمى إلى تحرير جميع أرض إسرائيل » ومعنى هذا القيام بعمل إيجابى أساسه العدوان والغزو الخارجى ، وقد ردده أيضاً قائدهم فى سنة ١٩٥٢ فقال فى خطاب له « إن جيشنا قادر على السير فى الحرب داخل بلاد الأعداء ، وإن حدود إسرائيل ليست طبيعية ويجب تغيرها » .

وكانت دولة إسرائيل هذه فى نوفمبر سنة ١٩٤٨ أى فى فجر نشأتها تبلغ مساحتها ما لا يزيد على ٥٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٨٤٢٫٠٠٠ نسمة منهم نحو ٧٠٣٫٠٠٠ من اليهود المهاجرين وعاصمتها تل أبيب ، وكان فى بادىء الأمر على حدودها أكثر من ثلاثة أرباع المليون عربى اجبروا على ترك ديارهم وشردوا وصارت مشكلة إيوائهم من أعقد المشكلات الانسانية السياسيه الحديثة ، وكان عماد هذه الدولة الوكالة الصهيونية التى نشأت منذ عشرات السنين وكونتها انجلترا رسميا بوعد بلفور ثم بالاعتراف

بها فى نظام الانتداب على فلسطين ، وبمجرد جلاء انجلترا عن فلسطين بإعلان انتهاء الانتداب تحولت الوكالة إلى مجلس مؤقت للدولة ، وانتخب الزعيم اليهودى العتيق وايزمان رئيساً للدولة والزعيم العالى بن غوريون رئيساً للحكومة ، كما اضطلع بالناحية العسكرية والتشكيلات العسكرية المسماة « الهاجناه » Haganah التى أستنت شريعة لها العدوان وأشاعت الدمار والفوضى فى ربوع فلسطين وقتلت الأنفس وأحرقت ونسفت القرى والدور والزرع طوال مدة الانتداب وبعده ، وحلت هذه التشكيلات بحكم القوة محل جيش الانتداب المنسحب بحكم سياسة الاستعمار ، وكانت الوحيدة التى غذتها انجلترا طوال الحرب بالسلاح ودربتها أحسن تدريب دون العرب فأصبحت سيدة الموقف هناك ، وصارت هذه العصابات التى لا تؤمن بالضمير الإنسانى والقواعد الدولية المرعية فى فى القتال جيش إسرائيل المنظم ، فكان من الطبيعى أن يقف العرب منه موقف المدافع وأن تضع الجيوش العربية القريبة حداً لسطوها بالقيام بالحملة التأديبية ضدها فى فلسطين .

وإن أهم ما يساعد على تفهم الوضع السياسى لاسرائيل ومستقبل علاقاتها مع الخارج وضرورة حذر الشعوب العربية فى الشرق الأوسط منها بيان روح هذه الدولة الناشئة وعقلية قادتها وطبيعة بنيها ، وهم من سلالة الذين اجتمعوا فى المؤتمرات الصهونية المتعاقبة وانشأوا الصندوق القومى لتمويل شراء أرض فلسطين ووضعوا الحجر الأساسى للدولة الدينية الاستعمارية هناك ، وهذه الصفات تتلخص فى : ١ — الطبيعة التعصبية للدولة ولسياستها ٢ — قيامها على أساس اقتصاديات الحرب ٣ — وبناء هيكلها بالهجرة ٤ — وحماية الهجرة وكيان الدولة وتنظيمها

بقانون العودة ٥ ــ وأخيراً الدور الخطير الذى تقوم به عصاباتها الارهابية . وفيما يلى الشرح :

* * *

طبيعة إسرائيل التعصبية

إن كل شيء فى إسرائيل ينبيء عن التعصب للعنصرية ، وهؤلاء الذين لقنوا أوروبا وخاصة غربها وألمانيا خطوات الكفاح الاشتراكى والشيوعى للاستيلاء على الحكم ثم شاهدوا هذا الكفاح ومطاردة النازية لكل من لا يدين لها بالخضوع الكامل ، وهؤلاء الذين رفعوا أذرع الضراعة إلى السماء يستمطرون شآبيب الرحمة على ضحايا النازية ويطلبون من الرب أن يلهم الاشتراكية الوطنية الطريق السوى إلى العدالة فتكف عن استمرار العدوان ، هم بدورهم يكيلون الضربات للعرب فى الأرض التى استنسروا فيها وهم بغاث بحماية مئات الملايين من شعوب الغرب المسيطرة على العالم .

ونرى هذا التعصب واضحا فى إعلان استقلال إسرائيل فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ . فجاء فى هذا الاعلان الذى أصدره المجلس المؤقت للدولة ويعتبر فى عرف اليهود إعلاناً تاريخياً هاماً « إن أرض إسرائيل هى مكان ميلاد الشعب اليهودى ، وتكونت فيها شخصيته الدينية وروحه وقوميته ، وفيها أتم استقلاله وحققه وبنى ثقافته القومية والعالمية ، كما كتب التوراة التى نشرها على العالم ، ولم يكف عن الصلاة والايمان فى أنه سيعود إليها وسيعيد إلى الوطن حرياته القومية »[1] .

كما جاء فى إعلان آخر للمجلس المذكور ترتب على قرار مجلس الأمن فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ بإقرار إنشاء دولة إسرائيلية فى فلسطين ،

---

(١) انظر « جمهورية اسرائيل » لدونر . صفحة ٩٢ .

وبمطالبة الأهالين هناك باتخاذ الخطوات اللازمة لتحقيق هذا المشروع ، فقال القرار « نحن أعضاء المجلس القومى الذين نمثل الشعب اليهودى فى فلسطين والحركة الصهيونيه فى العالم ، قد اجتمعنا فى جمعية مقدسة اليوم، وهو يوم انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين، وبناء على الحقوق الطبيعية والتاريخية للشعب اليهودى وقرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة نعلن منذ الآن إنشاء دولة يهودية فى فلسطين يطلق عليها إسرائيل » (١)

وقد اتضحت الروح التعصبية فى نفس حياة الدولة ونظمها ، فحياتها يرسمها الزعماء على أساس الكفاح والعدوان ، ثم تسير منذ نشأتها وفق خطط موجهة إلى أقصى حدود التوجيه على الطريقة النازية ولأغراض الحرب أكثر منها لأغراض السلم ، وتعمد إلى الاسراع فى الاكتفاء الذاتى لتحقيق التوسع سريعاً على حساب الجيران ، وتعلم أنها فى هذه الحالة لن تستطيع التعامل معهم فتعد العدة لتسد حاجاتها فى دارها ، وخاصه حاجات الحرب .

ويقول بن غوريون فى كتابه بعنوان « اسرائيل فى كفاحها » مشيدا بالاكتفاء الذاتى وداعيا اليهود اليه « لا مناص لنا فى مجهود أعلى أى مجهود لا يوجد أعلى منه لكى ينجح . وهذا المجهود يفرض علينا أن نستعبد الشعب ، وقد اخترت الكلمة عمدا نستعبد الشعب وكل ما يملك من ثروات اقتصادية وقوى بشرية وعلمية ومواصلات وثروات مالية وفنية ، وان نسخر مواصلاته ومؤسساته وصحفه وحياته العامة كلها ، وأن نسخر الهيئة الصهيونية العالمية بمؤسساتها ونفوذها السياسى فى سبيل

(١) انظر « جمهورية اسرائيل » لدونر . صفحة ٩٤ .

نجاحنا وبدون ذلك لن يكتب لنا الفلاح » (١)

ونرى خطابه فى برلمان اسرائيل باعتباره رئيسا للوزارة بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٩٥٢ يطفح بالتعصب الأعمى ويتوقع النجاح بواسطة ، وهو يقول بخصوص الجيش فيه « .. الجيش عندنا منذ توقفت المعارك ، قد زاد عدده وتقوى فى تنظيمه وتدريبه وتسليحه فى البر والبحر والجو ، ولقد نجحنا فى التجربة الجريئة التى قمنا بها والتى كان الكثيرون لا يؤمنون بنجاحها ، وهى جعل الجيش عندنا جهازا لاعداد شباب الطلائع المحاربة فقد قام الجيش على تدريب وتخريج آلاف الفتيان والفتيات ، وقد برهنت « منظمات النحال » على قدرتها التدريبية وقيمتها الطلائعية ، وأصبحت القوة الرئيسية عندنا فى أعمار القفر وأعمار نقاط (مستعمرات) الحدود الخطرة فلم يمض على تشكيل هذه المنظمات غير سنتين فقط ومع ذلك فإن أولئك الفتيان يعمرون الآن ١٥ مستعمرة بالاضافة إلى نقاط الحدود المستعمرة الأخرى الممتدة فى الجنوب الغربى والشمال الشرقى فى اسرائيل ، وقد أصبحت نقاط الحدود هذه سلسلة دفاع فولاذية فى وجه الحدود الخطرة .. »(٢)

وفضلا عما يوحى به التعصب من قتل العرب على الحدود وحرق ديارهم وخرق هدنة سنة ١٩٤٩ كلما كان هذا العمل سهلا وذلك بمهاجمة العزل من السلاح والمزارعين الآمنين والبدو البسطاء فإن النظام الزراعى التعاونى بمستعمراته وبسياسة المساواة التامة فى بعض الجهات كى يعيش الأهلون للعسكرية والانتاج وينتمون فيها للدولة ويعدون العدة للعدوان

---

(١) انظر « اسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى » تقرير اتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة فى البلاد العربية . صفحة ١٥ .

(٢) انظر « إسرائيل خطر ... » تقرير اتحاد غرف ... ، صفحة ١٦

على طريقة اسبارطا قديما شديد الدلالة على الروح القائمة على التحدى الذى يهدد سلامة الشرق الأوسط وأمنه .

ولقد بدأت سياسة إنشاء المستعمرات الزراعية هناك منذ أواخر القرن الماضى ، فنشأت أول مستعمرة صهيونية فى سنة ١٨٧٠ بواسطة الاتحاد الاسرائيلى العام فى فرنسا ، ثم نشأت فى سنة ١٨٧٨ مستعمرة أخرى هامة ، وأعقبها أهمها وهى مستعمرة « أحباء صهيون » التى أسستها أسرة « روتشلد » فى سنة ١٨٩٠ . وتعاقبت المستعمرات بشراء الأرض من أصحابها العرب بمختلف المغريات وتجريدهم منها تحت ضغط الحاجة إلى المال ، ثم سحب هذا المال منهم عن طريق الملاهى ونشر المفاسد وعرقلة شرايين الحياة الاقتصادية السليمة فى ديارهم .

ويشير بن غوريون إلى هذا الاستعمار الزراعى فى خطابه المشار اليه بقوله « وفى خلال مدة قيام اسرائيل استطعنا أن نعمل ماعمله أجدادنا طيلة السبعين سنة الماضية . فقد كان عدد المستعمرات اليهودية قبل دولة اسرائيل لا يزيد عن ٣٠٠ مستعمرة ولكن مستعمراتنا الآن هى ضعف هذا العدد ، وكانت المستعمرات السابقة لا تستغل أكثر من نصف مليون دونم ونحن نستغل اليوم ٣٫٩٠٠٫٠٠٠ دونم . وإن هـــذا المشروع الزراعى العظيم الذى لم يشهد اليهود مثله فى تاريخهم يقوم به المهاجرون اليهود من اليمن ومراكش والعراق وتركيا وتونس ومصر ويهود شرق أوروبا مع فريق من طلائع يهود انجلترا وأمريكا والأرجنتين وجنوب أفريقيا وبلاد غرب أوروبا . وكان لدينا ٦٩٣ محراثا زراعيا آليا tracteur فأصبح عددها الآن ٤٠٠٠ محراثا ، وضاعفنا مساحة أراضى الرى فأصبحت ٢٢٠ ألف دونم وزادت مساحة الأراضى المزروعة

بالخضر والعلف من ١٠٤ آلاف دونم إلى ٣٤٠ ألف دونم »(١)

وتقوم فى اسرائيل مستعمرات زراعية شديدة البأس تأسست وفق النظام التعاونى، ثم ارتبطت أواصرها بعضها ببعض وفق نظام الاتحاد التعاونى حتى يمكن أن تتبادل المنافع ويشد بعضها ازر بعض ولتحقق فكرة الاصلاح الزراعى الاسرائيلى والرجوع إلى الأرض مع التعلق بها واخراج أقصى ما يمكن إخراجه من بطنها ، وكان نموذجها فى أرض الجليل السفلى بسدرية Sedjera وتضم حفنة من المزارعين الذين يجعلون من أجورهم صندوقا واحدا للجميع كى يعيشوا حياة جماعية ويطعموا من مطعم واحد ، وقد استطاعوا بهذه الوسيلة أن يقتصدوا وينشئوا مستعمرة أخرى فى وادى الأردن ، وهناك أنشأوا فى سنة ١٩٠٩ أول نظام وحدة تعاونية فى فلسطين ذاتها وهى الداجانياه » Degnyah تحتوى على عدة مئات من المزارعين الأشداء ، يعيشون أسرة واحدة وحياة واحدة بمستوى جماعى ، ولا يستخدمون النقود ، فهم فى غير حاجة إليها فى معاملاتهم داخل المستعمرة . وكل عامل يجد ماينشده وفق كفايته وفى حدود النظام المرسوم لتوجيه إلى الانتاج بناء على خطة يرسمونها فى اجتماع عام ، ومطعمهم واحد ، ونظامهم الادارى والبوليسى مركز ، وكل يحصل على حاجاته المعيشية الخاصة من مركز التوزيع ، ولكل وفق حاجاته حسب النظام الشيوعى ، وهذا الذى يرغب فى التدخين يحصل على ما ينشده من مركز التوزيع ، وهذا الذى يريد القراءة والاطلاع يحصل على هوايته من المكتبة العامة وهكذا . وكل من يرغب فى الانضمام

(١) انظر « اسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى » تقرير اتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة فى البلاد العربية ، صفحة ١٧ .

إلى المستعمرة يسلم أمواله وحاجاته الخاصة وأثاثه وكتبه وملابسه والخلاصة كل ما يملك إلى مركز المستعمرة ، وليس هناك حسابات خاصة لكل فرد والمرأة مساوية تماما للرجل هناك ولها نفس صوته فى كافة المناقشات وتعمل فى شتى الأعمال الزراعية ، ولهذه المستعمرة حضانة عامة هو بيت الأطفال ، وهو أهم وأكثر البيوت اتساعا ووسائل راحة ، ويقضى أطفال أعضاء المستعمرة معظم أوقاتهم فى هذا البيت وحدائقه سويا ليل نهار ، ويراهم آباؤهم مرتين يوميا أثناء الغذاء وقبيل العشاء ، وهؤلاء الأطفال مقسمون إلى فئات حسب السن ، ويعنى بهم مربون ومدرسون مختصون ، وهم فى الوقت ذاته أعضاء فى المستعمرة ، ولا تخضع المستعمرة فى معاملاتها الداخلية للنظام الرأسمالى الفردى ، ولكنها فى معاملاتها الخارجية تخضع لهذا النظام وذلك فى حصولها على حاجاتها وفى بيعها منتجاتها ، وهى تتسع باستمرار وتعمل على تحسين أحوال أعضائها بما تجمعه من أموال من صادراتها ، وتفى ما عليها من ديون للصندوق القومى ، وكل من يغادر المستعمرة فى اجازة أو لعمل من الأعمال باذن أو للقيام بدراسات وأبحاث يعطى له حاجته من العملة من الصندوق العام للعملة ، وأخيرا فهذه المستعمرة لا تعدم وسائل المتعة والراحة وهى مزوده بدور السينما والمسارح وسائر الملاهى الحديثة ، وهى تعنى عناية قصوى بالمسنين والمقعدين من آباء الأعضاء المتقاعدين سواء داخل المستعمرة أو خارجها . ومن شأن هذا النظام أن يجعل من أبنائه وتربته قلعة قائمة بذاتها بعسكرها ومن المستعمرات قلاعا شديدة المراس تسعى إلى التوسع وتتجه بقواها الجبارة

إلى بث سمومها التعصبية وارتكاب أنواع العدوان كلما رأت سبيلاً إلى ذلك[١] .

***

بناء الدولة على أساس اقتصاديات الحرب

دولة إسرائل تسير فى حياتها وفى تنظيم معاش مواطنيها كأنها فى حالة حرب فعلية وكلية ، وفى تنظيم شئونها الاقتصادية كأنها تخوض معارك دموية حامية لا دفاعاً عن حدودها بل لغرض التوسع وفق المصطلح الصهيونى التعصبى القائل بأن هذه الدولة « من النيل إلى الفرات » .

واقتصاديات الحرب بوجه عام على نوعين : فهناك النظم القائمة على استعداد الدولة دائماً على أساس شنها حرباً هجومية ، وبذا تحول البلاد إلى معسكر يجهز فى حالة حرب سنين طويلة قبل نشوبها فعلا ، وهى تعبىء قوى الأمة وسواعد أبنائها وما تحكم عليه من نشاط وقوى مادية ومعنوية لأغراض التسلح والغارات الخاطفة ، وفى حالة قيام الحرب فعلا لا تتغير السياسة الاقتصادية فى جوهرها ولا تشعر الأمة التى اعتادت الضيق والحرمان إلا بفرق المجزرة وقتلى وجرحى المعارك ونتائج التدمير ، وهذه السياسة تسير عليها البلدان الدكتاتورية ، وهى أساس الخطط النازية،والفرد فى دائرتها يسلم بكل ما تطلبه الدولة وترسمه فلا إرادة له ولا تفكير البتة فى استشارته فكل شىء يفنى فى سبيل الدولة ، وهناك النظم القائمة على الرقابة الاقتصادية التدريجية التى لا تبلغ شدتها وأوجها إلا باضطرار الدولة إلى خوض غمار حرب دفاعية ، وهى تضع نظم الرقابة

---

(١) انظر « اسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى » تقرير غرف الصناعة والتجارة والزراعة فى البلاد العربية ، صفحتى ٥٩ ، ٦٠ .

وكذلك « جمهورية اسرائيل » لدونر ، صفحة ١٤٠ إلى صفحة ١٤٩ .

والتعبئة وفق ما يقرره أعضاء البرلمان وما يخطه الرأى العام ، وتمهد لسير أداة الحرب بانتظام إذا أعلنت فعلا ، وهناك طائفة من التشريعات والخطط الاداريه للمصانع والمواد التى يمكن تخزينها أو تنظيم إنتاجها وتوزيعها واستهلاكها ، وطرق تنفيذها معدة فى حالة اشتعال نيران الحرب ، وتسير هذه الأداة العسكرية الاقتصادية بخطوات رزينة ومتئدة لتنظيم حياة المواطنين الذين وافقوا قبلا على الحرمان للصالح العام ولنصرة الوطن ، وقد رسمها البرلمان المنتخب بإرادة الشعب .

ومما يلفت النظر ويوضح خطورة نوايا إسرائيل انها رغم قيام برلمان فى ديارها تسلك الطريق الأول وتتبع خطى النازية فى تنظيم حياتها الاقتصادية وإعداد العدة للعدوان ، وهى قد اختارت المدفع بدلا من الخبز والزبدة ، وهى ليست فقط المليون ونصف صهيونى المتوطنين فى دولتها اليوم ، بل يضاف إليهم بقية الأنصار والأصدقاء المبعثرين فى مشارق الأرض ومغاربها وقد تغذوا بأساطير التعصب التى تطفح بها تقاليدهم والتى يريدون أن يحرقوا العالم فى سبيل تحقيقها .

ويدفعهم إلى ارتكاب أعمالهم العدوانية كذلك أموال الصناديق القومية للصهيونية وإعانات الرأسمالية الدولية التى يحركون دولابها ، وخطابات زعماء إسرائيل تحوى الوفير من عباراتهم الاستعمارية وتعبيراتهم ذات الطابع الخاص الذى اشتهر به شعبهم ، فيقول وزير التجارة فى حكومتهم فى إحدى صحفهم بتاريخ ٨ أبريل سنة ١٩٥٠ مشيراً إلى العرب ومهدداً ومتوعداً « . . . إنهم فى الوقت نفسه يخشون توسع إسرائيل أو على الأقل فرض استعمارها على بلادهم ، وهو شىء لا يرغبون فيه » ، ويقول سفيرهم فى أمريكا فى خطاب له بتاريخ

٨ يناير سنة ١٩٥٢ يؤكد فيه انهيار البنيان المرصوص للشعوب العربية فى الشرق الأوسط بقيام دولة إسرائيل «... ولقد اعتادت الشعوب المجاوره أن ترى الشرق الأوسط منطقة عربية متراصة، ولكننا نقول والتاريخ يؤيدنا إن هذا ليس صحيحاً وإن الشرق العربى ليس منطقة عربية متراصة(١)»

وفيما جاء فى عبارات بن غوريون وغيره من قادة اسرائيل وزعماء الصهيونية مايبين بوضوح اقتصاديات الحرب عندهم وشحذ قوى المواطنين تحقيقا للعقيدة الصهيونية التعصبية، وذكر بن غوريون فى كتابه بعنوان «إسرائيل فى كفاحها» مايأتى «إن الجيش وحده لايضمن تحقيق النصر والحرب فى أيامنا ليست حرب جيوش فقط، وإنما الحرب العصرية هى حرب الشعوب، هى حرب الشعب بكامل طاقته وحياته العامة، إن الحرب التى شنت علينا ليست موجهة ضد الجيش وحده، وإنما ضد الشعب كله، إننا لانكاد نميز بين الجبهة والمؤخرة وكل فردمنا الرجل والمرأة والكبير والصغير هو الجبهة، سواء كان ذلك بارادته أوعلى غير إرادته» (٢) وجاء فى بيان أحد رجال الصناعة فى سنة ١٩٥١ فى جريدة الصناعة عندهم «إن أمن الدولة فى أيامنا لايستند فقط إلى قوات الجيش، بل ان ميدان الامن فى هذه الأيام يشمل بالاضافة إلى الجيش والقوات المسلحة فى الشعب جميع ميادين الاقتصاد والعلم والاختبارات والتجارة والصناعة

---

(١) انظر «اسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى» تقرير اتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة فى البلاد العربية «صفحة ٣٥.

(٢) انظر «اسرائل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى» تقرير اتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة فى البلاد العربية، صفحتي ٤٠، ٤١.

والمواصلات والتموين والقوى البشرية ، ففى كل عمل اقتصادى وفى كل مشروع إنشائى نواة هدف عسكرى ، وهذا الوضع يكلف الدولة توجيه جميع التصميمات والانشاءات فى هذه الميادين حسب مقتضيات الاهداف العسكرية ، وكل برنامج اقتصادى جديد كاقامة المشروعات الصناعية والتعمير وبناء المستعمرات ومد المواصلات الخ ... يجب ان ينظر اليه قبل تنفيذه على ضوء الحاجات العسكرية بحيث يمكن وضعه فى أية لحظة تحت امرة الجيش ومقتضيات الاهداف العسكرية . »

ومما يجدر بهذه المناسبة ذكره ان أحد كتاب اليهود رأى فى هذا التعصب مبالغة خطرة وزجا بالبلاد نحو العدوان فأصدر كتاباً يدعو فيه إلى الاعتدال وثارت الصهيونية فى وجهه ووجهت اليه التهم وحوكم فى تل أبيب فى ١٩ ابريل سنة ١٩٥١ ، وشرح للقضاة مادفعه إلى اصدار كتابه ، وفى دفاعه مايبين بوضوح التعصب الذى انتاب الشباب وكافة مرافق الدولة هناك كالحمى ، فقال « إننى وجدت ان العناية منصرفة فى هذا البلد إلى خلق شباب متعصب إلى أقصى حدود التعصب ، ووجدت هذا الشباب يربى تربية عسكرية ويوجه توجيهاً حربيا إلى اهداف احتلالية ، ويتلقى تعليما تعصبيا من النوع الضيق جداً كالذى يطبق فى الدول العسكرية فى العالم بتربية الشباب على روح العدوان . انهم جعلوا الجيش هنا قبلة الشباب فقد منحوه مركز مقدسا والهوه كما كان اليابانيون أو النازيون يؤلهون جيشهم ، انهم فى هذا البلد ينشئون الأطفال هذه النشأة العسكرية ويستعينون على هذا الغرض بجميع الوسائل التى تملكها الدولة . انهم يطبعون كل شىء فى الدولة بطابع الروح العسكرية . هذا التحريض الذى يجرى فى هذا البلد هو الذى حملنى على ان أضع كتابى . . . » وواصل عباراته بقوله

« إننى أردت ان أفهم الشباب ضحية التحريض ، ان الحرب ليست نزهة مسلية كما يصورونها لهم » (١)

ويلخص الكتاب الذى أصدره المكتب العام لاتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة فى البلاد العربية بعنوان « اسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى » فى سنة ١٩٥٢ الاتجاه التعصبى العسكرى وإعداد البلاد برمتها للحرب العدوانية بما يأتى «بهذه الوسيلة أمكن تحويل اسرائيل كلها إلى ثكنة عسكرية ضخمة ممتدة من دان إلى العقبة ، وهذه الثكنة التى تضم ٧٠٠ مستعمرة ونقطة مسكونة فى اسرائيل يجرى تفقدها عدة مرات فى السنة بموجب مراسيم وأوامر عسكرية وذلك لاختبار مدى صلاحيتها وقوة استعدادها لتلبية الطلب ، وهى لا تكلف الدولة سوى عملية الإشراف فقط ، والشعب اليهودى كله مكلف بموجب القوانين بتعهدها بالرعاية والعناية وبتزويدها بالمأكل والملبس والمسكن والتخزين والحفظ والتجديد وبجعلها معدة للعمل فى كل لحظة ، ولا تتولى الدولة الانفاق عليها إلا عند ماتدعو مافيها من موجودات آدمية إلى العمل لتحقيق الاهداف والمقاصد الصهيونية »

وتسخر إسرائيل كما يتضح من بياننا السالف العلم فى الانشاء والتعمير الاقتصادى ، ويقول فى ذلك عميد كلية الهندسة الصناعية هناك «إن المزية الروحية التى امتزنا بها حتى الآن فى ميدان العلم والفنون هى التى تفسر للناس أعجوبة وقوف ٧٠٠ ألف يهودى فى وجه خمس دول عربية »

---

(١) انظر « اسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى » تقرير اتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة . صفحة ٤٦ .

غير انه لم يقل أن العرب كانوا يحاربون الصهيونية العالمية التى تعززها اسلحةوأموال الديموقراطيات الغربية . ويقول فى هذا الصدد بن غوريون فى مقدمة تقويمه السنوى الرسمى لحكومة إسرائيل لعام ١٩٥١ — ١٩٥٢ « . . . العلم هو سلطان البشر على قوى الطبيعة ، وسوف نستعين بالعلم لأننا لن ننجح فى تحقيق مشروعاتنا إذا لم نسخر العلم لتحقيقها » .

ولقد وضعت إسرائيل تحت تصرف اقتصاديات الحرب مجلسها العلمى الذى تأسس سنة ١٩٥٠ ، ويعمل فيه طائفة من العلماء الممتازين بقصد ادخال التحسين الفنى والنوعى والعددى على حاجات الجيش والاقتصاد القومى والصحة العامة والصناعة والزراعة والعمران والطعام واستغلال المواد الخام عن طريق الابتكار والاختراع وتعديل الرسوم والنماذج ، ويجد العلماء فى تحقيق الوسائل التى تكفل تنمية القوى والمواهب الفنية بين أفراد الشعب ووضع الكفايات الفنية وتوجيهها إلى الميادين الصالحة لخدمة الشعب ، ولم يقف جهد الحكومة عند حدودها بل عمدت إلى اختيار العلماء والاخصائيين والخبراء من الخارج للتعاون مع اسرائيل فى سبيل النهضة العلمية ، ويتعاون هذا المجلس مع علماء الجامعة العبريةوعلماء معهد ابحاث وايزمان ، وله القدح المعلى فى تحقيق كثير من المكتشفات هناك وفى تأسيس شركة مناجم اسرائيل لاستثمار الثروة المعدنية فى النقب ، وفيما جاء فى التقويم الرسمى للحكومة لسنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠ مايبين أهمية هذا المجلس للتسلح ، فقال التقويم يصف أعمال علماء اليهود فى اسرائيل والخارج فى ميدان التسلح « رعاية صناعة السلاح والعتاد الحربى وتحسينها والاشراف على المؤسسات العلمية الخاصة بادخال التحسينات على الأسلحة وتنويع انتاجها وصناعاتها تحت اشراف اختصاصيين من العلماء في اسرائيل

وفى خارجها ،وتتولى هـــذه المؤسسات إجراء التجارب للانتاج الحربى وابتـكار الأسلحة الحديثة ووضع تصميماتها ، (١)

ونشأت الصناعات الحربية فى إسرائيل وفق برامج محددة بسنوات معينة تنمو باطراد وفقا لحاجات الحرب ولمطالب الأهلين ، كما نشأت هناك وفق التخطيط الاقتصادى صناعات التصدير والصناعات الـكيمائية والميكانيكية وصناعات شتى لقطع الغيار ولتركيب السيارات والطائرات، وتلقت مئات الملايين من الدولارات من الخارج وخاصة من الولايات المتحدة مساعدة فى تدعيم اقتصادياتها وانشاء صناعاتها ، وذلك علاوة على ماتعهدت ألمانيا الغربية بدفعه على دفع متفرقة منتظمة كتعويض عن حوادث اضطهاد اليهود فى عهد النازية بضغط الدول الغربية وقدرها ٧١٠ مليون دولار، ونذكر على سبيل المثال أن الولايات المتحدة قدمت لإسرائيل فى سنة

---

(١) انظر « اسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى » تقرير اتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة فى البلاد العربية . من صفحة ٦١ إلى ٦٥ .

وجاء فى المجلة الشهرية الفرنسية « كونستلاسيون » عدد مارس سنة ١٩٥٤ فى مقال للابارت Laparthe بعنوان « إسرائيل بقوة أيدى أبنائها » من صفحة ١١٨ إلى ٢٣٠ إن تشرشل استنجد بوايزمان Weismann أثناء الحرب العالمية الثانية لصناعة المادة المسماة « الاسيتون » Acetone الهامة لعملية الذوبان وللأغراض العسكرية . وقد باشر وايزمان إجابة هـذا الطلب فى المعامل الصهيونية بفلسطين لأغراض الأداة الحربيـة الانكليزية ولإعداد ٣٠,٠٠٠ طن منها بنجاح . وجاء فى المقال أيضا أن إسرائيل نجحت فى إقامة مصانع لتركيب السيارات الأمريكية للركوب وسيارات النقل الديزيل Diesel وهى تصدرها إلى تركيا وكينيا وروديسيا .

١٩٥١ — ١٩٥٢ مساعدة فى سبيل نشاط الإنتاج مبلغ ٦٥٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار ، وفى سنة ١٩٥٢ — ١٩٥٣ لنفس الغرض مبلغ ٧٣٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار ، كما قدم لها بنك التصدير والاستيراد بالولايات المتحدة قروضا بلغت مائة مليون دولار فى سنة ١٩٤٩ ، وبلغت ٥٢ مليون دولار فى سنة ١٩٥٠ تدفع على خمس عشرة سنة بارباح سنوية قدرها ٣٫٥ ٪ .(١)

ويخطىء من يظن أن التدهور الاقتصادى سيحل بين ساعة وأخرى بإسرائيل ، وبناء عليه يمكن أن نقف مكتوفى الأيدى حتى تتحقق هذه الكارثة لينقذ الشرق الأوسط العربى ، فحقيقة أن إسرائيل تعانى خللا فى ميزانها التجارى فضلا عن افتقارها إلى المواد الأولية والاغذية واعتمادها على المساعدات الخارجية ، ولكن يجب ألا يغرب عن بالنا أنها تبذل كافة الوسائل العلمية الحديثة لاستنباط ما فى جوف الأرض واستخدامه لصالح الانسان ، وأن هذا الخلل فى ميزانها التجارى مرض تعانيه كثير من الدول اليوم ، أما المساعدات الخارجية فهى سيل لا ينقطع ، بل هو مورد دائم لتحطيم وحدة الشرق الأوسط العربى ، وهو سلاح الاستعمار المسلط على القومية العربية ، وجدير بنا ألا ننتظر المعجزات وأن نعمل من ناحيتنا على اتخاذ الحيطة والاستعداد بكافة الوسائل العلمية الحديثة للقضاء قضاء مبرما على عدوان إسرائيل ، واذا نظرنا الى نصيب الفرد فى إسرائيل فى الدخل القومى وميزانية الدولة نجده أكثر من ضعف نصيبه فى أحسن البلاد العربية حالا فهو هناك نحو ٢٦٦ جنيها إسرائيليا تعادل نحو ١٠٥ جنيها مصريا ، فى حين أن نصيب الفرد فى سوريا لا يزيد على ٢٨ جنيها ونصيب الفلاح فى مصر الذى يعول أسرة لا يزيد على ٣٠ جنيها ، ونصيب الفرد فى

(١) أنظر «حصن الديموقراطية فى الشرق الاوسط» لدونر صفحتى ٧ ، ٨

ميزانية الدولة هناك ٧٥ جنيها إسرائيليا تعادل ١٩ جنيها مصريا فى حين أن نصيب الفرد فى مصر وهى اضخم البلدان العربية ميزانيـة أقل من تسعة جنيهات(١) .



(١) إن الإعانات المالية فى صورة قروض أو توظيف أموال أو اكتتاب فى أسهم الشركات والمشروعات أو هبات مستمرة تهطل كالغيث المنتظم والفيضان الدسم على إسرائيل من أمم الغرب والرأسمالية الصناعية الكبرى هناك والحكومات التى تتزعم موائد المؤتمرات وتدعى حمايتها للحريات والديموقراطية وذلك فى سبيل تقوية أداة الحرب والعدوان والصهيونية فى فلسطين والحيلولة دون بلوغ الأمم العربية غايتها فى الاستقلال والتحرر من نير الاستعمار وللابقاء على حالة التفكك والتوتر هناك ، وفيما يلى ما أمكن جمعه من هذه الإعانات نقلا عن كتاب « اسرائيل » لنورمان بنتويش من صفحة ٧٩ إلى ٨٣ ، وعن كتاب « حصن الديموقراطية فى الشرق الأوسط » لدونر من صفحة ٦ إلى ٨ . وهى : تلقى صندوق التمويل اليهودى لتدعيمه مبلغ ٦٠ مليون جنيه لأغراض المساعدة على الهجرة إلى فلسطين ، وحصلت الحكومة فى الثلاث سنوات الأولى لتكوين دولة إسرائيل على قرضين من بنك التصدير والاستيراد الأمريكى بلغا ١٫٥ مليون دولار ، وأطلقت انجلترا مبلغ ١٧ مليون جنيه استرلينى باتفاقات ما بين سنة ١٩٤٩ وسنة ١٩٥٠ كانت قد حبستها الحكومة الانكليزية بعد خروج إسرائيل عن منطقة الاسترلينى على شرط أن تشترى بها إسرائيل حاجتها من منطقة الاسترلينى ، وهـــذا المبلغ جمعته المشروعات اليهودية فى فلسطين أثناء الحرب من تعاملها مع الانكليز ، وقدمت الحكومة الأمريكية لإسرائيل باسم مساعدات النقطة الرابعة فى سنة ١٩٥١ مبلغ ٥٠ مليون دولار لاسكان اللاجئين اليهود إلى فلسطين واستقرارهم هناك ، وأضيف

إلى هذا المبلغ ١٧ مليون دولار مساعدة اقتصادية، وأصدرت حكومة اسرائيل قروضا عدة لأغراض نشاط الصناعة واستثمار المناجم ، وساهمت الولايات المتحدة الأمريكية فى الاكتتاب فى هذه القروض حتى سنة ١٩٥١ بمبلغ ٢٥٠ مليون دولار ، وبلغت المبالغ التى قدمتها الجمعيات والجاليات الصهيونية فى الولايات المتحدة الأمريكية لمساعدة إسرائيل على إيواء المهاجرين ما بين سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٣ نحو ٢٣٣ مليون دولار ، وقدمت مؤسسة هاداساة Hadassah الصهيونية نحو ٤٨ مليون دولار لانشاء المستشفيات وللأغراض الصحية فى إسرائيل ، كما ساعدت اللجنة الوطنية الأمريكية للعمل فى إسرائيل الانتاج هناك بمبلغ ١٧ مليون دولار أرسلتها تباعا إلى إسرائيل ، وساعد الصندوق الأمريكى لاعانة معاهد الثقافة اليهودية الجامعة العبرية وسائر المعاهد فى إسرائيل بمبلغ ١٥ مليون دولار ، وقدمت الحكومة الأمريكية بموافقة الكونجرس فى سنة ١٩٥١ — ١٩٥٢ لاسرائيل ٦٥ مليون دولار وفى سنة ١٩٥٢ — ١٩٥٣ مبلغ ٧٣ مليون دولار ، ويضاف إلى ذلك ما حصلت عليه إسرائيل من ألمانيا الغربية فى سبتمبر سنة ١٩٥٢ بضغط الولايات المتحدة الأمريكية باسم تعويضات لليهود عما حاق بهم من اضرا واضطهادات أثناء حكم النازية فى ألمانيا وأثناء الحرب وقدرها ٧١٥ مليون دولار تدفع فى مدى من ١٢ إلى ١٤ سنة فى صورة حاجات ومواد أولية وبضائع .

وحصلت إسرائيل على مجموعات معونات مالية من الولايات المتحدة الأمريكية من اكتوبر سنة ١٩٥٣ إلى فبراير سنة ١٩٥٤ وصلت إلى ١٩ مليون دولار فى فترات متقطعة ، وينتظر أن تصل المعونة فى غضون عام سنة ١٩٥٤ إلى ٦٠ مليون دولار ، وحبست هذه المعونة عن إسرائيل شهراً واحداً فى المدة المشار إليها بسبب امتناعها عن وقف العمل فى مشروع تحويل مجرى الأردن حسب قرار إحدى لجان الأمم المتحدة ، غير أن الولايات المتحدة عادت وواصلت مدها بالمعونة ، وذلك بعكس موقفها من الدول العربية =

* * *

بناء الدولة على أساس الهجرة

تقوم إسرائيل على أساس الهجرة واستيطان أكبر عدد من الصهيونيين الذين يبلغون فى رأى البعض من ١٢ مليون إلى ١٥ مليون نسمة فى العالم فى فلسطين بصفة دائمة، وكان اليهود فى فلسطين فى الحرب العالمية الأولى أقلية ضئيلة ولا يزيد عددهم على ٤٠٫٠٠٠ نسمة، ثم تدفق على الوطن القومى لليهود حتى سنة ١٩٣٠ عدد يربو على المائة ألف غالبيتهم من روسيا وبولونيا، وبلغ

= فهى تشجعها بالخطب والأقوال والتصريحات فقط دون الفعل والمساعدة المالية وتتذرع بأن الدول العربية لا تقدم للولايات المتحدة الأمريكية مشروعات مقبولة ومدعمة بالوثائق والبيانات لتحصل بمقتضاها على المساعدات المالية بعكس إسرائيل، والمبلغ الذى اعتمده الكونجرس فى ميزانية المعونة الخارجية خلال ميزانية سنة ١٩٥٣ هو ١٤٧ مليون دولار عدا بعض المبالغ الصغيرة لبرنامج المعونة الفنية لرفع مستوى المعيشة لبلدان إيران والشرق الأوسط العربيــة وإسرائيل، وحسب روايات البعض ان مجموع المساعدات الفنية حسب اتفاقات الدول العربيــة مع أمريكا فى المدة المذكورة لا تتجاوز عشرة ملايين دولارات.

وجاء فى مقال نشر فى مارس سنة ١٩٥٤ فى المجلة الشهرية الفرنسية كونستلاسيون Constellation بعنوان « إسرائيل بقوة أيدى أبنائها » للابارت Laparthe من صفحة ١١٨ إلى ١٢٠ ان إسرائيل تعيش من الاحسانات التى تتلقاها من الخارج منذ بدء نزوح مؤسسيها الأوائل إليها وبلغت فى سنة ١٩٤٩ نحو ٦٠ مليار فرنك (٦٠ مليون جنيه) وتتلقى الآن سنويا فى المتوسط نحو ٢٠ مليار فرنك (٢٠ مليون جنيه) كما حصلت بواسطة قرض دولى على ٥٢ مليار فرنك، وكان نصيبها الذى خصها فى مشروع مارشال Marshall ٢٦ مليار فرنك.

عدد اليهود الذين قدموا من ألمانيا والنمسا عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى إسرائيل ١٣٠ ألف يهودى أضيف اليهم ٢٠٠ ألف يهودى من شرق أوروبا وخاصة رومانيا وبولونيا و ٣٥ ألف يهودى من بلدان الشرق العربى و ٢٤ ألف يهودى من غرب أوروبا و ٤ آلاف يهودى من القارة الأمريكية .

ودخل فى ظل الانتداب البريطانى على فلسطين من سنة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٤٨ هذه البلاد عدد من اليهود قدره ٥٨٠ر٢٩٠ لاستعمارها ومن تاريخ انتهاء الانتداب الى ١٥ مايو سنة ١٩٥٣ نحو ٧٠٠ ألف يهودى لنفس الغرض ، وبذا صعد عدد السكان فى فلسطين التى تحولت الى إسرائيل من نحو ٧٠٠ ألف جلهم من المسلمين العرب الى أكثر من ٠٠٠ر٣٩٠ر١ غالبيتهم الساحقة من اليهود ، والغالبية العربية المسلمة هناك وعددها أكثر يقرب من ٦٠٠ ألف أرغمت على ترك ديارها بعد انتزاع أموالها منها أيضا قسرا .(١)

وكانت تنظم إسرائل وسائل الهجرة اليها عن طريق وكالتها منذ كانت هذه الوكالة الصهيونية تتمتع بالرعاية البريطانية فى ظل الانتداب، وغرضها «اسداء النصح والتعاون مع السلطات البريطانية فى ميادين الادارة والاقتصاد والاجتماع وسائر الأمور التى لها علاقة بانشاء الوطن القومى لليهود » ، وتضرب للقادمين مستعمرات مؤقتة حيث يتلقون المساعدات السريعة حتى يتم توزيعهم على البلاد حسب كفاياتهم ، كما قد يوزعون بصفة مؤقتة فوراً على المزارع والمصانع وسائر المرافق العامة لحين اسناد الأعمال الدائمة التى تخصصوا فيها الى أربابها ، وتفضل الدولة أن تكل اليهم أعمال

---

(١) أنظر «حصن الديموقراطية فى الشرق الاوسط» لدونر ، الصحيفتين الاولى ، والثانية

الزراعة وأن تبنى على أكتافهم المستعمرات الزراعية التعاونية ، وقد واجهت صعوبات شديدة تبعا لقدوم عدد كبير منهم من المدن وهم يجهلون الزراعة واسرارها . وقد اعتادوا حياة المدن الكبرى فى الغرب ونشاطها التجارى ، وبذا يظلون زمنا مستهلكين ينشدون الغذاء والمسكن والكساء وسائر المساعدات المالية ، ثم يتدربون تدريجيا على الانتاج وخاصة الزراعى ،ولا يبدأ نشاطهم وخدماتهم للدولة إلا بعد مدة غير وجيزة. (١)

ويتمشى استقدام المهاجرين مع السياسة الاستعمارية العسكرية لإسرائيل التى وضحها وزير زراعتهم فى برلمانهم بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٩٥٢ ، فقال « تطلبت اوضاعنا العسكرية والاقتصادية والسياسية بعد توقف المعارك مع

---

(١) تواجه إسرائيل صعوبات شديدة نتيجة استقدام مئات الآلاف من الصهيونيين خاصة بتدبير الأماكن لايوائهم وهذه الصعوبات تخف تبعا لنزول رقم المهاجرين فى المستقبل ، ويضاف إلى صعوبات توفير المساكن أزمات أخرى مصدرها ضرورة توفير المال لشراء حاجات هؤلاء اللاجئين ومساعدتهم على العيش فى السنوات الأولى لهجرتهم ، وجاء فى كتاب « الشرق الأوسط سياسيا واقتصاديا للمعهد الملكى للشئون الخارجية بلندن صفحة ٣٤٢ » بخصوص الأزمات المشار إليها ما يأتى : « كان على حكومة إسرائيل فى أول سنة لاستقلال البلاد ألا تواجه فقط أزمات أقتصادية ومالية بل كذلك أزمات اجتماعية ، فإن موجة الهجرة الكبرى سببت بلاشك مشكلات اجتماعية خطيرة وكان من أعقد المسائل توفير المساكن الكافية للعدد المطرد الزيادة من السكان القادمين من الخارج، ووضعت الوكالة اليهودية بالاشتراك مع صندوق التمويل القومى برنامجا واسع النطاق فى أوائل سنة ١٩٤٩ لانشاء المساكن ولايواء المهاجرين، واشترك فى هذا المشروع كذلك ست شركات خاصة لبناء المساكن وعاونت الحكومة فى النهوض به . ووضعت الخطط لبناء ٢٠٠٠٠ مبنى يتم بناؤها قبل سنة ١٩٥٠ مع تشييد أربع مدن جديدة » .

العرب أن نسارع الى تعمير الحدود بالمستعمرات وتعزيز المناطق التى استولينا عليها بالنقاط المسكونة ، وقد استعنا بشباب الطلائع الذين عملوا فى منظمة البالماخ وفى جيش الهاجناه ، وكذلك اســـتعنا بمنظمة الجنود المسرحين . ونقلنا هؤلاء الشباب للمرابطة والسكنى فى النقاط الواقعة فى حدود سوريا ولبنان . . . » . (١)

* * *

قانون العودة وخطواته

سار نظام الهجرة فى خطوات متتابعة حتى اتخذ وضعه القانونى اليوم هناك بما يسمى بقانون العودة الذى وافق عليه برلمان اسرائيل بالاجماع وصدر فى ٥ يوليه سنة ١٩٥٠ ، وهذه الخطوات يمكن اختصارها فى أربع مراحل ، وهى : تنظيم الهجرة عن طريق المؤتمرات الصهيونية وصناديق الوطن القومى ، ثم تشجيعها بواسطة تصريح بلفور ، ثم تنظيم الهجرة عن طريق الانتداب أيضا ، واخيراً تنظيمها وتدعيمها بواسطة قانون العودة ، وفيما يلى الشرح .

١ — تأييد الهجرة وتنظيمها فى المؤتمرات الصهيونية : كان هدف مؤتمرات الصهيونية التى عقدت فى بازل وغيرها الرجوع الى أرض الميعاد والاستقرار فى البلدان المحيطة بجبل صهيون من أعمال بيت المقدس باعتباره المكان الذى ورد فى عبارات الرسل القدماء كبقعة التئام شمل اليهود بعد انفراط عقدهم منذ قرون سحيقة ، وجمعت الأموال ونظمت الجمعيات

---

(١) انظر « إسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى » تقرير اتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة فى البلاد العربية ، صفحة ٦٠ .

لتشجيع النزوح إلى المكان المقدس فى نظرهم , وكان التشجيع عن طريق شراء أراض هناك وإنشاء مستعمرات زراعية يعمل فيها المهاجرون زراعا ليستخرجوا خيرات مافى بطون الأرض وليعيشوا فى الوادى المقدس الذى يحلمون به ، وبذا يهجرون المدن وصخبها والتجارة ومعاملات المال إلى بساطة الطبيعة والتعبد ، غير أن فكرة هذه الهجرة طبعت بالطابع التعصبى السياسى وتحولت إلى سلاح شديد البطش يستخدمه الاستعمار للتنكيل بالعروبة ولأخراج بنيها من ديارهم واغتصاب أراضيهم وتقتيل أولادهم .

وحاول الصهيونيون إستمالة السلطان عبد الحميد فى أوائل حركتهم للسماح لهم بالهبوط فى فلسطين ، ولكن الدولة العلية مع مافطرت عليه فى أواخر عهدها من اهمال وضعف وتقاعد همة رفضت التصريح لهم بالهجرة والاستقرار هناك خشية مغبة تغلغلهم فى الدولة وأماكنها المقدسة ، واصدر السلطان قراراً بحظر هجرة الصهيونية إلى فلسطين ، وحاول « هرتزل » أن يثنيه عن قراره بلا جدوى ، وحظى بمقابلة السلطان ولكن المقابلة لم تثمر ما كان يرجوه الزعيم الصهيونى منها ، وكانت الدولة العلية لاتمانع فى هجرة اليهود اليها مقابل أتاوة ضخمة تعادل ٥٠ مليون فرنك ذهباً لذلك العهد وهو أوائل القرن الحالى على ألا يهبط اليهود إلى فلسطين البتة بل يختارون مكاناً آخر ، وهذا ماجعل العالم الغربى الذى يعطف على إسرائيل وبعض الزعماء الصهيونيين يتجهون نحو أفريقيا وأمريكا، وقبض شباب العثمانيين على أعنة الحكم بعد الثورة ووقفوا فى وجه التدخل الصهيونى ، وأصدرت حكومة الاستانة قراراً سنة ١٩١٤ تنزل الى حد العدم الهجرة الى فلسطين ، غير أن الأمور كانت تسير فى

المؤتمرات الصهيونية نحو الإصرار على الهجرة وجمع المال وشراء الأرض هناك من العرب بأى ثمن ، وجاءت الحرب العالمية الأولى فقلبت الأوضاع بانحسار سلطان الدولة العلية عن البلاد ، وأصبحت فلسطين لقمة سائغة سهلة التناول للغرب الذى مالبث أن سلمها اصنائعه (١)

٢ — تصريح أو وعد بلفور Balfour : هو وعد صدر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ باسم انكلترا من وزيرها أثناء اشتداد رحى القتال يعد فيه بنى صهيون بتحقيق أطماعهم فى فلسطين عند انتهاء الحرب ، ولقد تطلب هذا الوعد اعداداً طويلا من سنة ١٩١٥ الى سنة ١٩١٧ بطائفة من المحادثات بين لندن وواشنطون واشترك فيها العديد من زعماء الصيهونيه ومن رجال المال بينهم ، والمحادثات الأولى دارت بين لويد جورج والسير هربرت صمويل Herbert Samuel والدكتور وايزمان الذى كان على رأس الدعاية الصهيونية فى انكلترا ، والمحادثات الثانية دارت بين الرئيس ولسن واللورد بلفور بالذات وعضو المحكمة العليا بالولايات المتحدة الأمريكية ورئيس اللجنة التنفيذية للصهيونية ، وكانت هذه المحادثات لجس النبض وتهيئة الجو لمساعدة الصهيونية مساعدة جدية ، وفى هذه الأثناء لم تكن الولايات المتحدة قد خاضت غمار الحرب بعد وكانت الحكومتان الانكليزية والأمريكية تريدان إعداد الرأى العام الأمريكى لقبول فكرة دخول الحرب فى صف الحلفاء ، ولا شك ان كسب اليهود فى الولايات المتحدة ومنهم ملوك الصناعة والمال شديد الأهمية فى هذا الشأن ،

(١) انظر « الصهيونية وانتداب الانكليزى على فلسطين » رسالة دكتوراه فى الحقوق لانيس الصغير ، جامعة باريس ١٩٣٢ ، صفحة ١٥ .

voir «Le Sionisme et le Mandat Anglais en Palestine» par Anis Saghir, Thèse de Doctorat. Paris 1932, page 15.

لذا انتهت هذه المحادثات بوعد الى المندوبين الصهيونيين سجل فى خطاب من اللورد بلفور الى اللورد روتشلد بتاريخ ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ يعد فيه تحقيق الوطن القومى لليهود ، وأعلن على العالم الصهيونى وكان بمثابة تصريح حكومى رسمى . وحاول الوعد كما سنرى فى سرد عباراته حرفياً تحقيق فكرة الصهيونية وحلمها البعيد ، وكذلك الارتباطات السياسية التى ارتبطت بها بريطانيا العظمى حيال العرب الذين ألبتهم على الدولة العلية وضمتهم إلى صفها لضرب جيوش العثمانيين ، على أن تحقق بعد النصر فى الحرب استقلالهم وإنشاء مملكة عربية موحدة على رأسها شريف مكة الأمير حسين (١) .

وكان وعد بلفور هذا بمثابة السحر فى العالم اليهودى ، فما لبث أن قام بنصرة الحلفاء بكل ما أوتى من قوة ، وسهل لهم وسائل المال والعتاد ، وقام بدعاية واسعة لهم ضـد امبراطوريات الوسط ، وضم الولايات المتحدة بقواها الجبارة لصفهم للتعجيل بانهاء الحرب ، وبث روح الثورة فى المانيا القيصرية لتحطيم أداتها الحربية واسراعها فى القاء السلاح ، كما اتجه الصهيونيون من كل حدب وصوب نحو الأرض الموعودة للاستقرار فيها ودق أسفين للعروبة لعرقلة أمانيها الوطنية لصالح الاستعمار الغربى ولضمان مواصلات الامبراطورية البريطانية الى الشرق واستمرار سيطرتها على قناة السويس وقد اشتدت الحركه الوطنية فى مصر ، وجاء فيه بالحرف « لى مزيد السرور أن أزف اليكم باسم حكومة صاحب الجلالة الوعد التالى تأييدها الحركة اليهودية الصهيونية وأمانيها التى عرضت على مجلس الوزراء ووافق عليها ، وان حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين

---

(١) أنظر « مشكلات الشرق الأوسط الحالية » محاضرات فى العلوم السياسية لبيكو ، الجزء الثانى صفحة ٢٣٨ .

التأييد الى إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى وستستخدم أفضل وسائلها وأقصى جهودها لتسهيل تحقيق هذه المهمة، ومفهوم بوضوح انه لن تتخذ أية اجراءات من شأنها الاضرار بالحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية المقيمة فى فلسطين، أو الحقوق والنظم السياسية التى يتمتع بها اليهود فى أى بلد يعيشون فيه، وأكون شاكراً لو تفضلتم باعلان هذا التصريح الى الاتحاد الصهيونى» (١)

وهكذا نرى ان التصريح يتناول إقامة وطن يهودى فى فلسطين وضمان تمتع اليهود فى خارج هذا الوطن بنفس الحقوق التى للمواطنين غير اليهود، وقطع جسد العروبة للحيلولة دون تحقيق أمانى العرب واجابة رغبات حركات البعث الاسلامى ووحدته، وإقامة جماعة فى فلسطين ستطالب حتما مع الزمن بنظم محلية قائمة بذاتها، وستنقلب هذه المطالب تبعاً لكسبها الأرض والوقت الى مطالب سياسية خطيرة على حساب العرب، ثم ان هذا الوعد هو تصرف من الحكومة البريطانية فيما ليس لها عليه سلطان ونفوذ فى أرض غيرها، فهذه البلاد كانت ضمن أيالات الدولة العلية فكيف يطلق يد الغير فيها وهى لا تملك فيها حقوقا شرعية، وفضلا عن ذلك فهو اعتداء خطير على نفس قاعدة الانتداب على هذه البلاد، فالانتداب لا يسلم بريطانيا العظمى مفاتيح البلاد ومستقبلها بل يأتمنها على إدارتها فقط، ثم ما قيمة هذا التصريح إزاء حق الشعوب فى تقرير مصيرها الذى أعلنه «ولسن» ضمن مبادئه وكانت نتيجة الاعلان فتور نيران الحرب ثم خمودها، ثم قامت عصبة الأمم لتدعيم أسس السلام وتحقيق

(١) أنظر «جمهورية إسرائيل» لدونر، صفحة ٣٢، وكذلك «الصهيونية والانتداب الانكليزى على فلسطين» لأنيس الصغير، صفحة ٩٣.

مبادىء حقوق الانسان والشعوب ، ورغم ذلك انتزعت البلاد انتزاعا من أبنائها لصالح أقوام يعيشون مئات بل آلاف الأميال بعيداً عنها.

٣ — الانتداب : كان فرض الانتداب على فلسطين أيضاً محنة على العروبة إذ لم يخرج عن أنه سلم لتدفق اليهود على هذه المنطقة المزدحمة بالسكان لاخراج بنيها بالقوة منها وإحلال من توفدهم جمعيات الهجرة الى وطن العرب محلهم ، ولقد نشأ نظام الانتداب فى ميثاق عصبة الأمم ، فى ظاهره للقضاء على فكرة استعباد الشعوب المحكومة وفرض الاستعمار عليها رغم إرادتها وذلك تمشياً مع حق تقرير المصير ، وفى باطنه لتقسيم الشرق الاوسط وكان ضمن الامبراطورية العثمانية ، وساعد الحلفاء فى كسب الحرب ، وطبيعى أن تتحقق رغباته فى الاستقلال أسوة ببقية البلدان التى انضمت الى صف الحلفاء فى الحرب ،ثم كانت هدية الحلفاء تقرير الحماية المقنعة عليه مع تدبير هذا التسلط عن طريق الانتداب على هذه المنطقة لحين استكمال نضوجها السياسى كما يدعى الحلفاء

وجاء فى المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم ضمن ماورد بخصوص الانتداب « . . . ان رفاهة هذه الشعوب وتقدمها (ويقصد بها التى كانت تحت حكم الدول المهزومة وفى نظر الحلفاء لاتستطيع بعد حكم نفسها دون وصاية ، الهدف الاسمى للمدنية ، وعلى ذلك يتعين ان يضع الميثاق قواعد لضمان الوصول إلى هذا الهدف » . وورد فى الفقرة الرابعة من هذه المادة « إن بعض الجماعات التى كانت تتبع فيما مضى الدولة العثمانية وصلت إلى درجة معينة من التقدم يمكن معها ضمان استقلالها كشعوب قائمة بذاتها مؤقتاً ، تحت شرط ان تنظم إدارتها نصائح ومساعدات الدولة المنتدبة عليها حتي تصل إلى المستوى الذي يمكنها من مباشرة أمورها

بنفسها ، ويجب وضع رغبات هذه الجماعات موضعها من الاعتبار أولا لاختيار المنتدب عليها ».

وفرض الميثاق نظاماً خاصا يتعين على من وقع عليه الاختيار للقيام بهذه المهمة ان يتبعه، فجاء فى الفقرة السابعة من المادة المذكورة «على الدولة المنتدبة فى كافه الأحوال (ويقصد بذلك فى حالة انتداب دولة لادارة بلاد بلغت شأوا من المدنية كايالات الدولة العلية التى سلخت منها أوغيرها من المستعمرات المتأخرة التى كانت تابعة لألمانيا) ان تقدم تقريراً سنويا للمجلس عن أعمالها فى الجهة المكلفة بالانتداب عليها » ، وجاء فى الفقرة الثانية « وإذا لم تك قد نظمت بعد حالة الانتداب ومداه وطريقة الرقابة والادارة التى تباشرها الدولة المنتدبة فيما بين أعضاء عصبة الأمم فعلى المجلس ان يضع صراحة نظام الانتداب هذا بشتى نواحيه ونقاطه » وجاء فى الفقرة التاسعة تعزيزاً لمسئولية الدولة المنتدبة «تعين لجنة دائمة لاستلام وفحص التقارير السنوية للدولة المنتدبة عن أعمالها ، وترفع اللجنة رأيها إلى مجلس العصبة فى كافة مايتناول مباشرة أعمال الانتداب وسيره » (١).

ولم تأل اللجنة الدائمة لأعمال الانتداب جهداً فى فحص تقارير الانتداب والشكاوى التى قدمتها الشعوب الواقعة تحت الانتداب من تصرفات الدول المنتدبة وحاسبتها حساباً عسيراً ، وطالما أدلت إلى مجلس العصبة برأيها فى الأمر ونوقشت التقارير علناً فى المجلس من كافة النواحى السياسية والقانونية والمعنوية ، وطالما وقفت الدولة المنتدبة أمام المجلس تحاسب عن أعمالها وتبررها وتدافع عن تصرفاتها هناك .

---

(١) انظر « الصهيونية والانتداب الانكليزى على فلسطين » لانيس الصغير ، من صفحة ١٠٩ الى صفحة ١٣٣ .

وهكذا نرى ان النصوص تجعل من الانتداب وصاية مؤقتة محدودة الغرض لمساعدة الدولة الواقعة تحت الانتداب فى تنظيم إدارتها وتدعيم مرافقها والنهوض بشؤونها لتقف على رجليها وتبسط جناحيها وقد اكتمل نموها واشتد ساعدها وبلغت رشدها ولتطير فى فضاء الحرية الواسع دون خطر السقوط والانهيار ، وليس الانتداب (حسب النصوص) حماية دائمة تفرض للقضاء على الشعب المتمدين الناهض الذى يتوق إلى ساعة الخلاص أو طرداً من دياره وتشتيتا لبنيه وتقتيلا وانتزاعا للقمة العيش من أفواه العرب ، والخلاصة القضاء على وطنهم العربى الذى توارثوه منذ قرون ولا يعرفون غيره وطنا .

ولكن من المفارقات ان يضع مجلس العصبة نظام انتداب انكلترا على فلسطين وقد بث فيه سموم القضاء على فلسطين العربية وبناء الوطن القومى اليهودى ضاربا صفحا عن الغرض من الانتداب ، ومقرا نظاما يتعارض مع العبارات الأخيرة من الفقرة الرابعة للمادة ٢٢ من ميثاق العصبة، وهى تقول كما سبق ان ذكرنا « ... ويجب وضع رغبات هذه الجماعات موضعها من الاعتبار أولا لاختيار المنتدب عليها » ويعنى بهذا ان لهذه الجماعات المفروض الانتداب عليها الرأى فى شخص المنتدب ومن باب أولى فى أعماله ، وما قد تقترفه يداه من تصرفات تقضى على كيانها كشخصية معنوية ومستقبلها السياسى وحياتها الاقتصادية .

وقد جاءت ديباجة نظام الانتداب ذاته تضع إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين فى المرتبة الأولى مما يتنافى مع ميثاق عصبة الأمم واتفاق انجلترا مع العرب وحقوق الشعوب فى تقرير مصيرها ، فذكرت الديباجه « ... ولما كانت دول الحلفاء قد اتفقت أيضاً على أن الدولة المنتدبة

تصبح مسئولة عن التصريح الصادر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ من الحكومه البريطانية وقد أقرته هذه الدول الخاص بتأييد إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، ومفهوم أنه لن يترتب عليه المساس بالحقوق المدنيه والدينية للجماعات غير اليهودية فى فلسطين ولا بالحقوق والنظم السياسية التي يتمتع بها اليهود فى البلدان الأخرى التى يقطنونها ، ولما كانت دول الحلفاء تقرر أن هذا التصريح اعتراف بالروابط التاريخية التى تربط الشعب اليهودى ، وأن الغرض منه إعادة بناء الوطن اليهودى فى هذه البلاد ، ولما كانت دول الحلفاء قد اختارت حكومة جلالة ملك بريطانيا للقيام بالانتداب على فلسطين ، ولما كانت نصوص الانتداب قد صيغت كما هو وارد فيما بعد وقد قدمت لمجلس عصبة الأمم للتصديق عليها ، ولما كانت حكومة جلالة ملك بريطانيا قد وافقت على قبول الانتداب ومباشرة مهامه باسم عصبة الأمم فى الصيغة الواردة فيما بعد.. بناء عليه ينظم الانتداب وفق النصوص المذكورة فيما بعد مع تصديق مجلس العصبة بعد عرض النصوص عليه . . »

وجاء فى المادة الثانية من نظام الانتداب « تباشر الدولة المنتدبة مسئوليات وضع نظام سياسى معين للبلاد ، وكذلك شئون الادارة والاقتصاد بما يؤكد انشاء وطن قومى لليهود ، وفق ما هو وارد فى ديباجة هذا النظام ، وكذا تضمن تقدم النظم الحكومية الحرة وحماية الحقوق المدنية لكافة الأهلين فى فلسطين من أى جنس أو دين »

وثالثة الاثافى المادة الرابعة من نظام الانتداب ، وهذا نصها « يعترف رسميا بنظام يهودى ملائم لليهود ، وله إبداء الرأى فى إدارة فلسطين ، ويتعاون مع السلطات الرسمية فى كافة الشئون الاقتصادية والاجتماعية

وغيرها التى من شأنها المساس بإنشاء الوطن القومى لليهود أو بمصالح السكان اليهود فى فلسطين ، وذلك تحت رقابة الادارة دائما ، ومع مراعاة العمل على التعاون فى سبيل رفاهة وتقدم فلسطين ، ويعترف كذلك بالوكالة الصهيونية القائمة باعتبارها المختصة بما جاء آنفا فى هذه المادة على أن توافق الدولة المنتدبة على أن نظامها وتكوينها مما يسمح بالاعتراف به ، وهذه الوكالة تراعى بالاتفاق مع حكومة جلالة ملك بريطانيا كافة الوسائل الضرورية لضمان تعاون كافة اليهود الذين على استعداد للتعاون فى بناء الوطن اليهودى » .

وأكدت المادة الخامسة تحريم التنازل عن الأراضى أو أى مساحة فى فلسطين لدولة أجنبية أو إعطاء حقوق لها أو رقابة عليها ، ولكن ما القول فى التسليم بمساحات واسعة للصهيونيين ليقيموا فيها مستعمرات تصبح فيما بعد دولة أجنبية عن العروبة قائمة بذاتها ضد إرادة أهل البلاد؟

ونصت المادة السادسة على تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين فذكرت « ومع مراعاة عدم المساس بحقوق سائر السكان أو بمركزهم فإن الادارة فى فلسطين تتعهد بتسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين بشروط ملائمة لمصلحة البلاد بالاتفاق مع الوكالة الصهيونية المنصوص عليها فى المادة الرابعة ، كما تتعهد الادارة بتشجيع إقامة اليهود بكثرة فى أراضى فلسطين ، بما فى ذلك أملاك الدولة والأراضى القابلة للاصلاح الزراعى وغير المنزرعة وغير المستغلة فى المرافق العامة » .

ونصت المادة السابعة على ضمان الجنسية الفلسطينية لليهود بمجرد هجرتهم اليها فذكرت « تتعهد الادارة فى فلسطين بإصدار قانون الجنسية ، على أن يتناول نصوصا من شأنها تسهيل منح الجنسية الفلسطينية لليهود الذين

يهاجرون إلى فلسطين ويرغبون فى الاقامة هناك بصفة دائمة».

وتناولت سائر المواد النظم الادارية التى تساعد على تصريف الاعمال فى حدود القانون والحق والعدل واحترام حقوق أبناء البلاد والغاء نظم الامتيازات الأجنبية التى كانت سائدة فى ظل الامبراطورية العثمانية، على أن يحل محلها نظام قضائى عادل يسوى بين الناس فى الحقوق والواجبات، وذلك مع احترام نظام الأموال الشخصية للطوائف المختلفة، كما أكد نظام الانتداب بحرارة الحريات التامة فى العبادات، وسهل وسائل ولوج بيت المقدس وإداء الفرائض الدينية فى أماكن العبادة وزيارة الأراضى المقدسة، وألقى على عاتق الدولة المنتدبه مسئوليات تنظيم هذه الحريات وإباحة إقامة الصلوات وتسهيل زيارة الأماكن المقدسة وحماية دور العبادات.

غير أنه يلاحظ على صك الانتداب هذا تناقضه ومحاباته الصارخة لليهود وهجرتهم زرافات إلى فلسطين بلا اعتبار لرغبات أصحاب البلاد ولمدى استعدادها وللتعهدات والمواثيق الدولية، وكأنه لم يفرض إلا للاسراع فى إقامة دولة اسرائيل على حساب العرب. كما يلاحظ عليه قلبه الأوضاع رأسا على عقب، فأنه جعل من الهجرة إلى فلسطين السياسية الأولى للانتداب وأنها الوضع الطبيعى وذلك بالنص عليها كنظام سياسى، ثم جعل حماية بقية الطوائف من مسلمين ومسيحيين مسألة فى المرتبة الثانية بضمان مساواتهم بالمهاجرين وباستمرار توكيد حرياتهم، وجعل بذلك اليهود هم الأغلبية وأصحاب البلاد أما أهل البلاد من مسلمين ونصارى وهم سواد السكان فهم فى نظر الصك ووفق نصوصه وروحه الأقلية، وهكذا يصوغ المؤامرة بأحكام ويرسم خطتها لعشرات السنين

المستقبلة ويقضى على حياة البلاد العربية السياسى بالاعدام مقدما .

وفضلا عن ذلك كانت نهاية المطاف فى نظام الانتداب هـذا إنشاء حكومة فى فلسطين داخل سلطات الانتداب والادارة المحلية لا تمت بصلة إلى الاهلين والدار وروح العروبة هناك هى الوكالة الصهيونية بنظمها الارهابية وعصاباتها المدججة بالسلاح، همها الفتك بخصومها وإزهاق أرواحهم وانتزاع أموالهم ، وليس الخصوم إلا أهل البلاد الوادعين الآمنين ، وهذه الوكالة التى نشأت فى أحضان مؤتمرات الصهيونية وبفضل صناديق تمويل الأراضى فى فلسطين لصالح اليهود المهاجرين ولترحيل اليهود زرافات إلى فلسطين مؤسسة سياسية دينية تعصبية أجنبية عن موطن العروبة متشعبة فى عشرات العواصم التى يقطن فيها الصهيونيون وينعمون بجنسيات البلاد التى تأويهم منذ قرون وتحمى ولدهم ودارهم وأموالهم ، وذهب نظام الانتداب إلى أبعد حدود المحاباة فى نصه صراحة ولم يك هناك داع إلى النص على تمتع اليهود علاوة على اغتصابهم فلسطين إذا شاأوا بالنظم السياسية التى يعيشون فى كنفها وقد وضعت خصيصا لهم، وفى مقدورهم وفق صك الانتداب العمل على تعديلها بما يتفق وصالحهم.

٤ — قانون العودة : الخطوة الرابعة ، فى تثبيت اقدام اليهود فى فلسطين وتدعيم اسرائيل هى ما أصدره برلمانهم المسمى الكنسيت Knesset بالاجماع من تشريع لتدعيم الهجرة والاعتراف بها كنظام سياسى أطلق عليه قانون العودة بتاريخ ٥ يولية سنة ١٩٥٠ ، وهو قانون يسهل هجرة اليهود إلى فلسطين مع رعايتهم وإحاطتهم بكافة الضمانات الكفيلة باستقرارهم فى إسرائيل ،

وسمى القانون بقانون العودة باعتبار أن اليهود بفضله يعودون إلى أرضهم زرافات، تلك الأرض التى وعدوا بها ليستقروا فيها بصفة نهائية وقد ظلوا فى اعتبار أنفسهم غرباء هائمين على وجوههم عشرات القرون، وأسسه ما يأتى (١):

« يرسم قانون العودة القواعد الآتية :

١ — كل يهودى له الحق فى الهجرة إلى اسرائيل .

٢ — ا) والهجرة تكون على أساس اعطاء تأشيرة بالموافقة عليها .

ب) وتأشيرة الموافقة على الهجرة تعطى لأى يهودى يطلب راغباً فى الاقامة فى اسرائيل ، ويستثنى من ذلك الحالات التى يقتنع بمقتضاها الوزير المختص : أن اليهودى يعمل ضد الشعب اليهودى أو أن هجرته تهدد الصحة العامة أو سلامة الدولة .

٣ — ا) كل يهودى يهبط أرض اسرائيل وبعد وصوله يبدى رغبته فى الاقامة فيها يمنح شهادة الهجرة أثناء اقامته فيها .

ب) الاستثناء الوارد فى الفقرة (ب) من البند ٢ يمكن تطبيقه أيضاً فيما يختص بمنح شهادة الهجرة ، غير أن الفرد لا يعتبر خطراً على الصحة العامة إذا كان قد أصبح فى هذه الحالة نتيجة إصابته بمرض حل به بعد وصوله إلى إسرائيل .

٤ — كل يهودى هاجر إلى إسرائيل قبل صدور هذا القانون وكذا كل يهودى ولد فيها قبل أو بعد صدور القانون له أن يتمتع بنفس الحقوق

---

(١) أنظر « حصن الديموقراطية فى الشرق الأوسط » لدونر ، ص ٤١ .

التى يتمتع بها اليهودى الذى هاجر فى ظل هذا القانون .

٥ — على وزير الهجرة أن ينفذ هذا القانون وله أن يصدر اللوائح والأوامر اللازمة لتطبيقه ، وهو يمنح تأشيرات الهجرة وشهاداتها » .

وهكذا سارت الهجرة خطوات واسعات منذ أواخر القرن الماضى وتحولت من مجرد حلم بعيد إلى كابوس وشبح مخيف فالى خطر جاثم يهدد سلامة العروبه فالى حالة غير منتظمة ولكنها تنذر بالقضاء على أمانى العرب فى الوحدة واستقلال فلسين العربية فالى نظام كريه فى ظل الانتداب فالى دولة مستقلة أساس سكانها أقوام من اليهود مختلفى السحن والأشكال كما وصفهم « رينان » يأتون إلى صهيون من كل حدب وصوب فالى تشريع دقيق مرسوم يضمن تضخم بلاد إسرائيل وتعميرها بإشراف الدولة الدينية الجديدة التى اعترفت بها الأمم المتحدة بعد انحسار الانتداب عنها واعلان استقلالها .

* * *

عصاباتها الارهابية وتكوينها الحزبى

اعتمدت دولة اسرائيل فى نشأتها على عصاباتها الارهابيه وأعمالها العدوانية الوحشية ، وهذه الأعمال التى وجهت ضد الدولة المنتدبة وكذا ضد العرب تعددت إلى حد أنه صعب حصرها ولم تعد تخفى على الناس من قارئى الصحف العاديين فضلا عن المشتغلين بالشئون السياسية والعربية ، وهذه العصابات الارهابية المكونة من بنى صهيون من المهاجرين هى التى غذت شتى الأحزاب السياسية هناك بعد تكوين الدولة واعلان دستورها ، وظل نشاطها وتأثيرها العنيف يؤثر فى السياسة العامة الحكومة ويمد ألسنة اللهب إلى جيران الدولة والقرى العربية المتاخمة .

ويتكون برلمان اسرائيل الذى تأسس فى ظل دستورها الذى صدر فى سنة ١٩٤٩ من ١٢٠ عضوا ، وهذا البرلمان مؤلف من مجلس واحد كما نص على ذلك دستورها ، وبلغ عدد الذين أعطوا أصواتهم فى انتخابات ٢٥ يناير سنة ١٩٤٩ هناك لأول برلمان ٤٤٠٫٠٩٥ ناخبا ، ثم وصل العدد ويلاحظ اطراد زيادة عدد المهاجرين فى ٣ يولية سنة ١٩٥١ إلى ٨٠٠٫٠٠٠ ناخب ، ويتكون البرلمان من ١٥ حزبا والغالبية لأحزاب ماباى Mapai والصهيونية العامة General Zionists ومابام Mapam، وحزب ماباى له ٤٥ مقعدا فى المجلس والصهيونية العامة ٢٠ مقعدا ومابام ١٥ مقعدا ، وحزب ماباى معناه أنصار عمال أرض اسرائيل ، وهذا الحزب يهتم بالفكرة الأساسية للهجرة وهى تعمير الأرض وزراعتها على أساس المبادىء الاشتراكية، وهكذا يجمع بين التعلق بالأرض والزراعة والمبادىء الصهيونية وأراء ماركس وسائر الاشتراكيين ، ويعد أنصاره تفكيرهم الجديد هذا بمثابة دين للعمل والانتاج وبناء الدولة ، وضمن برنامجهم أيضاً تنظيم حياة البلاد الاقتصادية تنظيما اشتراكيا فى نطاق الثقافة العبرية وتنشيط التعاون والقضاء على المظالم والفوارق الاجتماعية وتأميم الصناعات والانتاج وتعميم الحريات والعدالة الاجتماعية ، ويشبه هذا الحزب الذى يتزعمه بن غوريون الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية فى بلجيكا وشمال أوروبا ، وهو لا يقضى على النظام الرأسمالى الفردى مادام فى أيد أمينة منتجة باعتباره أنه يساعد على رخاء وتقدم الوطن القومى الذى صار دولة اسرائيل (١) .

---

(١) أنظر « جمهورية اسرائيل » وكذلك « حصن الديموقراطية فى الشرق الأوسط » لدوزر ، الأول من صفحة ١٢٠ إلى صفحة ١٣٩ والثانى من صفحة ١١ إلى صفحة ١٣ .

والحزب الصهيونى من أقوى الأحزاب الدينية فى اسرائيل ، وهدفه الاعتماد على القوة الصهيونية العالمية مع الضرب على النغمة الدينية لتنشيط الهجرة ، وإقامة صروح الدولة ثم التمسك بأهداب القومية اليهودية والتوفيق بينها وبين الدين والعدالة الاجتماعية ، وهذا الحزب يخطب ود كبار رجال الدين ورجال المال والصناعة الذين يعضدون اسرائيل لتوطيد أقدام الدولة والحصول على الكراسى اللازمة فى المجلس النيابى.

وحزب مابام وهو جناح اليسار القوى فى المجلس النيابى ، وقد انفصل عن الصهيونية بعد قيام روسيا البولشفية واعتنق أنصاره المبادىء الشيوعية وطالب بالتعاون الوثيق مع روسيا الشيوعية ، وهو صاحب المشروعات اليسارية الجريئة فى فلسطين ، وارادته حديدية فى وجوب التغلب على الصعاب الخاصة بانشاء المستعمرات ومواجهة العرب على حدود اسرائيل وانتزاع قراهم ، وضمن اصلاحاته الجديدة أو الخطيرة اعتبار بريطانيا العدو التقليدى لاسرائيل والولايات المتحدة حليفة الاولى وهما يسيران فى سياستهما على أساس الوفاق وان مصلحة إسرائيل واضحة فى آبار البترول فى الشرق الاوسط ، وعلى ذلك يتعين التحالف مع روسيا الشيوعية لانتزاعها من الحليفتين الغربيتين لصالح اسرائيل ، كما أنه يرى أن الحلفاء الوحيدين هم الشيوعيون الروس وشعوب جمهوريات شرق أوروبا الشيوعية ، وقد مهد الحزب بهذه الوسيلة لتهريب الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا الى اسرائيل أثناء حرب فلسطين حينما فرضت الأمم المتحدة حظر تصدير الاسلحة الى اسرائيل ، كما ان الحزب كان يرى فى وقت ما السعى للتعاون مع العرب للوقوف جبهة واحدة ضد الاستعمار البريطانى وانشاء دولة ثنائية من اليهود والعرب هناك ، ولكن لا يمكن القول بأن الحزب شيوعى تماماً ، فهو داعيه للشيوعية ولكن ليس وكالة

لروسيا السوفيتية، ولقد رفض العروض الشيوعية باقامة جبهة متحدة للسياسة الاسرائيلية ، كما أنه يضع المبادىء الصهيونية الأساسية فى المرتبة الأولى من برنامجه ، وهذا ما يتعارض مع المبادىء الشيوعية ، ولكنه يؤيد بقوة إنشاء مستعمرات فى اسرائيل على أساس المساواة بين أبنائها العاملين فيها .

ويجب ألا يغرب عن بالنا أن الأحزاب السياسية فى إسرائيل على اختلاف نزعاتها تشترك فى الحملة على العرب ، وتسخر فى ذلك قواها وتنظيماتها وكفاياتها ، ولا تختلف فى ذلك أحزاب اليسار التى تدعو إلى التعاون مع روسيا عن الأحزاب التى تؤيد الملكية الفردية ومن باب أحرى الأحزاب الصهيونية والدينية المتعصبة ، وهى تمثل أثرياء إسرائيل وكلها تلتقى عند نقطة واحدة فيما يختص بتدعيم الأداة العسكرية لاسرائيل ومواصلة الاعتداء على العرب واغتصاب أراضيهم وقراهم ، وهى فى سياستها الخارجية تعمد دائما إلى طلب المزيد حتى تزيح عن فلسطين وما وراء فلسطين أبناء البلاد الأصليين ليحل محلهم المهاجرون من جنسيات وعقليات وتقاليد ولغات مختلفة لا يجمعهم إلا التعصب الدينى أو بعبارة أخرى الصهيونى الأعمى ، وتلقن أبناءها الروح العدوانية وتدربهم عسكريا لمهاجمة الجيران الآمنين على طريقة النازية . (١)

وهذه الأحزاب كما سبق أن بينا هى المنظمات القانونية للجمعيات الارهابية التى ساعدت بالمعونة الخارجية على قض مضجع الدولة المنتدبة

---

(١) انظر « اسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى » لاتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة فى البلاد العربية ، من صفحة ٥٠ إلى صفحة ٥٣ .

واذاقها ألوان القلق وإنشاء دولة إسرائيل ، ومنها تتفرع شتى التشكيلات العدوانية ، ومن أبنائها يتكون الجيش النظامى الحالى الآن ، ولقد نشأت الجمعيات الارهابية بمعونة الانكليز ، كما دربها هؤلاء أثناء الحرب وبعدها على القتال وعلى التفانى فى العدوان على طريقة مغامرات « الكوماندوز » Commandos ، ثم وجهت سلاحها ضد الانكليز وهى تشهره اليوم وتتحدى القانون والمنظمات الدولية وميثاق الأمم المتحدة وحقوق العرب الطبيعية فى فلسطين ، وجاء فى كتاب « إسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى » الذى سبق أن أشرنا إليه وقد أصدره المكتب الدائم لاتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة فى البلاد العربية فى سنه ١٩٥٢ بخصوص الجمعيات الارهابية وخطرها ما يأتى « أما فى الفترة التى سبقت قيام الدولة اليهودية ، فقد كانت هذه القوى تنتظم فى مؤسسات عسكرية إرهابية شبه سرية وسرية ، وهذه المنظمات هى الهاجانا وأرغون تسفاى ليئومى وشترن ، فأما الأولى وهى الهاجانا فكانت منظمة الوكالة الصهيونية وكانت لها بسبب ذلك صفة شبه رسمية حتى اشترك الضباط البريطانيون أثناء الانتداب وبشكل خاص فى فترة الثورة العربية من سنة ١٩٣٦ حتى سنة ١٩٣٩ فى تدريبها وتقديم السلاح لها . وكذلك انضم اليها فيما بعد معظم أفراد اللواء اليهودى الذى أسسه البريطانيون فى الحرب الأخيرة للاشتراك فى تلك الحرب إلى جانبهم . أما الثانية أرغون فقد انبثقت عن حركة الاصلاحيين التى تزعمها جابوتنسكى والتى كانت تنادى منذ البدء باستعمال القوة لخلق الدولة اليهودية ، وانبثقت منظمة شترن عن منظمة أرغون بدعوى أن هذه الأخيرة لم تكن على تطرف كاف واستعداد للبذل فى سبيل إنشاء تلك الدولة » .

وجاء فى الكتاب المشار إليه أيضا « .. وبالرغم من أن الحكومة

الاسرائيلية من الناحية الشكلية قد ألغت المنظمات الارهابية ودمجتها فى الجيش والقوات المحاربة ، وبالرغم من ذلك فان الإمكانية التكتيكية لتوزيع العمل بين الحكومة والمتطرفين ما زالت قائمة »

وجاء فى الكتاب المذكور بخصوص تحول هذه المنظمات الارهابية الخطيرة إلى الأحزاب السياسية القائمة فى إسرائيل اليوم ما يأتى « إن ما كان يدعى منظمات ارهابية هى اليوم أحزاب سياسية ، ولكنها ما زالت تلقن أعضاءها نفس الأفكار ونفس التدريب . بل أن « مناحم بيجن » الذى كان فيما مضى قائد الأرجون والذى هو اليوم رئيس حزب حيروت قد هدد بالفعل بالعودة إلى العمل العسكرى فى مناسبات عديدة » (١)

ومما يدل على قيام خطر المنظمات الارهابية وأن الحكومة والأحزاب السياسية وهذه المنظمات وحدة ماعمدت إليه الحكومة الاسرائيلية فى سنة ١٩٤٩ من ذكرها لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية فى مذكرة رفعتها إليها فى صراحة تامة بأنها لن تستطيع أن تكبح جماح المتطرفين أى المنظمات الارهابية السابق ذكرها إذا قام العرب بعمل من شانه إحداث تطورات فى الموقف ، وليس من المستبعد أن تقدم إسرائيل إذا اتيحت لها الفرصة المواتية إلى تسخير هذه المنظمات بالايعاز إلى أحزابها فى القيام باعمال عدوانية تحقيقا لأطماعها .

---

(١) انظر « اسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى » لاتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة فى البلاد العربية ، صفحة ٥٣

الباب الثامن

فلسطين في الميدان الدولي

أهم مراجع الباب الثامن

كتب بالفرنسية والانكليزية :

١ - « المشكلات الحالية فى الشرق الأوسط » محاضرات معهد العلوم السياسية بباريس لبيكو ، جزءان ، باريس ١٩٤٨ - ١٩٤٩ .

1—«Problèmes D'Actualités Du Moyen Orienl» par J. G. Picot, 2 vols Paris 1948-1949.

٢ - « الصهيونية والانتداب الانكليزى فى فلسطين » لأنيس الصغير . رسالة دكتوراه بجامعة باريس ، باريس ١٩٣٢

2— «Le Sionisme ct le Mandat Anglais en Palestine» par Anis Saghir, these de Doctorat. Paris 1932.

٣ - « التاريخ الدبلوماسى من ١٦٤٨ إلى ١٩١٩ » لدروز ، جزء واحد ، باريس ١٩٥٢ .

3—« Histoire Diplomatique de 1648 à 1919 » Par Droz, 1 vol, Paris 1952.

٤ - « التاريخ الدبلوماسى من ١٩١٩ إلى أيامنا الحالية » لدوروزيل ، جزء واحد ، باريس ١٩٥٣ .

4—«Histoire Diplomatique de 1919 à mo Jours» par Duroselle 1 vol Paris 1953.

٥ - « الشرق الأوسط فى الشئون الدولية » للنكنزوفسكى ، جزء واحد نيويورك ١٩٥٣ .

5—«The Middle East In World Affairs» by G. Lenczowski, 1 vol. NewYork 1953.

٦ - « الشرق الأوسط سياسيا واقتصاديا للمعهد الملكى للشئون الخارجية بلندن » ، جزء واحد ، لندن ١٩٥١

6—«The Middle East a Political & Economic Survey, by The Royal Institute of International Affairs» 1 vol, London 1951.

٧ - « الدولة والاقتصاديات فى الشرق الأوسط » لبو نيه ، جزء واحد ، لندن ١٩٤٨ .

7—«State & Economice in The Middle East» by Bonné, 1 vol, London 1948.

٨ - « جمهورية اسرائيل » لدونر ، جزء واحد ، نيويورك ١٩٥٠ .

8—«The Republic of Israel» by Dunner, 1 vol, NewYork 1950

٩ - « حصن الديموقراطيه فى الشرق الأوسط » لدونر ، جزء واحد . جرينل ايوا ١٩٥٣ .

9—«Democratic Bulwark In The Middle East» by Dunner, 1 vol, Grinnell Iowa 1953.

١٠ - « الشرق الأوسط والدول الكبرى » ، نشر بمعرفة ريشارد فراى ، جزء واحد ، هارفارد ١٩٥١ .

10—«The Near East & The Great Powers» edited by Richard N. Frye, 1 vol, Harvard 1951.

١١ - « الشرق الأوسط والبحث عن وسائل انعاشه » لهدلى كوك ، جزء واحد ، نيويورك ١٩٥٢ .

11—«Challenge & Response In The Miiddle East. The Quest for Prosperity» by Hedley V. Cooke, 1 vol, NewYork 1952

١٢ - « ثمن اسرائيل » لليلنتان ، جزء واحد ، شيكاجو ١٩٥٣ .

12—«What Price Israel» by Alfred Lilienthan, 1 vol, Chicage 1953

١٣ ـ « بريطانيا والبلدان العربيـــة » لسيتون ويليامز ، جزء واحد ، لندن ١٩٤٨ .

13—«Britain & The Arab Shakes» by Seton - Williams, 1 vol, London 1948.

بعض المجلات والنشرات : ـ

١ ـ مجلة « مركور » الفرنسية ، وهى مجلة شهرية ـ باريس .

1—«Mercure de France» Revue Mensuelle—Paris.

٢ ـ « مجلة الشرق الأوسط » لمعهد الشرق الأوسط بواشنطون ، مجلة تصدر فى واشنطون كل ثلاثة شهور .

2—«The Middle East Journal», The Middle East Institute, Washinghon, published every three months.

٣ ـ « العلاقات الخارجية » مجلة أمريكية تصدر كل ثلاثة شهور .

3—«Foreign Affairs» An Ameircan Quarterly Review.

٤ ـ نشرات الجامعة العربيـــة ، وخاصة نشرة بعنوان « قضية فلسطين » طبعت باللغة العربية ، وضعها احمد الشقيرى الأمين المساعد لجامعة الدول العربية ، القاهرة يولية ١٩٥١ .

الباب الثامن

فلسطين فى الميدان الدولى

معركة فلسطين — سياسة اسرائيل الخارجية — موقف بريطانيا والولايات المتحدة وروسيا فى الشرق الاوسط — مشكلة اللاجئين العرب والاقلية العربية فى فلسطين

يتضح من دراساتنا السالفة وخاصة مايتعلق منها بشرح الانتداب على فلسطين أن الدول الغربية تساعد الصهيونية على الاستيلاء على هذه البلاد منذ أن نبتت فكرة إقامة وطن قومى لليهود بها ، وهذه المساعدة تقوم على حساب الوحدة العربية واستقلال فلسطين العربية ، واليهود من جهتهم يعملون منذ بدء التفكير فى هجرتهم إلى أرض الميعاد على خطب ود العرب ، كما يترامون على محراب الغرب فى مختلف بلدانه الديمقراطية والشيوعية على السواء منذ تكوين دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨ وبعد إنحسار الانتداب البريطانى عن فلسطين

ويقتضى تفهم هذه المآلات أو هذا التبنى الغربى لاسرائيل دراسة (١) معركة فلسطين (٢) واسرائيل فى السياسة الخارجية (٣) وموقف زعيمة الديمقراطية الغربية والشيوعية الروسية فى الشرق الأوسط (٤) وأخيراً مشكلة اللاجئين العرب الذين نزحوا إلى فلسطين والأقلية العربية فى إسرائيل

وفيما يلى البيان

* * *

معركة فلسطين

تركت بريطانيا الانتداب على فلسطين بعد أن جهزت فرق الهاجناه الارهابية ودربت جيوش العصابات اليهودية ومهدت للوكالة الصهيونية مدى ربع قرن لتوطيد سياستها هناك وإنشاء معاقل يهودية قوية باسم مستعمرات زراعية تعاونية ، وقد تعمدت أن تظهر يأسها من البقاء فى فلسطين أو من أى حل يتفق مع رغبات العرب ويرضى المعتدين اليهود، كما أنها إذ تركت هذه البلاد لم تنفض يدها منها نهائياً فهى تعلم انها معقلها ومحط رجالها كلما نادت الظروف الدولة والدفاع عن الامبراطورية بعودتها إلى هذه المنطقة ، بل هى تطمئن اليها أكثر من اطمئنانها إلى البلاد العربية المجاورة التى تعتز بقوميتها واستقلالها ولا ترغب فى أن تخوض غمار حرب مستقبلة لا مصلحة لها فيها ،وهى واثقة من هذه الدولة الجديدة وقد صبغت بالطابع المادى الغربى الغريب عن طابع العرب وأعدت بمعدات الراحة الغربية وبها فرق مجهزة للقتال فى صفها ، ولا يغرن مايقال عن إسرائيل من أنها تضمر العداء للغرب وتود بكل قواها أن تسوى مشكلاتها مع العرب وجهاً لوجه أو أنها تميل إلى المعسكر الشيوعى — فكل هذه الاحلام تتبخر إزاء مطامعها الاقليمية فى تربتى النيل والفرات وفى آبار البترول فى المملكة العربية السعودية وفى الاستيلاء على سيناء، وغير ذلك من الأمانى . والولايات المتحدة هى من معاقل الصهيونية ، وقوة المال اليهودى فى ديارها يعتد بها ، وتتبادل الصداقة مع إسرائيل وتساعدها بالمال وبالتأييد فى الميدان الدولى ، والولايات المتحدة لن تتردد فى أن تجلب إلى صفها انجلترا إذا نشأ جفاء بينها وبين إسرائيل ، ولا يلبث أن ينقلب الجفاء إلى ود ومساعدة على حساب أمانى العرب

القومية وحقوقهم الوطنية

ونذكر عبارات لتشرشل فى مجلس العموم بتاريخ ١١ مايو سنة ١٩٥٣ عن دولة إسرائيل ، وهى فى غنى عن أى بيان أو تعليق ، ويشيد فيها بإسرائيل ويحابيها فيقول « إن أهم عامل من عوامل النشاط فى الشرق الأوسط دولة إسرائيل ، . . . وإذا ما نظرت إلى الخلف لأرى ما فعله أبناء هذه الدولة فى سبيل بناء شعب وهم يهبوطون ويعمرون الصحراء ويعدون العدة لاستقبال ما يزيد على نصف مليون لاجىء ، وقد طاردهم الارهاب والفزع وطردهم من أوروبا وغيرها لا ألبث أن أشعر أن واجب بريطانيا أن تمهد لهم الطريق للعمل الصالح دون عقبات ، وأن تنحى من سبيلهم ما يعترضهم من صعوبات ، وأن تسهر على تحقيق الضمانات والتوكيدات والمساعدات التى وعدت أن تقدمها لهم الحكومات البريطانية المتعاقبة ، ومن حسن حظهم أنهم جهزوا بأقوى وأفضل جيش فى الشرق الأوسط ، ونجحوا فى صد الهجات المشتركه التى قامت بها جيوش جيرانهم بما فيها جيش مصر مدى أربع سنوات ، ومن المؤسف حقاً انه لم يبرم صلح بين إسرائيل والدول العربية ليسود السلام بينها وبين هؤلاء الجيران ولتتوطد الروابط بين الفريقين ، ولن نغفل استبعاد أى شىء من شأنه أن يجعل إسرائيل فى مركز غير سليم وسىء فيما يختص بالامدادات الخاصة بالأسلحة الجوية والطائرات فى هذه البقعة من العالم ، وإننى آمل وأؤكد أن الدول العربية ستعقد الصلح يوما مع إسرائيل وتعيش فى سلام معها ، وأكرر وأنا جاد فى عباراتى هذه ان الفكرة العظيمة القائمة على الصهيونية وتحقيق وطن قومى للشعب اليهودى ذى التاريخ المجيد ليعيش فى أرض أجداده فى سلام ستثمر الثمرات الشهية

إلى أقصى الحدود (١) » . وليست هناك محاباة أبعد من هذه العبارات الرسمية، وفيها علاوة على الوعود الجدية بالمساعدة العسكرية وبتأييد فكرة الضغط على العرب للرضى بالحالة القائمة ووجوب تسليمهم بعقد الصلح والتعاون مع إسرائيل ومباركة الصهيونية ووجوب استمرار اتساعها على حساب الجيران — فيها علاوة على ذلك التوكيد الصريح بضرورة رجحان كفه إسرائيل عسكرياً على العرب ، وضرورة استمرار مدها بحاجاتها من السلاح ليصبح مصدر خطر وعدوان على العروبة

وقد سبق انتهاء الانتداب مناورات سياسية انجلو — أمريكية لصالح الوكالة الصهيونية ولإنشاء دولة على انقاض فكرة الوطن القومى لليهود، فقامت لجنة تحقيق أمريكية انجليزية فى سنة ١٩٤٦ بدراسة إيواء مائة ألف مهاجر يهودى فى فلسطين من أوروبا الوسطى . وكان يرى الفريق الأمريكى فى اللجنة نقل المهاجرين زرافات ضخمة إلى فلسطين ، بينما كان يرى الفريق الانكليزى ان تسير الهجرة بتؤدة وتدريجيا ، وفى النهاية وافقت اللجنة على مطالب اليهود بقبول هذا العدد من المهاجرين ، وهى سياسة يقصد بها بلا شك شد أزر الدولة المزمع إنشاؤها .

ولكن لم يتبع رأى هذه اللجنة ، بل عينت بريطانيا لجنة أخرى أطلق عليها لجنة موريسن Morrisson ، ورأت هذه اللجنة إنشاء دولة اتحادية من أربع مناطق : منطقة يهودية هى فى نفس الجهة القائمة فيها مستعمرات اليهود، ومنطقة عربية أوسع نطاقا ومنطقة تضم الأراضى المقدسة فى بيت المقدس والناصرة وتصبح دولية ومنطقة النجف وهى صحراء الجنوب إلى

---

(١) أنظر « حصن الديموقراطية فى الشرق الأوسط » جزء واحد لدونر أيبوا ١٩٥٣ .

« Democratic Bulwark in The middle East, » by Dunner, 1 vol, Jowa 1953, page 39

العقبة وتصبح مستقلة مع إشراف بريطانيا عليها. ورأت اللجنة فيما يختص بالهجرة ايواء مائة ألف يهودى بشرط ان يشرف على نقلهم الولايات المتحدة وبريطانيا ، وكانت اللجنة تأمل من اشراك الولايات المتحدة ان تتحمل جانبا من الاعباء بدلا من مجرد تشجيع الصهيونية دون الاشتراك رسميا فى مشكلاتها . ودعت بريطانيا بعد انتهاء اللجنة من أعمالها الوكالة الصهيونية والعرب إلى مؤتمر فى لندن عقد فى سبتمبر سنة ١٩٤٦، غير ان الفريقين رفضا العروض، كما رفضا حلا آخر عرضته بريطانيا فى فبراير سنة ١٩٤٧ ، وقدما بالتتابع عروضا مخالفة (١)

فقدمت الجامعة العربية مقترحات أساسها إنشاء حكومة مؤقتة فى فلسطين مكونة من سبعة من العرب وثلاثة من اليهود انتظاراً لانتخاب الجمعية الوطنية هناك لوضع الدستور ، على ان تباشر هذه الحكومة المؤقتة الانتخابات التى تتم بنسبة عدد السكان ، ويترتب على ذلك ان تضم الجمعية الثلثين من العرب والثلث من اليهود ، واقترحت إيقاف الهجرة بصفة نهائية وكذلك بيع الأراضى لليهود ، والا تعود حركة الهجرة أو بيع الأراضى إلا بتصويت أغلبية النواب العرب وحدهم فى المجلس ، ووقف الاقتراح هند هذا الحد . فلم يرض به المتنازعان وكذا الغرب .

ثم نشطت الأعمال الصهيونية الارهابية فى فلسطين ضد العرب والانكليز ، ولم يوفق المسئولون إلى حل ، مما أدى إلى تدخل الأمم المتحدة فى سنة ١٩٤٧ ، وهذا التدخل أعلنه بيفن Bevin فى فبراير سنة ١٩٤٧ ، وذلك لأن انجلترا وقد عجزت عن إيجاد العلاج الناجع ويئست من الموقف اتجهت

(١) انظر « مشكلات الشرق الأوسط الحالية » لبيكو ، الجزء الثانى ، صفحتى ٢٤١ ، ٢٤٢ .

إلى منظمة السلام، وقدمت طلب التدخل فى ابريل سنة ١٩٤٧ ، واجتمعت الأمم المتحدة فى جلسة غير عادية وكونت لجنة لدراسة الحالة فى فلسطين ووضعت تقريرها وقدمته فى ٣١ أغسطس ، ورأت اللجنة انهاء الانتداب البريطانى على فلسطين وتقرير فترة انتقال حتى يعلن استقلال فلسطين ، وقسمت هذا الاستقلال إلى ناحيتين : الناحية الاقتصادية ، والناحية السياسبة .

ورأت اللجنة من الناحية الاقتصادية ووجوب إقامة وحدة هناك ، ومن الناحية السياسية (وذلك بأغلبية أصوات الأعضاء) تقسيم المنطقة، كما رأى البعض إنشاء دولتين ورأى البعض الآخر وهو الأقلية إقامة دولة اتحادية .

واجتمعت الجمعية العمومية للأمم المتحدة من سبتمبر إلى نوفمبر سنة ١١٤٧ وقررت فى ٢٩ نوفمبر الأخذ بفكرة إنشاء دولتين هناك ، وذلك بأغلبية ٢٣ صوتا ومعارضة ١٣ صوتا ، وكان المعارضون عشر بلدان إسلامية يضاف إليها كوبا واليونان والهند .

وهذا المشروع الذى وافقت عليه الجمعية العمومية تبلور إلى تقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية ، وإنشاء منطقة دولية فى القدس مع تقسيم الدولة العربية المزعومة إلى ثلاث مناطق وكذا الدولة اليهودية فضلا عن عدم قيد سيادتها فيما يختص بالهجرة ، وكانت طرق الارتباط بين هذه المناطق ضيقة شأنها شأن الممر البولونى ، مما أدى إلى رفض المتنازعين المشروع والى طيه ، وعينت الأمم المتحدة لتحقيق هذا المشروع لجنة من خمسة أعضاء أرسلتهم إلى فلسطين وما لبثت هذه اللجنة ان رأت بنفسها استحالة تحقيق المشروع إزاء الرفض الاجماعى من العرب واليهود .

ولم يلبث الانكليز أن ضاقوا ذرعاً بالموقف وتعقدت المشكلة بتزايد اعتداءات اليهود عليهم هناك ، وأعلنت الحكومة البريطانية فى يناير سنة ١٩٤٨ انه فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ستكون قد جلت نهائياً عن فلسطين وجلاء تاماً ، وأعلنت الأمم المتحدة تنفيذ مشروعها هناك وأصبح لا مناص من وقوع الحرب بين اليهود والعرب . (١)

وقام العرب فعلا بحملتهم فى ١٥ مايو لتأديب عصابات الارهابيين فى هذه البقعة العزيزة على الإسلام حيث موطن شعوبه وتراثها ، واكتفت الأمم المتحدة بتعيين وسيط للتحكيم ولإيجاد حل للمشكلة فى ٢٠ مايو هو الكونت برنادوت Bernadotte الذى قتله الارهابيون اليهود فيما بعد ، وهكذا برهنت الأمم المتحدة على عجزها عن تقرير العلاج الناجع الذى يحفظ حقوق العرب ويتفق مع وعود الساسة والمواثيق الدولية منذ الحرب العالمية الأولى ، وهو تحقيق استقلالهم ووحدتهم التى وعدت انجلترا بها شريف مكة نظير انضمامه لصف الحلفاء ضد الدولة العليه .

وهذه الحرب كانت قد بدأت من الناحية الواقعية منذ نوفمبر سنة ١٩٤٧ وذلك بالفوضى التى ضربت أطنابها فى طول البلاد وعرضها وبعصابات اليهود الارهابية التى كانت تهاجم الانكليز والعرب باستمرار وبكتائب العرب المتطوعين للذود عن حياضهم ، وتآزرت الجيوش العربية فى حصار اسرائيل ومهاجمة معاقلها التى تقذف منها حممها ، وكانت هذه الجيوش تشكيلات عسكرية متباينة النظم والتدريب : مصرية وأردنية

---

(١) انظر « مشكلات الشرق الأوسط الحالية » لبيكو ، الجزء الثانى ، من صفحة ٢٤٢ إلى ٢٤٤ .

وسورية ولبنانية وعراقية ، مع عدد قليل من عرب قلب شبه الجزيرة .

وتباينت وجهات النظر الفنية والسياسية وتضاربت المصالح فى كثير من المواقف ، يضاف إلى ذلك المناورات السياسية الغربية التى كانت تضعف الجبهات المتعددة ، ومنع الغرب السلاح عن الجيوش العربية مع تزويده العصابات الصهيونية الارهابية بالعتاد بانتظام ، وتقاطرت معدات القتال عليها من الولايات المتحدة الامريكية ومن شرق أوروبا وخاصة تشكوسلوفاكيا طوال ستة أشهر الحرب ، وكانت قوات العصابات اليهودية نحو ٧٠,٠٠٠ من الهاجناه و٦,٠٠٠ من الأرجون فى بدء الحرب ، وكل هذه العوامل لم تحقق الغرض من الحملة .

ويجب الا نغفل من الحساب أيضا فساد أسلحة الجيش المصرى المقاتل فى اسرائيل بفعل أيد جشعة انتهزت الظروف العصيبة ، وحاجة الحملة إلى السلاح والذخيرة عاجلا لمواصلة جهودها الحربية ودست عليها قناطير مقنطرة من العتاد الفاسد أو غير الصالح للاستعمال ، ونفض الغرب يديه من أية مساعدة يمكن أن يقدمها إلى مصر وغيرها لنجاح الحملة التأديبية . ولا نبالغ إذا قلنا ان الغرب عمد إلى هذا الموقف السلبى بالنسبة لمصر والايجابى بالنسبة لاسرائيل للقضاء على حقوق العرب فى فلسطين وتعويق الحركات القوميه والنهضة عن الشرق الأوسط (١)

---

(١) إن الثورة المصرية ذكرت فى بيانها الأول فى ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ يوم نفخ فى نفيرها العام وأعلن الانقلاب الذى طوح بعرش الملك المخلوع — ذكرت فى صراحة وشجاعة كارثة فساد الأسلحة التى أدت إلى فشل حملة

فلسطين ، وجاء فى الوثيقة الرسمية الخطيرة وهى خير دليل على الحمى التى انتابت الشرق الأوسط نتيجة فساد ضمائر بعض محترفى السياسة وضعف خلقهم الوطنى ، وفساد الأسلحة والاتجار بها على حساب الشعب وفتكها بمن استخدموها كانت هذه الحقائق فى وضوح الشمس يعرفها الخاص والعام ، وفيما يلى البيان :

بيان أذيع فى ٢٤ يوليه سنة ١٩٥٢ موجه إلى المصريين والأجانب :

« اجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم ، وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير فى الجيش ، وتسبب المرتشون والمغرضون فى هزيمتنا فى حرب فلسطين .

وأما فترة ما بعد هذه الحرب ، فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش ، وتولى أمره إما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها ، وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا ، وتولى أمرنا فى داخل الجيش رجال نثق فى قدرتهم وفى خلقهم وفى وطنيتهم . ولا بد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب .

وأما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهم ضرر ، وسيطلق سراحهم فى الوقت المناسب .

وإنى أؤكد للشعب المصرى أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور ، مجرداً من أية غاية ، وأنتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب والعنف ، لأن هذا ليس فى صالح مصر ، وأن أى عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها =

وتذكر أيضاً أن تشتيت القيادة واستقلال كل دولة عربية بخططها وسياستها العسكرية وانفرادها بقيادة جيوشها بلا تنسيق للخطط مع غيرها من حليفاتها وبلا تدبير جماعى لوسائل الكر والفر وللسياسة الخارجية، كانت أيضا من الأسباب التى لاتشجع على بلوغ النجاح المرجو من الحملة،

= مثيل ، وسيلقى فاعله جزاء الخائن فى الحال ، وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاونا مع البوليس .

وإنى أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم ، ويعتبر الجيش نفسه مسئولا عنهم والله ولى التوفيق » .

وبيان آخر أذيع فى نفس التاريخ موجه إلى الجيش :

« تعلمون جميعا الفترة العصيبة التى تجتازها بلادنا ، ورأيتم أصبع الخونة تتلاعب بمصالح البلاد فى كل فرع من فروعها وتجرأت حتى تدخلت فى داخل الجيش وتغلغلت فيه ، وهى تظن أن الجيش قد خلا من الرجال الوطنيين .

وإننا فى هذا اليوم التاريخى نطهر أنفسنا من الخونة المستضعفين ، ونبدأ عهدا جديدا فى تاريخ جيشنا ، وبالتالى فى تاريخ بلدنا ، وسيسجل لكم التاريخ هذه النهضة المباركة .

ولا أظن أن فى الجيش من يتخلف عن موكب النهضة والرجولة والتضحية التى هى واجب كل ضابط منا والسلام » .

ونذكر ان الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى حينما أعيتهم الحيل فى تحطيم أداة الهجوم العسكرى الألمانى وضعوا أمانة القيادة العامة بين يدى المارشال فوش Foch القائد العام الفرنسى الذى حقق فى النهاية النصر لهم بفضل توحيد القيادة والخطط

وانتهزت الصهيونية فى فلسطين فرصة الحزب فعززت عصاباتها الارهابية التى أضحت جيوشا منظمة ، وزادت عدد طائراتها المقاتلة فى مدة الحرب وكانت فى بدئها أربعين طائرة إلى أكثر من مائة فى ديسمبر سنة ١٩٤٨ (١) .

وفى هذه الأثناء تمخضت جهود برنادوت عن مشروع ساعد على دراسة هدنة قصيرة عقدت بين المتنازعين من ١١ يونيه إلى ٩ يوليه سنة ١٩٤٨ ، وهذا المشروع يختلف قليلا عن مقترحات الأمم المتحدة ، وهو يقترح إنشاء دولة من عضوين : دولة عربية وأخرى يهودية . على أن يصبح اقتصادهما واحداً ، وأن يكون بينهما اتحاد جمركى ولهما مجلس اقتصادى مركزى ، وأن يتمتعا أيضا باستقلال محلى سياسى وإدارى ، وهو يرمى فى مشروعه إلى أن تقيد سيادة إسرائيل فى الهجرة ، وهو مايختلف عن مشروع الأمم المتحدة السابق الذى لم ير ذلك ، ولا تكون الهجرة حرة إلا مدة سنتين ابتداء من تاريخ تنفيذ خطته ، ثم إبتداء من السنة الثالثة يراقب المجلس الاقتصادى والاجتماعى الهجرة ويحددها حسب مقدرة دولة إسرائيل الجديدة على امتصاص الوافدين الطارئين عليها . وهناك فرق آخر له أهميته بين مشروع برنادوت ومشروع

---

(١) انظر « مشكلات الشرق الأوسط الحالية » لبيكو ، الجزء الثانى ، صفحة ٢٤٥ .

الأمم المتحدة , وهو أن الأول رأى ان كل دولة تصبح وحدة بدلا من تقسيمها إلى مناطق ثلاث فى الثانى ، غير ان المشروع لم يصادف قبولا من اليهود والعرب ، وأصر اليهود على رفضه لأنه أدخل أرض النجف فى فلسطين العربية كما حد الهجرة ورأى إقامة اتحاد من الدولتين مما يتعارض وسياستهم

وأدى احتدام القتال إلى إشاعة الفوضى فى المناطق العربية من فلسطين وإلى تدفق اللاجئين عليها وإلى تغلغل فرق إسرائيل فى القرى العربية الصميمة ، وقامت محاولات لإنشاء حكومة فلسطينية عربية ، وشجعت بريطانيا ضم البقية الباقية من فلسطين العربية إلى تاج ملك الأردن، وأخذت إسرائيل تنظم دارها وتحول عصاباتها الارهابية الى جيوش نظامية وتتسع على حساب جاراتها ، بينما عم الاضطراب والدمار فلسطين العربية

وحاولت الأمم المتحدة فى اجتماعاتها فى خريف سنة ١٩٤٨ فى باريس أن تعالج مشاكل فلسطين ، وبحثت مشروع برنادوت الذى أيدته بريطانيا وحبذته الولايات المتحدة الأمريكية فى بادىء الأمر ثم هجرته فى النهاية وعارضته ، وعينت الأمم المتحدة لجنة للتوفيق من ثلاثة أعضاء مهمتهم دراسة الموقف من جديد ووضع تقرير لفحصه فى الاجتماعات القادمة وهذه اللجنة مكونة من فرنسى وأمريكى وتركى ، ولم ترسم لأعضاء اللجنه الخطة ، غير أنهم أعطوا تعليمات بالاهتمام بنوع خاص بوضع نظام دولى للأماكن المقدسة، يشمل بيت المقدس والناصرة ، وبالاهتمام أيضا بمشكلة اللاجئين العرب الذين هجروا فلسطين زرافات الى مصر ، وبالعمل على إعادة هؤلاء إلى ديارهم ،وفعلا أنشىء نظام خاص من الأمم المتحدة لمساعدتهم تحت إدارة السفير الأمريكى فى القاهرة

وبعد مد وجزر فى معارك فلسطين من ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ إلى ٢٥ يناير سنة ١٩٤٩ انتهت الحرب بهدنة عقدها المتنازعون بالتتابع فى رودس جزيرة الورود من أعمال اليونان استجابة لنداء مجلس الأمن الذى أصدره فى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٤٨ لبحث وسائل فض النزاع عن غير طريق العنف، وذلك بمقتضى المادة ٤٠ من الميثاق، ولكى تصبح هذه الهدنة حلقة انتقال إلى صلح دائم . والمادة المذكورة توصى بأن يقدم المجلس توصياته أو يتخذ التـــدابير اللازمة لحفظ السلم وأن يدعو المتنازعين لبحث أسباب النزاع ومحاولة إيجاد حل له ، والأخذ بما يراه ضروريا من تدابير مؤقته حتى يمكن تفادى الاصطدام المسلح،وفيما يلى نص المادة ٤٠ المشار اليها « منعا لتفاقم الموقف،لمجلس الامن قبل ان يقدم توصيانه أو يتخذ التدابير المنصوص عليها فى المادة ٣٩ ان يدعو المتنازعين للأخذ بمايراه ضرورياً أو مستحسناً من تدابير مؤقتة،ولاتخل هذه التدابير المؤقته بحقوق المتنازعين ومطالبهم أو بمراكزهم ، وعلى مجلس الأمن أن يحسب لعدم أخذ المتنازعين بهذه التدابير المؤقته حسابه» أما توصياته وتدابيره بحكم المادة ٢٩ فهى حسب تقدير مجلس الأمن النظر فيما إذا كان النزاع يهدد السلام أو يخل به أو يدخل فى نطاق الأعمال العدوانية ، ويتبع ذلك إصدار طائفة من القرارات ضد المتنازعين إذا أصروا على مواصلة الاعتداء كوقف الصلات الاقتصادية والمواصلات وقطع العلاقات الدبلوماسية ، ويصح أن تصل إلى تهديدهم بالمظاهرات الحربية وأعمال الحصر وسائر العمليات الحربية الأخرى من برية وبحرية وجوية بواسطة قوات تتبع أعضاء الأمم المتحدة . وبدأت الهدنة مع مصر فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٩ وأعقبها

لبنان فى ٢٣ مارس من نفس العام وشرق الأردن فى ٣ ابريل ثم سوريا فى ٣٠ يولية ، وتحددت بموجب الهدنة خطوط معينة لها حتى لا يتعداها فريق من المتنازعين السابقين ، بينها شقة حرام ، مع بقاء الوضع الذى وصلت إليه جيوش اسرائيل بصفة عامة واستمرار وضع يد مصر على قطاع غزة إلى الساحل وهو ما يعادل ١٣٥ ميلا مربعا بينما أعطى لليهود فى صحراء النجف منطقة مساحتها نحو ٧٠٠ ميل مربع (كانت مصر قد استولت عليها فى بدء الحرب) واحتفظت بمواقعها فى بير سبع ، وحصلت الأردن من هذه الهدنة على جزء كبير من فلسطين العربية ، كما احتلت القدس القديمة بينما حل اليهود فى القدس الجديدة وأعلنوا فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٤٩ أنها العاصمة الوحيدة للدولة رغم تعارض هذا التصرف مع قرار الأمم المتحدة التى رأت تدويل القدس فى ٩ ديسمبر قبل الإعلان المذكور ، كما قرروا اجتماع برلمانهم هناك . ثم ضم الملك عبد الله رغم معارضة الجامعة العربية ما بقى من فلسطين العربية إلى مملكته فى ١٦ ديسمبر ووافق البرلمان هناك على هذا التصرف فى ٢٤ إبريل سنة ١٩٥٠ ، ولم تستطع الجامعة إبداء أى احتجاج أو إخراج مملكة الأردن الهاشمية من عضوية الجامعة . كما لم تجد المحاولات المتتابعة فى سويسرا وباريس لعقد الصلح نهائيا بين العرب واليهود ، وكان اليهود يرغبون فى اجتماع باريس إلى سبتمبر سنة ١٩٥١ فى عقد ميثاق عدم اعتداء لضمان الحالة الراهنة Statu quo بينهم وبين البلدان العربية وأصر العرب على حل مشكلة اللاجئين قبل إمضاء أى اتفاق ، ولم يوافق الطرف الآخر الأعلى قبول عدد ضئيل من هؤلاء اللاجئين المنكودى الحظ كى يندمجوا فى الاقتصاد الاسرائيلى .

٭٭٭

إسرائيل فى السياسة الخارجية

تحاوله إسرائيل أن تكسب عطف مجموعة الدول العظمى وخاصة الغربية ، ولقد بذلت جهودا قوية فى الأروقة الدولية للكسب على حساب العرب وتشويه سمعتهم بواسطة الدعاية السياسية ، ولم يك ذلك عليها بالعسير إذ أن روح الدولة وغالبية مواطنيها مشبعة بالعقلية الغربية غثها وسمينها وتفهم جيدا طرق الضرب على الوتر الحساس ، ولقد تمادت فى خططها إلى خطب ود الهند واليابان والصين ونشر دعاية لها فى بلادها .

ولم تك إسرائيل شيئا فى مايو سنة ١٩٤٨ من الناحية الدولية ، وسرعان ما انتشرت سفاراتها وبعثاتها السياسية فى الغرب والشرق ، وفتحت مكاتب الدعاية والسياحة فى العواصم الكبرى ، ووجهت جهودها نحو توطيد العلاقات السياسية والاقتصادية مع أقل الامم تحمسا لقيامها وفى مقدمتها بلاد الماهتما «غاندى» الذى كان كثير التشكك فى صلاحية فكرة « دولة إسرائيل » ، كما فتحت أبواب بعثاتها السياسية فى اليابان سنة ١٩٥٢ . واشترك مندوبو « ماباى » بهمة فى المؤتمر الاشتراكى المناهض للشيوعية فى دلهى الجديدة ، وكان ذلك بدء خطوات الصداقة الوثيقة بين اسرائيل والهند ، واهتمت أيضا بتوطيد علاقاتها مع الأرجنتين حيث تعيش طائفة من اليهود المزارعين ، وحاولت أن تخطب ود العرب ، وسعت سعيا حثيثا لانهاء حالة الهدنة دون جدوى ، وفى سبيل هذه الغاية سارعت باعطاء صوتها فى صالح الاعتراف بدولة ليبيا المستقلة مع قبولها ضمن أعضاء الأمم المتحدة .

كما جابهت عقبات فى إنشاء علاقات مع الجمهورية الألمانية الاتحادية لغرب ألمانيا ، وذلك نظراً للعداء المستحكم بين الألمان واليهود منذ النازيه ولأن اليهود وخاصة فى دولة إسرائيل ضد فكرة ظهور ألمانيا من جديد فى الميدان الدولى كدولة قوية يحسب لها حساب ، وكانت ذكريات وحشية النازية تقف عقبة كأداء تجاه فكرة نشاط المانيا الحديثة بين أسرة الدول ، غير أن المانيا الحديثة الديموقراطية بفضل قادتها الاكفاء وهى تختلف عن ألمانيا تحت حكم هتلر وأعوانه بددت مخاوف العالم من عودة شبح النازية هناك ، وما لبثت إسرائيل بتعضيد الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا أن دخلت فى مفاوضات مع الجمهورية الاتحادية ووصل الطرفان فى سبتمبر سنة ١٩٥٢ إلى اتفاق تمد بموجبه الجمهورية الألمانية لغرب ألمانيا إسرائيل ببضائع فى مدى ١٢ سنة إلى ١٤ سنة قيمتها ٧١٥ مليون دولار ، وقيل أن المستشار « كونراد اديناور » Konrad Adenauer بمعاونة الجبهة الاشتراكية الديموقراطية فى ألمانيا الغربية أصر على منح التعويضات لإسرائيل واعترف بشجاعة وحرية بجرائم النازية ضد اليهود وبمسئولية الشعب الألمانى الأدبية عنها ووجوب تعويضها ، وإزاء ضغط الغرب كذلك على ألمانيا لم تستطع هذه أن تعير اهتماما جديا احتجاجات العرب وتهديداتهم بمقاطعة مصانع وبضائع ألمانيا الغربية وأنها لن تصدق على اتفاقات المقاصة، وهكذا لم تجب العرب إلى رغباتهم فى أن ترفض ألمانيا منح التعويضات لإسرائيل . (١)

ولا تزال الحالة متوترة بين الدول العربية وإسرائيل ، والهدنة لا تقرر

---

(١) أنظر «حصن الديموقراطية فى الشرق الأوسط» لدونر ، صفحة ٣٠

إلا إيقاف إطلاق النيران ، والعرب يقفون موقف المقاطعة التامة لإسرائيل وخاصة فيما يتناول التبادل التجارى والاقتصادى ، وأصدر مجلس الأمن قراره بتاريخ أول سبتمبر سنة ١٩٥١ بوجوب فك الحصار المصرى عن قناة السويس وما يتبعه من إجراءات وبوجوب منع تفتيش سفن البترول وغيرها التى تمر فى القناة ويخشى أن تكون وجهتها مساعدة إسرائيل، وتعمد الدول العربية بجد كلما اشتمت ان دولة ماترغب فى توثيق صلاتها مع إسرائيل الى اليقظة والحذر دفاعا عن مصالحها حتى لا يؤثر هذا الموقف فى سياستها الخارجية

وتصرح إسرائيل فى شتى المناسبات بأن مركزها قد توطد فى الميدان الدولى ، كما تحاول أن تعقد الصلح مع العرب ،ونذكر تصريح بن غوريون فى ٩ مايو سنة ١٩٥٣ ويقول فيه إن إسرائيل ترغب فى ضمان الحدود الحالية بينها وبين العرب لمائة سنة قادمة ، ولكنها فى الوقت ذاته تعد العدة لرى وزراعة أرض النجف لإيواء مليونين من المهاجرين اليهود فى جنوبها فى المستقبل القريب مما يتنافى والرغبة فى حياة الجيرة المسالمة .

وتتلخص سياسة الدول الكبرى حيال إسرائيل وبالعكس فيما يلى:

بريطانيا والتمهيد لاسرائيل

لجأت بريطانيا على مايلوح إلى وعد بلفور والى تعضيد الهجرة إلى فلسطين لتعويق بعث الدول العربية المستقلة فى الشرق الأوسط وللحيلولة دون تحقيق الوحدة العربية التى وعدت بها العرب نظير مساعدتهم إلها فى الحرب العالية الأولى ضد الدولة العلية ،ولم يتضح لها خطر الهجرة وما

تجره من أرزاء ونحن فى المستقبل وتوتر الحالة التى تنذر بشر مستطير فى فى الشرق الأوسط

ولقد أحست بالخطر فى السنوات التى سبقت الحرب العالمية الثانية حينما اشتدت الدعاية الصهيونية فى العالم وتقاطر المهاجرون اليهود على فلسطين هروباً من الاضطهاد العنصرى النازى فى المانيا وشرق أوروبا، ثم عزمت بعد الحرب على ترك فلسطين وقد صار الموقف غير محتمل لتحل محلها دولة أخرى أو مجموعة دول يمكنها أن تضطلع بالمهمة وتتكبد التضحيات الناجمة عن موقف الفوضى هناك . وظنت أن الأمم المتحدة سوف تباشر الادارة هناك بما يكفل السلام ، ثم بعد إفلاس الأمم المتحدة فى علاج المشكلة اعتقدت أن الولايات المتحدة سوف تتحمل المسئولية بلا تحيز . وقد نأى هذا الظن عن الواقع

واشتد النزاع بين العرب واليهود فى هذه البقعة الحساسة من ممرات العالم القديم ، ولم تبد انجلترا اهتماما جدياً بالحالة المتحرجة ، وكان كل همها أن تدعم مركزها فى البلدان التى لها فيها مصالح كمصر والعراق والأردن والسودان دون اهتمام بفلسطين بالذات وبصفة مباشرة ، ووضح هذا فى احتضانها جيش الأردن بقائده الانكليزى، وخبرائه من الضباط الانكليز، وفى اهتمامها بميول حكومة العراق فى زحفها السياسى نحو الشرق وفى وعود الجلاء العرقوبية عن منطقة السويس ومماطلتها فى تعديل معاهدة التحالف المصرية البريطانية لسنة ١٩٣٦ وهى معاهدة تحالف أبدية تتنافى مع الأوضاع الدولية الجديدة وميثاق الأمم المتحدة ، ثم فى رفضها الاعتراف بإلغاء مصر هذه المعاهدة وقد أبت احتلال أراضيها بجيوش انكليزية قسراً رغم إرادة شعبها وحكومتها . وبمجرد اشتعال نيران القتال

بين العرب واليهود وقفت انجلترا موقف اليقظة كى لا يتفاقم النزاع الى حد رجحان كفة على أخرى رجحان خطيراً ، وأفهمت الولايات المتحدة أنها لن تقف مكتوفة اليدين إذا اعتدى اليهود على أراضى الحليفتين مصر وشرق الأردن وستدخل فى صفهما لحماية هذه الأراضى وذلك حتى لا تتورط الصهيونية الأمريكية فى التمادى فى الوقوف مع العصابات الإرهابية اليهودية فى فلسطين للتنكيل بالعرب » وكان اليهود هناك يحاربون فى جل الميادين بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية المادية وعتادها.

فهل هذا الموقف من انجلترا كان للتكفير عما جنته يداها نحو العرب وضربها بتعهداتها نحو شريف مكة عرض الحائط ؟ أم هو للمحافظة على التوازن حتى تصبح دائماً سيدة الموقف :

إن قصة ألاعيب السياسة البريطانية لاجتذاب العرب إلى جانبها فى الحرب العالمية الأولى إحدى مآسى قضية العرب ،وفى حاجة الى الشرح وفيما يلى البيان : —

تبودلت مراسلات بين السير هنرى ماكماهون Henri Mac-Mahon المعتمد البريطانى فى مصر وشريف مكة . وبدأت فى أول يوليه سنة ١٩١٥ ونشطت الصلات وقام بدور حاسم فيها « لورنس » Lawrence الداهية السياسى والجاسوس البريطانى الذى اختلط بالعرب فى شبه الجزيرة القحلاء سنوات ليؤلبهم على الخليفة العثمانى ويضمهم لصف الحلفاء لكسب الجبهة الشرقية ، وأكد باسم الشرف البريطانى ان أمانى العرب فى استقلالهم ووحدتهم ستحقق كاملة على يد بريطانيا بعد كسبها الحرب ضد امبراطوريات الوسط ، ثم أشيع انه فيما بعد نبذ العالم واعتكف ثم اختفى بعد نكث الامبراطورية بوعودها عقب الحرب .

وقد ذكر ما كماهون فى خطابه للشريف حسين باسم دولته إنه لما كانت مصالح العرب وانكلترا واحدة فان الحكومة البريطانية تعترف باستقلال بلاد العرب بعد الحرب واسناد الخلافة اليهم ، وهى تؤيد نقل الخلافة إلى سلالة النبى،وكان هذا الخطاب رداً على خطاب الأمير حسين بتعهده بمساعدة بريطانيا فى حربها نظير اعتراف هذه باستقلال بلاد العرب فى حدود بين مرسين واضنه فى درجة ٣٧ شمالا حتى الحدود الفارسية وخليج البصرة جنوباً حتى المحيط الهندى،مع اخراج عدن فى الغرب من الحساب . وجعل الحد شرقا البحر الأحمر ،ويلاحظ ان خطاب ماكماهون لم يتناول الحدود بدقة بل جعل المناقشة الحاسمة فيها سابقة لأوانها .

وحدا هذا الموقف بشريف مكة إلى إعادة الكرة بخطاب آخر فى ٩ سبتمبر سنة ١٩١٥ حول إلى وزارة الخارجية البريطانية فى ١٨ اكتوبر سنة ١٩١٥ بواسطة السير هنرى ما كماهون يصر فيه الشريف على بحث مشكلة الحدود مع تحديد التخوم فوراً ، وضرورة جعل بلاد العرب وحدة لا انفصام لها ، وإنها تعتبر كتلة لايمكن تجزئها , إذ هى لاتحوى إلا العنصر العربى ، وان العرب جميعا يريدون الاستقلال وان تحقيق هذه الغاية يتفق مع مصالح بريطانيا .

وقد رد ما كماهون على هذا الخطاب بناء على تعليمات من حكومته فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٩١٥ وفيه المذكرة الآتية « ان مقاطعات مرسين والاسكندرونة والأجزاء من سوريا الممتدة غرب مقاطعات دمشق وحمص وحلب لايمكن اعتبارها عربية صرفة ، ويجب استبعادها من الحدود المزعومة،وبموجب هذه التعديلات ومع عدم المساس بالاتفاقات المبرمة مع الزعماء العرب فان الحكومة البريطانية تعلن موافقتها على

الحدود المقترحة ، وفيما يختص بالجهات من الحدود التى يمكن لبريطانيا العمل فيها حرة بدون الاضرار بمصالح فرنسا حليفتها فانها تعطى التوكيدات اللازمة للشريف وفق ما يأتى : تعلن انجلترا فى حدود التعديلات المقترحة فيما سلف انها على استعداد للاعتراف باستقلال العرب والدفاع عن هذا الاستقلال ضمن الحدود التى اقترحها شريف مكة وداخل الأراضى التى ذكرها فى مراسلاته » .

وقد رد الشريف على المراسلة السياسية الهامة المذكورة، وهى لا تعتبر فقط وثيقة لتحديد التخوم بل هى أيضا اعتراف بالوحدة العربية ، فى ٥ نوفمبر سنة ١٩١٥ وأشار فى رده إلى « انه لا يمكنه ان يتنازل بحال عن مقاطعتى حلب وبيروت فى سوريا فهما مقاطعتان عربيتان صميمتان وانه لا يوجد فرق بين العربى المسيحى والعربى المسلم فهما من جد واحد ، وهو فى الوقت نفسه يقبل تعديل التخوم فيما يختص بأضنه ومرسين » .

ورد عليه ما كماهون باسم حكومته بأن الحكومة البريطانية تضع موضع الاعتبار ملاحظات شريف مكة دون ان تقبلها بصفة نهائيه ، وذلك نظراً لأن لفرنسا مصالح فى الجهات المذكورة ضمن المقترحات ، وهى حليفتها فى الحرب فلا يمكن إغفال هذا الأمر (ويلاحظ ان فرنسا تنظر إلى لبنان كمنطقة لنفوذها السياسى والثقافى والدينى ولها بها مدارس وبعثات دينية) ، وفى الوقت ذاته تعد بريطانيا بتقديم المساعدات للعرب وانها لن تمضى معاهدة مع تركيا أو ألمانيا دون الاعتراف باستقلال العرب» .

ثم قبل الشريف فى خطابه بتاريخ أول يناير سنه ١٩١٦ ان يترك مسألة لبنان « ويخرجها من الحساب طوال مدة الحرب ، وذلك لكى لا يزيد متاعب الحلفاء الذين يحاربون لغرض مشترك » ، غير انه أضاف إلى

عباراته « انه يستحيل عليه ان يقبل أى استثناء بخصوص الوحدة وان يعطى لفرنسا أولغيرها من الدول شبراً من الأرض فى هذه الجهات »

ورد ما كماهون على هذا التمسك من الشريف بخطابه بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٩١٦ يعلن فيه « انه قدر البواعث التى تقود الشريف إلى تمسكه المذكور وهى توحى إلى ضرورة الدفاع عن مصالح الشعب العربى وانه أخذ علما بملحوظات الشريف فيما يختص بالعراق وان الحكومة البريطانية ستضعها موضعها اللائق من الاعتبار بمجرد مايهزم العدو وحينما يحين موعد التنظيم الدولى فى محيط السلام » ، كما شكر ما كماهون باسم حكومته الشريف على « تأجيله مناقشة مسألة الشام وشواطئها وانه باسم حكومته يعلن ان بلاد العرب حليفة لدول الحلفاء فى الحرب . » (١)

ومما يلاحظ على هذه المراسلات انها لم تعلن ولم تتخذ طريق الدعاية كوعد بلفور وانها سبقت وعد بلفور أوعاصرته وكانت من حكومة تطلب النجدة إلى العرب الذين يستوطنون هذه المناطق المطلوب فيها المساعدة الجدية والذين يسعون إلى وحدتهم وتحررهم ، فهى مراسلات دبلوماسية وارتباطات سياسية جدية ، فالجبهة العربية ذات شأن . فهناك شعب يطالب بحقه الطبيعى فى الحياة وأمير يتكلم باسم هذا الشعب باعتباره شريف مكة وحامل مفاتيحها وسليل قريش والهاشميين وسيد القوم فى نظر العرب الذين يجلونه ، وهو يكتب إلى انجلترا المتاخمة لشبه جزيرة العرب بحكم احتلال جيوشها مصر ، وقد بدأت فى حملة ضد الدولة العثمانية تتجه نحو فلسطين . وقامت كذلك بأخرى من الخليج الفارسى تتجه إلى قلب

---

(١) انظر « الصهيونية والانتداب الانكليزى على فلسطين » لانيس الصغير من صفحة ٦٤ الى صفحة ٨٤

العراق وكوت العمارة ، وانكلترا تعبد طريق حملاتها العسكرية وتطلب النجدة عن طريق أهل البلاد وتعلن انها داعية الحرية وزعيمة تحقيق أماني الشعوب ، وتعد باستقلال العرب عقب هزيمة الدولة العثمانية ، وذلك بعكس وعد بلفور الذى صدر من جهة لاتملك سلطانا لها على فلسطين العربية وتعد بها قوماً لاصلة لهم بهذه البقعة من الأرض ، وجماعة من الصهيونيين يدبرون الاعتداء على أراضى الغير والقيام بغزو واسع النطاق فى صورة هجرة لطرد أهل البلاد الأصليين منها ، فهو وعد باطل من ناحية القانون الدولى ، إذ هو تسليم مالا تملك انكلترا إلى ناحية ليست بذى صفة ، فلاسيادة لها ولا كيان لها هناك ، وهو كذلك وعد باطل ، من ناحية مجرد القواعد الإنسانية وحقوق الشعوب فى استقلالها وحق تقرير المصير إذ لايعقل ان يقرر اعتداء واهدار لهذه الحقوق لاشفاء غليل الصهيونية الطامحة المتسلطة .

ولم يزد عدد اليهود فى فلسطين فى ذلك الوقت وكلهم مستعربون عن ٤٠٠٠٠ يهودى ولا يعقل ان يغفل حق ملايين العرب لصالح هذا العدد الضئيل ، وإذا كانت هذه الخطابات غامضة فى بعض نواحيها ، فهذا دأب الدبلوماسية المعاصرة للحرب العالمية الأولى وما قبلها ، وهى مع ذلك صريحة فى وجوب استقلال العرب ووحدتهم ، غير ان سوء النية يتضح فى محاولات بريطانيا ان تجد مخرجا من كل موقف دقيق وان تسوف فى تعيين الحدود العربية بوجه الدقة ، ولكن ما الوضع فيما يقوله السياسى البريطانى الداهية ووزير الخارجية السير ادوارد جراى Sir Edward Grey فى مذكراته وهو يؤكد للشريف حسين جدية خطابات وزارة الخارجية البريطانية ووعدها باستقلال ووحدة العرب والاسبيل إلى مناقشة هذين

الأمرين ، إننى لم أعتقد يوماً ان هذا الاتفاق مع العرب يتناول أمراً آخر غير تنفيذ وعدنا لهم بتحقيق استقلالهم » (١)

ولا محل للمقارنة بين وعد بلفور كما شرحناه ، وهو صادر من ناحية واحدة وهى الدولة البريطانية الى شراذم مبعثرة لاتمثل دولة بحال، وصيغته مجرد العطف والميل الى هذه الشراذم التى لاشخصية معنوية لها ولا أراض يقطنها شعب على سبيل الدوام،وعد حكومة لتوفير شروط التعامل وإبرام الاتفاقات ، وقد يكون الوعد على سبيل الدعاية ولكسب فئة من ذوى النفوذ والمال لتأييد قضية الحلفاء . وهذا الوعد ليس بأى حال من الأحوال معاهدة او اتفاقات سياسية ، ويمكن التساؤل إلى أى جهة يوجه هذا الوعد إلى الصهيونية وهل هى شخص معنوى يمثل دولة ؟ ، بلا شك الجواب بالنفى ، وهذه الصهيونية مجرد أمان وأحلام لاترتبط بأرض معينة لدولة لها شعبها ونظامها وكيانها الدولى ساعة اطلاق الوعد ، ولقد أنشئت الوكالة الصهيونية بمؤامرة دولية محبكة الأطراف لتحقيق الوعد لتمثل اليهود لدى عصبة الأمم ، ولكن من أعضاء هذه الوكالة هل يقيمون فى دولة تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال ، وهل لها أعضاء طبيعيون هم شعب يمكن إحصاؤه وحصره على سبيل الاستقرار ؟ هل لها قوانينها ودستورها ونظمها الادارية والمالية كالدول

---

(١) انظر « الصهيونية والانتداب الانكليزى على فلسطين » لانيس الصغير صفحة ٦٩ ، وانظر أيضا « مركوردى فرانس » مجلة فرنسية شهرية مقال لكادمى كوهين عن وعد بلفور — عدد مايو سنة ١٩٢٨ — باريس

Voir « Mercure de France » article de Kadmi Kohen-mai 1928 - Paris

المتمدينة ؟ هل يمثلون جنسية معينة وبلاداً ضاع استقلالها وهضمت حقوقها لها تراثها ومدنيتها كوطن مستقل مثل بولونيا أو هنجاريا أو التشك ؟ الجواب قطعا بالنفى ، ولم يك للشعب اليهودى فى ذلك الوقت أى كيان دولى وشخصية معنوية لإبرام اتفاق مع انكلترا التى لاتملك التصرف فيما ليس لها عليه سلطان ، بل هذا الشعب اليهودى وهو مكون من مواطنين متباينين لدول مختلفة ويمثل مدنيات عدة وموطنه شتى العواصم والبلدان لايعتبر شخصا فى القانون الدولى له حقوق الدول ويمكنه أن يبرم المعاهدات ويعقد الاتفاقات

وان عبارة « الوطن القومى » لليهود التى أعلنها وعد بلفور عجيبة فى بابها ، وهذا الوطن القومى ليس له مثيل فى القانون الدولى ، هو أبعد مايكون عن فكرة السيادة والسلطان ولا يمثل إلا مجرد عملية هجرة بين الحين والحين ، وكيف تتحول الفكرة إلى حقوق للصهيونية تبنى بمقتضاها دولة على حساب الدول العربية وللقضاء على وحدتها وأمانيها فى التقدم والرفاهة ؟ وألم يك من العدل والحق أن يشترك العرب أصحاب الشأن فى مثل هذا الوعد ، وقد صدر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، وقد سبقه ارتباط دبلوماسى هام من انكلترا للعرب ، وقبل العرب عرض انكلترا وقدموا نظيره مساعداتهم وتأييدهم للحلفاء ، بل لقد تحالفت انكلترا معهم وكان هذا فى خطاب صريح الى شريف مكة تعلن فيه انها تعتبر العرب حليفة للحلفاء فى الحرب ، ولم يسأل الشعب العربى فى إعطاء هذا الوعد أو السكوت عليه ، وقد تعلق حقهم بأراض لاعلاقة لها بالموعودين بهذه الأراضى ، وقد حارب العرب فى صف الحلفاء للحصول على الاستقلال ولم يحاربوا البتة لتغيير سيد بآخر ونقل حقوق السيادة من العثمانيين الى

الانكليز واليهود وغيرهم من دول الاستعمار ، ومما يدل على عدم جدية الوعد من الناحية القانونية والدبلوماسية ، ان الارتباطات السياسية السابقة معارضة له على خط مستقيم .

وفضلا عن ذلك ان هذا الوعد كما بينا آنفا صادر من جهة واحدة الى أخرى لا كيان لها وهذه الجهة الصادر منها الوعد لا تملك إصداره وتحقيقه ، كما لا ننسى أن بلفور وهو وزير الخارجية البريطانية أكد بتاريخ لاحق على الوعد للشريف حسين وقد صار ملكا على الحجاز فى ٨ فبراير سنة ١٩١٨ « ان الحكومة البريطانية تصرح بأن تركيا تحاول نشر الشكوك وبث الوقيعة بين العرب وفصم عرى علاقاتهم مع الحكومة البريطانية حتى يعدلوا عن محالفتهم لها لذا تعلن الحكومة البريطانية من جهتها وبالاتفاق مع حلفائها أنها تتمسك بسياستها التى اتخذتها فى سبيل الحركات التحريرية للشعوب المهضومة الحقوق ، ولهذا قررت أن تمضى الى النهاية فى مساعدة الشعوب العربية فى كفاحها لتحقيق استقلالها وبناء امبراطورية عربية موحدة يسودها الشرع الاسلامى الذى يحل محل الظلم التركى ، وبذا ينتهى الخلاف الظاهر بين العرب الذى تبث سمومه الادارة التركية » ، ويؤكد بلفور فى خطابه مراراً للملك « تمسك بريطانيا بوعودها وانها ستمضى فيها بأمانة حتى لا يسقط العرب مرة أخرى فى هاويه الاستعباد بعد تحريرهم »(١)

ومما يدل على سياسة بريطانيا العرقوبية وموقفها المخزى حيال العرب سلسلة الاتفاقات التى عقدتها فى نفس الوقت مع الدول الحليفة وترسم بمقتضاها

(١) انظر « الصهيونية والانتداب الانكليزى على فلسطين » لأنيس الصغير ، صفحتى ٨٢ ، ٨٣ .

خطط المستقبل لتقسيم آيالات الدولة العلية فى الشرق الأوسط المنسلخة منها فى حالة هزيمتها، أى تقسيم شبه جزيرة العرب وخارجها بينها وبين فرنسا وروسيا القيصرية، ونشرتها صحيفة «البارفدا» لسان حال موسكو بعد انتهاء القيصرية هناك فى ٢١ فبراير سنة ١٩١٨ بخصوص تناقض السياسة البريطانية

وقد أمضى اتفاق تقسيم ايالات الدولة العلية بين الدول الثلاث كما جاء فى البارفدا فى ١٩ فبراير سنة ١٩١٦، ولم تخرج مذكرات السير ادوارد جراى عن هذا المعنى فجاء فيها، «لقد أبرم اتفاقان سريان منذ بداية الحرب ولهما أهمية حقة: وأحدهما الوعد الذى أعطى للملك حسين بأن بلاد العرب تصبح دولة إسلامية موحدة ومستقلة استقلالا تاماً وهو الاتفاق الوحيد من الاثنين الصادر بدافع بريطانى لذا فإن مسئوليتنا بخصوصه أكبر من مسئولية غيرنا من الحلفاء، والاتفاق الآخر هو الاتفاق السرى الفرنسى الانكليزى الروسى لتقسيم مناطق النفوذ بين الدول الثلاث وخاصة فى آسيا الصغرى والباعث عليه فرنسا(١)».

وهذه الاتفاقات التى تتناقض مع الوعد المعطى للعرب هى: الاتفاق بين فرنسا وانكلترا وروسيا لسنة ١٩١٥ وأعقبه آخر لسنه ١٩١٦ ثم اتفاق «سيكز بيكو» Sykes - Picot بين انكلترا وفرنسا لسنة ١٩١٦، وتفاصيل الموضوع أن الدول المذكورة اتفقت فى سنة ١٩١٥ على تحديد حقوق كل فى الأمبراطورية العثمانية عند انحلالها وعلى نصيب كل من الغنيمة، وهذا الاتفاق جاء بناء على رغبة روسيا التى أبدتها للحلفاء فى استيلائها على البواغيز والاستانة وسائر المناطق المحيطة بها وبعض ولايات فى آسيا

(١) أنظر «الصهيونية والانتداب الانكليزى على فلسطين» لأنيس الصغير، صفحة ٦٩

الصغرى ، وقد أبلغتها للحلفاء فى بدء الحرب ، وقوبلت من الحلفاء رغبة فى التعاون والوحدة بالقبول على شرط الانتهاء من الحرب والخروج منها مظفرة مع بحث الموضوع فيما بعد ودراسة مطالب فرنسا وانكلترا فى البواغيز وغيرها ، وأهمها حرية الملاحة فيها ، وجعل الأستانة ميناء تجارية حرة ، وحقوق فرنسا وانكلترا أيضاً فى آسيا الصغرى ، واستقلال الأماكن الاسلامية المقدسة وعدم المساس بالاتفاق الروسى الانكليزى الذى يتناول إيران ويحدد منطقة الحياد هناك ومنطقة النفوذ البريطانى ، وقد أخذت إيطاليا كذلك علماً بمطالب الروس وبموقف الحلفاء ، وبمجرد دخول الحرب فى صفهم ، وفى ربيع سنة ١٩١٦ تم الاتفاق بين دول الاتفاق المذكور على توزيع مناطق النفوذ بينها مستقبلا وممتلكاتها فى أراضى الدولة العلية فى آسيا وبلاد العرب ، ولكنها أبقت على دولة عربية مستقلة مكونة من اتحاد من الدول العربية المزمع قيامها ، وكان لروسيا ولايات أرض روم وطرابزون وفان وتيليس والكردستان الجنوبية حتى حدود فارس ، ونصيبها فى الغرب حتى البحر الأسود عند نقطة تحدد فيما بعد غرب طرابزون ، وكان لفرنسا شاطىء الشام وولاية اطنه وتمتد شمالا حتى حدود روسيا بعد إتساعها بما ستناله من ممتلكات الدولة العلية ، وكان لبريطانيا العراق الوسطى والجنوبية بما فى ذلك بغداد ، كما تحصل فى سوريا على عكا ويافا ، وفى الوقت ذاته تتكون دولة عربية مستقلة من مجموعة من الدول العربية تشمل سائر المناطق فى جزيرة العرب والجزء الذى يقع ما بين ماسيؤول الى فرنسا وانكلترا ، وتبين المواقع والحدود فيما بعد ، كما تصبح ميناء الاسكندرونة ميناء حرة ، ويقرر الاتفاق للاماكن المقدسة نظاما خاصاً مع إخراجها من أملاك الدولة

العثمانية ، ويوضع هذا النظام بالاتفاق بين روسيا وفرنسا وانكلترا ، وهذا الاتفاق الذى يتمم ماسبقه ويتعارض أيضا مع التعهد بإنشاء دولة عربية مستقلة موحدة نبذته الحكومة البولشفية باعتباره ضمن المعاهدات السرية للقيصرية التى رفضت الاعتراف بها ، وبذا أصبح فى حكم العدم ، ولم تعد له الصفة الدولية المشروعة . ونذكر أخيراً اتفاق « سيكز بيكو » فى مايو سنة ١٩١٦ بين فرنسا وانكلترا . وهو مجموعة اتفاقات منها السرية اتفق الطرفان بموجبها على أن يكون من نصيب فرنسا الجزء الساحلى من الشام ولبنان الى العقبة وأن يكون نصيب انكلترا الجزء الجنوبى من العراق بما فى ذلك بغداد وكذا فلسطين وميناء عكا وميناء حيفا وتصبح ميناء الاسكندرونة حرة (١) ، وهكذا تمادى الحلفاء فى سياسة الأطماع الاستعمارية التى أخفوها عن العرب ليسخروا هؤلاء فى كسب الحرب لمصلحتهم والتمهيد لإقامة وطن يهودى بعد وضعهم اليد على فلسطين ثم فليك بعد ذلك مايكون ، ولقد أبدت إيطاليا إمتعاضا ، ثم أعطيت وعداً بمذكرات تبودلت بين الحلفاء بتاريخ ٢١ أغسطس سنة ١٩١٧ بإعطائها منطقة نفوذ فى أضاليا وأزمير ، مما أدى إلى إصطدامها فيما بعد وقد هزمت الدولة العلية مع اطماع اليونان فى نفس المنطقة ، ولم ينه الخلاف إلا حرب الاستقلال التركية وانتصار جيوش مصطفى كمال وإعلان الجمهورية التركية ومحو عار معاهدة سيفر بمعاهدة لوزان.

ورغبة فى زيادة التفاهم بين فرنسا وانكلترا على توزيع الغنائم فى هذه الأيالات بعد إنحلالها ، وحتى لايشجر بينهما خلاف فى المستقبل تبادل

---

(١) أنظر ، الصهيونية والانتداب الانكليزى على فلسطين ، لأنيس الصغير من صفحة ٨٦ الى ٩١

وزيرا خارجية فرنسا وانكلترا المراسلات فى ١٥ مايو و١٦ مايو سنة ١٩١٦ لضمان كل من الطرفين لما تتمتع به سائر المنشئات الدينية ودور العلم والمدارس والهيئات الطبيه والمستشفيات البريطانية أو الفرنسية فى مناطق نفوذهما القائمة منذ ماقبل الحرب من امتيازات ورعاية ، وانها ستظل تنعم بها ، وقد كانت تحتمى بها منذ تأسيسها ، كما أن هذا لا يتناول الامتيازات الأجنبية وسائر حقوق الرعايا الذين يتمتعون بالامتيازات ولا يوجب بقاءها (١)

ونرى فى هذه الخلاصة صورة سريعة ولكنها واضحة من ألاعيب السياسة البريطانية فى الشرق الأوسط ، وكيف انها اتخذت من الشريف حسين وأمانى العرب معبراً لتحقيق أغراضها من الحرب العالمية الأولى وانتصارها على امبراطوريات الوسط فى الجبهة الشرقية ، ثم لم تأبه فيما بعد بسداد دينها وتحقيق وعودها للعرب والتمشى مع حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، وطبقت هذا المبدأ تطبيقا عكسيا بفرض دولة إسرائيل على العرب وقد كانت حلما بعيداً حينما عقدت اتفاقاتها معهم لإنشاء دولتهم المستقلة الموحدة

الولايات المتحدة واسرائيل

عادت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى الى سياسة العزلة ولم تهتم بمشكلات نصف الكرة القديم إلا فى حدود مايمس مصالحها مباشرة ، وظلت فى موقف المتفرج فيما عدا شئون الشرق الأقصى ومنافستها اليابان فى الباسفيك ، ودل عدم اشتراكها فى عضوية عصبة الأمم التى

(١) انظر « الصهيونيه والانتداب الانكليزى على فلسطين » لانيس الصغير من صفحة ٨٤ الى ٩٦

كان ميثاقها من وضع الرئيس ولسن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية على شدة تعلقها بمذهب مونرو فى علاقاتها مع أوروبا وفى اتجاهاتها السياسية الخارجية وعلى نفضها يديها من مشكلات ما بعد الحرب العالمية الأولى خارج حدود القارتين الأمريكيتين ، وزاد فى تعصبها للعزلة توقف أوروبا عن سداد ديون الحرب تبعا لاشتداد الأزمة الاقتصادية العالمية لسنة ١٩٣٠ لأمريكا التى دخلت فى صف الحلفاء فى اشد الأوقات حرجا فرجحت كفتهم وكسبوا الحرب بفضل عتادها ومساعداتها المالية وإمداداتها التى تدفقت بلا حساب على الميدان الغربى . ولكن لم يحل موقف الولايات المتحدة هذا دون تأييد قضية الصهيونية ومعاونة المال الأمريكى لانشاء وطن قومى لليهود وشراء أراضى فلسطين من العرب ، فقد لاقى الصهيونيون عطفاً ومساعدة بالغين من ساسة الولايات المتحدة

ثم تبدل الموقف السياسى للولايات المتحدة الأمريكية حيال العالم الخارجى بعد الحرب العالمية الثانية ، فإنها خاضت غمار هذه الحرب الضروس ، وقد علمت تماما أنها لم تعد بالدولة الأمريكية للعالم الجديد فقط بل هى من أولى الدول العظمى إن لم تك أولاها وذلك تبعاً لتغلغلها فى شتى الأسواق العالمية وارتباط مصالحها بشتى القارات ، وكان من الضرورى أن تبادر بنصرة الديموقراطية وإلا انتهى بها الحال إذا فاز المحور بالنزول عند رغباته وأطاعه وبسيرها فى ركابه وتنازلها عن مثلها الديمقراطية ومصالحها الخارجية ، وهكذا صار اتجاهها إيجابيا وعدلت عن العزلة ونزلت فى حلبة التنافس السياسى العالمى ، ورأينا الولايات المتحدة وكانت كل ما تطلبه قبل الحرب العالمية الثانية الباب المفتوح لتجارتها فى الشرق مع ترك الأمر لبريطانيا لتتحمل المسئوليات كاملة لضمان الاستقرار فى

الشرق الأوسط تأخذ على عاتقها مسئوليات السياسة هناك وتوجهاتوجيها يؤثر فى مصائر دول هذه البقعة الحساسة من العالم القديم . ووضح هذا بعد أن فقدت انكلترا سلطانها فى الهند وهجرت فلسطين وسعت لدى الولايات المتحدة لمساعدة اليونان وتركيا ، وفكر محركو السياسة الأمريكية أن يضعوا خطة السياسة العملية للشرق الأوسط ورسموها فعلا لسنوات قادمة

***

موقف الديموقراطية الغربية والشيوعية الروسية فى الشرق الأوسط

رغم وقوع الشرق الأوسط بين جبهتى التنافس الشرقية والغربية لعالم اليوم وهى الجبهة السوفيتية والديمقراطية الغربية يعتبر من ناحية المدنية ضمن نطاق الكون الغربى ، فمن الحق القول ان المدنية الغربية يرجع تكوينها الحالى إلى مدنية الشعوب العريقة التى سكنت هذه البقعة من العالم من بحر قزوين الى جبال القوقاز ومن مصر والبحر الأبيض المتوسط الى البواغيز ومرمره ومن السودان إلى البحر الأحمر والمحيط الهندى حتى حدود إيران الشرقية ، وشعوب هذه المنطقة من العالم لا تقوى اليوم وحدها على الدفاع عن كيانها ضد الاعتداء الخارجى ، وبلادها فى هذه الحالة تعتبر غنيمة سهلة لأطماع الاستعمار . وهى منبع محتمل للمنازعات العالمية والحرب العامة ، وشعوبها معرضة تبعا لفاقتها الشديدة الى الدعايات الشيوعية وتأثيرها فيها وللوقوع فريسة هذه الدعايات التى تجرها فى النهاية الى الحرب لصالح الأطماع السوفيتية ، ثم تسخرها فيما بعد إذا رجحت كفتها فى النزاع العالمى المحتمل فى العمل المضنى لصالح المجموعة السلافية وخاصة الانتاج الروسى دون اعتبار البتة لرفاهيتها ومستقبلها ، ومن الصعوبة

بمكان تلقين شعوب الشرق الأوسط، وقسطها من التعليم قليل، مبادىء الديمقراطية المعقدة إلا عن طريق المساعدة الفعلية ومعاونة الغرب ليتضح لها بجلاء ماتثمره الديموقراطية، بينما يسهل بث الفوضى بينها والزج بها فى تيار الشيوعية عن طريق الضرب على نغمات وجوب القضاء على الفاقة ومهاجمة الجبهة الرأسمالية المضادة، وهى المتسببة فيها وفى انتزاع لقمة العيش من أفواه أبنائها.

وفيما يلى تحليل نشاط زعيمة الديمقراطية الغربية وزعيمة الدكتاتورية الشيوعية فى الشرق الأوسط ؛ —

الولايات المتحدة الأمريكية فى الشرق الأوسط:

تضاعفت أعباء الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية بقدر مابذلته من جهود جبارة لكسبها وما أنفقته من مال وعتاد ورجال فيها، وكان نصيبها فى التضحيات المادية النصيب الأكبر بين الدول المتحالفة، وطبيعى أن يصبح نصيبها فى تدعيم السلام أيضاً على قدر ماتكبدته من خسائر وأعباء وما أنفقته من أموال، وأن تعمل على تحمل أكبر قسط من المسئولية محافظة على الأوضاع التى تتفق مع مصلحتها السياسية بين مجموعة الدول وأن تسهر على حالة الاستقرار التى ترضيها فى الشرق الأوسط، وهى وقد حصلت على امتيازات البترول فى شبه جزيرة العرب من الأسرة الوهابية هناك وإنتاج الآبار يصل فى زعم البعض مستقبلا فى هذه البقعة الى سدس الإنتاج العالمى، وتدفع نظير ذلك للتاج العربى نصف مليون دولار يومياً تقريبا وتوالى الإشراف على الممرات والمعابر إلى شبه الجزيرة وتراقب عن كثب شعوب الشرق الأوسط المحيطة بهذه الآبار حتى لاتصبح فريسة للنفوذ السوفيتى، فان انضمام هذه الشعوب الى الجبهة الشيوعية

فى حالة قيام حرب ضد الولايات المتحدة يهدد هذه الآبار بضياعها منها ويحتم عليها فى حالة اليأس المبادرة بتدميرها

وذهب تفكير الولايات المتحدة فى تغلغها فى الشرق الأوسط إلى تنظيم خطة دفاع مرتبطة بالدفاع الأوروبى، وعمدت بشتى الحيل مع بريطانيا الى محاولة اشتراك شعوب الشرق الأوسط فيها، غير ان العرب وقفوا موقف المعارضة وهم لايريدون بحال أن يصبحوا مخالب القط فى الحرب القادمة ويتخذ منهم درع لتلقى الضربات الأولى حتى يتفادى الغرب حدة الحرب إذا بدأت فى الشرق الأوسط، وان الدفاع المشترك المرتبط بمصالح الغرب فيه إهدار لاستقلال العرب وكرامتهم وكيانهم، وفضلا عن ذلك فهو يوجب اشتراكهم مع إسرائيل كعامل من عوامل الدفاع أيضا وجبهة مهمة من جبهات القتال أعدها الغرب للاعتماد عليها ولتأليبها عند اللزوم على العرب، والولايات المتحدة دائمة العطف عليها، وقد بادرت بالاعتراف بها، وهناك ملايين اليهود فى الولايات المتحدة (وعددهم نحو خمسة مليون) نفوذهم قوى فى إجتذاب الحكومة اليهم وهى دائمة التودد اليهم لتأييدها، ولهم أثرهم فى انتخابات الرياسة مما حدا بالحزب الديموقراطى وكان الرئيس منه إلى المبادرة بطلب الحكومة الاعتراف باسرائيل فى سنة ١٩٤٨، وكانت البلاد مقبلة على انتخابات جديدة

وتحاول الولايات المتحدة أيضاً أن تستميل العرب إلى ناحيتها بالوعود وقد صرحت حكومتها رسميا فى مناسبات عدة بألا تقف من مشكلة فلسطين موقفا معاديا للعرب، والبعثات الفنية عديدة التى توفدها الى مختلف أقطار الشرق الأوسط لدراسة مدى المساعدات المادية التى يمكن عملها لانعاشها ورفع مستوى فلاحها وتصنيع البلاد، ولكن مساعداتها المالية فى هذا

الصدد لاتذكر ، بينما مساعداتها العسكرية والفنية والمالية لاسرائيل دسمة ومستمرة، ولقد أدرك العرب أخيراً ضآلة هذه المساعدات فى ديارهم ،وان العبارات الرنانة وحدها لاتساعد بتاتا على علاج مشكلات البلدان المتخلفة اقتصاديا، وكأن الولايات المتحدة تريد أن تعلن بلا تردد أن الشرق الأوسط العربى إذا شاء أن يصبح قوياً مثمراً فى نشاطه ، وإذا شاء أن يقضى على مشكلاته الجسيمة ويتخلص من آفاته عليه أن يمهد لجعل دولة إسرائيل دولة هامة بين دوله ، وهذا هو الثمن إذا أراد المساعدة

ومن الصعوبة بمكان التوفيق بين وجهات النظر هذه ، وخاصة ان فكرة إنشاء طبقة جديدة من المزارعين من متوسطى الحال فى الشرق الأوسط مع القضاء على الحكومات الفاسدة ووضع حد للرشوة والفاقة ووجوب تثمير موارد البلاد وزيادة مساحاتها المنزرعة وإنشاء الصناعات الموائمة لايمكن تحقيقها بالتعضيد الأدبى المحض والوعود المعسولة . وتتعقد المشكلة تبعا لارتباط الموقف أيضا بأزمة إيران وبترولها واختلاف هبوب رياح النفوذ فيها وبازمة منطقة قناة السويس حيث يحتلها الانكليز رغم مشيئة الشعب المصرى ويماطلون فى مفاوضات الجلاء عنها .

ويلوح أن الولايات المتحدة الأمريكية وقد حملت على عاتقها مسئوليات إقرار الاستقرار فى هذه البقعة الحساسة من العالم لن تستطيع بسهولة ضمان السلام والأمن العالمى إلا بتعضيد أمانى الشعوب العربية هناك بطريقة إيجابية لصالح هذه الشعوب مع مساعدتها ماديا لانتشالها من تخلفها الاقتصادى ، وهذه الشعوب من جهتها ولقد لقنت العالم قديما المدنية والحكمة والمعرفة وكانت بلادها مهد الأديان والفلسفات شديدة التعطش لخلع الثياب البالية للعهد القديم والسير فى موكب الحضارة العالمية

لتعويض مافاتها (١)

روسيا السوفيتية فى الشرق الاوسط

ان اصبع روسيا السوفيتية فى الشرق الأوسط يـود الى ماقبل الثورة الشيوعية ، فتدخلها جزء من سياستها حيال الامبراطورية العثمانية وإدعائها حماية الأقليات المسيحية هناك وخاصة فى الشام وضرورة المحافظة على الأماكن المقدسة ، وهو كذلك جزء من سياستها التى ترمى الى الزحف نحو البحار الدافئة وحصولها على مرافىء تطل على البحر الأبيض المتوسط ، وكان حلم قياصرتها منذ بطرس الأكبر أن تطل يوما على البسفور وأن تعود الاستانة العلية دار الخلافة بيزانطه الأرثوذكسية المسيحية كما كانت فيما مضى .

ولقد وضحت أهمية الشرق الأوسط لروسيا فى الحرب العالمية الثانية حينما هدف المحور الى ضرب الامبراطورية البريطانية فى شريانها الحيوى هناك ، كما ظهر مايضمره المستقبل لهذه البقعة من الأرض من مشكلات باهتمام الولايات المتحدة بالحصول على امتيازات البترول من ابن السعود وباتساع أعمال الرأسمالية البريطانية فى آبار البترول فى عبدان وتمسك الحكومة البريطانية بامتيازات الشركة هناك وما قام فى أعقاب هذا التمسك من مشكلات سياسية جسام ، وخشيت روسيا أثناء الحرب أن تنجح قوات المحور فى الزحف عبر مصر نحو فلسطين وسوريا ولبنان فآسيا الصغرى والقوقاز ، وطالبت روسيا حليفة الغرب أثناء احتدام القتال ضد المحور فى سنة ١٩٤٣ بمقعد فى لجنة البحر الأبيض المتوسط بالجزائر كما طالبت بمقعد فى مجلس الاربعة الذى يبحث مسألة طرابلس ، وسارت فى سياسة التوسع مابين سنة ١٩٤٦ وسنه ١٩٤٨ فى البلقان حتى

(١) أنظر «مشكلات الشرق الأوسط الحالية» لبيكو الجزء الثانى صفحة ٢٦٢

تريستا ، كما كان لها أثر محسوس فى الانتخابات الايطالية ، وهى دائبة فى القيام بدعاية واسعة النطاق فى الشرق الاوسط لبث المبادىء الشيوعية هناك عن طريق التقرب الى الأقليات الدينية الأرثوذكسية تارة (ويلاحظ أن المسيحية الروسية أرثوذكسية) أو عن طريق الدعاية ضد الاستعمار والضرب على نغمات استغلال الشعوب المستضعفة وامتصاص دمائها بالتسلط الانكليزى — الأمريكى بين الغالبية وهم ملايين المسلمين الذين يعيشون حياة الضنك والحرمان تارة أخرى ، ويلاحظ أن فى روسيا أكثر من ثلاثين مليون مسلم ويسهل إيجاد صلات روحية بين الجبهتين ، والحكومة السوفيتية توفد الى ديار الشرق الأوسط بعثات منهم كما تحشد فى سفاراتها هناك ضمن موظفيها مسلمين لتحقيق أغراضها (١)

---

(١) ان تصرفات الولايات المتحدة الأمريكية فى مشكلة فلسطين ، وتشجيعها الصهيونية فى هذه البقعة العربية ، وتأييدها إلى أقصى حد التأييد قيام إسرائيل هناك ، ثم إغداقها العطايا والمساعدات والقروض المالية عليها ، وعطفها الواضح على تصرفاتها رغم انها غير مشروعة على طول الخط وتحارب وحدة العرب وأمنهم وأمانيهم — ان تصرفات الولايات المتحدة هذه لا تتفق ووعودها الرسمية الصريحة للعرب ولعاهل الجزيرة ابن السعود ، ويدل على هذا الخطابات الرسمية التى قطعت الحكومة الأمريكية على نفسها عهدا باحترامها وخلاصتها ألا تتخذ أى إجراء هناك إلا بعد مشاورة العرب واليهود . وألا تقف موقفا يدل على معاداتها للعرب وضد مصلحتهم .

وفيما يلى النص الرسمى للمراسلات الرسمية التى أكد فيها رئيس الولايات المتحدة الأمريكية موقفه تجاه مشكلة فلسطين وانه بصفته رئيس السلطة التنفيذية يقطع على نفسه باسم حكومته عهداً بألا يقف موقفا معاديا للعرب فى فلسطين ، كما كرر تمسكه بهذه السياسة

وقامت روسيا بجس النبض ثم بدراسات وافية قبل رسم خطط دعايتها فى الشرق الأوسط ومساعدة فلسطين الصهيونية بالذات ، فأوفدت بعثات متتابعة فى هذه الجهة فى سنتى ١٩٤٣ و١٩٤٥ . ووصلت إلى قرار وهو وجوب تغيير اتجاه السياسة الروسية ، وظهر أثره فى ليك سا كسس

جاء فى خطاب من روزفلت الى ابن السعود بتاريخ ٥ ابريل سنة ١٩٤٥ ما يأتى « تتذكرون جلالتكم أننا فى مناسبات عدة أحطنا كم علما بموقف الحكومة الأمريكية نحو فلسطين ، ووضحنا رغبتنا فى ألا يتخذ قرار بشأن تغيير الحالة من أساسها هناك إلا باستشارة العرب واليهود ، وجلالتكم تذكرون أيضا بلا أدنى شك أننا أثناء محادثاتنا أخيراً أكدنا لكم أننا لن نتخذ عملا فى حدود سلطتى بصفتى رئيس السلطة التنفيذية للحكومة يتضح فيه العداء للعرب ، ويسرنى ان اعيد توكيد تمسك الحكومة بما سبق ان قطعته على نفسها على لسانى بصفتى رئيس السلطة التنفيذية بخصوص مسألة فلسطين ، واحيطكم علما ان سياسة الحكومة فى هذا الشأن كما هى لم تتغير »

وارسل الوزير دين اشيسون Dean Acheson فى حكومة ترومان مذكرات لاتخرج عن المعنى السالف فى ١٧ مايو سنة ٦ ١٩ للممثلين الدبلوماسيين للخمس دول العربية الممثلة فى واشنطون ، ويؤكد فيها ماسبق ان تعهدت به الحكومة الأمريكية من انها ان تتخذ اى قرار إلا باستشارة العرب واليهود

وجاء فى خطاب موجه من الرئيس ترومان الى الملك بن السعود ونشرته الصحف فى انحاء العالم فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٤٨ ، يؤكد فيه الرئيس تمسكه بما سبق ان وعدت به « الولايات المتحدة العرب وانه لن يتخذ قرار بخصوص تغيير الحالة من اساسها فى فلسطين إلا باستشارة العرب واليهود »

(راجع فى شأن هذه الوثائق كتاب « الشرق الاوسط فى الميدان الدولى » للنكزوفسكى ، صفحة ٣٥١)

Lake Success في اجتماع الأمم المتحدة بتاريخ مايو سنة ١٩٤٧ إذ أعلن مندوب روسيا جروميكو Gromyko انه باسم حكومته يؤيد قيام دولة يهودية مستقلة فى فلسطين ، وهكذا تغيرت سياسة روسيا السوفيتية تجاه الصهيونية . وقد كان موقفها قبلا موقف المتردد إذ أنها فى أوائل إنشاء الدولة الروسية الشيوعية لم تؤيد فى مؤتمرات الدولية الثالثة Troisieme Internation ale فى موسكو بين سنة ١٩١٧ وسنة ١٩٢٠ فكرة الصهيونية ، بل بالعكس وقفت منها موقفاً عدائيا باعتبارها ظاهرة من ظواهر الاستعمار الانجلو سكسونى ونتيجة لوعد بفلور القائم على فرض التسلط واغتصاب الحقوق ووقفت روسيا فى هذه المؤتمرات موقفاً حاسما ضد الوطن القومى اليهودى الذى تحتضنه بريطانيا .

ثم نرى ان روسيا طوت سجلا من العلاقات السياسية الدولية مع الشرق الأوسط لتفتح سجلا آخر لمصلحة إسرائيل ، وهذا السجل الجديد ملىء بالمتناقضات ، فهى تبث الدعوة الشيوعية فى الجماعات الاسلامية التعسة التى تتبلغ بلقمة لاتسد الرمق ، وتظهر بمظهر المحارب لاستعمار الغرب وبطل التحرير فى الشرق ، وفى الوقت ذاته تمد يد المعونة لإسرائيل وتساعد على تثبيت قدميها فى فلسطين وقد اعترفت بها كدولة منذ أوائل النزاع المسلح هناك بعد انتهاء الانتداب فى مايو سنة ١٩٤٨ ، وتشجع على رحيل الأرمن من مصر وغيرها الى موطنهم الأصلى فى أرضروم ، وتقوم بدعاية واسعة لتضمهم الى أحضان الدولة الشيوعية ، ورحل فعلا مايزيد على ٧٠٠ أسرة أرمنية من مصر الى روسيا السوفيتية لتستقر هناك (١)

(١) انظر « مشكلات الشرق الأوسط الحالية » لبيكو ، الجزء الثانى ، صفحة ٢٦٢

غير انه طرأ على العلاقات الروسية الاسرائيلية فتور ثم قطيعة ، وتفصيل الأمر أن إسرائيل اشتمت من روسيا الشيوعية عودتها الى السياسة المناهضة للصهيونية مع تقربها بشكل ظاهر الى العرب فبدأت تناوئها ، وتمت فى براج محاكمة واسعة النطاق فى نوفمبر سنة ١٩٥٢ قدم فيها احد عشر من كبار ازعماء الشيوعيين هناك وكلهم من أصل يهودى ، كما اضطهدت روسيا السوفيتية وهى المسيطرة على شرق أوروبا الشيوعية اليهود فى تشكوسلوفاكيا وتناول هذا الاضطهاد أعضاء الحكومة ذاتها ، ووجهت اليهم تهم اتصالهم بالصهيونية الأمريكية والانكليزية الاستعمارية وتعاونهم مع أنصار تروتسكى Trotsky من الشيوعيين ، وأصدرت المحاكم حكمها على اليهود الشيوعيين هناك بالاعدام شنقا باعتبارهم جواسيس الرأسمالية وأنهم سببوا ضرراً جسيما لدولة تشيكوسلوفاكيا وعرضوا سلامتها للخطر ، وأوقفت الحكومة السوفيتية حركات الهجرة من تشكوسلوفاكيا إلى إسرائيل ، وقضت على الصهيونية هناك ، واتجهت الى مطاردة اليهود فى روسيا نفسها ، وخطبت ود العرب وزادت فى تقربها اليهم

ويزعم الصهيونيون أن مصدر حنق روسيا السوفيتية واضطهادها اليهود فى ديارها وفى شرق أوروبا هو رفض إسرائيل الافكار الدكتاتورية والسياسة الاقتصادية القائمة على الدولة الكلية Etat Total والتوجيه الأعمى المبالغ فيه . وذلك لأنها تتبع السياسة الديموقراطية الغربية وقد هضمتها جيداً وتفهمت روحها ولا يمكنها أن تسير على غيرها فى تنظيم شئونها مما يثير حفيظة روسيا الدكتاتورية الشيوعية السلافية التى تريد فى إسرائيل نظاما مشابهاً لنظامها تماما ، ويقولون أيضاً ان زعماء السياسة السوفيتية يخشون الذين يدركون تماما روح المدنية الغربية ويستطيعون التمييز بين هذه المدنية

وجنة النظام السوفيتى الموعودة وهى لاتخرج عن أنها جحيم ، وهم الخلاصة المفكرة والصفوة الواعية فى إسرائيل.

ويزعم الصهيونيون أيضا أن الشيوعية الروسية فى حياتها الأولى ونشاطها كدولة وثابة لجأت فى بنائها الى اليهود أمثال تروتسكى واتفينوف Litvinov وهم طليعة الثائرين على الوضع الذى كان قائما فى روسيا، ورجال من هذا الطراز يمثلون مواهب وأطماع يهود روسيا وهم عظيمو الفائدة للدولة الناهضة ، ولكن بمجرد وضع أسس الدولة الروسية السوفيتية وتثبيت قدمى الشيوعية تحول مجرى السياسة الى حركه ثورية أخرى مضادة للثورة الأولى، وامتلأت السجون والقبور بهؤلاء الذين غرسوا شجيرات الحرية الأولى هناك ، وكان نصيبهم الهلاك ، وهذا فى اعتبار الصهيونية السبب الأساسى لمذبحة ستالين التى قام بها ضد البولشفيك القدماء ولقضية براج المشهورة

ويزعم الصهيونيون أيضا أنه أعقب مؤامرة تشكوسلوفاكيا ضد اليهود تطهير واسع النطاق اتخذ شكلا إرهابيا ضد الأطباء اليهود فى موسكو ،وقامت الصحافة هناك بحملة واسعة النطاق ظالمة ضد اليهود والصهيونية التى فى اعتبارها أنشأت طابورا خامسا داخل حدود الدول الشيوعية لتأييد الرأسمالية الانجلو أمريكية الاستعمارية عدوة الشيوعية وإسرائيل صنيعتها

وترتب على توتر الحالة ارتكاب عمل إجرامى فى إسرائيل ذاتها للانتقام من الدولة السوفيتية فى ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ وهو نسف المفوضية السوفيتية فى تل أبيب ، وقد رفضت الحكومة السوفيتية اعتذار إسرائيل وقطعت علاقاتها الدبلوماسية معها ، وذكرت فى مذكرتها الى حكومة

إسرائيل أن عداوة إسرائيل للاتحاد السوفيتى واضحة فى غير حاجة الى التفسير ، وهى « عامة ومعروفة للجميع وليست موضع مناقشة » وان موسى شاريت وزير خارجية إسرائيل قد اتخذ علنا سياسة عدائية نحو الدولة السوفيتية . وثارت الصحافة الشيوعية الدولية ضد إسرائيل ، وبديهى ان اتخاذها هذه الخطة نتيجة العدوان الواضح الذى ارتكبته إسرائيل ، وضاعفت حملاتها ضد إسرائيل ومؤيديها بحق وأفشت أسرار اضطهادها للاقلية العربية فى ديارها وان العرب هناك يعيشون فى جهات معينة لايستطيعون مغادرتها شبيهة بالغيتو سابقا فى المدن الأوروبية (٦)

ولا نغفل بهذه المناسبة أن نشرح بالتفصيل أيضا الخطة المنظمة التى اتبعتها روسيا السوفيتية منذ دخولها الحرب العالمية الثانية كنشر الدعوة لها فى الشرق الاوسط ، وقد أشرنا الى هذا فى مناسبات عدة ، وقد بدأ تنظيم هذه الدعاية منذ بدء تقسيم مناطق النفوذ والاحتلال فى إيران أثناء الحرب ، وبدأت وكالة تاس Tass فى سنة ١٩٤٦ وهى الوكالة الرسمية للاخبار فى روسيا السوفيتية تنشر بالعربية نشرات فى بيروت ولبنان ، كما نشطت محطات إذاعاتها للعالم العربى وخاصة من موسكو وباكو ، وأخذت تشرح للشعوب العربية ارتباط المستعمر والتسلط الاقتصادى والسياسى الغربى على الشرق الأوسط بسوء الحالة هناك وبقيام الاقطاع مع فقر السواد الأعظم من السكان وهم الطبقة العاملة الكادحة ، كما نظرت روسيا السوفيتية بعد سنة ١٩٥١ الى أبعد من ذلك فاعتبرت إسرائيل كذلك نقطة الارتكاز العسكرى للغرب فى الشرق الأوسط ، وان واجبها

---

(١) انظر « حصن الديمقراطية فى الشرق الاوسط » لدونر من صفحة ٢٥ الى ٢٧

يدعو الى التوفيق بين مصالحها فى الجهتين أى جبهة العرب وجبهة اليهود
ولا شك ان كلا من روسيا السوفيتية والديموقراطية الغربية وعلى رأسها بريطانيا والولايات المتحدة يتخذ من منطقة الشرق الأوسط ميداناً للتنافس والحرب الباردة ، ويسعى من ناحيته إلى الاستئثار بالنفوذ وهما يحاولان عرقلة تحقيق أمانى الدول العربية وتوحيد جبهتها هناك ، وهم كل من المتنافسين ان يصفو له الجو وحده وإن يسيطر بلا منازع على البترول والمواقع الهامة وموارد الثروة البكر ومعين الرجال الوفير هناك ، وان يتحكم وحده فى قنطرة العبور إلى العالم القديم ليتحكم تبعا لذلك فى أسواق الشرق الأقصى ويلج أبوابه بسهولة ، ويرى المتنافسان كذلك ان القبض على ناصية الأمور فى الشرق الأوسط يؤدى إلى رجحان الكفة لصالحه فى الحرب العامة القادمة ، وهكذا اتجهت سياسة الكرملين Kremlin إلى إثارة عدم الاستقرار وبث الدعوة فى الشرق الأوسط لصالح الشيوعية ، وساعد على ذلك نسف المفوضية الروسية فى تل أبيب وموقف اسرائيل العدائى نحو روسيا السوفيتية ، كما اتجهت سياسة واشنطون ولندن إلى التأرجح بين اسرائيل والعرب وإلى مهادنة الدول العربية بالعبارات الخلابة والوعود الشفوية وإلى كسب اسرائيل بين الفينة والفينه بالمساعدات المادية لتقويتها وإعدادها لتصبح نقطة ارتكاز انجلو أمريكى حين الحاجة إليها .

* * *

مشكلة اللاجئين العرب

والأقلية العربية فى اسرائيل

ان مشكلة العرب الذين شردوا من ديارهم بفعل اسرائيل وكذلك الذين كتب عليهم نظام الغيتو باستيطانهم دولة اسرائيل من أعقد المشكلات

السياسية الحالية ، وهى فضلا عن ذلك مشكلة عاطفية فان قلوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها تتوجع لآلام هؤلاء المنكودى الطالع الذين شاءت سوء المقادير ان يجابهوا أسوأ أنواع الحرمان من الوطن والدار والمال والرزق والولد وإن تتشتت أسراتهم التى كانت تعيش فوق تراث الأجداد فى شتى البقاع والأمصار ، وهى لاتعلم مصيرها وما ينتهى اليه أمرها .

ونبحث كل من المشكلتين على حدة بالتتابع ، وفيما يلى البيان : —

١ — مشكلة اللاجئين : مشكلة اللاجئين العرب ويعنى بهم الذين ألقوا عصا ترحالهم فى قطاع غزة الذى تسيطر عليه مصر أو فى سوريا أولبنان أو شرق الأردن أو العراق أو غيرها من الأقطار العربية لا تشبه بحال مشكلة عرب الأندلس الذين أزيحوا عنها قسراً بعد انتهاء حكم العرب فى الأندلس وانتصارات فردينان وايزابلا الكاثوليكيين واعمال محاكم التفتيش سيوفها فى رقاب العرب واليهود هناك ، فكان العرب أقلية وظلوا الجماعة الحاكمة والصغيرة الواعية المفكرة والقادة ، ثم أجبروا على ترك البلاد إلى الكاثوليكية التى تأصلت جذورها منذ فجر المسيحية فى الأندلس وأهلها سواد السكان منذ ماقبل ان يعبر طارق بن زياد المضيق بسفنه وجيوشه من افريقيا إلى أوروبا لهم . ببقايا الأمويين فى بلاد لاتختلف عن الشام وشمال افريقيا فى جوها ووجهها وجداولها ونهيراتها وغياضها وزرعها وفيافيها وصحاريها الساخنة القحلاء . فعرب فلسطين التى اغتصبها الصهيونيون أهل البلاد وسادتها وهم السكان إذ ان اليهود هناك لم يتجاوزا حتى بدء اشتداد حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين منذ أقل من ربع قرن ٤٠,٠٠٠ يهودى لايمكن إلا أن يعتبروا أقلية ضئيلة بمقارنتهم بالسكان

الذين يزيدون على الستة ملايين فى بلاد الشام جميعها ، وقد انقلب الوضع فاذا بممثلى الغالبية يعاملون معاملة أقلية ويقصون عن أرضهم لأنهم من طينة وعجينة تختلفان عن القادمين الدخيلين المعتدين الجدد .

ومشكلة العرب اللاجئين لا يمكن تشبيهها بحال بمشكلة الأقليات التركية المسلمه فى بلاد اليونان أو اليونانيين الارثوذكس فى تراقيا من أعمال تركية أوروبا التى عولجت فى السنوات التى أعقبت سنة ١٩٢٣ بتفاهم الجمهورية التركية بعد انتصارات أتاتورك فى حرب التحرير على اليونان وبتبادل السكان بين اليونان وتركيا ، وقد أمضت الدولتان اتفاقا فى هذا الشأن . وكان عدد الأتراك فى الأرض اليونانية نحو ٣٢٥٫٠٠٠ تركيا وعدد اليونانيين فى الأرض التركية نحو ١٫٢٥٠٫٠٠٠ وتبودل السكان فى مدى ثمانية عشر شهرا تحت رقابة عصبة الأمم وإشرافها وبمعونة لجنة مختلطة مشكلة من موظفين أتراك ويونانيين ، وقدم قرض من عصبه الأمم لتمويل الديار وضمان الاستقرار والمعاش والعمال اللاجئين . فمشكلة العرب اللاجئين مشكلة عكسية فهم ينتزعون من وطنهم ليعطى هذا الوطن الغرباء دخلاء ، وهل يقدر الانتزاع من الوطن بمال وهل يعوض بالمادة ، وهل تشترك الأقطار العربية فى الأثم وفى حل هذه المشكلة بما يرضى اسرائيل ويطفىء ظمأ توسعها بقبول اللاجئين العرب على أساس تثبيت أقدام طلائع الغزو والاستعمار الغربى لعرقلة حركات البعث والنهوض فى الشرق الأوسط . ؟ (١)

إن مشكلة العرب اللاجئين نشأت فى مزرعة ميكروبية تقوم على نظريات مدمرة تضرب بقواعد القانون الدولى والاخلاق والمروءة

---

(١) انظر «حصن الديموقراطية فى الشرق الأوسط» لدونر ، صفحة ٢٠ .

والإنسانية عرض الحائط، فهى وليدة اعتبار فلسطين موطنا لليهود دون غيرهم منذ فجر المسيحية أى مايقرب من العشرين قرناً ، وذلك لأنهم سكنوا يوما ما فى بقعة من فلسطين ، وبذا لا تعطى أى اعتبار للتاريخ منذ ذلك العهد السحيق ، وتوقف عجلة الزمن لتزيح الستار من جديد على مملكة اليهود هناك ، وكأن الإسلام وشعوبه ومدينة العرب وأثرها الواضح فى تاريخ الإنسانية والملايين من أبناء العرب الذين يعمرون فلسطين فى عالم النسيان وفى زوايا الاهمال لاوجود لهم على سطح البسيطه ، وهذه المشكلة وليدة صرخات التعصب والحرب للأقليات اليهودية التى عاشت فى أوروبا فى الغيتو ورددت كلما تلقت ضربات قيصر روسيا واضطهاداته فى بولونيا أو رصاص فرق النازية وهى تطارد اليهود وتصرعهم وتنفذ سياسة العنصرية للقضاء على الجنس السامى أساطيرهم الدينية وتنبؤاتهم التى تتلخص فى ان أرضهم التى سيعودون اليها هى بين النيل والفرات ، وبينها عباراتهم الدينية المشهورة التى يرتلونها فى هياكلهم فى مناسبات الشدة والفرح وفى يوم صباط Sabbath ، ويتلخص معناها فيما يأتى « فى هذا اليوم سأعيد من جديد إقامة خيمة داود التى سقطت وبعد ذلك لن ينتزع اليهود من أرضهم ويقصون عنها» ، ونتساءل هل اليهود كانوا أغلبية فى فلسطين ليقوموا بحركتهم الخطيرة لاقصاء العرب عنها ؟ لاشك ان الجواب بالنفى ، وانهم زرعوا جرثومة تعصبية لاتنتج إلا الشر والدمار ، وان الأقلية الدينية وكذلك يهود أوروبا الذين نزحوا زرافات إلى اسرائيل وهم غالبية السكان الآن فى هذه الدولة أقلية دينية بين أهل فلسطين ولا يحق لها ان تشير بمجرد إشارة فضلا عن ان تدعى أى حق فى فلسطين القديمة ، ولا يمكن اعتبار هذه الفئة من اليهود التى رفعت عقيرتها صياحا بالمطالبة بالوطن القومى بأنها سلالة اليهود القدماء فى أرض الميعاد .

والخلاصة ان مشكلة فلسطين قامت تقلب الأوضاع السياسية رأسا على عقب ، فهى تفرض نظرية الأقلية الصهيونية على الغالبية العربية ونتائجها بتبادل السكان باعتبار الصهيونية السواد الغالب والعرب دخلاء وهم أقلية ضئيلة ، داخل محيط دائرة تحوى مايزيد على ٤٥ مليون عربى فى بلدان الشرق الأوسط ومليون اسرائيلى فى دولة اسرائيل المحاصرة بشتى الأقطار العربية .

ونرى حراب الدول الغربية مشرعات وأفواه مدافعها متحفزة لاتتردد عن تأييد هذه السياسة الخرقاء القائمة على أملاء الأقلية المتعنتة الجائرة ارادتها على الأغلبية صاحبة الحق . وطبيعى ان تتولد الضغائن والاحقاد فى صدور العرب نتيجة هذا الظلم وان ينتظروا دون سلام السنين الطويلة اذا تطلب الأمر لمحو الظلم بتضافرهم واتحادهم وعملهم الايجابى

وفى هذه الحالة لن تشبه أيضا مشكلة اسرائيل والغالبية الساحقة من العرب مشكلة الحدود بين فرنسا والمانيا أى مشكلة الرين وخطرها الذى يهدد حدود فرنسا الشرقية دائما بروسيا العسكرية وجحافلها القوية الجرارة ، فان هذه المشكلة نتيجة تنافس بين الدولتين وتنازع على التقدم فى ميدان السياسة واتساع كل على حساب الآخرى ، ونتيجة سياسة بسمارك لتحقيق الوحدة الالمانية بزعامة بروسيا وانتهازه فرصة ضعف القوى العسكرية الفرنسية فى عهد امبراطور الفرنسيين نابوليون الثالث ، وعمل بسمارك أيضاً رداً على غزوات لويس الرابع عشر المستمرة للامارات الألمانية قبل استيقاظها من سبات القرون الوسطى وانتزاع البلدان والقرى على ضفاف الرين . وهى أيضا رد فعل لانتصار المانيا فى الحرب السبعينية فقد أخذت فرنسا بالثأر واستردت الالزاس واللورين من المانيا القيصرية فى الحرب العالمية

الأولى ، واستمر العداء مستحكما بين دولتى شرق وغرب الرين . وخاضا غمار الحرب العالمية الثانية . ولكن العداء والصراع والحرب وتحفز كل للنيل من الأخرى وخوف فرنسا اليوم من أن تسترد المانيا قوتها العسكرية فتحاول أن تمحو عار هزائم الحرب العالمية الثانية وتستعيد مكانتها بين الدول بانتصار عسكرى حاسم — هذا الوضع السياسى ،وما يحيط به من ازمات خطيرة لايشبه أزمة الجيرة بين اسرائيل والعرب، فلم يك لاسرائيل دولة قائمة تنازعت مع العرب السلطان منذ بضع سنوات، وكان العرب على وشك تحقيق وحدتهم باتفاق شريف مكة مع الحلفاء على إعلان الاستقلال ووحدة الدولة العربية الاتحادية ، فبادر الحلفاء الى عرقلة حركات البعث الوطنى ونكثوا بالوعود والمواثيق للابقاء على سلطانهم فى الشرق الاوسط ،ودق الحلفاء أسفينا فى الشرق الأوسط بتأييد فكرة الوطن القومى لليهود ، ثم فيما بعد بتأييد إنشاء دولة إسرائيل لتصبح قلعتهم القوية ينشرون منها سلطانهم ويعدون العدة للغزو حين الحاجة فهى فندقهم المسلح المجهز بأحدث معدات الراحة والرفاهية بين أقطار وفيافى الشرق الأوسط .

والعجيب فى كل هذا أنه ليس هناك ثأر بين يهود الشرق والعرب ، فقد عاشوا جيرانا متحابين قرونا عديدة ، وكذلك ليس بين يهود الغرب والعرب ضغائن وإحن فالدول الاسلامية وخلفاء العرب والمسلمون فى الأندلس والدولة العلية العثمانية قربوا اليهود إليهم وأكرموا وفادتهم ومثواهم وعاملوهم بكرم معاملة الصديق فى وقت كان اليهودى يطارد كأنه الداء والوباء فى أوروبا ، فالثأر هو ثأر الاستعمار ونكبة اللاجئين العرب على يد الاستعمار بمعاونة اليهود فى إسرائيل الذين يعملون اليوم

كالجنود المرتزقة قديما لصالح الاستعمار، وإثمهم أعظم ووزرهم أشد إذ ليس هناك مثل عليا حقة يكافحون من اجلها .

ويبلغ عدد اللاجئين العرب إلى الأقطار العربية المجاورة ما يزيد على ٧٧٤٫٠٠٠، ولا يعلم الرقم بدقة نظرا لاستمرار اضطهاد إسرائيل لبقايا العرب عندهم ونزوحهم باستمرار من جهنم إسرائيل إلى البلدان العربية المجاورة ،وهذا العدد موزع بالتقريب كالآتى : شرق الأردن ٢٧٠٫٠٠٠ لبنان ٩٧٫٠٠٠، سوريا ٥٧٫٠٠٠ قطاع غزة ٢٠٠٫٠٠٠، البقية الباقية من فلسطين العربية ٢٨٠٫٠٠٠، العراق ٤٫٠٠٠، إسرائيل ذاتها ٤٨٫٠٠٠ وربما أكثر وغالبية هؤلاء ضحايا جهاد العالم العربى فى سبيل بعثه من جديد وقد صادفتهم أعاصير الاستعمار فاودت بولدهم ومالهم وتركتهم صرعى الظلم والبغى يكادون لا يجدون ما يقوم أودهم ، وإسرائيل ترفض بتاتا أن تقبل ما يزيد على مائة ألف منهم فى أرض دولتها المزعومة وبشروط قاسية وذلك لأنها تهدف إلى إحلال المهاجرين اليهود محلهم ، ويقترح البعض أن تعمل الدول العربية التى أوتهم على تنشيط اقتصادياتها وامتصاص هؤلاء اللاجئين وإيجاد أعمال سريعا لهم حتى لا يعيشون عالة على حكومات فقيرة تنوء باعبائهم ، وحاولت الأمم المتحدة بلجانها ومقترحاتها أن تعول هؤلاء التعساء فأنشأت لجنة لاغاثتهم وإيجاد أعمال لهم فى أول ابريل سنة ١٩٥٠ وأعقبتها بأخرى ، وكان نشاطهما فى حدود أطعامهم وتقويم أودهم مؤقتا ، وهو عمل لا يتجاوز توزيع كميات من الطعام والكساء عليهم .(١)

وشروط إسرائيل لقبول مائة ألف لاجىء يهودى فى دولتها

---

(١) راجع « حصن الديموقراطية فى الشرق الأوسط » لدونر ، من صفحة ١٧ إلى ٢٤ .

تتلخص فى أن تقبل الدول العربية عرض إسرائيل كحل نهائى للمشكلة ، وهذا العرض أبلغته إسرائيل للجنة التوفيق بشأن فلسطين للأمم المتحدة فى ٣ أغسطس سنة ١٩٥٣ ، ويتلخص فى أن إسرائيل تقبل مائة ألف لاجىء عربى بشرط أن يقبل العرب حل المشكلة بصفة نهائية ، وطبيعى أن الدول العربية رفضت هذا الاملاء وأصرت على ترحيل العرب اللاجئين جميعا بلا قيد ولا شرط إلى ديارهم الأصلية ، وكما سبق أن صرح وزير خارجية إسرائيل فى برلمان بلاده فى ٤ نوفمبر سنة ١٩٥١ « إن اسرائيل على استعداد للاتفاق على حل نهائى لوضع حد لحالة الحرب بين إسرائيل والعرب بما فى ذلك مشكلة إعادة اللاجئين العرب إلى ديارهم » ، واشترط لذلك « أن تدفع الدولة العربية تعويضا لهم يدخل فى حساب الخسائر التى خسرها اليهود فى الأروح والممتلكات نتيجة حرب فلسطين . وكذلك الخسائر التى سببها العرب لإسرائيل نتيجة مقاطعة العرب لليهود اقتصاديا وسائر خسائر اليهود فى بلاد العرب وخاصة فى العراق » ، وقد ذكر العراق بصفة خاصة نظرا لمصادرة حكومة العراق ـ بحق ـ أملاك اليهود عندها وثرواتهم بعد أن ثبت لها بصفة قاطعة تآمرهم على سلامة الدولة ومحاولة نسف مخازن الذخيرة والمنشآت العسكرية والمرافق العامة وخاصة فى بغداد وحرق العاصمة المجيدة ، وهكذا أرادت إسرائيل أن تملى إرادتها وشروطها القاسية على العرب وأن تربط مصير اللاجئين وهى مشكلة إنسانية خطيرة بوجوب أن يدفع العرب لها تعويضات جسيمة هى غرامات حربية تفرض على المهزوم وليست بحال مساعدات لإعادة المياه إلى مجاريها ولا تسهل مطلقا عودة اللاجئين إلى حياتهم الطبيعية .

ونشر الصهيونيون طائفة من المقترحات لعلاج مشكلة اللاجئين تدور كلها حول محور تسهيل إيجاد أعمال لهم فى البلدان العربية ، وكان

الصهيونيين أدرى بأحوال هذه البلدان من أبنائها ، وضمن ما اقترحه بعضهم أن تدمج مصر اللاجئين العرب عندها فى اقتصاديات البلاد ، ولكن فات أصحاب الاقتراح أن مصر تعانى أزمة أطراد تزايد عدد السكان مع ضيق رقعة الأرض المنزرعة وأبواب الرزق ، والظاهرة القائمة فيها اليوم هى التزاحم المرير على العيش ، فقد زاد عدد السكان فى مصر منذ أوائل القرن الماضى حتى يومنا هذا من ٢ مليون نسمة إلى أكثر من ٢٠ مليون نسمة ويقابل هذه الزيادة أن مساحة الأراضى المنزرعة ارتفعت من نحو مليونين من الأفدنة إلى أقل من ستة ملايين فدان (١)، ويقترح

(١) جاء فى بحث بمجلة «الشرق الأوسط» The Middle East journal-Washington يصدرها معهد الشرق الأوسط بواشنطون كل ثلاثة شهور ، عدد ٨ رقم ١ شتاء سنة ١٩٥٤ من صفحة ٥٤ إلى ٦٧ لجيمس باستر james Baster وهو أحد المستشارين الاقتصاديين لمؤسسات الأمم المتحدة بعنوان « النواحى الاقتصادية فى استيطان لاجئ فلسطين » ـــ جاء ما يأتى :

بلغ عدد اللاجئين العرب من فلسطين فى آخر يونيه سنة ١٩٥٣ نحو ٨٧١ر٧٤٨ يعتمدون فى إغاثتهم على مساعدة الأمم المتحدة ، وتوزيعهم كالآتى :

٥٦٠ر٢٠٨ فى مصر (فى المنطقة المحيطة بغزة وهى محتلة عسكرياً بالجيوش المصرية) ، و ٦٢٠ر٤٧٥ فى الأردن ، و ٠٩٥ر١٠٢ فى لبنان ، و ٤٧٣ر٨٥ فى سوريا ، وهناك أيضاً عدة آلاف فى العراق وإسرائيل وتشرف الحكومتان هناك على أحوالهم ، وهذا العدد الضخم من الناس يحصل على حاجاته الضرورية بالعمل نظير أجور منحطة ومساعدات ضعيفة ويكون بإضافته إلى السكان الأصليين للبلدان الصغيرة التى أوت اللاجئين عبئا ثقيلا (ويبلغ العدد بمقارنته بعدد سكان المنطقة التى هبط اللاجئون فيها ٥٣ ٪ من السكان فى الأردن ، و ١١ ٪ فى لبنان ، و ٣ ٪ فى سوريا ، و ٢٨٨ ٪ فى غزة).

ويحذر الباحث من التردد فى علاج المشكلة ومد يد المعونة الصادقة للاجئين ويؤكد أن تحمل البلدان الصغيرة المتخلفة اقتصاديا لأعبائهم ومشكلاتهم يضعف

من قواها الاقتصادية ، كما يؤكدان حالة هؤلاء اللاجئين المعنوية فى انهيار مستمر وسريع وما لم تقدم إليهم مساعدات جدية سريعا ، وتتخذ حيالهم اجراءات لانتشالهم فإن الوفير من اللاجئين منهم سيصبح قريبا عالة بحق ولا أمل فى أن يتحولوا إلى مواطنين صالحين نافعين لأى بلد من البلدان ، وهو يقترح فى صدد الفلاحين منهم الذين من أصول زراعية أن يتجهوا إلى سوريا والعراق حيث الأمل فسيح فى اتساع رقعة الأراضى المزرعة فى المستقبل ، كما يقترح فى صدد أصحاب الحرف والمهن الحرة أن يأووا إلى المدن الساحلية الغربية من البحر الأبيض المتوسط ، كما أنه يرى أن توزيع اللاجئين بين الدول العربية وإسرائيل حسب استعداد كل منها وكفايتها لإيوائهم وامتصاصهم كما يزعم البعض ووفق بعض بيانات وإحصاءات مزعومة حل تعسفى ، وهذا التوزيع يتوقف على الصلح النهائى بين الطرفين ولا يمكن الوصول إليه أيضا وفق رغبة اللاجئين أنفسهم .

ويرى الباحث أيضا أنه يتعذر على اللاجئين والفاقة ضاربة أطنابها بينهم أن يبدأوا حياة جديدة بلا معونة مالية عاجلة وكافية ، وهم لا يستطيعون أن يعولوا أنفسهم والبلدان التى تنفذ برامج الاصلاح والتعمير فيها لا تحكم على وسائل كافية لمساعدتهم وما قد تعطيهم من أجور عمل منخفضة ، لذا يتعين أن يصبح اللاجئ لكى يحصل على وسائل عيش كريمة وتعطى له فرصة الكسب مرنا فى نشاطه وتنقله فى سبيل الرزق بين بلدان الشرق الأوسط ، ويتعين على ذوى الشأن أيضا أن يعوضوه بسخاء وبسرعة عما فقده من أملاك فى إسرائيل كى يبدأ حياة جديدة يختارها لنفسه بلا ضغط عليه ، ويقول الباحث بالحرف فى ختـــام دراسته « إن مفتاح المشكلة بأسرها فى وجوب تشجيع اللاجئين كأفراد ليبدأوا من جديد الحياة على مسئوليتهم فى محيط اقتصادى عام يتناول المجموع ويهيء لهم الكسب فى ظل المعونة الوطنية والدولية للانعاش الاقتصادى ، وان الخطط المحددة لاستيطان اللاجئين فيما خلا حالات معينة ولفئات خاصة لا يمكن المضى فيها بواسطة الهيئات الدولية على أراضى الحكومات صاحبة السيادة ، ومن البديهة بمكان ان هذه تهتم اهتماما أكبر ببرامجها نفسها فى سبيل الانعاش الاقتصادى لصالح مجموع السكان كوحدة وجماعة » .

البعض إيواء اللاجئين فى السودان بحجة أن مساحة السودان فسيحة تبلغ نحو مليون ميل مربع ويسكنه نحو ثمانية ملايين نسمة - غير أن ترحيل هؤلاء إلى السودان وهو لا يزال فى أولى خطوات نهضته يتعين معه معاونتهم ماديا إلى أمد بعيد حتى يمكنهم كسب قوتهم ، وان مساهمتهم جديا فى النهوض بالقطر اقتصاديا من الصعوبة بمكان فى مثل هذه الاوضاع ، ويتعذر على ميزانية السودان وكفايتها الاقتصادية تحمل هذه الأعباء ، فضلا عن بعد الدار والمسافة وصعوبة اندماجهم فى جو السودان وبيئته ، واقترح البعض أن تأويهم بلاد العرب السعودية بحجة أن مساحتها نحو مليون ميل مربع أيضا وتضم نحو ٧ مليون من السكان وتملك سدس البترول العالمى ويدر امتياز البترول المعطى للرأسمالية الأمريكية نحو نصف مليون دولارا تاوة يومية لتاج ابن السعود ، وان هذه الأرباح تصرف فى وجوه البذخ والترف ويمكن صرفها فى وجوه الاصلاح ، غير أن مشكلة اللاجئين تتطلب الحل العاجل وبلاد العرب صحراء قفراء لا تحوى الوديان والأراضى الزراعية والقابلة للزراعة الواسعة حتى يمكن أن يعمل اللاجئون فيها فضلا عن افتقارها إلى الصناعات وصعوبة اشتغالهم فى صناعات استخراج البترول وهى صناعات فنية دقيقة تتطلب كفاية خاصة ومرانا طويلا ، ويشرف عليها أمريكيون مدربون وهم يمرنون العرب مدة قبل أن يوكل اليهم العمل الفنى ، وهذه الحالة لا تتفق وحل مشكلة اللاجئين سريعا ، وفيما يختص بأوجه انفاق أرباح امتيازات البترول فهى مشكلة اجتماعية دقيقة تمس صميم حق الشعب هناك وليس للاجئين أو لسائر الأقطار العربية أن يعالجوها ولا يمكن ربط المشكلة الاجتماعية فى المملكة العربية السعودية بمشكلة اللاجئين بحال ، واقترح البعض أن تعمل لبنان على زيادة

مساحات أراضيها المنزرعة وأن تزيد طاقتها الصناعية عن طريق قوى الشلالات المنحدرة عندها لايجاد أعمال للاجئين فى ديارها ، غير أن مساحة لبنان ضيقة تبلغ ٤٠٠٠ ميلا مربعا وسكانها نحو ٢٠٠ر١٠٠٠ نسمة وتأوى نحو مائة ألف لاجىء عربى ، وما يمكن زراعته لا يتعدى ألف ميل مربع يتطلب مجهود الجبابرة لاعداده ويخضع اقتصاديا لقانون تناقص الغلة فى الزراعة مما لا يشجع على المضى فى مشروعات التعمير عن طريق الاتساع فى الزراعة إلا بحكم الضرورة القصوى ، وفضلا عن ذلك فليس من السهولة بمكان إنشاء صناعات جديدة للاجئين الذين لن تمتصهم هذه الصناعات كما يشك كثيرا فى إمكان تصريفها فى البلاد أو عن طريق التصدير ، وعلاوة على ذلك فهناك مشكلة حساسة باحتمال انتقال عقرب السياسة فى حالة قبول اللاجئين العرب هناك وجلهم من المسلمين مما يضمن للمسلمين أغلبية ساحقة على المسيحيين فى الجمهورية الصغيرة ، وقال البعض بوجوب امتصاص سوريا اللاجئين ومساحتها ٠٠ ر٧٠ ميلا مربعا ويزيد عدد سكانها قليلا عن ثلاثة ملايين وقبلت عددا منهم يبلغ نحو ٧٥٫٠٠٠ لاجىء . وهى لا تزرع من مجموع مساحة أراضيها إلا ما يعادل نحو ١٣٪ ويمكنها أن تستخدم مياه أنهارها التى تذهب سدى فى البحر فى زيادة مساحة أراضيها المنزرعة ، وقد استند هذا البعض إلى ما رأته البعثة السورية الأمريكية فى أول سبتمبر سنة ١٩٤٧ وقد استعانت بخبرة رجال الحكومة الأمريكية وخاصة خبراء وزارة الزراعة للولايات المتحدة الأمريكية وما وجاء فى التقرير الشامل لرأى الجميع ، وهو ، إنه يمكن زراعة مساحة جديدة فى سوريا تقدر بنحو ٢ مليون أكر A cre (وهو يعادل تقريبا نصف هكتار) وذلك باستغلال فروع نهر الفرات وتحقيق

مشروعات رى كبرى من مياهها ، وتدل كثير من الشواهد على ان الزراعة واستخدام المياه قديماً هناك كانتا تفوقان بمراحل الحالة الحاضرة فى سوريا » ، غير اننا نكرر القول بأن هذه المشروعات لاتغنى فتيلا فهى آمال المستقبل ومشكلة اللاجئين مشكلة تتطلب الحل العاجل . وهذا الحل هو عودة الديار إلى داره وتراث أهله ووطنه ، وفيما يختص بالعراق قال البعض إن من السهل على العراق ان تمتص اللاجئين العرب جميعا فمساحتها نحو ١٧٥٫٠٠٠ ميل مربع وسكانها يبلغون نحو خمسة ملايين نسمة وتحكم على أخصب بقاع الدنيا كما يدل على ذلك ازدحام دولة بنى العباس سابقا ، وتحبوها الطبيعة بمياه غزيرة وبموارد ثراء واسعة ، وضمن حدودها مايعادل ٧ ٪ من ينابيع البترول المتفجرة والمستغلة فى العالم ، وقد عالت العراق اضعاف هذا العدد من السكان فى العصور الغابرة ، ولا تزرع من أراضيها القابلة للزراعة إلا مايعادل ٢٠ ٪ وصناعاتها ضئيلة ومحدودة وسكانها فى حالة من التأخر والضنك ومستوى المعيشة من الضعف بمكان ، وأكثر من نصف المواليد من الأطفال يموتون قبل ان يصلوا إلى سن الخامسة ومتوسط العمر فى حدود الثلاثين عاماً ، وعدد السكان يكاد يكون ثابتاً منذ ثلاثة أجيال ، وبهذه المناسبة أشار تقرير المجلس الاستشارى التجارى لرواج المعاملات الدولية الذى كان يعاون الرئيس ترومان فى ٧ مارس سنة ١٩٥٠ بما يأتى « إنه يمكن رى وزراعة عدة ملايين أكر من الأراضى الصالحة للزراعة والخصبة فى العراق ، وفى هذه الحالة ينشأ مايسمى بنواة التموين فى البلاد Bread Basket وهذه النواة تغذى اثنين أو ثلاثة ملايين فرد مستقبلا وتعولهم فى المزارع

الجديدة المنشأة هناك ، [1] ، ويمكن تكرار ماسبق ان قيل فى ان هذه المشروعات تتطلب المال والجهد والوقت ، ومشكلة فلسطين وهى مشكلة سياسية وليست مشكلة اقتصادية فحسب لاتتصل بتنمية اقتصاديات العراق وغيره من الأقطار العربية وتنتظر النهوض باقتصاديات هذه البلدان لترتبط بها .

٢ — الأقلية العربية فى دولة اسرائيل : إن مأساة العرب الذين يعيشون اليوم فى إسرائيل مأساة أليمة ، فان الصهيونيين الذين نزحوا من مدن أوروبا وقد قاسوا حياة المنبوذين هناك بفعالهم يصبون جام غضبهم ويقذفون بحمم نقمتهم على العرب الأبرياء الذين عاملوهم معاملة الصديق ، ونعموا فى ظلال امبراطوريتهم الزاهرة بالحرية والرخاء بينما كانوا لايقابلون من سائر الدول فى عهد ازدهار العرب إلا بالظلم والازدراء ، وكان بقايا عدد العرب فى إسرائيل فى آخر مايو سنة ١٩٤٨ بعد ان اشتعلت الحرب بين دولة إسرائيل والعرب وطرد العديد منهم من دياره نحو ٧٠٫٠٠٠ ثم نزل الرقم إلى ٤٨٫٠٠٠ اليوم ، ويسخر هؤلاء العرب فى الأغراض الشيوعية أو الجماعية للأحزاب هناك ، وهذه الأحزاب كما سبق ان بينا هى امتداد للعصابات الارهابية اليهودية قبل تكوين دولة اسرائيل ، وصادرت السلطات الاسرائيلية أملاك العرب وأراضيهم بمجرد قيام الحرب ، ثم ادعت ان هذا التصرف يرجع إلى أسباب تتعلق بسلامة الدولة وبالامن ، ولا يمكن رد الأراضى إلى أصحابها وإلى هؤلاء العائدين إلى اسرائيل إذا فرض وسمح لهم بالعودة ، ثم صدر قانون

---

(١) انظر « حصن الديموقراطية من الشرق الاوسط » لدونر من صفحة ١٧ الى صفحة ٢٤

بموافقة برلمان اسرائيل فى مارس سنة ١٩٥٣ يبيح فى حالات محدودة النطاق منح العرب الذين يعودون الى اسرائيل بتصريح من حكومتها ويرغبون فى العمل فى الأرض وفلاحتها قطعة من الأرض لهذه الغاية، ومعروف ان هذه المنح رمزية وتشبه السنين العجاف التى لاتسدرمقاولا تعالج الجوع والفاقة، وفى كثير من الأحوال اعتبروا بعض هؤلاء العرب من رجال المدن ومنحوا بعض المال ليعملوا فيها ولينصرفوا عن الأرض والمزارع ليتركوها لليهود.

وتعمد السلطات الإسرائيلية بحجة ضعف كفاية العرب الإنتاجية وعجزهم عن متابعة الوسائل الفنية الحديثة فى الزراعة والصناعة إلى تضييق الخناق عليهم فى كسب عيشهم والحصول على أجورهم أسوة بالعمال الاسرائيليين.

ومن ناحية أخرى عمدت اسرائيل ذراً للرماد فى العيون وحتى تقوم بدعاية لترد التهم العنصرية عنها وتدفع الزعم بأضطهادها العرب إلى التشدق بأن دستورها يمنح العرب حق التصويت والانتخاب فى البرلمان وانها تطبق على العرب قوانين محو الأمية والتعليم وان ٨٣ ٪ من أبنائهم يذهبون إلى المدرسة، غير ان هذا الإجراء ليس بمنحة للعرب فهو من النظام العام هناك الذى يطبق على الجميع على فرض تطبيقه على العرب.

وما القول فيما تفرضه اسرائيل على العرب باسم سلامة الدولة من وجوب قيد سفرهم وتنقلاتهم وإقامتهم وجعلهم فى حكم المنبوذين، وما القول فى حرب العصابات الغادرة التى تشنها اسرائيل على القرى العربية

---

(١) انظر «حصن الديموقراطية فى الشرق الاوسط» لدونر صفحتى ١٥و١٦

المتاخمة لحدود دولتها لمجرد سفك الدماء ونهب الأموال وتشريد الأسرات الآمنة ، وما القول فى حرمان العرب من كثير من الأعمال الهامة والوظائف فى اسرائيل وخاصة ما يتصل منها بالخدمات العامة والأعمال الإنسانية وتمثيل الشعب والدفاع عنه ؟

ولقد سددت اسرائيل طعنات ماضيات إلى نظام الأحوال الشخصية العزيز على العرب والمسلمين والمتبع فى شتى البلدان العربية ويعتبر ركنا من أركان المدنية الإسلامية والعروبة وذلك بغية القضاء على شخصية العرب في اسرائيل وتحويلهم عن قوميتهم وتقاليدهم التى يعتزون بها ، فى حين ان اسرائيل كدولة وسياسة وحضارة تقوم على القومية الدينية التعصبية المشكوك فى استطاعتها تحمل اعباء الدولة برمتها ، ثم تناقضت مع نفسها ففرضت نظاما مدنية للزواج منعت فيها تعدد الزوجات وحرمت الطلاق حسب الشرع ، فجعلت تعدد الزوجات جريمة ، كما وضعت للطلاق نظاما يختلف كلية عن أسس الشريعة الاسلامية ، فالطلاق يتم أمام القاضى فى أحوال معينة ، وهو قد يحكم بفسخ العقد وهكذا نرى دولة اسرائيل بعددها البالغ نحو مليونى يهودى القائمة على نظام دينى باد منذ ألفى سنة والتى أنشئت لدواعى الاستعمار واطماعه فى الشرق الأوسط تتصرف سياسيا تصرف الغالبية الحاكمة فى نطاق مربع يبلغ بضعة آلاف من الأميال طولا ومثلها عرضا يسكنه أكثر من ٤٥ مليون نسمة من العرب ، مما يهدد السلام العالمى وينذر باشتعال الحرب فى هذه البقعة الحساسة من العالم ، وقد تنقلب هذه الحرب الى مجزرة عالمية بشعه بحكم تنافس كبريات الدول فى ميدان الشرق الأوسط هذا ، وهكذا قد تحترق أمم الأرض قاطبة بلظى التعصب الصهيونى .

الباب التاسع

نظرات في مستقبل مشكلة فلسطين

أهم مراجع الباب التاسع

كتب بالعربية :

١ — « اسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى » أعده المكتب الدائم لاتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعه فى البلاد العربيه ، بيروت ١٩٥٢ .

٢ — « مشاكل العالم العربي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية » لـ.دروزة . جزء واحد ، دمشق ١٩٥٢ .

كتب بالفرنسية والانكليزية :

١ ـ « المشكلات الحالية فى الشرق الأوسط » محاضرات معهد العلوم السياسية بباريس لبيكو ، جزءان ، باريس ١٩٤٨ — ١٩٤٩ .

1—«Problèmes D'Actualités Du Moyen Orient» par J. G. Picot, 2 vols Paris 1948-1949.

٢ ـ « الصهيونية والانتداب الانكليزى فى فلسطين » لأنيس الصغير . رسالة دكتوراه بجامعة باريس ، باريس ١٩٣٢

2— «Le Sionisme et le Mandat Anglais en Palestine» par Anis Saghir, these de Doctorat. Paris 1932.

٣ ـ « القانون الدولى العام » لشارل روسو ، جزء واحد ، باريس ١٩٥٣ .

3—« Droit International Public » par Charles Rousseau, 1 vol, Paris 1953.

٤ ـ « القانون الدولى والتاريخ الدبلوماسى » لكوليارد ، جزء واحد ، باريس ١٩٤٨ .

4—«Droit International et Histoire Diplomatique» par Colliard, 1 vol, Paris 1948.

٥ - « وثائق فى القانون الدولى العام » لليفور ، شكلافر ، جزء واحد ، باريس ١٩٢٨ .

5—« Recueil et Textes de Droit International Public, » par Le Fur et Chklaver, 1 vol, Paris 1928.

٦ - « جيوبولوتيكا الجوع » لجوزيه كاسـترو ، ترجمة فرنسية ، جزء واحد ، باريس ١٩٥٢ .

6 —«Geopolitique de la Faim» par Josué Castro Tradiut en Français, 1 vol, Paris 1952.

٧ - « القانون الدولى العام » لجورج سيل ، جزء واحد ، باربس ١٩٤٤

7—«Droit International Public» par Georges Scelles, 1 vol, Paris 1944,

٨ - « التفسير الاقتصادى للتاريخ » لسيلجمان ، ترجمة فرنسية ، جزء واحد ، باريس ١٩١١ .

8—«L'Interprétation Economique de l'Histoire» par Seligman Trad. Française, 1 vol, Paris 1911.

٩ - «المقاطعة الدولية» لميتشلز ، ترجمة فرنسية ، جزء واحد،باريس١٩٢٦

9—«Le Boycottage International» par Michels, Traduction Française, 1 vol, Paris 1936.

١٠ - « الشرق الأوسط » للنكزونسكى ، جزء واحد ، نيويورك ١٩٥٣

10—«The Middle East in World Affairs» by Lenczowski, 1 vol, New York 1953.

١١ - « الشرق الأوسط سياسيا واقتصاديا للمعهد الملكى للشئون الخارجية بلندن » ، جزء واحد ، لندن ١٩٥١

11—«The Middle East a Political & Economic Survey, by The Royal Institute of International Affairs» 1 vol, London 1951.

١٢ - « جمهورية اسرائيل » لدونر ، جزء واحد ، نيويورك ١٩٥٠ .

12—«The Republic of Israel» by Dunner, 1 vol, NewYork 1950

١٣ - « حصن الديموقراطيه فى الشرق الأوسط » لدونر ، جزء واحد . جرينل ايبوا ١٩٥٣ .

13—«Democratic Bulwark In The Middle East» by Dunner, 1 vol, Grinnell Iowa 1953.

١٤ - « الشرق الأوسط والدول الكبرى » نشر بمعرفة ريشارد فراى ، جزء واحد ، هارفارد ١٩٥١ .

14—«The Near East & The Great Powers» edited by Richard N. Frye, 1 vol, Harvard 1951.

١٥ - « الشرق الأوسط والبحث عن وسائل انعاشه » لهدلى كوك ، جزء واحد ، نيويورك ١٩٥٢ .

15—«Challenge & Response In The Middle East. The Quest for Prosperity» by Hedley V. Cooke, 1 vol, NewYork 1952

١٦ « اسرائيل » لبنتويش ، جزء واحد ، لندن ١٩٥٢.

16—«Israel» by Bentwich, 1 vol, London 1952.

١٧ « تاريخ أوروبا » لفيشر ، جزء واحد ، لندن ١٩٤٠ .

17—«A History of Europe» by Fisher, 1 vol, London 1940.

١٨ - « تاريخ أوروبا الاقتصادى » لكلوف وكول ، جزء واحد ، بوستون ١٩٥٢ .

18—«Economic History of Europe» by Clough & Cole, 1 vol, Boston 1952 .

بعض المجلات والنشرات : —

١ - « مجلة الشرق الأوسط » لمعهد الشرق الأوسط بواشنطون ، مجلة تصدر فى واشنطون كل ثلاثة شهور .

1—«The Middle East Journal», The Middle East Institute, Washington, published every three months.

٢ - « العلاقات الخارجية » مجلة أمريكية تصدر كل ثلاثة شهور .

2—«Foreign Affairs» An Ameircan Quarterly Review.

٣ - « الأنالز » مجلة أمريكية ، للأكاديمية الأمريكية للعلوم السياسية والاجتماعية ، تصدر شهرية ، عدد يولية سنة ١٩٥٠ خاص بالنقطة الرابعة ، فيلاديلفيا ١٩٥٠ .

3—«The Annals» of The American Academy of Political & Social Science, Monthly Review, Philadelphia 1950, Formulating a Point Four Prognam, July 1950.

٤ - تقرير الجنرال بنيك رئيس لجنة مراقبة الهدنة فى فلسطين .

4—Report by Major General Bennike, Chief of Staff of the Truce Supervision Organisation in Palestine.

٥ - محضر الاجتماع الصحفى الذى عقـــده السيد احمد الشقيرى الأمين المساعد بدار الأمانة العامة صباح يوم ٤ أكتوبر سنة ١٩٥٣ بشأن اعتداءات اليهود لتحويل مجرى الأردن واحتلال منطقة العوجة .

٦ - مرافعة إسرائيل فى مجلس الأمن بتاريخ ٤ فبراير سنة ١٩٥٤ ، قام بالمرافعة أبا ابان سفيرها ومندوبها الدائم فى الأمم المتحدة بشأن الحصار المفروض فى قناة السويس ، ونشر بمعرفة مكتب العلاقات الصحافية فى نيويورك - وفد إسرائيل فى الأمم المتحدة .

6 — Statement by Ambassador Abba Eban Permanent Representative of Israel to the United Nations on the Suez Canal Blockade, before the Security Conncil, February 1954 —Director of Press Relations, New York — Delegation of Israel to the United Nations.

الباب التاسع

نظرات فى مستقبل مشكلة فلسطين

الناحية العاطفية للمشكلة — الناحية الشخصية للمشكلة — الناحية السياسية للمشكلة
الناحية الواقعية للمشكلة — المناورات السياسية وقناة السويس

إننا لا ندعى فى بحثنا مشكلة فلسطين اننا قد وجدنا العلاج الحاسم ، ولا نحاول أن نصف الدواء لمداواة هذا الداء الذى استفحل وأصبح يقض مضجع الدول العربية اليوم ، إنما غرضنا عرض وجهات النظر المتعددة وتنوير الأذهان بشأن الخطر المحدق بالشعوب العربية فى الشرق الأوسط إذا ترك الحبل على الغارب وسوف الحل ، وقد نتلمس مفتاح الحل فى بعض رؤوس الموضوعات التى عرضنا لها ، ولكن حل المشكلة الحاسم هو على يد المسئولين بتأييد الشعوب التى لفحتها المشكلة بنيرانها .

ويمكن أن نتساءل هل ننظر إلى المستقبل خلال منظار (١) العاطفة أو (٢) الأشخاص أو (٣) السياسة أو (٤) الواقعية ، إن فى تحليل كل ناحية من هذه النواحى الأربع ما يساعد على إماطة اللثام عن خطر الداء وما يواجهنا خير توجيه إلى ناجع الدواء ، كما أن فى عرض المناورات السياسية التى تدور حول قناة السويس ما يميط اللثام عن كثير من مشكلات فلسطين المعقدة وخاصة ما يمس منها مصر بصفة مباشرة ؛ وفيما يلى البيان :

* * *

الناحية العاطفية للمشكلة

إن النظر إلى مشكلة فلسطين نظرة ملؤها العاطفة وحدها لا يؤدى إلى العثور على الحل الموفق ، فالعاطفة تدفع بنا إلى صيحة الحرب المدوية وتنادى بوجوب المبادرة إلى امتشاق الحسام لوضع حد للاعتداء على ديار العرب فى فلسطين وطرد الآمنين منها وانتزاع أموالهم وأراضيهم وتشتيت أسرهم وإزهاق أرواحهم ، ولكن للحسام ساعته فالحرب ليست مجرد كلمة تلقى وحماس يتأجج فى قلوب المؤمنين بها ، الحرب اليوم تتطلب استعدادا جبارا لها فهى تقوم على العلم وتعبئة قوى الأمة اقتصاديا للاضطلاع بمسئولياتها ودعم مقوماتها الروحية والمادية ، وتتطلب تنظيما دقيقا يرسم خططه أهل الخبرة والعلم والفنون والاقتصاديون والساسة يشمل كافة موارد الحياة والدولة ، وعلينا أن ندرك تماما قوة الخصم وعناده وما هو عليه من خبرة واسعة وتدريب وكفاية عسكرية وفنية ، وقد عبأ قدرته العسكرية وموارده وكفاياته العلمية ، ودعمها بما يتلقاه من مساعدات خارجية من الولايات المتحدة الأمريكية ومن الصهيونية الدولية ومن التعويضات التى حصل عليها من جمهورية اتحاد ألمانيا الغربية ، ورغم تكوين إسرائيل من شعوب عديدة تعيش متجاورة اليوم فى بقعة واحدة لا يندمج المواطنون اليهود القادمون من شتى الأقطار بعضهم فى بعض بسهولة ، وإن تكن هناك روح تفاهم مشترك بينهم أساسه الصهيونيه والتنظيم العسكرى وتعبئة البلاد اقتصاديا وتكتلها للنيل من الجيران العرب والتحفز للمعارك القادمة ، وكما سبق أن رأينا فالأحزاب السياسية متباينة المشارب ، وهى تختلف فى السياسة الداخلية

ولكنها تتحد فى عداوة العرب ومحاربتهم ، وإسرائيل تعلم تماما أن نضالها ضد العرب نضال حياة أو موت ، وهى تلقى بكل قوتها مؤيدة بكافة مواردها فى الداخل والخارج فى سبيل الفور النهائى ، ويقال ان ميزانيتها العسكرية تستغرق من الميزانية العامة ومواردها ونفقاتها نحو ٤٧ ٪ ، ومع أن هذه الميزانيه لا تنشر وتعتبر من أسرار الدولة إلا أن البعض وصل إلى ذكر أرقام تقريبية لها ، وهى : بلغ مجموع الدخل للخزينة العامة من الضرائب هناك سنة ١٩٤٩ - ١٩٥٠ نحو ٩٠ مليون دولار يصرف منه فى أوجه التسلح ٤٠ مليون دولار ، وفى سنة ١٩٥٠ - ١٩٥١ نحو ٦٠ مليون دولار يصرف منه فى أوجه التسلح ٢٣ مليون دولار ، وفى سنة ١٩٥١ - ١٩٥٢ نحو ٦٠ مليون دولار يصرف منه فى أوجه التسلح ٣٥ مليون دولار ، يضاف إلى ذلك ما يصل إلى إسرائيل من منح ومساعدات خارجية ترصد لبناء الجيش الإسرائيلى ، وما حصلت عليه من التعويضات من ألمانيـــا ، وهى تصلها من المدين فى صورة مواد ومنتجات ومعدات للدفاع والجيش (١)

لذا يتعين علينا ألا ننقاد إلى تيار العاطفة دون أن نحسب حسابا للمستقبل ، وأن نعد العدة للكفاح المرير ، ومن جهة أخرى يتعين علينا أيضا أن نوقد الروح المعنوية للتآزر فى سبيل الكفاح العلمى السليم لصد عدوان اسرائيل القائم على أحدث وسائل الفن الحربى وحل المشكلة بما يكفل سلامة الشرق الأوسط .

---

(١) أنظر « إسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى » لاتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة فى البلاد العربية ، جزء واحد ، بيروت ١٩٥٢ ، من صفحة ١٤٨ إلى صفحة ١٥١

ولقد اتخذنا من المقاطعة ولها اعتبارها العاطفى سلاحا للكفاح ضد إسرائيل ، وهو سلاح بلا شك له شأنه ، ولكن المقاطعة وحدها اعتمادا على إيمان الشعوب العربية بخطر إسرائيل لا تجدى نفعا ، فضلا عن أن المقاطعة تتطلب شدة الحذر وبعد النظر والتضافر والسهر المستمر حتى لا يتسرب مثقال ذرة من منتجات إسرائيل إلينا ، أو تذهب إلى إسرائيل حاصلاتنا وموادنا الغذائية .

والمقاطعة الاقتصادية أو غيرها فى الميدان الدولى ليست بالبدعة المستحدثة ، ويحسن أن نشرح وجهات النظر فى شأنها لنلم فى هدى الشرح بأهميتها الدولية كسلاح فعال ، ولهذا نبدأ بتعريفها .

تعريف المقاطعة : المقاطعة معروفة فى التاريخ كوسيلة ، من وسائل النبذ والنفى ، بمقتضاها كان يصدر حكم الشعب الاثينى على المواطن موضع الشبهة والتهمة وينفى عشر سنوات ، وكان يرفض الناس أن يحيوه أو يقدموا إليه المعونة أو الغذاء ، وتحولت إلى سلاح يستخدمه مجموعة من الناس للتعبير عن شعورهم فى قضية ما أو ضد فريق من الناس ، وتطورت أيضا إلى جهاد لتحرير الشعوب وكفـــاح العمال ضد بعض المشروعات التى تتعسف بحقوقهم .

والمقاطعة علامة من علامات الازمة السياسية الدولية المستحكمة الساكنة تارة والصاخبة تارة أخرى ولكنها كامنة بطيئة التحرك فى بعض المواقف صعبة الحل ، وهى توجه ضد دولة معينة لفرض العقوبة عليها وللتأثير على الحكومة والمنتجين والمستهلكين والمصدرين والمستوردين ورجال المال والأعمال هناك ، وقد لا تشمل الميدان الاقتصادى

والتجارى وحده بل تتعداه إلى سائر نواحى النشاط الثقافى والسياسى ، وقد تلجأ إلى سلاح المقاطعة الدولة بصفة رسمية أو مجموعة من الدول وقد قررت المقاطعة فى منظمة دولية أو مؤتمر أو مجلس عام ، كما قد يستخدمها الشعب بعد اجتماعات من رجاله الوطنيين المخلصين ونداء منهم إلى الشعب يحضونه على مقاطعة الخصوم أو المعتدين أو من الشعب مباشرة ، وقد يلجأ إليها الشعب بروح وثابة قوية وقد كره الخصم المشاكس ونبذ التعاون معه ورأى الخلاص فى إدباره عنه وعن منتجاته .

ورائد المقاطعة العاطفه الوطنية ، غير أنها تتطلب تنظيما ودراسة فى ضوء المصالح المادية وحظر التعامل مع الخصوم أو الغاصبين ، لأن أهميتها فى عملها السلبى والإيجابى فى نفس الوقت ذلك العمل المستمر المنظم الذى يتناول الكف عن معاملة الخصوم كفا تاما ، غير أن العاطفة الوطنية التى تصحبها الثورات وحركات المقاطعة كالشهب البراقة تظهر ثم تختفى وتكمن وظهورها فجأة واختفاؤها فجأة أيضا ، ويصبح شأنها شأن القروض الوطنية التى تنادى بها الحكومات فى الظروف العصيبة وتطلب بمقتضاها إلى الشعب الاكتتاب فيها بلا ربح أو بتضحيات مالية ، فغالبا لا تنجح فى الوصول إلى غاياتها .

وتصيب المقاطعة المصدر قبل سواه ، إذ أن وجهتها منتجات الخصم وحاصلاته ، وهو يتعامل مع المصدر لتصدير هذه المنتجات للخارج ، غير أن تبادل التجارة يتم بالوسطاء والمستوردين والعملاء لذا يحل بهم كذلك الكساد المترتب على المقاطعة ، وهكذا نراها تتناول الأشياء والناس ، وتصبح مهمة المقاطعة عسيرة فيما يختص بالأشياء ، إذ يصعب تقديرما إذا كانت البضائع المستوردة من مختلف الأنحاء فيما عدا البلاد المفروضة

المقاطعة عليها قد دخلتها المنتجات المقاطعة ، وتتناول أيضا الأفراد فنراها تحرم التعامل مع الأشخاص بذاتهم بصرف النظر عن تعاملهم بمنتجات الخصوم أو بالمنتجات الوطنية ، مثال ذلك مقاطعة الهنود للمنتجات الانكليزية سنة ١٩٣٠ وامتدادها إلى اشخاص التجار الانكليز بصرف النظر عما يبيعونه من سلع ، ولوحظ فى مدينة كاپيور فى الهند أن المقاطعة امتدت إلى المحال الانكليزية التى كانت لا تبيع إلا بضائع هندية صرفة ، وقد لا يسيطر على المقاطعة الكفاح الاقتصادى فحسب بل هناك دوافع قومية أخرى تدعو إليها ومطالب وطنية للجماعات التى تهدد بها الذين لا يرعون حقوق البلاد ، مثال ذلك أن بعض الأوساط السويسرية اقترحت بعد الحرب العالمية الأولى مقاطعة المحال والمقاهى التى يديرها سويسريون بالذات فى حالة تفضيلهم استخدام عمال وموظفين أجانب عندهم على السويسريين .

وقد تنظم المقاطعة الدعاية القومية إلى حد زعزعتها مركز المستعمر واقتلاعها نفوذه من جذوره كما حصل فى نداء غاندى بمقاطعة بضائع الانكليز فى الهند وغزل القطن فى منازل الهنود بالأنوال اليدوية بدلا من إرساله الى انكلترا لفائدة الصناعات فى ما نشستر وغيرها ، وقد كان لهذه الدعاية أشد الأثر فى سيادة انكلترا على الهند وفى قصر عمرها هناك ، وهذا النوع من الدعاية توحى به الروح الوطنية والمصلحة القومية ، وهو مقدمة للكفاح فى سبيل الغاية المثلى ومستمد من قوة الانسان فى سبيل مقاومة الشر وتحرره من الاستعباد منذ القدم . ويروى أن بعض قبائل الهنود الحمر فى « بيرو » فى أوائل هبوط الأسبان هناك رفض زراعة أرضه حتى يرغم المستعمرين وموظفيهم على الجلاء عن البلاد وقد ضاقت

بهم سبل العيش وشحت المحصولات والأغذية ، وكانت هذه القبائل أول من تعرض لعذاب هذا الاضراب والحرمان (١) .

وأمثلة المقاطعة القائمة على الدعاية القوية مقاطعة اليهود والتعامل معهم فى ظروف متعددة طوال قرننا الحالى ، فقد نشرت صحيفة فرنسية معادية لليهود فى سنة ١٩٠٢ دعوة بعنوان « أيها المواطنون لا تشتروا شيئا من اليهود » كما نشرت قائمة بالمحال التجارية المسيحية لتوجه الأذهان إليها ليتعامل الناس معها وحدها ، وهناك المقاطعة الماضية السلاح الواسعة النطاق التى استخدمها النازيون ضد التعامل مع اليهود فى ألمانيا ، وانتهت بنبذهم واضطهادهم ، ونستخدم اليوم فى الشرق الأوسط سلاح المقاطعة بصفة شاملة فلا تعامل ولا اتصال مع اسرائيل ، وكانت هذه البادية بالعدوان ديدنها السطو والاتساع المسلح على حساب الغير ،ونرى باستمرار نشاط إجراءات تفتيش السفن التى تمر عبر قناة السويس أو تأتى إلى موانئنا ويشتبه فى أنها محملة بالبضائع والبترول إلى إسرائيل ، ثم ينتهى الحال بمصادرة ما فيها من شحنات حتى لا تعطى إسرائيل على حسابنا سلاحا اقتصاديا يزيد فى قوتها وعدوانها .

ويمكن من البيانات السالفة حصر قوة المقاطعة فيما يلى ؛

١ – تكون المقاطعة سلبية : فتوقف التعامل مع الخصم وتشل حركته وتضعف نشاطه وتصيب تبادله الحاجات بالاضطراب ، فإذا

---

(١) أنظر « المقاطعة الدولية » لميتشلز ، ترجمة فرنسية ، جزء واحد ، باريس ١٩٣٦ ، من صفحة ١٥ إلى صفحة ٢١ .

« Le Boycottage International » par Michels, Trad. Francaise 1vol, Paris 1936 de page 15 a 21

كانت اقتصادية تضطره إلى البحث عن مخرج جديد وعن وسائل معاملات وأسواق تصبغه بثقتها ، ويصبح من الصعوبة بمكان أن يحظى بين يوم وليلة بمكانته الأولى .

٢ — وتكون إيجابية إذ انها بعملها الايجابى توجه إليه ضربات حاسمات وتشل نشاطه الذى استخدمه فى الاضرار بالملتجئين إلى المقاطعة ثم توقع به الضعف والوهن ، كما أنها تعمد إلى طرق التفتيش والرقابة لتنفيذ المقاطعة وضمان نجاحها .

وغايتها كما يتضح من الشرح :—

١ — الدفاع عن الجماعه تجاه جماعة أخرى معادية ديدنها الشر وإصابة الغير بنيران عدوانها وسموم أطماعها ، ومن أقوى أسلحتها المقاطعة الاقتصادية ، فهى تتناول صميم المصالح المادية التى يفت الحرمان منها فى عضد المعتدى ، وتصيبه فى قوته ومعاشه لعله يرعوى عن غيه .

٢ — مجابهة العدوان بمختلف الوسائل السلمية القائمة على المقاطعة ، وهى كفاح جماعى وقد يظهر فجأة وبصفة عاجلة بباعث من العاطفة القومية ورد الإهانات والأضرار التى لا ينقطع حدوثها من الخصم الأجنبى ، ولا تراق الدماء بواسطتها كما فى الحرب ، وهى رد فعل قوة اقتصادية وسببه غالباً سياسى وباعثه أيضاً سياسى ، وأخيراً إرادته ومدى نجاحه يتوقفان على القوة السياسية التى تحكم عليها الجماعة .

وأمثلة المقاطعة السياسية لا حصر لها ، نذكر منها : مقاطعة الامبراطور نابوليون الأول وكان سيد أوروبا للجزر البريطانية وإصداره قرار فرض الحصار عليها ومنع التعامل معها ومنع اتصال

القارة الأوروبية بها وتطبيق أشد العقوبات على المخالف(١) ، ومقاطعة

---

(١) اتخذ نابليون بونابرت وقدأصبح سيدالقارة الأوروبية قراراً خطيراً بفرض الحصار البحرى والمقاطعة الاقتصادية على الجزر البريطانية وحظر التعامل معها ، وذلك لأن الجزر البريطانية مافتئت تناوئه وسبق أن دُمرت أساطيله البحرية فى أبى قير وترافلجار،وهى تؤلب عليه أمراء القارة الأوروبية وتحارب مشروعه فى إقامة اتحاد أوروبى ، كما تنتظر الفرصة السانحة لتقويض أمبراطوريته .وقرار نابليون هذا بمثابة المقاطعة السياسية والرسمية وفى ظاهره سلاح جد خطير لن يلبث أن يقضى على الجزر اقتصاديا فتضطر للسير فى ركاب الأمبراطور السياسى والنزول من علياء كبريائها وإطاعة رغباته

وظل هذا الحصار قائما سنوات طويلة حتى تداعى أمبراطورية بونابرت . وهو خليق بالدراسة وإعارته اهتماما خاصا لأنه أظهر أنواع المقاطعة الرسمية، وحجة الأمبراطور فى فرضه واضحة . فقد رأى بحق أن الجزر البريطانية مكونة من شعب من التجار يعتمد على معاملاته مع الخارج وتصريف بضائعه فى القارة . ولذا فإن غلق الأسواق فى وجهه فى القارة الأوروبية جرح يميت يصيبه فى الصميم ويودى بحياته الاقتصادية ، وكان على أمبراطورية النسر أن تفرض رقابة واسعة النطاق على طول سواحل القارة الأوروبية من اسكندناوة إلى البحر الأبيض المتوسط لتحريم التعامل مع الجزر . ولكن فاتها أن بريطانيا أمبراطورية تعتمد فى تعاملها فيماوراء البحار ويمكن أن تجد منفذاً لها المحيطات الواسعة ، وساعدها هذا الموقف فى تخفيف وطأة الحصار ، وتعذر تطبيق الحصار القارى على طول شواطىء القارة نظرا لاتساع نطاقها وانتشار عمليات التهريب وقوة الأسطول البريطانى وحيل المهربين الذين أخذوا يعملون بهمة فى سواحل بحر الشمال والمانش ، وعثر بونابرت على بعض البضائع المهربة من انجلترا إلى فرنسا فى رياش وملابس الأمبراطورة جوزفين بالذات . فضلا عن العقبات التى قامت فى وجه تفتيش السفن التى يشتبه فى أمر ارتكابها جرائم

التهريب وقوة الأسطول البريطانى فى فك هذا الحصار ، وقد عمد إلى تدمير القوى البحرية التى تقف فى وجه التجارة البريطانية تباعا ، واتجه فعلا إلى كوبنهاج وحطم الأسطول الدنماركى فى مياهه الأقليمية وقد اعتبره من الأدوات المساعدة على خطة الحصار البحرى ، واتسع الخرق على الراتق نظرا لاستمرار خوض الجيوش الفرنسية ميادين الحروب فى القارة وقد تكتل على الأمبراطور الأعداء من كل حدب وصوب بتشجيع الجزر البريطانية

وبيت القصيد من الحصار هو حرمان الجزر البريطانية من الأسواق الأوروبية ، ومنع المواد الأولية والبضائع الأوروبية عنها وكذا منع أهل القارة من شراء أى شىء انكليزى وذلك للعمل على إفلاس التجارة الانكليزية وتعطل المصانع والعمال الانكليز ، وكذلك حتى لا يصبح الميزان التجارى فى صالح انكلترا فيمكنها بذلك أن تساعد حلفاءها فى القارة الأوروبية بالمال ضد بونابرت . وأهم ما صدر فى هذا الصدد لتدعيم الحصار القارى قرارات برلين لسنة ١٨٠٦ وكان بونابرت فى أوج مجد ، وامتد الحصار الى البضائع المحايدة والى سفن المحايدين فى حالة الاشتباه فيها ، وأجابت الجزر على المقاطعة بسلاح من نفس النوع ، وتذمرت شتى دول القارة غير أنها لم تستطع شيئا هاما نظرا لقوة جيوش بونابرت ، واتهمت بونابرت بأنه يريد أن يروج بيع المنتجات الفرنسية المرتفعة السعر بدلا من البضائع الانكليزيه الرخيصة ، وعم التهريب طول سواحل الحصار , واتخذت القارة سياسة معادية سافرة ضد الأمبراطور واتهمت فرنسا بأنها تريد قتل منافساتها تجاريا ، ومما زاد حفائظها شح بعض منتجات ماوراء البحار الضرورية مع شدة حاجة القارة اليها مثل القطن والسكر والكينين Quinine وهذا شجع على التمادى فى التهريب واقتحام خطوط الحصار عنوة ، وأخذت الحكومة تخرج بعض الممنوعات من قوائم الحظر وتعطى بعض التصاريح للبضائع الضرورية إزاء ضغط الرأى العام ، كما أن شدة العقوبات المفروضة على المخالفين وتصل إلى عشر سنوات سجن فضلا عن حرق المهربات لم تحل دون مواصلة التهريب بنشاط ، وكان رجال الادارة

أهل الدنمارك للبضائع الألمانية سنة ١٨٩٧ وقد اتخذوها بدافع وطنى سياسى رداً على سياسة ألمانيا فى شمال مقاطعة الشلزويج وكانت ألمانية على حدود الدنمارك وأهلها من أصل دنماركى وهى ترمى إلى أضعاف استخدام اللغة الدنماركية هناك ، والمقاطعة الروسية البولونية للبضائع الألمانية فى بولونيا الألمانية سنتى ١٩١١ و ١٩١٣ تبعاً لتوتر الحالة بين الشعبين الألمانى والبولونى ، ومقاطعة الانكليز للبضائع الألمانية سنة ١٨٩٧ على أثر تلغراف التشجيع الذى بعث به غليوم الثانى امبراطور ألمانيا إلى الرئيس كروجر Krguer الذى شن الحرب المعروفة بحرب البوير للتحرر من نير الحكم الانكليزى وتحقيق استقلال بلاده ، ومقاطعة الامبراطورية العثمانية للبضائع النمساوية سنة ١٩٠٨ وخاصة حركة مقاطعة الطرابيش الحمراء وصوفها يستورد من النمسا وارتداء طرابيش بيضاء رداً على ضم النمسا والمجر « البوسنة والهرسك » لامبراطوريتها وكانت تحت السيادة العثمانية ، ومقاطعة اليونان للبضائع الفرنسية سنة

فى حالة ضبط البضائع المهربة يدعون حرقها بينما يحرقون خرقا ممزقة ويستولون على البضائع المضبوطة النفيسة لحاجاتهم ، وتداعت قوة الحصار عقب عودة بونابرت من حملة موسكوفا ثم قضت نهائيا بتنازله عن العرش فى سنة ١٨١٤ ، وجاء فى اعقابها سياسة حرية التجارة إلى أقصى الحدود

يمكن الرجوع لتفهم وسائل هذه المقاطعة وخططها ونتائجها الى كتاب « تاريخ أوروبا » لفيشر ، جزء واحد ، لندن ١٩٤٠ . من صفحة ٨٣٢ الى ٨٣٤

«A History of Europe», by Fisher, 1 vol, London 1940, page 832-834

وكذلك الى كتاب « تاريخ أوروبا الاقتصادى » لكلوف ولكول جزء واحد ، بوستون ١٩٥٢ ، من صفحة ٤٧٠ الى ٤٧٢

«Economic History of Europe» by Clough & Cole, 1 vol, Boston 1952, page 470-472.

١٨٢٣ رداً على التعريفة الجمركية الفرنسية الجديدة التى فرضت على زبيب كورنثا اليونانى ، وتعددت حركات المقاطعة بعد الحرب العالمية الأولى ، فقاطعت هنجاريا البضائع النمساوية ، وقاطعت ألمانيا البضاعة الفرنسية رداً على احتلال فرنسا للروهر ، وقاطعت الجماعات فى ألمانيا وغيرها اليهود كما قاطع يهود بولونيا ورومانيا وانجلترا البضاعة الألمانية رداً على حركات العنصرية واضطهاد اليهود فى ألمانيا ، وأعلنت صحف هنجاريا وكانت تطلب إعادة النظر فى حدود الدولة بينها وبين رومانيا حركة المقاطعة ضد فرنسا على أثر إلقاء السياسى الفرنسى « لويس بارتو » Louis Barthou خطبة سياسية فى يونيه سنة ١٩٢٤ يقف فيها ضد أمانى طلاب تعديل الحدود من المجريين بين هنجاريا ورومانيا ، ولا ننسى أن نشير إلى المقاطعة فى آسيا فهناك أول حركة مقاطعة ظهرت فى الصين فى سنتى ١٩٠٥ و ١٩٠٧ ضد البضاعة الأمريكيـة احتجاجاً على الصعوبات التى أقامتها الولايات المتحدة الأمريكية فى وجه هجرة الشعوب الصفراء إلى أرضها ، وهناك حركة مقاطعة أخرى ضد البضاعة اليابانية فى سنة ١٩٠٨ و ١٩٢٧ و ١٩٣١ ضد اعتداءات اليابان على أراضى الصين . كما قاطعت الصين البضاعة البريطانيـة فى يولية سنة ١٩٣١ رداً على تقلب السياسة البريطانية ووقوفها ضد الصين ، ومن الأهمية بمكان أن نشير أيضاً إلى المقاطعة الاقتصادية لتحقيق الأمانى القومية فى الهند ومصر وغيرهما ضد انجلترا بعد الحرب العالميـة الأولى وأثرها العميق فى الاتجاهات السياسية(١) .

---

(١) أنظر المقاطعة الدولية لميتشلز، صفحة ٢٠

والمقاطعة ليست بالسياسة الطبيعية المستمرة ، بل هى استثناء لذا يتعين النظر إليها كحل مؤقت لتفادى الاشتباك المسلح مع الضغط على الخصم ليكف عن وسائل عدوانه ويعدل عن شروره ، والساعة التى تنتهى فيها المقاطعة ليست بعيدة ، وقد تحل بلا مقدمات أو بوادر تدل عليها وفى أى وقت ، وقد تفشل لأى عامل من العوامل التى تتناول ضعف سياسة المقاطعة أو لسائر العوامل الخارجه عن إرادة القائمين على أمر المقاطعة وغالبية أمثلة المقاطعة فشلت فى النهاية كلما طال عليها الأمد ، ولم تنجح منها إلا السياسة السلبية فى الهند لأسباب مرجعها العقيدة الدينية وفلسفة الحياة القائمة على التقشف هناك .

فالمقاطعة أزمة مصيرها الانحسار وقوتها مستمدة من صفاء ضمائر المواطنين ومدى وعيهم القومى ونضوجهم السياسى ، ويترتب على ذلك أن ترن عبارة الشاعر الالمانى جوته Goethe فى قصة « فاوست Faust » فى آذان الذين أرادوا المقاطعة فصعدت فجأة إلى ذروة النجاح ثم تقلص ظلها سريعاً ، وهى « كل ألمانى طيب القلب يشرب بسرور النبيذ الفرنسى ولكنه لا يحتمل عشرة ومعاملة الفرنسيين » ولقد ردد السياسى الألمانى « ستريسمان Stressmann » أثناء الحرب العالمية الأولى وهو من دعاة السلام بعد الحرب وبناته عبارة حكيمة بخصوص المقاطعة فقال : « لا يشترى فرد ما بضاعة ألمانية حباً فى ألمانيا ، ولكن لأن المشترى الأجنبى يجد فيها ربحا وفائدة ، فهى أجود وأرخص البضائع المعروضة عليه ، وسيظل الحال على هذا المنوال فى المستقبل »(١) .

ونجاح المقاطعة الاقتصادية وهى بيت القصيد فى سياستها يتوقف على :

---

(١) أنظر « المقاطعة الاقتصادية » لميتشلز - صفحتى ٣٦ و ٣٧ .

١ - تحقيق الاهداف الحقيقية من المقاطعة : بدراسة العناصر الواقعية الاقتصادية فيها ومقاومة ماتحدثه من اضطراب فى السوق وارتفاع فى أسعار بعض الحاجات ، ويتعين لنجاح المقاطعة تحديد المنتجات التى تستل المقاطعة عليها سلاحها بدقة ومعرفة أسواقها وجهات أصلها ومدى امتداد هذه الأسواق ونشاط تبادلها لمراقبة مصدرها وسهولة التعرف عليها ، ويضاف إلى ذلك دراسة مدى مرونة الحاجة اليها حتى يمكن بسرعة احلال أخرى محلها،فلايشعر طالبها بخلو السوق منها ويلجأ إلى شتى الحيل الملتوية للحصول عليها ، ويتعين أيضاً مراقبةالأسعار والضرب على أيدى التجار الذين يحاولون رفع أسعار السلع الجديدة التى تحل محل المقاطعة للصيد فى الماء العكر .

٢ - تحقيق الاهداف الشخصية إجابة للعوامل السياسية النفسية التى سببتها المقاطعة : وتنحصر هذه العوامل فى تضامن جبهة المقاطعة والنجاح فى تغليب الناحية العاطفية على الناحية المادية وقيادة الجماعات نحو التشرب بروح المقاطعة وإجابة مطالب الذين يرسمون خططها بأذن صاغيةونفس واعية،ويرجع هذا إلى مدى الوعى القومى فى البلاد وإلى كفاية الصفوة السياسية والخلق السياسى المثالى فى الدولة .

٣ - سهر القائمين على تنفيذ سياسة المقاطعة على مكافحة التهريب للقضاء على خطة المقاطعة وتحطيم الروح القومية التى أملت سياستها بلا هوادة ، ووسائل التهريب عديدة ومحكمة الحبك ويتعين تعيين إدارة مستقلة مجهزة برجال واسعى الحيلة لتتبع المهربين إلى أوكارهم الأصلية ، ومن أمثلة التهريب الواسع النطاق ضد المقاطعة ، وبعبارة أخرى ضد الاحتكار وهو نوع من المقاطعة الرسمية القاسية ماحصل فى منتصف القرن السادس

عشر ضد احتكار الامبراطورية الأسبانية للتجارة الدوليه ومحاولتها جعلها فى حصن حصين لا يستطيع أن يصل إليها التجار الفرنسيون والانكليز والهولنديون والبرتغاليون ، وأدى تضافر هؤلاء التجار إلى تحطيم سياج المقاطعة الذى أحاطت به أسبانيا امبراطوريتها تحطيما تاما ، وانتهى الحال إلى الخروج من النظام التجارى التعصبى الأسبانى واشتراك سائر الدول الأوروبية فى جوب البحار ونقل وتبادل الحاصلات، ومن الأمثلة على قسوة الحصار البحرى فى القرن التاسع عشر الذى فرضته سياسة المقاطعة الاقتصادية ورد الفعل بواسطة التهريب قيام نابليون مدى سبع سنوات بفرض مقاطعة الجزر البريطانية اقتصاديا ومنع تعامل القارة الأوروبية مع الجزر ، وقد تعذر على الأمبراطورية الفرنسية الواسعة الارجاء بسط قيود الرقابة على طول سواحل أوروبا الغربية ونشطت أعمال التهريب ، وقيل أن جرير لمبارديا كان فى أوائل سنى الحصار ينقل من ميناء الى أخرى هروبا من الجيوش الفرنسية التى تحتل ألمانيا وغيرها ثم يستقر مؤقتا فى مرافىء نائية فى الشمال ليصدر الى انجلترا ولا يخشى المهربون شدة العقوبات ، بل تتحول جهودهم الى خطط محكمة وتجارة منظمة يسودها فى الظاهر الهدوء بين جبهة الحصار والخارج (١) ورأينا فشل المقاطعة فى الحرب الايطالية الحبشية سنة ١٩٣٦ بعد فرض عصبة الأمم العقوبات الاقتصادية فى نطاق ضيق بمنع تصدير الأعضاء فى العصبة للمواد الحربية الى ايطاليا الفاشية وما يساعد على اعتداءاتها ضد الحبشه ، فقد لجأ التجار الذين يريدون استمرار التعامل مع إيطاليا حتى لا تتعطل مصالحهم الى اتخاذ الدول التى لم تقرر فرض العقوبات الاقتصادية على إيطاليا كالنمسا قنطرة لتعاملهم مع إيطاليا ، وتقدم عملاء انكليز فى لندن نفسها رغم صرامة الحكومة البريطانية فى وجوب تنفيذ العقوبات الاقتصادية

---

(١) انظر « المقاطعة الدولية » لجيتشلز ، صفحتى ١٤٢ ، ١٤٣

على إيطاليا لمساعدة التجار فى تسهيل تصدير منتجاتهم سواء المواد الأولية أو المصنوعة الممنوعة إلى إيطاليا بطرق ملتوية ، كما نشر فى روما قائمة بأسماء الوسطاء الأمريكيين الذين يمكنهم استحضار الآلات الانكليزية على أن تستورد باعتبارها أمريكية أو نمساوية ، وذهب إلى حد تقرير أن التهريب التجارى لم ينقطع بين الإمم المعادية أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية عن طريق البلدان المحايدة وخاصة سويسرا رغم شدة العقوبات المفروضة على هذا النوع من التجارة الذى يتعارض مع المصلحة الوطنية وسلامة الدولة .

ونرى إذا أمعنا النظر فى سياسة المقاطعة فى مختلف العصور والأجواء كيف أنها اشتقت من الناحية العاطفية وتحولت إلى سلاح اقتصادى ماض، ونظراً لأهميتها وصعوبة تطبيقها تتطلب ضرورة سهر الدولة على تنفيذها عندنا ضد إسرائيل حتى نضمن نجاحها، ويتعين كذلك حض سائر أعضاء الجامعة العربية على اتباع نفس السبيل ، ثم لا ننسى وجوب إدراك أن المقاطعة ليست السلاح الحاسم والحل الدائم للموقف ، فهو علاج مؤقت اقتضته أزمة خطيرة ومصيره التبخر والزوال .

* * *

الناحية الشخصية للمشكلة

لا نقصد بالناحية الشخصية وجه العنصرية فيها فقد تناولنا هذه المسألة بالتحليل فى بحث سابق ، وهى أقرب إلى الناحية العاطفية منها الى أية ناحية أخرى ، وانما نرمى بالناحية الشخصية الى أثر الأشخاص وجهودهم وخاصة القادة والساسة في علاج مشكلة فلسطين .

عزا بعض الكتاب نجاح سياسة معينة أو تحرير أمة أو توحيد قومية الى كفاح رجل نابه أو نبوغ وطنى مؤمن بعقيدته أو دهاء سياسى واسع الحيلة أو قوة قائد شديد المراس يحمل قفازين من الحرير يكسوان يدين حديديتين ، ويقولون ان كفاية الرجال وعبقريتهم لها أثر بعيد فى انتشال الدولة من وهدتها وتحرير الشعب والدفع به بقوة الى الامام لبناء وطن عظيم ، وانه طالما أثر عظماء الرجال وعباقرتهم فى تغيير معالم التاريخ ، ويذكرون ماقام به الاسكندر وقيصر ونابليون من فتوحات، ويقولون كيف ان بسمارك تمكن بشخصيته ودهائه وشدة عزيمته وإيمانه بسياسة « الحديد والدم » لتكوين وحدة المانيا وسيطرتها على مجموعة الدول الأوروبية من أن ينشىء المانيا الموحدة ، وينصرف هذا الاعجاب أيضاً بشخصية الرجال إلى عزو تحقيق الوحدة الايطالية فى منتصف القرن الماضى إلى دهاء كافور السياسى الايطالى ومازينى موقد روح الوطنية هناك وجاريبالدى الجندى الايطالى المغامر ثم إلى الدور الخطير الذى لعبته قريبة السياسى والوزير كافور «الكونتس دى كاستجليون» Castiglione فى بلاط امبراطور الفرنسيين نابوليون الثالث ، وتأثيرها الساحر مدفوعة من كافور فى شخص الامبراطور المرهف الحس السابح فى الأحلام مما دفع به إلى تأييد الوحدة بكل قوته وكفاية الامبراطورية وتأثيرها السياسى ضد امبراطورية النمسا والمجر التى كانت تحتل إيطاليا فى ذلك الحين ، وينصب هذا الاعجاب كذلك بكفاية الرجال وتأثيرهم إلى القول بأن تحقيق استقلال تشكوسلوفاكيا بعد الحرب العالمية الأولى يرجع إلى نشاط « مازاريك » Mazaryk فى دوائر الحلفاء ومحافلهم السياسية وإلى جهوده الشخصية فى اجتذاب الحلفاء إلى صف الشعب التشيكى الذى كان يرزح تحت نير حكم امبراطورية النمسا والمجر ، ويتناول

الايمان بهذه الفكرة أيضاً القول بأن شخصية أتاتورك كان لها أكبر الأثر فى نجاح حرب الاستقلال فى الأناضول وفى إقامة صرح الجمهورية التركية الفتية ، وبان قوة غاندى الروحية وتمسكه بعقيدته فى أن تحرير الوطن الهندى يأتى عن طريق مقاطعة الانكليز وعدم التعاون معهم فضلا عن شخصيته النقية التى قوضت الامبراطورية البريطانية فى آسيا وساعدت إلى أبعد الحدود فى تحقيق استقلال الهند ، وما يقال فى هؤلاء العظماء يقال أيضا فى لينين وستالين ، ويقال كذلك فى شخصيتى وايزمان وبن غوريون وقبلهما هرتزل ونشاطهم فى تحقيق فكرة الوطن القومى لليهود وإنشاء دولة اسرائيل بصرف النظر عن نقاء هذه الفكرة فى ذاتها .

وعزا مفكرون آخرون النجاح ورقى الأمم إلى الباعث الاقتصادى وانه يسير الشعوب ويغير معالم التاريخ وهو الحافز إلى التطور ، وقالوا إن الباعث الاقتصادى هو مفتاح تقدم الانسانية وتطور وجه التاريخ ، وهو الذى نقل الانسان من البداوة إلى الحضارة . وبواسطته خرجت الانسانية من طور الأعمال اليدوية إلى طاحونة الهواء وساقية الماء فالى الانقلاب الصناعى وتغيير نظام الصناعات بانشاء المصانع الآلية الضخمة التى تضم عشرات الآلاف من العمال ، وانتقل الانسان من السياسة الاقتصادية التجارية ونظم الحماية والاحتكار إلى السياسة الحرة للطبيعيين فالاقتصاديين الحريين فى القرن الماضى فالى الاقتصاد الموجه اليوم ، وربطوا عجله التطور السياسى للانسانية بهذا التطور المادى . وجاءوا بأمثلة عديدة على الباعث الاقتصادى ، منها حرب الانفصال الأمريكية ، وانها فى ظاهرها معركة لتحرير العبيد قادها رجال الشمال بالولايات المتحدة ضد رجال الجنوب هناك ،وأهل الشمال أصحاب المصانع والصناعات

الآلية ويحتاجون إلى آلاف العمال بأجور معتدلة لمصانعهم أى يريدون الحرية الاقتصادية وتطبيق سياسة العرض والطلب وإقبال العمال على أبواب المصانع بما فيهم السود . فهم يرمون إلى تحرير العبيد لكى يفدوا إلى دور الصناعة دون عائق ، وأهل الجنوب أصحاب المزارع الواسعة للقطن وغيره يريدون بقاء الحال كما هو حتى لا ينصرف العبيد عن المزارع الواسعة وهم لا يعرفون غيرها ملاذا ومأوى إلى المدن للعمل فى المصانع بلا قيود أحرارا طليقين ، وأهل الشمال يريدون حركة تجارية واسعة النطاق أساسها الحرية وأهل الجنوب أصحاب اقطاعات واسعة وسادة ريفيون لا يريدون التنازل عن بذخهم وسلطانهم والأرض والعبيد وحياة الدعة والمرح بتحرير السود ، وقامت حرب الانفصال ١٨٦٠ — ١٨٦٦ لانهاء سياسة الرق هناك .

وانبرى مناهضون لشخصية الرجال ومدى انعكاسها فى مرآة السياسة ويقولون ان العالم كفاح طبقات دائم لتحرير الإنسانية ، وان النصر حليف الأكثر عددا والأسوأ حالا ، وان التطور باعثه الجماعات التى تجاهد فى سبيل تحسين أحوالها اقتصاديا ، وهى تبنى صرحها الاجتماعى والسياسى وفق تطورها الاقتصادى ، والرجال يخضعون لروح هذا التطور ، وقال المناهضون للتطور التاريخى المادى المذكور بأن رد كل تطور إلى السبب المادى فيه إنكار لشخصية الإنسان وكفايته ككائن حى راق ، وانه يمكنه أن يفعل ما يشاء وان هناك مؤثرات جمة تدفعه مصدرها العاطفة والضمير والميول والذكاء والدين والفضيلة والتحلى بكل ما ينآى بالانسانية عن الجشع والوحشية ، وان الانسان قد يغريه الجشع دون عائق إلى ارتكاب الغش والخداع والقتل ، بل والكيد للعدو

كرفع الراية البيضاء لاعطاء الامان ثم قتل الوفود القادمة للتفاوض فى حالة توقف القتال مؤقتا بين المحاربين ، ولكنه لا يقدم على هذا العمل بدافع من الناحية الحسنة التى تمثل ضميره ووجدانه ، وانه ليس هناك ما يدفعه نحو الإحسان غير أنه يقدم إلى عمل الخير بوازع من ضميره .

وقال المناهضون للمادية التاريخية ان الكفاح وما ينجم عنه من صراع ليس كل هدف الانسان فى الحياة ، فهناك ناحية التعاون والتضامن ولم تسلم الانسانية من صدام شديد ولكن لم تفارقها روح الخير وما تحض عليه الأديان من تحاب بين البشر ، واقد زعم « ماركس » وهو صاحب مبدأ المادية التاريخية بأن الناس فى كفاحهم يسيرون نحو إحلال الملكية الجماعية محل الملكية الفردية تمشيا مع الانتاج الجماعى القائم على الانقلاب الصناعى وتسخير قوى الطبيعة والآلات واستخدام آلاف العمال الذين يحشدون فى المصانع ، وقد كانت الصناعة قديما يدوية ويباشر العمل فيها نفر من العمال يعدون على الأصابع وعلى رأسهم رب العمل وربحه ضئيل والفارق بسيط بينه وبين « الأسطى » فى « ورشته » ، وتركزت اليوم الصناعات وصار كل مصنع يضم زرافات العمال وأرباحه تباعد الشقة بين العامل ورب العمل ، وينتهى الكفاح قريبا بزوال هذه الفوارق وبفوز العمال بالملكية الجماعية للشركات والمؤسسات الكبرى للاحتكارات والكارتل Cartel والترست Trust ، ولكن ما توقعه ماركس فى المستقبل لم يتحقق فالشركات اليوم أقوى منها فى زمن ماركس ، وقد اتسع نفوذها فى الميدانين المحلى والدولى .

ويمكن القول بأن الفكرتين لها اعتبارهما ويحسن التوفيق بينهما ، فلا يمكن من ناحية إنكار القوة الكامنة للعبقرية الانسانية التى تخلق الجهود

وتغرس باستمرار شجيرات التقدم والرقى الانسانى ، ولا يمكن إنكار الابتكار والابتداع وتضحيات الرجالى ، والتاريخ من صناعة الرجال ، وللمؤثرات المعنوية والثقافية قيمتها فى حياة الأفراد والجماعات ، كما لاينكر بحال أثر البيئة الاقتصادية وخاصة الجماعة وان هذه البيئة ثمرة التطور الاقتصادى ولا تصبح الجماعة على استعداد للسير فى ركاب العظماء إلا إذا صادفت دعوتهم حاجة لدى الشعوب واستعدادا لقبولهـــا ، وهؤلاء العظماء بين رجال هم مثل عليا للانسانية ومنقذون عاملون لرفع شأن الانسانية بصفة عامة والفرد وهو عضو الجماعة بصفة خاصة وجعل عيشه جديرا بحياته التى يحياها ، وإن النبوغ وثيق الصلة بالوسط الاجتماعى والاقتصادى ، ويحسن ادماج الفكرتين وتعليق مصير كل على الأخرى فاليهودية وفكرة الواجب والبوذية وفكرة النظام والطاعة والمسيحية وفكرة الرحمة والسلام والاسلام وفكرة المساواة والعدالة والديموقراطية والروح السمحاء — كل هذه الأفكار لها أثرها فى تكييف الشعوب التى اعتنقها ، وتحيط بها ظروف اقتصادية ساعدت على نشر دعوتها ، ويمكن أن يتخذ هذا التحليل أيضا سبيلا نسير فى هداه لبيان تطور النظم السياسية من مطلقة إلى ارستقراطية إلى ديموقراطية وتقلباتها على الدوام ، فالوسط والحاجة الاقتصادية مع كفاية أنصار هذه النظم والزعماء تدفع إلى التطور المستمر .

وهكذا نرى كفاية الرجال تسير الجماعات وترفع بها إلى ذروة الرقى كما قد تدفع بها نحو التدهور ، وهذه الجماعات لها تراثها وبيئتها ونظمها التى نرى فيها بين الحين والحين العيوب فننشد الاصلاح ، ونحن نولد وفوق اكتافنا ميراث القرون ، وتتفاعل عبقرية الرجال مع الوسط والحاجة

الاقتصادية والسياسية فى سبيل تطور الانسانية .

نستخلص من البيان السالف أن تنظيم كفاحنا فى سبيل حل مشكلة فلسطين لصالح الشعوب العربية التى اعتدت عليها الصهيونية تعده كفايات رجال الكفاح وعبقرياتهم ومدى ايمانهم بفكرتهم ، وتنادى به الحاجة الاقتصادية الملحة والوسط العربى المثخن بجراح الصهيونية المتجنية المعتدية ويتعين تآزر هاتين الفكرتين الفلسفيتين لنجاح الكفاح وتحقيق مآرب العرب بحل هذه المشكلة حلا يتفق مع وحدتهم وتحررهم من الاستعمار ، وهذا الكفاح لن ينجح بالاعتماد على شخصيات خارجية فحسب بل يخرج من تربة الوطن العربى ، فأن مهاجمة رجل كبيفن Bevin من أقطاب العمال سالفا للسياسة الصهيونية حينما تولى وزارة الخارجية البريطانية فى وزارة العمال فى السنوات الأخيرة قبل فوز المحافظين بالأغلبية فى الانتخابات وتقلدهم الحكم وتحذيره إسرائيل من تماديها فى سياسة العدوان والاعتداء على العرب وميله لانصاف العرب لا يكفى وحده كسلاح لنصرة قضية العرب العادلة فى فلسطين ، كما أن محاربة الساسة الانكليز المحافظين وعلى رأسهم تشرشل أو الأمريكيين كترومان Truman وغيره من أقطاب الحزب الديموقراطى فى الولايات المتحدة (وقد فقدوا الرئاسة والأغلبية فى الانتخابات) واضطهادهم للعرب ولوحدتهم ومحاباتهم لاسرائيل وحمايتها فى اعتداءاتها المستمرة على فلسطين العربية والعروبة يجب ألا تثنينا عن الكفاح فى سبيل نصرة الحق فى النهاية فى فلسطين ، ففى كفاحنا هذا انتشال للعروبة من الوهدة التى تردت فيها بتآمر الاستعمار عليها وتحقيق لأثمن ما تصبو اليه الأنسانية ، وهى الحرية التى لاتشوبها شائبة من التسلط .

* * *

الناحية السياسية للمشكلة

يعنى بالناحية السياسية فى المشكلة ألا تغفل الدول العربية من الحساب عند محاولتها دراسة مستقبل فلسطين أهمية المنظمات الدولية والأمم المتحدة وميثاقها فى الكفاح ضد إسرائيل وألا يساورها اليأس فى هذا الشأن، وأن تعمل ما فى وسعها لتهيئة الجو السياسى الدولى لصالحها، وأن تخطب ود الدول على اختلاف نزعاتها ومشاربها، وأن تسبر غورها وتعجم عودها، لتكسبها فى صفها كلما حزب الأمر واستحكم الخلاف وطرح النزاع بينها وبين إسرائل لفحصه دولياً، وأن تحاول بمختلف الأساليب السلمية ومنها الإغراء وتبادل المصالح فى حدود المحافظة على كيانها واستقلالها تقوية جبهتها بين أسرة الدول ضد إسرائيل، وأن تندمج فى تيار المحيط الدولى وتساير هذا التيار وتمشى فى طريق انحداره بدلا من محاولة الصعود إلى الجهة العكسية المضادة، وأن تساهم فى النشاط السياسى العالمى وفى معالجة شتى المشكلات الدولية لتظهر بمظهر الجد فى ميدان العلاقات السياسية الدولية.

ويحسن قبل الإقدام على خطوات جدية فى كفاحها المرير لنصرة قضية فلسطين العربية أن تضمن إلى جانبها عدداً من الأصدقاء بدلا من محاولتها بالاستفزاز جلب طائفة من الأعداء ووقوف هؤلاء الأعداء فى وجه أمانيها، وإن من الكياسة فى السياسة أن نجذب إلينا الاصدقاء لا أن نزيد فى عدد الأعداء فنضاعف مشكلاتنا ونزيد أعباءنا وننوء بحملها، ويتكتل ضدنا لا الخصوم فقط بل المحايدون الذين أهملنا كسبهم لصفنا فى الظروف المواتية، والسياسة كر وفر ومناورات ومداهنة

واقتناص للفرص وعرض مستمر للمشكلات التى تتطور وفق الحوادث وتحفز لرد كيد الكائدين إلى نحورهم والتمشى مع الجو والوسط وتوقع الخطر والشر المستطير ، وهكذا نراها دائمة الحركه والتطور تتطلب من رجالها اليقظة والحذر فى غير تصنع أو مبالغة ، واللين مع المحافظة على مصالح البلاد والنظر إلى المستقبل القريب والبعيد بعيون يواقظ فلا تعالج الأمور بيومها وليك بعد ذلك ما يكون ، ويحسن تحمل أعباء ومستقبل الأجيال القادمة بشجاعة ، وكأن المشتغل بها يقول : « لو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت إذ لو أرخوا شددت ولو شدوا أرخيت » .

ويتعين فى مجراها الخضم العجاج أن يقود ربان السفينة دفتها بحنكة مع الجرأة فلا نقف وسط المحيط ولا نقدم على التهلكة ونرتمى فى أحضان الدمار ، ويتعين على كبار المسئولين أن يعطوا القوس باريها ليسدد الرمى ويصيب الهدف ، وعليهم إذا أرادوا أن يدخلوا فى أمر من الأمور أن يتروا ويزنوا الموقف حتى يحسنوا الخروج منه وأن يحسنوا النظر فى رسلهم فبالرسول يستدل على حال المرسل ، ومن أهم خصال الرسول الذى سينطق بلسانهم رجاحة العقل ورباطة الجأش وتمييز الأمور مستقيمها من معوجها والأمانة والعفاف لئلا يخون مرسله .

ويتوفر لدى الدول العربية الفرص الجمة لعلاج مشكلة فلسطين بما يضمن فوز وجهة نظرها فى الميدان الدولى على دعايات إسرائيل المغرضة ونشاطها الخطر ، ويمكن أن نذكر فيما يلى بعض أمثلة هذه الفرص :

١ — فى نطاق الأمم المتحدة : ان ميثاق الأمم المتحدة فى ديباجته يؤيد تمسك شعوب هذه الأمم باهداب السلام ، وقد جاء فيه هذا النص « وأن نؤكد من جديد ايماننا بالحقوق الاساسية للانسان وكرامة الفرد

وقدره وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية، وان نبين الأحوال التى يمكن فى ظلها تحقيق العدالة والالتزامات الناشئة من المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولى »، وكذلك جاء فيه «وان نضم قوانا كى نحتفظ بالسلم والامن الدولى »، وأيضا « وان نكفل بقبولنا مبادىء معينة ورسم الخطط اللازمة لها عدم استخدام القوات المسلحة فى غير المصلحة المشتركة »، وأيضاً « وان نستخدم الاداة الدولية فى ترقية الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعها »، وجاء فى الفقرة الرابعة من المادة الثانية « يمتنع أعضاء الهيئة جميعا فى علاقاتهم الدولية عن ان يهددوا باستعمال القوة أو يستخدموها ضد سلامة الأراضى أو الاستقلال السياسى لأية دولة، أو على وجه آخر لا يتفق مع مقاصد الأمم المتحدة .»، وجاء فى المادة الخامسة من الميثاق «يجوز للجمعية العامة ان توقف أى عضو اتخذ مجلس الامن قبله عملا من أعمال المنع أو القسر عن مباشرة حقوق العضوية ومزاياها ... » والمادة السادسة « إذا أمعن عضو من أعضاء الأمم المتحدة فى انتهاك مبادىء الميثاق جاز للجمعية العامة ان تفصله من الهيئة ... »، وجاء فى الفقرة الثالثة من المادة الحادية عشرة « للجمعية العامة ان تسترعى مجلس الامن إلى الأحوال التى يحتمل ان تعرض السلم والامن الدولى للخطر ... »، وجاء فى الفقرة الثانية من المادة الثانية عشرة « . . . يخطر الأمين العام بموافقة مجلس الامن الجمعية العامة فى كل دور من أدوار انعقادها بكل المسائل المتصلة بحفظ السلام والامن الدولى التى تكون محل نظر مجلس الامن، كذلك يخطرها أو يخطر أعضاء الأمم المتحدة إذا لم تكن الجمعية العامة فى دور انعقادها بفراغ مجلس الامن من نظر تلك المسائل وذلك بمجرد انتهائه منها »، ونصت

المادة الثالثة عشرة على اختصاصات الجمعية العامة للأمم المتحدة وضمنها « انماء التعاون الدولى من الميدان السياسى » ، وذكرت المادة الخامسة والعشرون تعهد أعضاء الأمم المتحدة « بقبول قرارات مجلس الامن وتنفيذها وفق هذا الميثاق » ، ورسم الميثاق وسائل فض المنازعات بين الدول سلمياً وضروره علاجها عن طريق المفاوضات والتحقيق والوساطة والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية لا امتشاق الحسام وإسالة الدماء ، وجاء فى الفقرة الثانية من المادة ٣٣ ان مجلس الامن يدعو « اطراف النزاع إلى أن يسووا ما بينهم من النزاع بتلك الطرق إذا رأى ضرورة ذلك » أى بالطرق السلمية المذكورة آنفاً ، وجاء فى المادة ٣٤ « لمجلس الامن ان يفحص أى نزاع أو أى موقف قد يؤدى إلى احتكاك دولى وقد يثير نزاعا لكى يقرر إذا كان استمرار هذا النزاع أو الموقف من شأنه ان يعرض للخطر حفظ السلم والامن الدولى » ويرسم الميثاق الوسائل التى تتبع لطرح النزاع على مجلس الأمن أو إبلاغ الجمعية العامة للأمم المتحدة فى حالة إخفاق الدول فى حله سلمياً ، وذكر الميثاق ما يتخذ من الأعمال لوضع حد لحالات تهديد السلم والاخلال به ووقوع العدوان سواء فيما يختص بإجراءات الحيلولة دون التمادى فى العدوان أو فيما يختص بردع المعتدى أو توقيع الجزاء عليه ، وجعلت الجزاء فى صورة عقوبات سياسية بقطع العلاقات الدبلوماسية أو عقوبات اقتصادية وتحريم التعامل مع الدولة المعتدية أو التى ترفض تنفيذ قرارات مجلس الأمن ، وقد تذهب العقوبات إلى حد الاتفاق على إقامة مظاهرات عسكرية ضدها وتأليب الرأى العام الدولى على أعمالها العدوانية وفرض حصر بحرى وجوى وبرى عليها لمنع تعاملها مع الغير ، ثم قد يصل الأمر إلى تجريد

حملات حربيـة باسم الأمم المتحدة لإيقاف الاعتداء ورد الأمور إلى نصابها وإعادة استتباب السلام .

وهناك طائفه من المنظمات الاقتصادية والمالية والاجتماعية والثقافية تتفرع من ميثاق الأمم المتحدة وتبدى نشاطا ملحوظا فى تعاون البشرية ودراسة المشكلات الاقتصاديه والاجتماعية والثقافية التى تحول دون تقدم بعض الجماعات بل تجعلها دائمة متخلفة عن غيرها ، وهى خير ميدان لنشاط الدول العربية فى سبيل التعاون الانسانى الدولى وخاصة فيما يتناول رفع مستوى المعيشة والكسب وضمان الرزق للمواطنين ويضاف إلى الميثاق أيضا « الميثاق الدولى لاعلان حقوق الإنسان » الذى صدر فى ديسمبر ١٩٤٨ وهو يسوى بين الناس وبين الرجل والمرأة فى الحقوق والكسب ويخلع على الانسان علاوة على الحريات القانونية والسياسية طائفة من الحريات الاقتصادية ويكفل له كسب قوته مع الكرامة ويوفر المعاش لأسرته وأبنائه ويضمن العدالة الاجتماعية بين الناس فى حدود طاقة شتى البلدان التى وقعت هـــذا الميثاق ، والفرص مواتية للشعوب العربية كى تسدد ضرباتها المشروعة إلى إسرائيل عن طريق الميثاق ومنظماته ومشتقاته ، وإسرائيل فى عدوانها دائبة على الاستهتار بكافة الاعتبارات الدولية والقواعد الانسانية والأمثلة على ذلك لا تحصى ونذكر على سبيل المثال أنها تطبق فى أراضيها مبدأ التفريق العنصرى بين الاسرائيلى والمسلم وتحرم على الأخير التنقل بحرية كما تحدد له جهات اقامته وتحاربه فى كسب عيشه وفى ملكه ، ولا تجيز له الالتحاق بمعظم وظائف الدولة لا سيما البارزة منها وتفرض عليه قوانين تتعارض مع نظام أحواله الشخصية والشريعة الاسلامية ، والخلاصة أنها تجعله فى عداد المنبوذين ، فى حين أن

دستورها فى عباراته يأخذ بأحدث المبادىء الديموقراطية وبأفضل القواعد الدستورية السليمة التى تدافع عن حريات الانسان وتقيه الاعتداء على شخصه ومسكنه وعقيدته وآرائه وملكه ، غير أن هذه المبادىء صارت مقصورة هناك بحكم تعصب الصهيونية على اليهود دون غيرهم كما تلاشت تجاه الروح الفاشية العسكرية للدولة .

وذرا للرماد فى العيون وكسبا لعطف الغرب وتقديره تعمد إسرائيل إلى إبداء نشاط ملحوظ فى الأمم المتحدة ومنظماتها ، ويمكن للدول العربية وهى أعضاء فيها أن تكيل الصاع صاعين بمضاعفة نشاطها ومواصلة علاج المشكلات الانسانية فى ضوء التطور مع طبيعة الروح الاسلامية السمحاء واستعدادها القوى دون أن تفقد شخصيتها وتسعى إلى تفهم روح الغرب والأخذ بوسائل تقدمه ، ويمكنها كذلك أن تتفوق على إسرائيل فى مضمار التعاون والبحث الفنى فى المنظمات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للامم المتحدة التابعة للمجلس الاقتصادى والاجتماعى وكذلك فى مجلس الوصاية ومحكمة العدل الدولية .

٢ — فى نطاق الجامعة العربية : أن ميثاق جامعة الدول العربية اداة قوية لتنظيم شئون العرب وجمع شمل الدول العربية الداخلة فى الميثاق وتوحيد كلمتها وتنظيم خطط دفاعها عن مصالحها، ولسنا فى مجال بحث عيوب الميثاق وأسباب وضعه وما أحاط بالصياغة أثناء الحرب العالمية الثانية من عوامل ، وهل يؤدى إلى غرضه ، وهل تؤمن الشعوب العربية التى تدخل دولها فى الميثاق وتلتئم حكوماتها تحت رايته بجامعة الدول العربية وهى جامعة حكومات أكثر منها جامعة شعوب أو لا تزال متشككة فيه تنظر إليه بعين الريبة والحذر أو على الأقل تقف منه موقف المتفرج فى غير

حماس ؟ فكل هذا خارج عن دراساتنا الحالية . وأمامنا ميثاق يعطى الدول العربية المنضمة إليه الفرصة فى إقامة جبهة متحدة لمواجهة الأخطار وما تتلقاه من تهديدات وعدوان من الخارج ، وواجبها سياسيا الاتدع الفرص تفوتها وأن تستخدم هذا الميثاق فى الذود عن حوضها . (١)

---

(١) بذلت محاولات قبل إنشاء جامعة الدول العربية ، وكذلك بعد قيام الجامعة وتزعم مصر لدولها فى سبيل إنشاء اتحادات من بعض الدول العربية خارج نطاق الجامعة ، وهذا الوضع لايتعارض فى ظاهره مع قيام جامعة الدول العربية ، فالمادة التاسعة من ميثاق الجامعة تجيز لدول الجامعة العربية إذا ارادت أن تعقد فيما بينها ماتشاء من الاتفاقات فى سبيل تعاونها وتوثيق روابطها خارج نطاق ميثاق الجامعة ، وهذه الاتفاقات لا تلزم الأعضاء الآخرين الذين لم يشتركوا فيها ، إلا أن هدف مثل هذه الاتفاقاف التى غالبا مايحركها الاستعمار أو المطامع السياسية قبل قيام جامعة الدول العربية إرضاء أمراء العرب الذين وعدوا فى مراسلات الأمير حسين ما كماهون بانشاء دولة عربية متحدة بزعامة الأسرة الهاشمية أو إنشاء جبهة فى صف الديمقراطية الغربية لتهدئة الحالة فى الشرق الأوسط يوم كانت رحى الحرب العالمية الثانية تدور فى غير صالح الدول الغربية ، والهدف من هذه الاتحادات الجزئية بعد قيام جامعة الدول العربية تشتيت شملها وإضعاف قوتها المعنوية والمادية ونقل الزعامة من مصر إلى ناحية أخرى فى الشرق الأوسط .

ومن أهم هذه المحاولات الدعوة لمشروعى سوريا الكبرى والهلال الخصيب ، ومشروع سوريا الكبرى يتلخص فى إنشاء اتحاد من بلدان الشام سابقاً أى من سوريا ولبنان والأردن وجزء من فلسطين ، وقد شجعت انكلترا على قيام هذا الاتحاد أثناء الحرب العالمية الثانية , ونشط الملك عبدالله وكان أميراً على شرق الأردن فى الدعوة له ، ثم استمر فى سبيل الكفاح لتحقيق الفكرة بعد أن توج ملكا على الأردن فى ٢٥ مايو سنة ١٩٤٦ ، ومشروع

الهلال الخصيب وهو لصالح الأسرة الهاشمية ويزعم بعض الكتاب أن كل من انجلترا والولايات المتحدة تحبذانه يتلخص فى توسيع نطاق الاتحاد المذكور الى العراق واشتراك المملكة العراقية فى هذه الوحدة مما يجعلها زعيمتها وصاحبة الكلمة العليا فيها ، وفى كلتا الحالتين يمكن للسياسة الانكليزية أن تسير أمور الشرق الأوسط بأسهل وأخصر طريق وكما تشتهى ، إذ يتراءى لها ان فى هذا التدبير مايقرب وجهات النظر فى الشرق الأوسط إلى مصالحها ، وذهبت المحاولات إلى حد تقريب هذه الكتلة الجديدة من تركيا مع عزل بقية أعضاء الجامعة العربية ، وفى كلتا الحالتين تتزعم الأسرة الهاشمية الاتحاد أو على الأقل تقوده ، ويدعى المدافعون عن المشروعين من الكتاب فى الغرب أنه يساعد على تحقيق أحلام العرب فى تكوين دولة اتحادية كبرى ، ويقول البعض فى صدد الهلال الخصيب انه يلغى الحواجز الجمركية بين أعضائه مما يشجع على تعاون شعوبه اقتصاديا وشحذ رأس المال فى سبيل الإنعاش الاقتصادى الجماعى هناك ويحقق استقراراً سياسيا واقتصاديا يساعد على تقدم البلاد ويجذب رأس المال الأجنبى اليها . وفى هذه الحالة تهطل عليها مزايا المعونة الأجنبية ، وخاصة النقطة الرابعة ، والخلاصة أن مشروع الهلال الخصيب هو لتنظيم ديار العرب ووضع الأمور فى موضعها الصحيح هناك فى زعم « فراى » وغيره من الكتاب فى الغرب .

وعارضت لبنان معارضة قوية فى أى اتحاد يؤثر فى استقلالها ولم تقبل الفكرة فى أى وضع من أوضاعها وذلك فى شتى المراحل التى مرت فيها منذ بزوغها فى أوائل الحرب العالمية الثانية ، كما عارضت سوريا فيها ووقف الساسة هناك موقفا فى مجموعه ضدها رغم ميل بعض أصدقاء الأسرة الهاشمية وخاصة الملك عبد الله اليها ، وقال بعض الزعماء هناك فى سنة ١٩٤٤ أثناء بحث إنشاء جامعة الدول العربية ومحاولة شرق الأردن إثارة إنشاء سوريا الكبرى إن سوريا تتمسك بالنظام الجمهورى وان تحقيق سوريا الكبرى

يكرن بضم الأردن اليها فهى لا تزيد عن أنها مقاطعة من مقاطعات جنوب سوريا فى ظل حكم فيصل هناك قبيل هزيمته على يد فرنسا وتثبيت أقدام الانتداب الفرنسى على سوريا ، وبديهى ان هذا الوضع لم يشجع الامير عبدالله فى الاستمرار فى الكفاح لتحقيق مشروعه الذى قيل عنه أيضا انه يرمى فيه إلى التربع على عرش دمشق ومعنى هذا وإمارة شرق الأردن تمول ميزانيتها انكلترا كما تدرب جيوشها وتشرف عليها وكذلك توجه سياستها جعل سوريا منطقة نفوذ بريطانية مما لم يشجع حكومة الجمهورية الفرنسية على تأييد المشروع ، وذهب رئيس الجمهورية السورية فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٠٧ إلى أبعد مدى فى محاربة المشروع فنعت جهود الأردن فى سبيل الوحدة بأنها لتحقيق أطماع ملك الأردن الشخصية » وإذا كانت الأردن تريد حقا وحدة فليندمج شعبها فى الوطن الام سوريا وليقبل فى الوضع الجديد نظام الجمهورية الحرة » .

ووضح لكثير من ساسة العرب خطر مشروع الوحدة فى صورتيه السابقتين فهو إيذان بهدم الجامعة العربية أو على الأقل إضعاف شأنها وتشتيت وحدة فريق من أعضائها . وذهب كثيرون إلى القول بأن المشروع هو تحويل عقرب النفوذ الأجنبى فى دمشق الى انكلترا فى حين أنها قد تنفست الصعداء بأنهاء النفوذ الفرنسى ، كما لم ينظر ساسة سوريا إلى احتمال اشتراك تركيا بطريق غير مباشر فى الاتفاق فى المستقبل بعين الرضا وهم لم ينسوا أن تركيا انتزعت من الوطن السورى منطقة الاسكندرونة دون رضا سوريا وبمفاوضات مباشرة مع فرنسا صاحبة الانتداب هناك فى ذلك الوقت . ورأى الشعب السورى فى الوحدة المذكورة خطراً داهما يهدد حرياته فليس هناك تجانس بين نظام بلاده الديمقراطى الجمهورى ونظام مملكة الأردن ببرلمانها الذى يسيطر عليه الملك فى عمان وهو فى الوقت نفسه صاحب الدعوة للوحدة ومتزعم الحركة وكسبه كبير منها

ولم يك من السهولة بمكان تحقيق فكرة الهلال الخصيب نظرا لاحتمال

وجاء فى ديباجة الميثاق ما يفسر بوضوح غرضها المتحد ، فذكرت « تثبيتا للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة التى تربط بين الدول العربية وحرصا على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها وتوجيها لجهودها إلى مافيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وآمالها واستجابة للرأى العربى العام فى جميع الأقطار العربية ، قد اتفقوا على عقد ميثاق لهذه الغاية . . . » ، والميثاق ميدان فسيح لجهاد العرب وجهودهم فى سبيل إصلاح أحوالهم وتأمين مستقبلهم وتحقبق أمانيهم وآمالهم ، كما تنص على ذلك المادة الأولى من الميثاق فتقول « تتألف جامعه الدول العربية من

= جلوس الملك فى بغداد على عروش سائر الأعضاء فى هذا الاتحاد فى المستقبل مما يتعارض مع النظام الجمهورى فى سوريا ولبنان وكذلك نظراً للمعاهدات المبرمة بين العراق وانكلترا وما يترتب عليها من أعباء لا يقرها سائر الاعضاء المزمع دخولهم الوحدة . ويضاف الى ذلك أن مصر والمملكة السعودية لم ينظرا بعين الطمأنينة الى الوحدة بوجه عام فهى خطر يقضى على الجامعة العربية ، ويؤدى بدلا من تضامن العرب إلى إنفراط عقدهم . وهو اعتداء صارخ على المادة ٨ من ميثاق جامعة الدول العربية وهى تقول « تحترم كل دولة من الدول المشتركة فى الجامعة نظام الحكم القائم فى دول الجامعة الأخرى وتعتبره حقا من حقوق تلك الدول وتتعهد بأن لا تقوم بعمل يرمى الى تغيير ذلك النظام فيها » ، وهذه المادة كما هو واضح من النص تحرم تدخل أحد أعضاء الجامعة من نظام الحكم لسائر الاعضاء ، والدعوة لتحقيق سوريا الكبرى أو الهلال الخصيب بواسطة الأردن وغيرها تقوم على غير رغبة الأهلين فى سوريا ولبنان

فيما يختص بمشروعى سوريا الكبرى والهلال الخصيب يمكن الرجوع الى كتاب « الشرق الاوسط والدول الكبرى » نشر بمعرفة فراى ، ووضع مقدمته الدكتور بنش ، جزء واحد لندن ١٩٥١ . من صفحة ١٣٧ الى ١٧٧

« The Near East & The Great Powers » edited by Richard Frye. Introduction by Ralph Bunche I vol, Harvard 1951 page 137 to 177

الدول العربية المستقلة الموقعة على هذا الميثاق ، ولكل دولة عربية مستقلة الحق فى أن تنضم إلى الجامعة فإذا رغبت فى الانضمام قدمت طلبا بذلك يودع لدى الأمانة العامة الدائمة ويعرض على المجلس فى أول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب ، وحددت المادة الثانية اغراض الجامعة فقالت «الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها ، ثم بينت نفس المادة بدقة بعض نواحى التعاون وفق نظم كل عضو من الأعضاء وأحواله فضمت هذه النواحى : ١ - الشئون الاقتصادية والمالية ويدخل فى ذلك التبادل التجارى والجمارك والعملة وأمور الزراعة والصناعة ٢ - شئون المواصلات ويدخل فى ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد ٣ - شئون الثقافة ٤ - شئون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين ٥ - الشئون الاجتماعيه ٦ - الشئون الصحية» وبنيت المادة الثالثة كيفية تأليف مجلس الجامعة الذى يدير شئونها ولكل عضو فيه من دولها صوت مهما يكن عدد ممثليها ، ومهمة المجلس تحقيق أغراض الجامعة ومراعاة تنفيذ ما تتفق عليه الدول المشتركة فى الجامعة وتقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية لكفالة الأمن والسلام وتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ، وفى هذا النص ما يساعد الدول العربية الأعضاء فى الميثاق على أن تبذل الجهود وتقتنص الفرص وتواصل السعى كى تبسط للعالم المتمدين فى كل مناسبة أخطار الصهيونية واعتداءات اسرائيل وضررها المحقق فى الشرق الأوسط وخطرها على السلام ، وجاء فى المادة الخامسة أيضا ما يؤيد وجوب تدخل المجلس في كل ما يخل

بالامن فقالت «ويتوسط المجلس فى الخلاف الذى يخشى منه وقوع الحرب بين دولة من دول الجامعة العربية وبين دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها للتوفيق بينهما ، وتصدر قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط بأغلبية الآراء» ، وجاء فى المادة السادسة من الميثاق بخصوص الاعتداء «إذا وقع اعتداء من دولة على دولة من أعضاء الجامعة أو خشى وقوعه فللدولة المعتدى عليها أو المهددة بالاعتداء ان تطلب دعوة المجلس للانعقاد فوراً ، ويقرر المجلس التدابير اللازمة لدفع هذا الاعتداء ...» ، ويستخلص من كل هذا إن لمجلس الجامعة أن يتخذ القرارات التمهيدية من الأعضاء المترتبة على الاعتداء ، ثم له ان يرفع الأمر وفق ميثاق الأمم المتحدة لمجلس الامن للمبادرة فوراً إلى إيقاف الاعتداء وردع هذا المعتدى حتى لا يضطرب حبل السلام العالمى .

وجاء فى الميثاق الذى صدر فى ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ ملحق خاص بفلسطين ، وكانت رحى القتال فى الحرب العالمية لا تزال دائرة ولم يك الانتداب البريطانى قد انحسر عنها ولم تك دولة اسرائيل قد قامت بعد ، وهو عبارة عن تحفظ يقر الأمر الواقع الخاص بأنه بانسلاخ فلسطين من الدولة العلية بعد الحرب العالمية الأولى وترك أمورها لأصحابها وفق معاهدة لوزان التى ألغت معاهدة سيفر بعد انتصار الأتراك فى حرب الاستقلال وعدم تقرير نظام ثابت لها أساسه الاعتراف باستقلالها وفق مشيئة السكان هناك — كل هذه العوامل القاهرة التى لا ارادة لأبناء البلاد فيها وهى بمثابة القيود الحديدية التى تغل حرياتهم وتعوق تقدمهم ورفاهتهم وتحرمهم من حقهم الطبيعى فى الحياة الحرة الأبية بين أسرة الدول المتمدينة لا يكون لها تأثير بتاتاً فى اشتراكها أي فلسطين العربيه القحة فى أعمال مجلس الجامعة .

وهذا نص الملحق الخاص بفلسطين « منذ نهاية الحرب العظمى الماضية ، سقطت عن البلاد العربية المنسلخة من الدولة العثمانية ومنها فلسطين ولاية تلك الدولة وأصبحت مستقلة بنفسها غير تابعة لأية دولة أخرى ، وأعلنت معاهدة لوزان ان أمرها لأصحاب الشأن فيها ، وإذا لم تكن قد مكنت من تولى أمورها فأن ميثاق العصبة فى سنة ١٩١٩ لم يقرر النظام الذى وضعه لها إلا على أساس الاعتراف باستقلالها ، فوجودها واستقلالها الدولى من الناحية الشرعية أمر لاشك فيه ، كما انه لاشك فى استقلال البلاد العربية الأخرى ، وإذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لأسباب قاهرة فلا يسوغ ان يكون ذلك حائلا دون اشتراكها فى أعمال الجامعة، ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية انه نظراً لظروف فلسطين الخاصة وإلى أن يتمتع هـذا القطر بممارسة استقلاله فعلا يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربى من فلسطين للاشتراك فى أعماله » ، ومجال العمل أمام الجامعة فسيح فيما يختص بعلاج مشكلة فلسطين دوليا ، ويتطلب الأمر تضافر جهودها وتنسيقها ورسم سياسة موحـــدة لها فى ظل ميثاق جامعة الدول العربية والأمم المتحدة لكيل الصاع صاعين لاسرائيل . (١)

---

(١) من الوسائل التى اتبعت أخيراً لاضعاف شأن الجامعة العربية وتشتيت وحدة الأعضاء وإفساد خططها ومشروعاتها إنشاء محور أنقرة — كراتشى أى تكوين حلف من تركيا والباكستان، وكلا الجمهورية التركية وباكستان الفتية تتمتعان بمساعدة الديموقراطية الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية بكافة أنواع المساعدات من مالية ومعدات دفاع وأسلحة ومعونة فنية لانشاء الصناعات الخ ، وذلك نظير إنحيازهما الى المعسكر الغربى , وتركيا عضو فى حلف

الاطلنطى وكذلك فى الاتحاد الأوروبى , والباكستان حصلت أخيراً نظير إنقيادها الى عجلة الدمقراطية الغربية على الأسلحة التى تتعطش اليها لتدعيم جيشها من الولايات المتحدة الأمريكية بلامقابل .

وبدأت جهود تكوين محور كراتشى أنقرة منذ أوائل عام ١٩٥٤ ومساعى الباكستان الى الحصول على أسلحة من الولايات المتحدة الأمريكية ، وثمن هذه الأسلحة عقدهذا الحلف لجرها إلى المعسكر الغربى والاشتراك معه اشتراكا فعالا فى الحرب القادمه بالتعاون مع تركيا وهى الحليف الأقدم منها للغرب ، والغرض من الحلف التفاهم التام سياسيا واقتصادياً وتنسيق جهود الحليفتين فى هذا الصدد كما جاء فى البلاغ المشترك للحكومتين التركية والباكستانية الصادر بتاريخ ١٩ فبراير سنة ١٩٥٤ , ان الحكومتين قد اتفقتا على دراسة وتنفيذ الوسائل المؤدية الى دعم التعاون الودى بينهما فى المجالات السياسية والاقتصادية والتعاونية ، كما اتفقتا على دعم الأمن والسلام لمصلحتهما الخاصة ، وكذا لمصلحة الشعوب المحبة للسلام » وكما جاء فى تصريح رئيس الحكومة الباكستانية بشأن هذا الحلف « إن الغرض الوحيد منه هو المساهمة فى دعم السلم فى حدود طاقتنا وذلك لمصلحة جميع الدول » ، والدول المحبة للسلام هنا هى دول الجبهة الدمقراطية الغربية باعتبار ان هذا الحلف متمم لحلف الاطلنطى ولخطط الدفاع عن أوروبا والبحر الأبيض المتوسط ، وفى هذه الحالة يتعين أن يسير تأييد الباكستان وتركيا لمصر والعرب فى حدود سياسة المحور الجديدة وهذه السياسة تتمشى وأهداف الجبهة الدمقراطية الغربية وتنسيق وسائل دفاعها فى المستقبل

ولا شك ان هذا الحلف يلاقى كما صرح ساسة الولايات المتحدة الأمريكية ترحيبا حاراً ، كما ان انجلترا تعتبره بمثابة تطمين لها فى إطالة إقامتها وبسط نفوذها فى الشرق الأوسط وهو من الوسائل التى تدعم بواسطتها خططها فى ضفة قناة السويس واحتلالها للأراضى المصرية قسراً هناك ، فهذا المحور هو خطوط الدفاع الأولى فى اعتبارها عن منطقة الاحتلال من هجوم محتمل عليها من الشمال ، وقد صرح المسئولون السياسيون فى بريطانيا بأن الحكومة الانجليزية استشيرت =

أولا بأول في بناء هذا المحور وكانت على علم بخطوات المفاوضات الخاصة به
وهذا الحلف هو خط دفاع شمالى وكذلك خط تطويق حديدى لأحكام الحصار على الدول العربيـــة فى الشرق الأوسط وجبهة الجامعة العربية ، ويستمر خط الحصار هذا بدخوله فى قلب هذه الدول عن طريق إسرائيل . وقد يكون رداً على سياسة الحصار المفروضة على إسرائيل لرد عدوانها ، وقد يكون لارهاب دول الجامعة والضغط عليها لتعديل سياستها نحو إسرائيل والانتقال من مرحلة الهدنة الى الصلح مع إسرائيل . وهو فضلا عن ذلك مرحلة أولى تتبعها محاولات لجذب دول أخرى إلى المحور وخاصة بعض دول الجبهة العربية للشرق الأوسط وبعض أعضاء فى جامعة الدول العربية ، وقد اتضحت المناورات فى المحاولات العاجلة لادخال العراق فى محور أنقره — كراتشى ، وقد قامت اعتراضات فى صفوف الوطنيين هناك ضد الانضمام خلاصتها أن هذا المحور هو محاولات من الاستعمار وصفت بالآتى « ان الدول الاستعمارية تريد الآن الالتفاف حول مقاومة الشعوب العربية عن طريق تكوين حلف عسكرى بين الباكستان وتركيا ، ثم ربط العراق بهذا الحلف ، الأمر الذى يؤدى الى تقويض الجبهة العربية ، والى تحقيق مشروع الدفاع المشترك تدريجيا »

وإن أبرز مافى الحلف الذى وقعه وزير خارجية الباكستان وسفير تركيا فى كراتشى بتاريخ ٢ ابريل سنة ١٩٥٤ وهو أساس محور أنقره ـ كراتشى والسلاح الذى دعمته الولايات المتحدة الأمريكية بمساعداتها العسكرية للبلدين وبما تغدقه عليهما من الأسلحة للوقوف فى وجه الاتحاد السوفيتى ولتدعيم مركزها فى الشرق الأوسط إذا حزب الأمر واشتعلت نيران الحرب العالمية الثالثة — ان أبرز مافيه تعاون البلدين فى مسائل الدفاع الوطنى تعاونا وثيقا على أساس : ١ — تبادل المعلومات والوثائق الخاصة بالدفاع الوطنى حتى يتسنى لكل من الطرفين الافادة من تجارب الطرف الآخر الفنية من الناحية العسكرية ٢ — وتعاونها بقدر الامكان فيما يتصل بصناعة الأسلحة والذخائر (وفى هذه

٣ — فى نطاق معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية: عقدت الدول الداخلة فى نطاق الجامعة العربيه أى الشعوب العربية للشرق الأوسط التى تهدد اسرائيل امنها وحدودها معاهدة تنظم تعاونها وتوحد خططها لمجابهة الخطر باسم معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية، ويؤيد عقدها ميثاق جامعة الدول العربية، وجاء فى المادة التاسعة من هذا الميثاق «لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها فى تعاون أوثق وروابط أقوى مما نص عليه هذا الميثاق ان تعقد بينها من الاتفاقات ماتشاء لتحقيق هذه الاغراض ...»، وميثاق الأمم

= الحالة تبيع الجمهورية التركية للباكستان كميات وفيرة من الأسلحة الخفيفة تنتجها الأولى فى مصانعها وتحصل فى مقابلها على عملات أجنبية وعملات صعبة هى فى مسيس الحاجة اليها لتعادل ميزانها التجارى) ٣ — ومسارعة كل من البلدين المتعاقدين بمساعدة الآخر فى حالة وقوع عدوان عليه من الخارج غير مسبوق باستفزاز وذلك وفقا للمادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة التى تبيح دفاع الدول فرادى وجماعات عن حدودها فى حالة الاعتداء الخارجى عليها

ويسير هذا الميثاق فى سبيل التصديق عليه من البلدين وفق دستوريهما وبذا يصبح نافذ المفعول بمجرد تبادل الوثائق المصدق عليها، ومدته خمس سنوات تتجدد من تلقاء نفسها ما لم يخطر أحد الطرفين الآخر رسميا قبل عام من نهاية المدة بعزمه على انهاء الاتفاق»

ويلوح أن العراق وقد قبل مبدئيا المعونة العسكرية الأمريكية كما ورد فى الأنباء الأخيرة بعد عقد الحلف المذكور يميل إلى الانضمام اليه، ولا شك ان هذا الحلف يزعزع أركان الجامعة العربية ويؤثر فى كيانها كما قد يجر بعض الدول العربية التى قد تنضم اليه إلى إقرار الأمر الواقع فى الشرق الأوسط والتهاون فى مشكلة فلسطين

المتحدة لا يتعارض مع قيام الميثاق المتقدم أو المعاهدات التى تكفل تنفيذ قواعده مادام هذا العمل لا يخرج عن الأسس التى قام عليها السلام وتعاون الدول فى تحقيقه فى ظل ميثاق الأمم المتحدة .

ونظمت فى الفصل الثامن من ميثاق الأمم المتحدة الوسائل التى تتبع فى عقد الاتفاقات الأقليمية باسم « التنظيمات الاقليمية » ، وهدفها معالجة شئون حفظ السلم والامن الدولى ، وجاء فى الفقرة الأولى من المادة ٥٢ من ميثاق الأمم المتحدة مايبين غرض التنظيمات الأقليمية فقالت « ليس فى هذا الميثاق مايحول دون قيام تنظيمات أو توكيلات اقليمية تعالج من الأمور المتعلقة بحفظ السلم والامن الدولى مايكون العمل الاقليمى صالحا فيها ومناسبا مادامت هذه التنظيمات أو التوكيلات الاقليمية ونشاطها متلائمة مع مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها » ، كما رسم الميثاق جهود السلام التى تبذلها المنظمات الاقليمية المذكورة ، فذكرت الفقرة الثانية من المادة المذكورة « يبذل أعضاء الأمم المتحدة فى هذه التنظيمات أو الذين تتألف منهم تلك التوكيلات كل جهدهم لتدبير الحل السلمى للمنازعات المحلية عن طريق هذه التنظيمات الاقليمية أو بواسطة هذه التوكيلات الاقليمية وذلك قبل عرضها على مجلس الامن » ، وذهب الميثاق إلى أبعد من مجرد إباحة قيام هذه التنظيمات الاقليمية فحض على الاكثار منها رغبة فى رسم الخطط التفصيلية لتدعيم السلام . فذكرت الفقرة الثالثة من المادة المذكورة فى الميثاق « على مجلس الامن أن يشجع على استكثار الحل السلمى لهذه المنازعات المحلية بطريق هذه التنظيمات الاقليمية أو بواسطة تلك التوكيلات الاقليمية بطلب من الدول التى يعنيها الأمر أو بالاحالة عليها من جانب مجلس الامن » ، ولكن يجب ألا يغيب عن الذهن ان أعمال ميثاق جامعة الدول العربية

ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية يتعين الا تخرج عن مقاصد الأمم المتحدة وقواعد السلام التى يرسمها ميثاقها، ويتعين عدم اتصاف أعمال الدول المنضمة إلى التنظيمات الاقليمية لتوحيد صفوفها فى سبيل مصالحها والامن الدولى بالعنف والقسر كما توجه الأمم المتحدة هذه التنظيمات الاقليمية فيما يتعلق بالمحافظة على السلام، وذكرت ذلك صراحة المادة ٥٣ من ميثاق الأمم المتحدة « يستخدم مجلس الامن التنظيمات والتوكيلات الاقليمية المتقدمة فى ظل سلطانه كلما رأى ذلك ملائما فى أعمال القسر ، غير انه لايجوز القيام بأى عمل من أعمال القسر بمقتضى التنظيمات الاقليمية أو على يد التوكيلات الاقليمية بدون إذن مجلس الامن . . . »

ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية تضاعف فرص الدول العربية فى الشرق الأوسط لتنسيق جهودها للوقوف فى وجه اسرائيل ومقاومة عدوانها بل واتخاذ الوسائل الفعالة فى غير عنف وقسر لتبخرها تدريجيا وهى تخفيها وتعيد الأمور إلى نصابها فى الاراضى العربية التى طرد أهلها منها ورد الحقوق إلى أربابها ، وجاء فى ديباجة المعاهدة عن مقاصد الدول المتعاقدة ما يبين بوضوح رغبتها الأكيدة فى التعاون والذود عن حوضها فأشارت إلى ذلك بقولها « .. رغبة منها فى تقوية وتوثيق التعاون بين دول الجامعة العربية حرصا على استقلالها ومحافظة على تراثها المشترك » كما ذكرت الديباجة فى صراحة ناحية توحيد القوى والصفوف استعدادا للمستقبل فقالت « . . واستجابة لرغبة شعوبها فى ضم الصفوف لتحقيق الدفاع المشترك عن كيانها وصيانة الأمن و السلام وفقا لمبادىء ميثاق

جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة ولاهدافهما وتعزيزا للاستقرار والطمأنينة وتوفير أسباب الرفاهية والعمران فى بلادها . . » ، واهتمت المعاهدة بتوحيد خطط الدول المنضمة إليها عسكريا مع تعزيز قواها الحربية فى حدود موارد كل منها وظروفها حتى تجابه اسرائيل مستقبلا وهى كالبنيان المرصوص فلا تتكرر اخطاء سنة ١٩٤٨ ، ونظرت إلى كيان هذه الدول وشخصيتها نظرة موحدة فجعلت مس هذا الكيان من أى طرف من أطرافه وتهديد أى أرض من أراضى دولها أو استقلالها والاعتداء على أية دولة بمثابة اعتداء عليها جميعا ويترتب عليه وقوفها متكاتفة لبحث وسائل صيانة أراضيها واستقلالها ولصد العدوان ، وجاء فى المادة الثانية من المعاهدة « تعتبر الدول المتعاقدة كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة منها أو أكثر أو على قواتها اعتداء عليها جميعا ، ولذلك فأنها عملا بحق الدفاع الشرعى الفردى والجماعى عن كيانها تلتزم بأن تبادر إلى معونة الدولة أو الدول المعتدى عليها وبأن تتخذ على الفور منفردة ومجتمعة جميع التدابير وتستخدم جميع مالديها من وسائل بما فى ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولاعادة الأمن والسلام إلى نصابهما» ، ولم تخرج المعاهدة عن أسس السلام التى اختطها ميثاق الأمم المتحدة فنبهت المادة السالفة إلى وجوب اخطار مجلس جامعة الدول العربية ومجلس الأمن بوقوع الاعتداء وما اتخذ من عمل ضده وقالت « . . يخطر على الفور مجلس الجامعة ومجلس الأمن بوقوع الاعتداء وما اتخذ فى صدده من تدابير وإجراءات » ، وذلك حتى يتسنى أن تتلقى دول التنظيم الاقليمى من مجلس الأمن فى النهاية التوجيه المشروع لصد العدوان وحتى لا تعتبر معتدية خارجة عن مقاصد الأمم المتحدة ، وأكدت المادة الثالثة تبادل

الدول المتعاقدة المشورة فى حالة تهديد سلامة دولة منها أو عدة دول أو استقلالها ، كما أكدت أيضا وجوب توحيد خططها فقالت « تتشاور الدول المتعاقدة فيما بينها بناء على طلب أحداها كلما هددت سلامة أراضى أية دولة واحدة منها أو استقلالها أو أمنها ، وفى حالة خطر حرب داهم أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها تبادر الدول المتعاقدة على الفور إلى توحيد خططها ومساعيها فى اتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التى يقتضيها الموقف » ، وتناولت المعاهدة تدعيم نظم الدول المتعاقدة عسكريا ووجوب تعزيزها فى حدود موارد كل وحاجاتها ، فذكرت المادة الرابعة : « رغبة فى تنفيذ الالتزامات السالفة الذكر على أكمل وجه تتعاون الدول المتعاقدة فيما بينها لدعم مقوماتها العسكرية وتعزيزها وتشترك بحسب مواردها وحاجاتها فى تهيئة وسائلها الدفاعية الخاصة والجماعية لمقاومة أى اعتداء مسلح » ، ورسمت المعاهدة خطة توحيد الجهود الحربية ، فنصت المادة الخامسة على تأليف « لجنة عسكرية دائمة من ممثلى هيئة أركان حرب جيوش الدول المتعاقدة لتنظيم خطط الدفاع المشترك وتهيئة وسائله وأساليبه » ، كما وكلت هذه المادة إلى « ملحق » يبرم فيما بعد لتحديد اختصاصات اللجنة الدائمة لتوحيد خطط الدفاع المشار اليها ووضع التقارير اللازمة المتضمنة عناصر التعاون ، وشكلت المعاهدة كذلك مجلسا يسمى مجلس الدفاع المشترك هو المهيمن فيما يختص بالسياسة العامة على أعمال تنسيق الدفاع وتوحيد الخطط والموجه للجنة العسكرية الدائمة ، وفضلا عن ذلك فهو يستعين باللجنة المذكورة ويسترشد بآرائها وتقاريرها ، ويتكون مجلس الدفاع المشترك وفق المادة السادسة من « وزراء الخارجية والدفاع الوطنى للدول المتعاقدة أو من ينوبون عنهم » ، وقرار المجلس كما نصت هذه المادة

بأكثرية ثلثى الأعضاء وهو ملزم لجميع الأعضاء ، ولم تغفل المعاهدة الشؤون الاقتصادية وهى عصب الحرب أو أساس نجاح تنسيق و توحيد الدفاع فجاء فى المادة السابعة بخصوص تنظيم التعاون الاقتصادى بين الدول المتعاقدة ما يأتى « استكمالا لأغراض هذه المعاهدة وما ترمى إليه من اشاعة الطمأنينة وتوفير الرفاهية فى البلاد العربية ورفع مستوى المعيشة فيها تتعاون الدول المتعاقدة على النهوض باقتصاديات بلادها واستثمار مرافقها الطبيعية وتسهيل تبادل منتجاتها الوطنية والزراعية والصناعية وبوجه عام على تنظيم نشاطها الاقتصادى وتنسيقه وإبرام ماتقتضيه الحال من اتفاقات خاصة لتحقيق هذه الأهداف » ، والحق المتعاقدون بالمعاهدة « ملحقا عسكريا » يبين اختصاصات اللجنة العسكرية الدائمة المنصوص عليها فى المادة الخامسة من المعاهدة ، وتناول هذا « الملحق » الاختصاصات بدقة فذكر أنها : إعداد الخطط العسكرية لمجابهة أخطار العدوان وصدها وفق ما يقرره مجلس الدفاع المشترك ، وتقديم المقترحات لتنظيم قوات دفاع الدول المتعاقدة فى حدود طاقة كل منها ، وبيان وسائل العلاج وسد النقص والعمل على زيادة كفاياتها العسكرية ودراسة طرق استثمار مواردها الطبيعية والصناعية والزراعية مع تنسيقها لصالح المجهود الحربى والدفاع المشترك وتنظيم تبادل بعثات التدريب والبعثات العسكرية ، ودراسة أفضل أساليب التعاون العسكرى المشترك وإعداد البيانات الاحصائية عن كفاية ومقدرة الدول المتعاقدة عسكرياً تنفيذاً لخطط الدفاع المشترك وبحث وسائل المساعدات المختلفة التى تقدمها كل من الدول المتعاقدة فى وقت الحرب تنفيذاً لمعاهدة الدفاع المشترك ، وتناول الملحق أيضاً توحيد القيادة العليا للدول المتعاقدة فى الحرب ، ولهذا التوحيد أهميته لتدعيم

جبهة الحرب ولتحقيق النصر ، فذكر البند الخامس من الملحق « تكون القيادة العامة لجميع القوات العاملة فى الميدان من حق الدولة التى تكون قواتها المشتركة فى العمليات أكثر عدداً وعدة من كل قوات الدول الأخرى إلا إذا تم اختيار القائد العام على وجه آخر باجماع آراء حكومات الدول المتعاقدة » ، وهكذا نرى فى ميثاق جامعة الدول العربية وفى معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية سلاحا قويا للدفاع عن كيان الشعوب العربية فى الشرق الأوسط وصد عدوان إسرائيل مع توحيد صفوفها وتكوين جبهة متراصة من حكوماتها وإسماع صوتها للعالم الخارجى وتأليب الرأى العام الدولى ضد إسرائيل الدخيلة على الشعوب العربية المغتصبة لأراضيها المعتدية على استقلالها ، غير أن معاهدة الدفاع المشترك ليست مكتملة النمو والنضوج ، وفى حاجة إلى تدعيم من الناحيتين القانونية والفعلية ، فمبادىء المعاهدة سليمة تتفق مع روح الشعوب العربية للشرق الأوسط وتجانس عقليتها وعاداتها وطبائعها وتاريخها ولغتها ودينها وطالما وحدتها هذه الروح فكانت على مر السنين أمبراطورية متحدة ، كما أنه من الأفضل لها أن تجابه الاخطار متحدة الصفوف متكتلة لا متفرقة يمكن كسر عيدانها عوداً بعد آخر ، وهى ترمى إلى تحقيق وحدتها المسلم بها من الناحيتين التاريخية والواقعية والمعترف بها من دول الغرب منذ الحرب العالمية الأولى ، وهى ترمى أيضاً إلى إقرار السلام فى منطقة الشرق الأوسط وهى من أشد المناطق حساسية فى العالم ومن أخطرها على الأمن الدولى إذا سادها الاضطراب الذى تشيعه إسرائيل اليوم هناك ، غير أن المعاهدة صدرت عن العاطفة والروح المفعمة حماساً لشعوب الشرق الأوسط ورغبتها المشتركة فى دفع

الخطر الداهم والمحافظة على استقلالها وكيانها ووحدتها التي تمثل ماضياً مجيداً ومدنية عريقة وتريد بكل قواها أن تستعيد حرياتها كاملة ، ولا تغني العاطفة من وجوب دراسة النواحي الواقعية لمعاهدة الدفاع المشترك وتذليل الصعاب القائمة فعلا تبعاً لتفاوت درجات تمدين شعوب الشرق الأوسط واعتناقها حضارة الغرب ومدى الاعتماد عليها في خوض غمار الحروب الحديثة ، وكذلك الصعاب المترتبة على انعدام الفنيين في بعضها الذين يصلحون لقيادة الحروب الحديثة أو لتنظيم عملياتها والصناعات الضرورية لها ، والناجمة أيضاً عن انحطاط مستوى معيشة جل هـذه الشعوب وعيشها حياة الفطرة ترزح تحت أعبائها ويتعذر عليها في هـذه الحالة وهي في فقر دم شديد خالية الوفاض بادية الأنفاص أن تنازل خصما يتلقى المساعدات المستمرة من أغنى الامبراطوريات في المواد الأولية والمصنوعة والعتاد مجهزاً بأشد أنواع الأسلحة الحديثة فتكا مدرباً عليه تدريباً صائباً ، وهناك عقبات تضعف من أثر المعاهدة ، وهي تفاوت كفايات هذه الدول اقتصادياً ومالياً مما يترتب عليه تحمل الأقلية المتعاقدة وهي ليست أقل الدول عدداً وقدرة ،أعباء غالبية فقيرة، وفي نفس الوقت تصدر القررات وتؤخذ الأصوات على قدم المساواة باعتبار صوت لكل دولة ، ولا يتناسب التصويت مع مسئولياته وتضحياته ، والجزاء ليس من جنس العمل ، وأخيراً هناك نقد يحسن عدم إغفاله وهو تباين التيارات السياسية الخفية لكل دولة من الدول المتعاقدة واختلافها عن الأخرى ، وليس هنـاك اتحاد وتعاون في الجبهة السياسية الخارجية وعلاقات هذه الدول مع الغرب ، فكل منها تسير في الطريق الذي يحلو لها السير فيه ، وهذا يضعف من شأن التنسيق العسكري وتوحيد الجهود

وفق ما هو مرسوم فى معاهدة الدفاع المشترك فضلا عن صعوبة نزول كل دولة عن شيء من سيادتها نظير توحيد القيادة أو إجابة لرغبات اللجنة العسكرية الدائمة أو مجلس الدفاع المشترك واحتمال رفضها الافضاء بالاحصاءات الدقيقة الخاصة بإمكانياتها الحربية ومقدرة قواتها ومحاولتها إلقاء العبء على غيرها حتى يخف حملها ، وربما يصبح من الأفضل رسم سياسة حاسمة تنفذ سريعاً حال الاشتباك المسلح لمجابهة الأمر الواقع ويقوم على أساس توحيد القيادة العليا تبعاً للكفاية والقدرة العسكرية ولا يقام وزن كبير لتفضيل تسليم القيادة للدولة التى تكون قواتها العسكرية المشتركة فى العمليات أكثر عدداً وعدة من القوات الأخرى، فيجب كذلك أن توضع الكفاية الفنية والحنكة والخبرة فى مقدمة الاعتبارات التى تحدد أسناد القيادة إلى جهة معينة ، ويجب أن يوضع موضع الاعتبار النهوض بالجيوش العربية نهوضاً فعالا وفق الأساليب الغربية مع توحيد وسائل تدريبها وتسليحها وإنشاء تعاون وثيق بينها فى السلم لتحقيق هذه الأهداف .

***

الناحية الواقعيـــة فى المشكلة

يعنى بدراسة الناحية الواقعيه فى المشكلة أن يحسب حساب هذه المشكلة بدقة فى ضوء الأمر الواقع وما هو قائم اليوم ، وذلك لنرسم خطط المستقبل ، مع ملاحظة ألا نبالغ فى التشاؤم أو نزيد فى التفاؤل، فتصبح الحقيقة المجردة عن العاطفة والحماس والشعور المتطرف هى وحدها بنت البحث ورائد قيادتنا الحكيمة لصد تيار العدوان ومقاومة دعايات إسرائيل وادعاءاتها .

والناحية الواقعية تتطلب دراسة الموقف العسكرى للخصم على حقيقته والعمل على النهوض بطاقتنا سريعاً ، فكل تأجيل للمشكلة وتعويق لحلها يضاعف فى الداء فيستفحل ويضعف من بدن المريض ومقاومته ، وكل تسويف أو انتظار وهما خارجان عن إرادة الشعوب العربية من شأنهما تغلغل جذور المشكلة فى تربة فلسطين التى احتلها الصهيونيون قسراً وأخذوا يتقاطرون عليها كالجراد ويصبح اقتلاعها بعد ذلك ليس من السهولة بمكان ورهين عوامل مختلفة تتبع مجرى التيارات السياسية العالمية والمفاجآت وحالتى السلام والحرب واتجاهات المستقبل .

والناحية الواقعية تتطلب أيضاً دراسة خطط الدول الكبرى السياسية إزاء إسرائيل حتى يمكن أن ترسم الدول العربية سياستها الخارجية وتنسق جهودها فى ضوئها ، وهذه الخطط لها اتجاهها العام وهى تميل فى الغالب إلى إسرائيل مع فترات ركود أو نكوص بسيط على الأعقاب وتدابر مؤقت تبعاً لطبيعة إسرائيل بعصاباتها الإرهابية العدوانية ، ويصبح من الحكمة وبعد النظر والحنكة السياسية تصيد الظروف واقتناص الفرص بمجرد أن تبدو بادرة تنافر ، وإن المثابرة فى هذه السبيل تؤدى إلى نتيجة قد تبدو وحدها لأول وهلة ضعيفة ولكن بتكرارها تتضح أهميتها وما تكسبه الشعوب العربية منها .

وفيما يلى شرح وسائل دراسة الناحية العسكرية وتطور العلاقات الدولية للمشكلة :

١ — دراسة الناحية العسكرية : من الأهمية بمكان أن تعى الشعوب العربية زيادة طاقة إسرائيل الحربية المطردة عناية خاصة ، وأن تلم بهذه الزيادة أولا بأول وأن تنظم صفوفها للرد على هذه الزيادة بمضاعفة

جهودها من ناحيتها استعداداً للمستقبل ، وهذه الزيادة تغذيها معامل الأبحاث والتجارب فى إسرائيل ذاتها وخارج حدودها وتعتمد على العلم وتطوره وعلى أموال الصهيونية فى كل مكان وعلى العلماء فى مختلف أنحاء العالم ، ويمول هذا النشاط المساعدات الأمريكية وغيرها ، وتستغل إسرائيل الموقف بوعدها دول الغرب بمساعداتها الفعالة فى حالة اشتعال نيران الحرب العامة، والتقدم الحربى لإسرائيل من الأسرار غير أنه يمكن لمسه من مدى نشاطها الصناعى ، فقد بلغت المصانع التى تساعد على دعم أداة الحرب حتى سنة ١٩٥٢ فى سكب الحديد والمعادن وإنتاج الآلات واللوازم الصحية والبناء وأدوات الكهرباء والبطاريات والتعبئة المعدنية والأثاث المعدنى أكثر من ١٧٧ مصنعاً يعمل فيها آلاف العمال ، وجاء فى كتاب « إسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى » لاتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة فى البلاد العربية الذى صدر فى سنة ١٩٥٢ ، وسبق الاشارة إليه فى مواقف عدة ما يؤيد نشاطها الصناعى الحربى واستعدادها للتعاون مع الغرب إلى حد تموين الجيوش الانكليزية بحاجاتها من العتاد فى ظروف السلم ، فذكر « وقد عرف أن مفاوضات جرت فى انجلترا منذ شهور حول تزويد الجيش البريطانى فى الشرق الأوسط بالمنتجات والمصنوعات الاسرائيلية وأن هذه المفاوضات جرت فى جو من التكتم الشديد ، ولم تسفر حتى الآن عن شيء ايجابى ، وقد طلبت وزارة التموين البريطانى وهى ذات ضلع فى المفاوضات المذكورة رؤية نماذج معينة من انتاج اسرائيل ومعرفة سعرها » .(١) ومما يسترعى النظر

---

(١) انظر « اسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى » لاتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة فى البلاد العربية ، صفحة ١٣١ .

اهتمام اسرائيل بضاعة خيوط الحرير الصناعى المصنوع من السلولوز وانشاؤها ٣٠ مصنعا للكاوتشوك فى ديارها ، ومما يدل على تعضيد الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية لأداة الصناعة الحربية هناك قرار إسرائيل بشأن قرض وطنى أطلق عليه قرض الاستقلال فى سنة ١٩٥١ وغرضه الأساسى انشاء الصناعات وتنشيطها واستثمار موارد التعدين وتوليد قوى الكهرباء والتوسع الزراعى ، وقدر هذا القرض مليار ونصف مليار دولار ، وأصدرت الحكومة مبدئيا سندات بخمسمائة مليون دولار للاكتتاب فيه كانت حصة الولايات المتحدة النصف أى ٢٥٠ مليون دولار فى السنة المذكورة وقد بادرت إلى تغطيته . (١)

كما يبذل الفنيون الأمريكيون محاولات مختلفة لتوفير البترول لاسرائيل دون عناء وذلك بمناسبة قرار العراق بمنع تصدير البترول منها إلى حيفا والحصار وما يتبعه من التفتيش الذى فرضته مصر على سفن البترول التى تمر فى القنال منذ سنة ١٩٤٨ بمناسبة حرب فلسطين ، ويبحث هؤلاء الفنيون بتفاؤل كبير عن مناطق للبترول فى الجزء الجنوبى من إسرائيل ، وآمال إسرائيل فسيحة فى المستقبل ورجالها يرسمون الخطط تدريجيا حتى عام سنة ١٩٦٠ ، ويجب أن يدرك العرب تماما الخطر المحدق بهم الذى يتزايد يوما بعد يوم ، ويقول المسئولون ان اسرائيل ماضية قدما فى سبيل التوسع الزراعى والصناعى واستخدام قوى الكهرباء وتوسيع الرقعة المنزرعة واغتصاب مياه الرى فى المياه الجارية بينها وبين جاراتها من الدول العربية وتحويل مجرى الأنهار دون اعتبار للقواعد الدولية

---

(١) انظر « اسرائيل » لبنتويش ، من صفحة ٧٩ إلى ٨٣ ، وانظر « حصن الديموقراطيه فى الشرق الاوسط » لدونر ، من صفحه ٦ إلى ٨

المرعية واستقدام المهاجرين الصهيونيين بالملايين ، وجاء فى تصريح سياسى لمسئول عربى ما يأتى « يقدر هؤلاء الخبراء أن هذا المشروع الكبير (وهو زيادة المساحات المزروعة هناك عن طريق الانتفاع بجميع مياه الأنهر والبحيرات فى فلسطين) سيروى ثلاثة ملايين دونما ويولد قوة كهربية قدرتها سبعمائة مليون كيلوات فى العام، وان فى مقدورهذه الثروة الزراعية والصناعية أن تستوعب خمسة ملايين يهودى من غير ارهاق لقدرة البلاد الاقتصادية... » ، ومما يوجب الأسف أن مشروعات تقسيم فلسطين كانت تهدف دائما إلى تحقيق مشروع التوسع المشار إليه أو أنه على الأقل لا يقف عقبة حاسمة فى سبيله (١)

(٢) دراسة خطط الدول السياسية إزاء إسرائيل : أهم ما يجب أن نضعه نصب أعيننا دوام اليقظة والحذر فى نظراتنا السياسية إلى العالم الدولى وعلاقته باسرائيل ، وأن نتتبع خيوط هذه العلاقة وأن نتصرف بلباقة دون عنف أو اين مبالغ فيهما دفاعا عن مصالحنا ، وأن ننظم شئوننا للحاضر والمستقبل القريب والبعيد ، ونرى مثلا سياسة انجلترا بين المد الجزر فى مشكلة فلسطين وإنشاء وتأييد دولة إسرائيل ، وهى اليوم بعد أن وقفت موقفا سلبيا بجلائها نهائيا عن فلسطين وقد ضعفت أهمية الحاجة إلى احتلالها فعلا تبعا لانحسار سلطانها عن الهند والشرق الأقصى تشجع اسرائيل وكأنها تزج بها نحو العدوان تبعا لتشبثها ببقائها فى الشرق الأوسط

(١) تصريح الاستاذ أحمد الشقيرى الأمين المساعد للجامعة العربية وكان مستشار الوفد السورى أمام لجنة التوفيق الدوليه ، وفى عودته من لوزان سنه ١٩٤٩ بعد أن قضى هناك قريبا من خمسه أشهر يعمل مع الوفود العربيه لبسط وجهه النظر العربيه فى شأن فلسطين بصورة عامه ومشكله اللاجئين على وجه خاص صرح بهذا إلى جريدة الأهرام بتاريخ ١٦ سبتمبر سنه ١٩٤٩ .

لتدعيم مركزها فى هذه المنطقة فى الحرب القادمة ، وترى الولايات المتحدة الأمريكية كأنها فى سباق مع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية تسارع بالاعتراف باسرائيل فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ وقبل اعتراف هذه بيومين اثنين ، وبذا تعطف عليها فى صراحة تامة وتشجيعها فى مضيها فى العدوان ، وسبب ذلك أن ما يقرب من نصف عدد اليهود فى العالم يسكنون ولاياتها المختلفة ، وعدد منهم كبير فى نيويورك ويديرون بيوت المال والأعمال والصناعات ويقبضون على أعنة البورصات والاسعار ، ونفوذهم فى الانتخابات والسياسة يعتد به ، ويهم الحكومة كسب هذه الجالية وهى دائبة الدعاية للصهيونية واصالح اسرائيل ، وتعمل على حث الحكومة باستمرار على علاج مشكلة مشردى أوروبا اليهود ووضع حد لاضطهادهم بتأييد فكرة إقامة وطن قومى لهم فى فلسطين ، أما روسية السوفيتية فظلت مدة بمعزل عن تيارات تشجيع الصهيونيه واعتبرتها سياسة استعمارية تتعارض مع مبادئها ، فهى تقوم على وعد بلفور ومشروع الوطن القومى اليهودى الذى يحتضنه الاستعمار الرأسمالى البريطانى ، ثم غيرت روسيا السوفيتيه اتجاهها بعد أن وطدت دعائم نظامها واتجهت ببصرها نحو البحر الأبيض المتوسط والحصول على مناطق نفوذ فيه ، ورأت أنه يسهل عليها التغلغل فى الشرق الأوسط عن طريق اسرائيل ومساعدتها فى نشر الدعاية الشيوعية ، بينما يصعب عليها تنظيم الدعاية أو التدخل فى شئون الشرق الأوسط عن طريق الشعوب العربية الاسلامية هناك ، وفرنسا من ناحيتها كان موقفها فى الشرق الأوسط التغلغل عن طريق مؤسساتها الثقافية وبعثاتها العلمانية وخاصة فى لبنان مع اهتمامها بالأماكن المقدسة بعكس انكلترا التى كانت تهتم دائما بالنواحى الاقتصادية

والتجارية فى هذه البقعة مع الاعتماد على المواقع الاستراتيجية باحتلالها لتأييد سياستها كأولى الدول البحرية والتجارية فى العالم .

والمشكلة لها وجوه عديدة ، غير أن هذه الدول الكبرى يصعب عليها أن تعالج المشكلة فى ضوء اطماعها فحسب وأن تكسب صداقة شعوب الشرق الأوسط العربية مع محاباتها لاسرائيل وتشجيعها فى مضيها فى عدوانها ، وخاصة الولايات المتحدة التى خرجت من عزلتها وتزايدت فى الشرق الأوسط مصالحها المادية بامتيازات البترول التى حصلت عليها الرأسمالية الأمريكية فى المملكة العربية السعودية، كما تزايدت أيضا مصالحها المعنوية باتساع نشاطها الثقافى فى الجامعتين الأمريكيتين ببيروت والقاهرة وسائر بعثاتها العلمية والتنقيبية والفنية فى شتى الأقطار هناك ، ونمت مصالحها السياسية مما يملى عليها الاحتفاظ بنفوذ قوى مع كسب صداقة الشعوب العربية فى الشرق الأوسط وفى الوقت نفسه ومع الأسف الشديد التوفيق بين هذه الصداقة وتلبية أغراض اسرائيل .

والموقف اليوم غامض ، وكثير من المسائل معلقة ، فهذه إسرائيل تتمادى فى العدوان والاتساع ، وهذه منطقة النجف تعدها إسرائيل لتحقيق وثباتها على العالم العربى ، والأماكن المقدسة وهى محط أنظار العالم المتمدين على اختلاف بلدانه تريد إسرائيل أن تسيطر عليها ، بل وقد نقلت العاصمة إلى القدس ، وترفض الدول الكبرى الاعتراف بالأمر الواقع فهو يتعارض مع تدويل المنطقة وفق قرار ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٩ فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، والجيش اليهودى والجيش الأردنى يحتلان القدس الجديدة والقديمة ولا يتزحزح كل منهما من مكانه .

ويلاحظ أن التنافس القديم بين فرنسا وانكلترا فى الشرق الأوسط

قد اختفى أو خف كثيراً ، فكانت الأولى تجعل من لبنان وسوريا منطقى نفوذ ثقافى وتنشر أيضاً علومها ومعارفها فى وادى النيل والثانية تعمل فى سبيل صالحها الاقتصادى والمحافظة على وسائل مواصلاتها وتنشىء مناطق احتلال ومكاتب وإدارات وتبرم اتفاقات ومحالفات لتنفيذ سياستها ، وحل محل هـذا التنافس وقد ضعفت الامبراطوريتان وفقدتا السيطرة على آسيا وكان الشرق الأوسط قنطرة العبور إليه تنافس الولايات المتحدة وروسيا هنـاك ، وتنافسهما يتناول المثل والوسائل السياسية والاستئثار بدفة العلاقات الدولية ، وصار الشرق الأوسط لها الميدان المحتمل لصراعهما الجبار فى المستقبل ، وروسيا تبحث عن البحار الدافئة وتريد أن تنزل إلى البحر الأبيض المتوسط فجسدها ضخم وقصبتها الهوائية التى تسير فيها تجارتها ضيقة ولا تسعفها موانيها البحرية من الشمال ، وهى كما لا يخفى تتجمد معظم شهور العام ، والولايات المتحدة تتسع تجارتهـا بعد الحرب العالمية الثانية وتدين العالم ، وكان أسطولها البحرى التجارى سابقاً نادر المرور فى قناة السويس ، وهو اليوم يزيد على ٢٠٪ من مجموع حركة الملاحة فى القناة ، ولا ننسى أن نذكر أيضاً نشاط أسطولها التجارى الجوى فى الشرق الأوسط والعدد العديد من المطارات التى أنشأتها وتنشئها هناك ويمكن اتخاذها قواعد جوية حربية فى حالة قيام حرب بينها وبين روسيا ، ولقد اتضح بجلاء لرجال السياسة للبـلـدان الديموقراطية الغربية فى مؤتمر طهران سنة ١٩٤٣ وكانت رحى الحرب العالمية الثانية دائرة بشدة ثم فى مؤتمر يالتا بعد ذلك أغراض روسيا فى الشرق الأوسط ، وفكروا جدياً فيما بعد فى وجوب الوقوف فى وجه توسعها هناك ، وكانت خطوات السياسة الأمريكية الحاسمة فى هذا الشأن

هى مضاعفة مساعداتها العسكرية والاقتصادية لتركيا واليونان ، ثم إقناع حكومات الدول العربية فى الشرق الأوسط بالخروج من نظمها العتيقة وسياسة الاقطاع إلى اتباع سياسة يترتب عليها رفع مستوى معيشة الاهلين حتى لا تجد الشيوعية تربة صالحة ترعى فيها ، ومن أمثلة اهتمام الولايات المتحدة بالشرق الأوسط المظاهرة العسكرية التى قامت بها هناك سنة ١٩٤٦ بإرسالها قطعاً بحرية حربية لاستحضار رفاة السفير الأمريكى الذى توفى فى تركيا وذلك لترى روسيا مدى قوتها البحرية وسلطانها على البحار واهتمامها بالبحر الأبيض المتوسط ، ولا ننسى اتساع نطاق الادارات الاقتصادية والفنية فى السفارات والمفوضيات الأمريكية فى الشرق الأوسط وكانت فى حكم العدم فى كثير من بلدان هذه البقعة قبل سنة ١٩٣٩ ، ويضاف إلى هذه المظاهر ما تصرح به الولايات المتحدة مستندة إلى دراسات خبرائها فى تحقيق شتى مشروعات الرفاهية والتثمير والتعمير والتصنيع فى بلدان الشرق الأوسط كالعراق ومصر(١) ، وبهر شعوب الشرق الأوسط بالناحية الفنية الراقية لحياة

---

(١) من المغريات التى أذاعتها الولايات المتحدة الأمريكية على شعوب الشرق الاوسط الطلسم المشهور « بالنقطة الرابعة » لمساعدة وإنعاش الشعوب المتخلفة فى هذه البقعة من الأرض تمشيا ووعود سياسة الديمقراطية أثناء اشتداد الحرب العالمية الثانية وكذلك ميثاق الأمم المتحدة فى القضاء على العوز والخوف ورفع المستوى المادى والمعنوى للفرد . وقد أذاع الرئيس ترومان فى خطابه بتاريخ يناير سنة ١٩٤٩ اضطلاع الولايات المتحدة بتحقيق نهضة شعوب الشرق الاوسط اقتصاديا عن طريق النقطة الرابعة وان حكومة العالم الجديد ستقدم معونة حيوية للبلدان المتخلفة لكى يتسنى لها أن تواصل نشاطها وخاصة أن ترفع مستوى المعيشة فى ديارها .

ووافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على هذه السياسة بالاجماع فى نفس العام وأن تعمل البلدان المتقدمة اقتصادياً على الأخذ بناصر الأخرى المتخلفة

ويعنى بالبلدان المتخلفة أن قوة شراء الجماعة ضعيفة بمقارنتها بغيرها، ويتناول الموقف تأخرها اجتماعيا وصحيا ومعنويا واقتصاديا وعدم مراعاة العدالة الاجتماعية هناك بين الطبقات المنتجة، والحد الفاصل بين البلدان المتقدمة والمتخلفة ليس بواضح بدقة . غير أنه يمكن اعتبار الولايات المتحدة وكندا وأستراليا ونيوزيلاندا وغالبية بلدان أوروبا هى المتقدمة اقتصاديا وسائر البلدان فيما عدا المذكورة هى المتخلفة، ويمكن حساب درجة التقدم والتخلف من تقدير متوسط دخل الفرد السنوى كحد أدنى فى البلدان المتقدمة أو المكتملة النمو وهو نحو ٤٠٠ دولار، وعلى ذلك تعتبر بلدان الشرق الأوسط متخلفة، فمتوسط دخل الفرد فى دولة إسرائيل وهو أعلى دخل هناك يبلغ فى سنة ١٩٤٩ نحو ٣٨٩ دولار وفى كل من تركيا ولبنان يبلغ ١٢٥ دولار وفى كل من المملكة العربية السعودية واليمن يبلغ ٤٠ دولار . ويبلغ فى نفس السنة فى الولايات المتحدة نحو ١٤٥٣ دولار وفى كندا ٨٧٠ دولار

وترمى النقطة الرابعة كما تدعيه برامجها ويذيعه دعاتها مد يد المعونه للبلدان المتخلفة من الناحيتين الفنية والمالية، والقيام بدراسات واسعة فى المنطقة المراد الأخذ بناصرها لتحسس نواحى عجزها وطاقتها الاقتصادية ومدى استعداد الأهلين ودرجتهم من الوعى الاجتماعى والفنى وما تحويه من ثروة بكر وطرق تثميرها، وضمن برنامج النقطة الرابعة إرسال الخبراء لمناطق الدرس والبحث للقيام بتحرياتهم والاتصال بالسكان ووضع التقارير الفنية التى تمهد وسائل المعاونة، وهدف النقطة الرابعة إعداد البلاد موضوع المساعدة لتعتمد على نفسها فنيا وماليا فى المستقبل . وضمن وسائلها مساعدات الحكومات للبحث عن الوسائل الكفيلة بتنمية مواردها وكفاياتها وتوجيهها توجيها صحيحا نافعا.

وقامت صعوبات جدية فى سبيل تحقيق مزايا النقطة الرابعة بسرعة، وأهمها افتقار البلدان المتخلفة إلى رؤوس الأموال إفتقاراً شديدا إلى حد

وجوب حصولها على المال عاجلا لتلافى الانهيار الاقتصادي، وكذا ضعف الكفايات الفنية عندها وانعدام الكفايات الفنية الكفيلة بتحقيق البرامج الفنية الخاصة بالتصنيع وتنمية موارد الثروة سريعا هناك، ويضاف الى ذلك الغليان السياسى فى الشرق الأوسط بوجه عام وعدم استقرار الحكومات وبرامجها مما لا يشجع على المضى فى معونة اقتصادية ومالية خارجية وتشكك الشعوب هناك فى نوايا الغرب وصدق عزم الديمقراطية على مساعدتها مساعدة صادقة وهى التى تحابى إسرائيل دائما وتغدق لها العطاء بينما تحبس عن الشعوب العربية فى الشرق الأوسط معونتها، وأيد هذا التشكك مبادرة الديمقراطية الامريكيه إلى معونة إسرائيل عن طريق النقطة الرابعة مع ترددها وتسويفها فى مساعدة الشعوب العربية

وناصر كثير من كتاب الغرب الأسراع فى تحقيق مزايا المشروع فى بلدان الشرق الأوسط التى بالذات تسير فى ركاب السياسة الأمريكية — الانكليزية بلا تحفظ وتقف موقف التردد فى مجموعة الشعوب العربية بالشرق الأوسط وهى إسرائيل والأردن وتركيا، وبرزت صعوبات فنية جسيمة تجعل المشروع عقيما إذا لم ينفذ جديا وعلى نطاق واسع وهى تأخر وركود مستوى معيشة الفرد وانحدار هذا المستوى إلى الهاوية دون انتشال وانتعاش منذ سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٥٠ فى مصر والعراق وسوريا ولبنان وإيران، وذلك رغم رقى الوسائل الفنية للانتاج والصناعة فى نفس المدة وتقدم المواصلات فى عالمنا الحديث، ويضاف إلى هذا الانحدار أن الحكومات هناك تخلط بين مشروعات الاصلاح التى تحويها ميزانياتها السنوية وبين الخطوات الجدية ببرامج دقيقة محكمة ولمدد محددة تتجدد التى تنصب على وسائل رفع مستوى معيشة الفرد، ووقوفها من الزراعة وهى عماد الحياة الاقتصادية هناك وطرق تحسينها وتنمية الانتاج فيها وتحديد الملكية للأراضى المنزرعة موقفا سلبيا بعيداً عن تدارك الانهيار الاقتصادى الذى يهدد هذه المنطقة الحيوية من العالم

ووسائل تمويل المشروعات عن طريق النقط الرابعة لرفع مستوى الفرد

فى البلدان المتخلفة متعددة ، فهى قد تكون بطريق مباشر بمد الحكومة الأمريكية أو المنظمات الدولية البلد المتخلف بالمساعدات والاعانات أو بالقروض الطويلة الأجل الضئيلة الفائدة ، وقد تكون عن طريق المؤسسات الخاصة بالقروض أو المساهمة فى المشروعات بواسطة البنك الدولى للانشاء والتعمير وبنك التصدير والاستيراد بواشنطون ومؤسسة روكفلر ومؤسسة الشرق الأوسط ، ويشترط أن تنصب المساعدة أو القروض على مشروعات منتجة تعود على الفرد العادى بالنفع

ويرى بعض الكتاب أن توجه أتاوات البترول التى تدفعها شركات الامتياز من البلدان العربية بالشرق الاوسط وخاصة فى المحميات وهى أتاوات ضخمة تصل سنويا الى مئات الملايين من الدولارات الى تحقيق مشروعات واسعة النطاق لتعمير المنطقة ولرفع مستوى معيشة الفرد هناك ، كما يلاحظ بعض الكتاب أن البون شاسع بين القول بوجوب رفع مستوى الفرد فى البلدان المتخلفة فى الشرق الأوسط وحسن الاستعداد لتحقيق هذه النهضة على يد السلطات القابضة على زمام الأمور هناك ، كما يقول هذا البعض ان علاج الجمود هناك يتطلب الثورة سريعا ، غير أنه من الخطأ بمكان أن يعتمد زعماء الثورة للاصلاح علنا على مساعدات الغرب السافرة فقد تكون ضارة أكثر منها نافعة لقضيتهم

ولدراسة النقطة الرابعة دراسة وافية وتفهم أغراضها ونواحى ضعفها ثم الكشف عن محاباة الديمقراطية الغربية ودعاة النقطة الرابعة بالذات لاسرائيل ولسائر الدول التى تسير فى ركابها بلا تحفظ يمكن الرجوع الى كتاب « الشرق الأوسط والبحث عن وسائل إنعاشه » لهدلى كوك ، جزء واحد ، نيويورك سنة ١٩٥٢ من صفحة ٣٠٥ إلى ٣٢٩

« Challenge & Response Jn The Middle East The Quest For Prosperity » by Hedley Cooke, I vol, New York 1952 page 305 lo 329

الشعب الأمريكى وتمتعه بوسائل صناعية ومعدات رفاهة تكاد تكون فى حكم الخيال ، وتحلم بالسير على نمطها يوما ما ، ويلاحظ أيضاً أن أساليب التدخل الأمريكى أساليب تجارية تختلف كلية عن الأساليب الاستعمارية الانكليزية والفرنسية ولكن ليست هى الأخرى منزهة عن الأغراض وأهداف التسلط ، غير أن حرب فلسطين وما ظهر من تحيز الولايات المتحدة لإسرائيل وتعضيدها لتوسعها ثم تأييدها لاستمرار الهجرة ومساعدة إسرائيل بمئات الملايين من الدولارات — أضعفت هذه العوامل انحراف الشعوب العربية فى الشرق الأوسط نحو السياسة الأمريكية .

وقد تبحث السياسة السوفيتية عن أرض معبدة لها فى بلدان الشرق الأوسط ، واهتمامها بها يرجع إلى قرون ماضية يوم كانت روسيا القيصرية تدعى حماية الأماكن المقدسة للمسيحيين فى دار الخلافة والاقليات الأرثوذكسية ، ويوم كانت روسيا القيصرية تحلم فى أن تسود البحر الأبيض المتوسط وقد ضمت إلى رقعتها تركيا أوروبا بما فى ذلك البواغيز ، ونرى اليوم الدعايه الخفية التى يبذلها عملاؤها وتكتشفها حكومات الدول العربية هناك ، كما نجد آثارها فى طلب روسيا مقعداً فى لجنة البحر الأبيض المتوسط بالجزائر سنه ١٩٤٣ وفى مجلس الأربعة لطرابلس سنة

ويمكن كذلك الرجوع إلى عدد مجلة « أنالز » الأمريكية , للاكاديمية الامريكية للعلوم السياسية والاجتماعية ، عدد يوليه ١٩٥٠ عن النقطة الرابعة — وفيلادلفيا

« The Annals » American Academy of Political & Social Science, Point Four Program, July 1950 , Philadelphia

١٩٤٥ وفى سياسة التوسع التى اتبعتها فى البلقان فى سنتى ١٩٤٦ و ١٩٤٨ وما بعدهما وفى اهتمامها بشئون إيطاليا وانتخاباتها (١) .

والصراع مستمر فى الشرق الأوسط بين سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الاقتصادية المترددة فى معاونتها العرب معاونة فعالة مع محاباتها لاسرائيل ، وسياسة روسيا السوفيتية القائمة على الدعاية للشيوعية فى الدول العربية ومحاولة التأثير فى الجماهير الفقيرة عن طريق حض الكادحين على الثورة ضد الاستعمار والاستغلال الاقتصادى وضد تسخير الانسان لخدمة الرأسمال الأجنبى بما لا يسد الرمق ، والخلاصة الكفاح بكافة الوسائل وخاصة العنيفة لبلوغ الجنة الموعودة فى عالم الشيوعية ، وهذه الدعاية تصادف صعوبات ترجع إلى العقيدة الاسلامية التى تمقت فكرة الشيوعية وانكارها الملكية الخاصة وكبتها الحريات ونبذها الأديان . أو على الأقل أضعاف شأنها ، ورغم توتر علاقات روسيا السوفيتية مع إسرائيل فلا ننسى أن هناك حزبا شيوعياً قوياً ينادى بالتعاون مع موسكو ويعمل على إيصال ما قد ينقطع من حبال المودة والعلاقات بين البلدان .

وعلينا أن نلاحظ فى يقظة وفطنة اتجاهات الريح والتيارات السياسية وأن ندرس الموقف أولا بأول ، لكى نوجه سفن سياستنا نحن البلدان العربية فى الشرق الأوسط كأسطول واحد للشعوب العربية بما تمليه مصلحتنا القومية والمحافظة على استقلالنا ووحدتنا .

* * *

---

(١) انظر « المشكلات الحاليه فى الشرق الأوسط » لبيكو ، الجزء الثانى صفحة ٢٦٢ .

المناورات السياسية وقناة السويس

من أهم وسائل المناورات السياسية فى الشرق الأوسط قناة السويس بمياهها الاقليمية وشاطئيها ، والأراضى المحيطه بها وسفن المرور عبرها ، والجيوش الانجليزية المرابطة فى جزء من شاطئها وفى صميم أرض الوطن المصرى تحتله قسرا رغم إرادة الشعب ، واسرائيل التى تمعن فى تهريب المواد الحربية وما إليها عن طريق القناة وما لمصر من حقوق السيادة على القناة وأراضيها بلا منازع .

ولهذه القناة ومشكلاتها السياسية أكبر الأثر فى مستقبل مشكلة فلسطين وهذا ما يحدو بنا إلى عرض تطورات حياتها السياسية باختصار مع بيان حق مصر فى السيادة الكاملة عليها بلا منازع ، ودراستنا هنا تتناول ما يمس صميم مشكلة فلسطين عبر القناة وما يترتب على ذلك من أثر فى مستقبل حياة الأمم العربية فى الشرق الأوسط وفى علاقاتها باسرائيل .

ونتناول بيان ١ - مراوغة السياسة البريطانية فى الجلاء عن أرض القناة وفشل المحاولات السلمية بواسطة الاتصالات الدبلوماسية والشكوى إلى مجلس الأمن والمفاوضات فى زحزحة الاستعمار عن هذه المنطقة الحيوية للوطن مما حدا بمصر إلى نبذ معاهدة التحالف المصرية البريطانية التى لم تعد تتفق مع القانون الدولى الحالى فضلا عن تعارضها مع ميثاق الأمم المتحددة ٢ - وشرح الاستعمال القائم على المغالطة الذى تلجأ إليه إسرائيل بنقلها المواد التى تساعد على تدعيم اداتها الحربية عبر قناة السويس وهى لا زالت فى حالة أقرب إلى الحرب منها إلى السلم مع مصر فهدنة سنة ١٩٤٩ التى عقدتها مع مصر فى رودس لم تنه بصفة قاطعة حالة الحرب ٣ - وتحليل

النواحي السياسية التى تتصل بالقناة و بوصفها الدولى ويهمنا معرفتها لادراك مدى أثرها فى مستقبل مشكلة فلسطين ٤ ـ وشكوى إسرائيل إلى مجلس الأمن تطالب فيها باقلاع مصر عن تفتيش السفن المشتبه فى تهريبها موادمعينة إلى اسرائيل مستندة إلى حرية الملاحة فى قناة السويس .

١ ـ مراوغة السياسة البريطانية فى الجلاء عن أرض قناة السويس:

أبرمت مصر وبريطانيا معاهدة تحالف فى سنة ١٩٣٦ تنص مادتها الأولى على انهاء الاحتلال الانجليزى لمصر ، وتنص مادتها الثانية على تبادل السفراء بين البلدين ،وتذكر المادة الثالثة اعتراف انكلترا باستقلال مصر وسيادتها التامة مع وجوب تأييدها لعضوية عصبة الأمم ، وتذكر المادة الرابعة قيام تحالف وصداقة بينهما لا انفصام لهما ، وتتناول المادة الثامنة أهمية قناة السويس كممر مائى دولى وهو فى الوقت ذاته جزء لا يتجزء من مصر ، وتشير الى أنه طريق أساسى للمواصلات بين انحاء الامبراطورية البريطانية ، وتقرر بقاء قوات بريطانية بموافقة مصر فى منطقة معينة تحدد فى ملحق المعاهدة على ضفته لضمان المواصلات فى القناة والدفاع عنها ، على أن تشترك هذه القوات مع الجيش المصرى فى هذا الدفاع والى أن يصير الجيش المصرى قادرا وحده على الاضطلاع بهذه العملية ، ومفهوم أنه فى هذه الحالة تجلو هذه القوات نهائيا عن أرض الوطن ، وعلى كل حال فهى لا تعد بحال كما نصت المعاهدة قوات احتلال تمس حقوق السيادة المصرية وتعتدى عليها ، وذكرت المادة المشار اليها مدة المعاهدة فحددتها بعشرين سنة وللطرفين فى نهايتها التفاهم فى تنقيحها عن طريق المفاوضات وفى حالة عدم وصولهما الى نقطة اتفاق يرفع الأمر الى عصبة الأمم (وهى المنظمة الدولية للسلام فى ذلك الوقت وقدحلت

محلها الأمم المتحدة اليوم : مجلس الأمن والجمعية العامة للامم المتحدة) ويتناول التنقيح بحث ما اذا كان من اللازم بقاء القوات الانكليزية أو تسحب هذه القوات وقد أصبح الجيش المصرى قادرا على الدفاع عن القناة وحده بلا معونة أجنبية ، وأكدت المادة ١٦ من المعاهدة التنقيح بعد مرور عشرين سنة على التحالف على أنه يمكن فى نهاية العشر سنوات الأولى من تنفيذ شروط المعاهدة أن تدخل الدولتان فى مفاوضات لاعادة النظر فى شروط المعاهدة وتعديلها ، غير أن هذه المادة اشترطت ألا يمس التنقيح بتاتا مبدأ التحالف فيجب أن يشتمل كل تعديل تريده مصر على قبولها هذا التحالف وأن تقوم سياستها على ألا تبرم أى اتفاقات تتعارض مع مصالح بريطانيا أو أن تميل الى جهة لا ترى بريطانيا من المصلحة أن تنقاد اليها مصر ، والخلاصة جعلت هذه المادة من المعاهدة حماية مقنعة على مصر وسلاسل تقيد انكلترا بها حرية تعاقد مصر مع الغير وتفاهمها فى الميدان الدولى ، وفرضت المادة السابعة من المعاهدة تأييدا لهذه الحماية المقنعة على مصر سلسلة من التعهدات التى تمس صميم استقلالها فى حالة قيام حرب بين بريطانيا ودولة أو دول أخرى أو التهديد بقيام حرب ، فبموجب هذه المادة وسائر مواد المعاهدة تقدم مصر شتى التسهيلات البريطانية من تشريعية وإدارية ومادية بما فى ذلك وضع موانيها ومواصلاتها ومطاراتها تحت تصرف القوات البريطانية واتخاذ الاجراءات اللازمة لاصدار الأحكام العرفية وفرض الرقابة الفعالة بأنواعها لمصلحة هذه القوات .

ولقد ذاقت مصر الأمرين من هذه المعاهدة الكريهة أثناء الحرب العالمية الثانية ، وجاوزت انكلترا الحدود فى المطالبة بتنفيذ نصوص

المعاهدة ، ونزفت الأموال والقوى والقدرة المصرية أثناء هذه الحرب لصالح قضية الديمقراطية ، وبلغت الأرصدة المتجمدة فى وقت من الأوقات أكثر من ٤٠٠ مليون جنيه تمثل عرق جبين المصرى وقوى ساعديه وثروة البلاد استخدمتها بريطانيا لمعاونتها فى هذه الحرب الضروس ، وصرح قادة الديمقراطية بوجوب بناء عالم جديد يقوم على الحرية والمساواة وحق تقرير المصير وإنهاء حالات الاستعمار والاحتلال بعد الحرب . وتحمس ساسة الديمقراطية بعد أن وضعت الحرب أوزارها فى وجوب تنفيذ وعودهم وتجنيب العالم ويلات حرب عالمية ثالثة ووقايته شر الخوف والجوع والعوز وظلام الاستبداد ، وتأيدت هذه التوكيدات فى اجتماع سان فرانسسكو لوضع ميثاق منظمة السلام العالمى الجديد التى تحل محل عصبة الأمم المنحلة ، وقامت الأمم المتحدة وأصدرت جمعيتها العامة فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٤٦ قرارها بالاجماع ضد الاستعمار والاحتلال وأن احتلال دولة عسكريا أراضى أخرى رغم إرادة الأهلين مخالف لأغراض ميثاق الأمم المتحدة . وأوصت بوجوب الاسراع فى سحب القوات الأجنبية من أراضى الدول الأعضاء ، كما أشارت فى قرارها بأن المعاهدات والاتفاقات التى تتناول الاحتلال وتنظمه هى الصادرة عن حرية والتى تتفق وأحكام الميثاق وروحه ، وهكذا نرى أن معاهدة التحالف المصرية البريطانية لم تعد تجد ما يبرر قيامها وتقريرها احتلال الأراضى المصرية قسرا ضد إرادة الشعب المصرى .

وبذلت مصر الجهود وديا لتنقيح المعاهدة بما يكفل حق مصر الكامل فى سيادتها على أراضيها مع إنهاء الاحتلال العسكرى وضمان صداقة مصر لبريطانيا على أساس معاملة الند للند ، ولم تصل مصر إلى نتيجة

مرضية أزاء مراوغة المحتل ، واضطرت بعد مفاوضات عدة وخاصة مفاوضات صدقى — بيفن فى سنة ١٩٤٦ ، إلى إعداد العدة لرفع الأمر للأمم المتحدة ، وتقدمت بشكواها لمجلس الأمن فى سنة ١٩٤٧ وعرضت قضيتها وهى فى وضوحها وعدالة وجهة النظر المصرية كالشمس فى رابعة النهار ، وبينت أن استمرار حالة التوتر بين البلدين وبقاء الاحتلال البريطانى فى منطقة القناة وأصبع انكلترا فى مصر يحرك سياستها الداخلية ويشل أداة التقدم والاصلاح مما يهدد السلام وهو هدف ميثاق الأمم المتحدة الأول ، ووصف رئيس وفد مصر للدفاع عن قضيتها فى مجلس الأمن الموقف القائم على الاحتلال بأنه « ليس مثاراً للخلاف المتجدد بين الحكومتين فحسب ، بل هو إلى ذلك يخلق حالة من الاحتكاك الدائم بين الشعب المصرى وجنود الاحتلال هى فى ذاتها من مهددات السلم » وطالب بضرورة أن يصدر المجلس قرارة بإجلاء القوات البريطانية عن وادى النيل (أى الأراضى المصرية والسودان) ، ووصف معاهدة سنة ١٩٣٦ بين مصر وانكلترا أنها لم تك اتفاقا عادلا البتة بل أبرمت تبعا لاضطرار مصر لعقدها نظراً لتعنت انكلترا وموقفها الشاذ من مصر وعنادها ، وقال فى ذلك الصدد « أذعنت مصر تحت ضغط الحوادث الداهمة (أى الخوف من النازية والفاشية واضطراب الحالة فى حوض البحر الأبيض المتوسط واعتداء إيطاليا على الحبشة واقتراب شبح الحرب العالمية الثانية وتلاعب بريطانيا بأحوال مصر السياسية الداخلية وأثرها الخفى فى عدم استقرار الحياة الدستورية فى البلاد) للشروط المرهقة التى فرضتها بريطانيا وتضمنتها معاهدة سنة ١٩٣٦ ، أى الاحتلال العسكرى وقيام التحالف على أساس أنه غير موقوت بمدة فيما

يختص بالمبدأ ووجوب أن تسلم مصر مواردها لبريطانيا فى حالة التهديد بالحرب أو قيام حرب فعلا بينها وبين دولة أخرى وأن تصدر التشريعات اللازمة لقبض بريطانيا على مرافق البلاد .

ورغم وضوح عدالة مطالب مصر وحقها الذى لا شك فيه فى وجوب إجلاء جيوش الاحتلال عن أراضيها وأن المعاهدة المصرية الانكليزية لا تتفق مع الأوضاع الدولية الجديدة فقد أجل مجلس الأمن القضيه ووضعها على الرف منحازاً للاستعمار ، وقد اتضحت روحه من بدء نظر القضية فى أنه يريد التوفيق بين وجهة النظر المصرية العادلة ومطالب الاستعمار الانكليزى ، ومما لا شك فيه أنه لا يمكن بأى حال تقابل وجهتى النظر فى هذا الصدد كما لا يمكن التوفيق بين الماء والنار والنور والظلام ، وطرقت مصر مرة أخرى باب المفاوضات بين البلدين وذلك لترى العالم مدى رغبتها فى التفاهم والسلام وفى التمسك بالسياسة الديموقراطية وبأسس ميثاق الأمم المتحدة ، وطال الأمد على المشاورات والمفاوضات دون الوصول إلى نتيجه مرضية تشفى غليل الوطنية المصرية وتضمد جراح الوطن وسيادته ، وقد اتسعت هذه الجراح باحتلال الجيوش البريطانية للأراضى المصرية فى منطقة قناة السويس ، واتخذ هذا الاحتلال صورة استعمارية صارخة بعيدة عن شروط معاهدة التحالف المذكورة ، فوصلت قوات الاحتلال هناك فى زمن السلم فى هذه الأيام إلى نحو مائة ألف جندى بينما تحددها المعاهدة بعشرة آلاف جندى وباربعمائة طيار كأقصى حد لها مع القدر الضرورى من المستخدمين لأعمال الادارة وسائر الأعمال الفنية كما جاء فى ملحق المادة الثامنة من المعاهدة ، وأمعنت قوات الاحتلال في عدم احترام حقوق السيادة

المصرية على أراضى الوطن فتملصت من دفع الرسوم الجمركية وغيرها من الضرائب المستحقة على ما تستورده من الحاجات اللازمة لها وما يجب أن يدفعه رجالها للسلطات المصرية فى حين أن الاعفاء مقصور على الأشخاص المقيمين أو الملحقين بالقوات البريطانية فى حدود العدد المشار إليه آنفا ، ونفذ صبر مصر وعمدت فى وسط حماس وطنى رائع إلى إعلان إلغاء معاهدة التحالف الانجليزية المصرية لسنة ١٩٣٦ واتفاقيتى السودان لسنة ١٨٩٩ وذلك فى اكتوبر سنة ١٩٥١ وقد أضحت هذه المعاهدة غير ملائمة للحياة الدولية القائمة اليوم ولروح ميثاق الأمم المتحدة وللسيادة القومية المصرية وللوعى الوطنى المصرى .

وعماد السياسة الجديدة موقف الحكومة الرسمى السلبى المترتب على إلغاء المعاهدة ، وهو عدم الاعتراف بقوات الاحتلال القائمة فى منطقة القناة ووجوب عدم التعاون معها أو مدها بأى وسيلة من الوسائل المادية أو المعنوية التى تساعدها على البقاء والاستقرار هناك ، وطبيعى أنه يتبع الالغاء مثلا سحب العمال والمستخدمين المصريين الذين يعملون فى ورش هذه القوات ومكاتبها ، ومنع التموين والمواد الأولية وشتى المساعدات التى تعاون هذه الجيوش على استمرار إقامتها هناك وتوطيد أقدامها فى أرض الوطن ، ويتبع هذه الحالة أيضا الامتناع عن إصدار تشريعات فيها أى اعتراف بقوات الاحتلال أو تنم عن أية مساعدة لها وكذلك ضرورة إصدار تشريعات لمحاربة التعاون فى أية صورة من صوره مع هذه القوات وفرض الجزاءات على المواطنين المخالفين ، وهذه المقاطعة ذات وجهين سلبي وإيجابي ، والسلبي قائم على عدم التعاون مما يضطر القوات وقد لمست صعوبة العيش فى المنطقه إلى الرحيل عنها عاجلا

أو آجلا ، وإيجابى وهو التدخل للحيلولة دون وصول مساعدات إلى القوات فى حدود الوسائل المشروعة القائمة على مباشرة الدولة حق ولايتها على أراضيها دون أن تبلغ هذه الوسائل حد تهديد السلام وقيام حرب منظمة مسلحة ، وقد تحيط بالوسائل الإيجابية أعمال فردية أو جماعية غير رسمية مصدرها تحمس الأهالين وروحهم الوطنية العالية وشعورهم بجرح كبريائهم نتيجة الاحتلال ، والدولة لا تشترك بصفة رسمية فى هذه الأعمال ، وإن مصر الفتية الناهضة لم تأل جهداً بفضل يقظة شعبها وحماسته ورغبته الأكيدة فى تحقيق سيادة الدولة كاملة على أراضيها فى سبيل نجاح حركة المقاطعة هذه المترتبة على إلغاء المعاهدة منذ أكثر من ثلاث سنوات .

ولقد تغيرت وجوه السياسة فيما بين سنة ١٩٤٥ وهى سنة نهاية الحرب العالمية الثانية وسنة ١٩٥٤ وهى سنة نشاط إبحاث الذرة وإنتاج القنابل الذرية فى شتى الأمم الصناعية الكبرى بما فيها الصين الشيوعية ، ويلوح أن انكلترا كانت فى ميولها سنة ١٩٤٦ أقرب إلى تحقيق الجلاء عن منطقه قناة السويس منها اليوم ، فكانت سنة ١٩٤٦ مليئة بالآمال الكبار فى تعاون الغرب مع روسيا السوفيتية، وهذه الآمال تبددت اليوم، كما يرى بعض الكتاب أن بريطانيا تعتبر جلاءها عن مصر انتحاراً فى الوقت الذى تهدد فيه روسيا الغرب فى أقصى آسيا وفى سائر الأصقاع والتخوم ولا يخفى حرج الموقف فى كوريا رغم الهدنة ،ويقول بعض هؤلاء الكتاب إن لندن وواشنطون يريان أن الدفاع عن تركيا والیونان والعراق وإيران والديمقراطيات الغربية يتطلب قبضهما على ناصية قاعدة قوية فى الشرق الأوسط ، ومصر الوحيدة التى تستطيع أن تحقق هذه

الغاية ، وذلك فضلا عن أهمية مصر من الناحية الأستراتيجية كقنطرة بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندى ، وتنظر انكلترا والولايات المتحدة الى مصر كالدار الوحيدة فى الشرق الأوسط التى تحتوى على العدد الوفير من المخازن والورش والموانىء والمطارات والمصانع علاوة على الأيادى العاملة الوفيرة ، وهى تلائمها الى أقصى حد لتحويلها الى ترسانة حربية قوية اذا تطلب الأمر ذلك ، وقد دل على ذلك الحربان العالميتان الأولى والثانية ، وهكذا تحول أمر الجلاء من معركة بين طرفى النزاع الى مشكلة دولية تهم الولايات المتحدة الأمريكية وسائر الدول الغربية الداخلة فى حلف الأطلنطى ، ولا يمكن لروسيا السوفيتية أن تغفل هذا الأمر من ميدان نشاطها ، غير أن مصر وهى عازمة على الوقوف موقف الحياد التام فى الحرب القادمة المحتملة لاتسلم بوضع مواردها وأراضيها تحت تصرف دول هذا الحلف وتعريض الوادى الضيق بسكانه المحشودين فى المدن والقرى حشداً ووسائل الرى والصرف الدقيقة وقناطره وخزاناته وجسوره للدمار نظير الدفاع عن قضايا الأمبراطوريات الضخمة ذات الأطماع الاستعمارية التى لاحد لها ، وهذا مايجعل مصر تنفر دائما من عقد أى اتفاق ينم عن اشتراكها فى الدفاع مع دول حلف الأطلنطى أو يدخل بها فى حرب لاناقة لها فيها ولا جمل فى محيط البحر الأبيض المتوسط أو غيره[1]

وان تعطيل تنفيذ الجلاء وبقاء حاله التوتر بين انكلترا ومصر واحتلال الأولى لأرض وادى النيل قسراً — هذه العوامل قد تصرف مصر

---

(١) فيما يختص بتصميم انكلترا على ابقاء حالة الاحتلال فى مصر . أنظر الشرق الأوسط فى مشكلات العالم » للينزكزوفسكى ، من صفحة ٢٣٤ الى ٢٣٧

مضطرة وقد وضعت همها فى علاج مشكلاتها الحيوية هذه عن علاج مشكلة فلسطين علاجا عاجلا حاسما، فضلا عن أنها تضعف من طاقة البلاد المالية والاقتصادية تبعا لمحاربة انكلترا لمصر اقصاديا للضغط عليها حتى تعدل من سلاح المقاطعة المشروع هذا ، وتبعاً لتكبد الخزينة العامة والممول المصرى النفقات فى سبيل تنفيذ الغاء المعاهدة تنفيذاً جديا ، وكل هذا يؤثر بصفة غير مباشرة فى قضية فلسطين وفى تحقيق وحدة العرب على الوجه الاكمل

٢ — نقل إسرائيل المواد التى تساعد على تدعيم أداتها الحربية عبر قناة السويس :

ترتب على حملة الجيوش المصرية على فلسطين فى مايو سنة ١٩٤٨ أن باشرت مصر منذ ذلك الوقت لامقاطعة إسرائيل اقتصادياً فحسب بل حقوقها فى مصادرة كل مايساعد على تدعيم أداة إسرائيل العسكرية فى مياهها الإقليمية وموانيها وأرضيها بما فى ذلك قناة السويس باعتبارها صاحبة الحق الشرعى على مياهها ، مع العلم أن مباشرتها لهذا الحق لايؤثر بحال على حرية الملاحة فى القناة ، فحرية الملاحة لايعنى بها استخدامها استخداما غير مشروع أو إساءة استعمال الحق أو تجاوز ماتخوله حرية المرور فى القناة للكيل لمصر عن طريق تدعيم أداة العدوان الصهيونية ، وبعد أن سكت صوت المدفع وعقدت الهدنة بين البلدان العربية للشرق الاوسط بما فيها مصر وإسرائيل بالتتابع (الهدنة بين مصر واسرائيل عقدت فى رودس فى فبراير سنة ١٩٤٩) استمرت سياسة المقاطعة هذه تنفذها مصر بدقة بما فيها سياسة تفتيش السفن المارة عبر القناة إلى إسرائيل فى حالة اشتباهها فى مساعدة الأداة الصهيونية هناك لتمعن فى عدوانها ، وبديهى أن تستمر المقاطعة فالهدنة لاتنهى الحرب ولا تحل المشكلة التى ألجأت مصر

وغيرهامن شقيقاتها إلى امتشاق الحسام لعلاجها وقد ضاقت ذرعا بمقاطعة الديمقراطيات الغربية التى كانت تؤيد قيام إسرائيل فى كل مناسبة إما بطريقة سافرة أو مستترة ، ولا أدل على ذلك من قرار الجمعية العامة للامم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين وبإقامة دولة إسرائيل مع إنشاء اتحاد اقتصادى هناك بين إسرائيل والعرب ، ذلك القرار الذى أدى فيما بعد إلى إنهاء الانتداب البريطانى فى مايو سنة ١٩٤٨ ، ومع ما فى القرار من محاباة الصهيونية فقد رفض الصهيونيون فى فلسطين تنفيذه ، وقد استخدمت مصر المقاطعة فى حدود ما تمليه المصلحة الوطنية والقومية العربية فأنهت المعاملات الاقتصادية بأنواعها مع إسرائيل ولم يعد هناك أى اتصال بين مصر والصهيونية بحال بطريق مباشر أو غير مباشر وفرضت العقوبات على المخالف ، ووضعت قائمة سوداء بالسفن والتجار الذين يقدمون على الاتصال باسرائيل والتعامل معها ، وصادرت البضائع والشحنات التى وقعت فى محيط سيادتها ودلت البراهين على أنها موجهة إلى إسرائيل أو صادرة منها ، ولم تعد هناك أية مواصلات بين القطر وإسرائيل بطريق البر أو البحر أو الجو أو البريد أو التلغراف وما اليها ، وكذلك راقبت السفن فى موانيها وعبر القناة ، وقامت بعمل إيجابى هو تفتيشها كلما اشتبهت فى أمر شحناتها

ولم يرق هذا التصرف الوطنى لكل من انكلترا والولايات المتحدة فضلا عن استمرار احتجاج إسرائيل على المقاطعة لأنها تريد بأى ثمن إنهاء حالة الحرب بينها وبين الدول العربية وخاصة مصر حتى تفك عنها الحصار الاقتصادى ، وتؤيد بناء الدولة عن طريق نشاط تبادلها المنافع معها وبذا تسد عجز ميزانها التجارى ، ولجأت اسرائيل إلى تقديم

شكوى الى مجلس الأمن تطلب فيها أن يقرر المجلس رفع الحصار عن منطقة القناة وعن تفتيش السفن التى تعبر القناة الى إسرائيل ، واشترك فى وجهة النظر هذه إحدى عشرة دولة لتأييد إسرائيل، وأصدر مجلس الامن فى أول سبتمبر سنة ١٩٥١ قراره يطلب فيه من الحكومة المصرية(١) أن تكف عن إجراءات الحظر التى تتبعها فى القناة إذ أنها فى نظره ، تتنافى مع القواعد العامة التى تقرر حرية الملاحة فى القناة ، وواصلت إسرائيل سعيها فتقدم اتحاد ملاك وصناع السفن Armateurs لبلدان الشمال باقتراح فى ١٠ مارس سنة ١٩٥٢ يطلبون فيه أن تدير الأمم المتحدة قناة السويس وتكرر هذا الاقتراح فى ظروف عدة من جهات مختلفة، ونظراً للوعى القومى فى مصر ولتمسك الشعب بحقوقه المشروعة فى سيادته على أراضيه بلا منازع واصلت الدولة مباشرتها لإجراءات المقاطعة ومراقبة السفن وتفتيشها ، وقد اتعظت مصر بموقف إسرائيل من تخومها وسعيها دائما الى العدوان والتوسع ضاربة بالقواعد الدولية عرض الحائط ، كما رأت مصر كيف أن إسرائيل التى تلبس مسوح التقى والورع لاتعى بتاتا قرارات الأمم المتحدة العناية ولا تنفذها ، وخاصة ماأصدرته فى صدد تقسيم فلسطين تباعا وما قررته بخصوص وجوب كف إسرائيل عن عدوانها المستمر، وأعادت إسرائيل الكرة ورفعت شكوى جديدة الى مجلس الأمن طرحت للبحث فى ١٤ فبراير سنة ١٩٥٤ ، وقد صرح أحد المسئولين المصريين فى فبراير سنة ١٩٥٤ للصحافة الدولية أثناء نظر الشكوى

---

(١) أنظر « القانون الدولى العام » لشارل روسو ، جزء واحد ، باريس ١٩٥٣ص ٤٠٨

« Droit International Public » Par Charles Roeseau, 1 Vol, Paris 1953, Page 408 .

بوجهة نظر مصر فى مدى عدالة قرار سنة ١٩٥١ فقال « تشعر مصر بأن قرار المجلس فى سنة ١٩٥١ لم يكن قراراً عادلا ، ولهذا فانها لاتريد أن تحترمه ، وخاصة عند ماترى أن إسرائيل من ناحيتها لاتحترم قرارات مجلس الأمن ولا قرارات الجمعية العامة ولا قرارات أية هيئة من هيئات الأمم المتحدة » وواصل المسئول تحليل نفسية إسرائيل والعقدة المصابة بها فى توسعها على حساب جاراتها ومحاباة الغرب لها ووجوب أن تقف مصر موقف الحذر منها فقال « إننا لانريد محاربة إسرائيل وليس فى نيتنا أن ننتقم منها كما قيل كثيرا أو كتب فى الصحف ولكننا لسنا فى مركز يمكننا من عقد صلح معها » وقال ناعتا « موقف إسرائيل من جاراتها « ان إسرائيل تقوى نفسها لكى تتوسع خارج حدودها وخاصة أنها مصابة بعقدة التوسع » ثم واصل شرحه فقال « ان مخاوف مصر من نيات إسرائيل العسكرية هى السبب فى تفتيش مصر للسفن المتجهة إلى إسرائيل عن طريق قناة السويس ، ومصر تعتقد أن الهدنة لاتمنعها من اتخاذ مثل هذه التدابير ، لأن الهدنة لاتعنى الصلح ، وفضلا عن ذلك فالعلاقات ليست سلمية بين مصر وإسرائيل » ، وأشار المسئول فيما يختص بموقف إسرائيل من تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧ فقال « إن إسرائيل لم تلزم حدود قرار التقسيم . وأما فيما يختص بتدويل القدس فالقدس لم تدول بعد ، بل على عكس ذلك لاتزال إسرائيل تعدها داخلة فى حدودها ، وبالرغم من موقف الدول ، نقلت إسرائيل وزارة خارجيتها من تل أبيب الى القدس ، فاذا استمرت إسرائيل فى تحدى الأمم المتحدة والعبث بقراراتها ، فإن مصر تسأل نفسها لماذا تضطر هى الى احترام قرار تعتقد فى قرارة نفسها انه غير عادل ؟ »

ومصر تتمسك بحقها المذكور لا بما لها من سيادة على مياهها الاقليمية فقط ولاشك ان قناة السويس وهى صناعية قد شقت بامتياز أعطته مصر لشركة لاستغلال المرفق اقتصادياً على الا يتعارض هذا مع مباشرتها حق سيادتها على اقليمها ، بل أيضاً بموجوب معاهدة القسطنطينية لسنة ١٨٨٨ الخاصة بتنظيم حرية الملاحة فى القناة ، وقد أيدت المعاهدة وهى قائمة لم تمس حق السيادة المصرية على القناة فنصت المادة العاشرة منها على ان لمصر ان تتخذ ماتراه من وسائل تراها ضرورية للدفاع عن مصر وللمحافظة على الامن . وقد وقعت المعاهدة فرنسا وانجلترا والمانيا والنمسا والمجر واسبانيا وايطاليا وهولاندة وروسيا والدولة العلية ولم تشترك فيها الولايات المتحـدة الأمريكية وقد كانت حريصة على العزلة والا تشترك فى شئون نصف الكرة الآخر ومشكلاته ، واتخذت المعاهدة بموجب المادة ١٦ صورة العلانية بتعهد الدول الموقعة عليها ان تعلنها لسائر الدول وان تدعوها إذا أرادت إلى الانضمام لها (ولم تنضم الولايات المتحدة فيما بعد إلى المعاهدة) وهكذا صارت بمثابة ميثاق دولى أساسى للملاحة

وان نجاح هذه المقاطعة يتوقف إلى حد كبير على مضى مصر فى تمسكها بحقها فى التفتيش وفى مراقبة موانيها ومياهها الاقليميـة للحيلولة دون وصول مايساعد اسرائيل على تدعيم قوى عدوانها ، وفى إحكام وسائل الحصار عليها حتى لاتطمئن يوماً إلى حياة ورفاهة بين بلدان الشرق الأوسط، وعلى تضافر بلدان الشرق الأوسط لتنفيذ سياسة المقاطعة وصبرها طويلا لتؤتى هذه السياسة ثمارها .

٣ - تحليل الظروف السياسية التى تحيط بالقناة وخطوات هـذه الظروف المتتابعة :

ان قناة السويس شأنها شأن أى ممر مائى صناعى مرفق دولى عام يترتب عليه حقوق للجماعة الدولية فى نطاق القانون الدولى الوضعى، أهمها استخدام جماعة الدول له وفق نظام تتفق عليه لتسهيل حرية المرور عبره. ولا تصطدم فكرة المرفق الدولى العام بحق سيادة الدولة على أراضى هذا المرفق، فكيف تؤدى الدولة للجماعة خدمة عامة بترويج وسائل الملاحة البحرية وحريتها فيترتب على ذلك منازعتها فى أراضيها ؟ وفى حقوق سيادتها ؟ وكما لا يخطر على البال ان تثار حول حرية الملاحة منازعات للمعارضة أو الحد من هذه الحرية مما يضطر الحكومات ان تطالب بوجوب فتح القناة وحرية المرور فيها فكذلك لا يؤدى شق القناة وإباحة المرور فيها لكافة السفن والأعلام إلى إساءة استعمال هذا الحق والانتقاص من سيادة الدولة صاحبة السلطان على مياه القناة وشاطئيها ، غير ان رقابة الدولة على القناة وسلطانها على الاراضى المحيطة بها شأنها شأن سائر حقوقها الدولية يقوى ويضعف تطبيقها — مع الأسف — تبعا للظروف السياسية ومكانتها فى العالم الدولى .

ويمكن ان نحصر مركز القناة من الناحية الدولية فيما يلى :

(١) ان القناة الدولية تنظم الملاحة فيها الجماعة الدولية وفق القانون الدولى الوضعى والاتفاق وهذا التنظيم يجب الا يمس سيادة الدولة على أراضيها بحال ولا يقف عقبة فى وجه استقلال الدولة ودفاعها عن هذا الاستقلال ضد الاعتداء الخارجى وليس له علاقة بتاتا بامتياز استثمار القناة تجاريا واقتصاديا وهو موقوت بمدة .

وإذا كان للدولة صاحبة الممرات المائية الطبيعية كتركيا وبواغيزها حق السيادة عليها وتسليحها بموجب معاهدة «مونترو» لسنة ١٩٣٦ فمن باب أولى

ان يتأيد حق مصر على القناة باعتبار ان نشأته صناعية باختيار الدولة .

(٢) اتبع فيما يختص بالملاحه فى قناة السويس وحريتها وما رسمته فرمانات اعطاء امتياز شقها وما رسمته لجنة سنة ١٨٥٦ وأيده فرمان ١٨٦٦ وتشتمل على مبادىء حرية المرور فى زمن السلام والحرب للسفن التجارية والحربية على ألا تجرى فيها أو فى موانيها أو فى محيط ثلاثة أميال من الشاطىء إلى البحر أية عمليات عدائية وحربية ، كما لايجوز بأى حال من الأحوال سد منافذه ، وهـذه القاعدة تسرى كذلك على مصر وتركيا صاحبة السيادة على القطر حتى فى حالة ما إذا كانا طرفى نزاع ، وتمر السفن الحربية خلال ٢٤ ساعة ولا تفرغ أو تشحن جيوشا أو عتاداً . ويتبع هذا الاجراء أيضا فى قناة المياه الحلوة المحاذية للممر البحرى، ولم يترتب على ذلك حياد القناة بصفة مطلقة أو نزع السلاح من منطقتها نزعاً تاماً . إذ يمكن للمتنازعين استعمالها ، كما يمكن لمصر وتركيا الدفاع عنها والاستعانة بالدول إذا اقتضى الحال للدفاع عن حرية المرور فيها ومنع اصابتها بالتلف، وعلى أى حال فالضمان ينصب على تأمين حرية المرور فيها ، والحيلولة دون تدميرها وسد منافذها .وهكذا قام النظام الدولى على أساس حرية الملاحة المطلقة فى حدود عدم اسائة استعمال هذا الحق وتهديد نفس هذه الحرية، فيمكن للمتنازعين إرسال السفن عبرها على ألا تجرى فى محيطها عمليات عدائية وقد لاتكون منزوعة السلاح، ومما لاشك فيه أن للدولة صاحبة السيادة الدفاع عن الحريات المذكورة وهى أولى بالدفاع عنها ومطالبة الدول الكبرى الموقعة على اتفاق حريه المرور واتخاذ ماتراه فى هذا الصدد وكذا مطالبة الغير بوجه عام باحترام حرية المرور مع عدم إساءة استعمال الحق أو تجاوزه ،ولكن يجب إبعاد أخطار الحرب ومشكلاتها وما يترتب

عليها منها، فلا يتخذ هذا الممر وسيلة مستمرة ومنظمة لتدبير اعتداء أو أن يستعمل أداة لأهدار استقلال نفس الدولة صاحبة حق السيادة على القناة أو أن تستتر دولة اسرائيل خلف حريه المرور لتدعيم أداة عدوانها ، وهى ليست فى حالة سلم مستقر مع مصر ، وتشن عليها اعتداء مسلحاً وقد حصلت على عتادها الحربى عن طريق القناة ، ويتضح سوء نيتها من استمرار خرقها لقواعد الهدنة ، فهى بذلك تسىء استعمال حق المرور وحريته وتتجاوز تجاوز صارخا فى الاستعمال .

ولكن طغت السياسة الدولية واعتباراتها على النظام الدولى للقناة ونفذت انكلترا سنة ١٨٨٢ إلى التل الكبير عن طريق مياهها مع مجافاة هذا للوضع الدولى والتعهد بعدم استعمالها فى الحرب . (١)

(٣) جاء اتفاق القسطنطينية سنة ١٨٨٨ ينظم الملاحة فى القناة من الناحية الدولية بدقة وقد ضم الدول العظمى وغيرها من جماعة الدول الأوروبية ، وغاية الاتفاق وضع نظام دولى لسهولة وحرية الملاحة فى القناة فى زمنى السلم والحرب مع ضمان سيادة مصر على القناة وحقها فى اتخاذ ما تراه ضروريا للمحافظة على حق سيادتها ، وكذا لمراعاة حرية الملاحة فى القناة واحترام الغير لقواعد القانون العام فيما يختص باستعمال هذا الممر ، واسندت المادة الثامنة من الاتفاق الدولى إلى لجنة من مندوبى الدول الموقعة عليه تجتمع مرة كل عام برياسة مندوب الدولة العلية أو

---

(١) فيما يختص بحرية المرور فى القناة أنظر « القانون الدولى العام » لجورج سيل ، جزء واحد ، باريس ١٩٤٤ ، صفحتى ، ٣٤٣ ، ٣٤٤

« Droit International Public » Par Georges Scelles, 1 Vol, Paris 1944, Pages 343 et 344 .

الخديوى فى حالة غياب الأول مهمتها ضمان سلامة الملاحة فى القناة على أساس الملاحة الحرة للسفن التجارية والحربية فى زمنى السلم والحرب والا تجرى فيها أية عمليات حربية أو احتشاد. وضمنت المادة العاشرة سيادة مصر كاملة على القناة باعطائها الحق فى اتخاذ ما تراه ضروريا لسلامتها فيها.

(٤) إن نشاط السياسة الانكليزية فى البحر الأبيض المتوسط وفى وادى النيل بنوع خاص، ثم احتلال القطر جعلا القناة العوبة فى يد السياسة الانكليزية. وأبحرت سفن قيصر روسيا من البلطيق عن طريق رأس الرجاء الصالح لملاقاة الأسطول اليابانى فى حرب ١٩٠٤ وقد صارت اليابان حليفة انجلترا منذ سنة ١٩٠٢، وجاء الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا سنة ١٩٠٤ لتوزيع مناطق النفوذ بينهما فى حوض البحر الأبيض المتوسط بتعديل دولية القناة دون استشارة الجماعة الدولية، فوكل إلى انكلترا السهر على سلامتها، وأوقف، دون أن يكون له سند من الحق أو القانون، بمقتضى مادته السادسة العمل بجزء من المادة الثامنة من اتفاق القسطنطينية الخاصة بدولية وحرية الملاحة فى القناة، وإشراف مندوبى الدول المتعاقدة على هذا النظام فأقر قاعدة حرية ودولية الملاحة وشل عقد لجنة جماعية من الدول الموقعة على اتفاقيه القسطنطينية لمراعاة هذه الحرية، ولكن مما لاشك فيه أن هذا الاتفاق الاستعمارى لا يمكن الاحتجاج به قبل سائر الدول وخاصة الموقعة على اتفاقية القسطنطينية. وجاءت الحربان العالميتان الأولى والثانية تظهران بوضوح مدى اعتداء السياسة البريطانية على حق الجماعة الدولية وضربها بقواعد حرية الملاحة عرض الحائط. غيرأن أزمة سنة ١٩٣٥ أظهرت تقهقر السياسة البريطانية

وعجزها عن الوقوف موقف الصلابة والعناد يوم أن اتخذت إيطاليا من القناة سلما لتفتح الحبشة، فقد كانت سلاحا مباشرا لانتصار الفاشية الاستعمارى فى بلاد النجاشى. ثم جاءت معاهدة سنة ١٩٣٦ بين مصر وانكلترا وهى ليست معاهدة الند للند فمصر مغلوب على أمرها مسلوبة الاراده فى توقيعها، تسمح للطرف الثانى أن يعسكر بجيوشه على ضفة القناة للدفاع عنها إلى أن تصبح مصر قادرة وحدها على القيام بهذه المهمة دون وضع حقوق الجماعة الدولية موضعها من الاعتبار. ولكن مما لاشك فيه أن الحقوق المقررة فى اتفاق القسطنطينية الخاصة بدولية القناة وحرية الملاحة فى القناة وتنظيمها بمعرفة الجماعة الدولية باقية لا يمكن المساس بها، وليس لانكلترا تنظيم دولية القناة والمرور فيه دون اشتراك بقية أعضاء الجماعة الدولية، ولايجوز لها وقد فرضت على مصر معاهدة سنة ١٩٣٦ قسرا جعل هذا الممر البحرى الدولى اداة لتدبير اعتداء فى المستقبل أو احتكارا لدولة بحرية قوية واهدار حرية الملاحة عبره والمساواة فى الحقوق، وإقامة قواعد حربية على ضفته باعتبارها مقدمة للمنازعات ودرعا لتلقى الضربات.

(٥) ان اتفاق القسطنطينية قائم لم يمس، كما أن سياسة تنقيح المعاهدات كى تتمشى مع تطور الأحوال والتفكير فى إعادة النظر فى الوضع القائم تدعو الجماعة الدولية الموقعة على اتفاقية القسطنطينية إذا أرادت تعديل بنودها الى عقد مؤتمر لهذا الغرض وإعادة النظر فى النظام الدولى للملاحة فى القناة، وبحثها يقتصر على تنظيم المرور ولا يمس بحال حق السيادة

(٦) حجة القائلين باتساع رقعة الحروب اليوم وبوجوب اليقظة والحذر وضرورة بقاء الجيوش الأجنبية على ضفة القنال للدفاع عنه ضد الاعتداء وأن مصر وحدها لا تستطيع القيام بهذا العبء حجة توجه ضد

القائلين بها ، فإن تطور الأسلحة وبطش الطيران والقنابل الذرية وميوعة العمليات الحربية تجعل الحرب البرية المركزة هناك واهية النتائج فى هذه البقعة من الأرض إلا إذا أريد جعل مصر كبش الفداء فى حرب عالمية ثالثة محتملة، ولا يحق لانكلترا التمسك بالبقاء على ضفه القنال استنادا إلى هذا الرأى .

(٧) إن صعوبة وقوف دولة ما اليوم موقف الحياد بضمان بقية الدول لا تمنع تمسك الدولة قانونا بحقها فى الحياد واعلانها ذلك حسب مصلحتها ، وهى لا تستمد حيادها من صك توقعه مختلف الدول . وكذلك تمسكها دفاعا عن سلامتها بسيادتها الكاملة على الممرات فى أراضيها وخاصة إذا اسىء استعمال هذه الممرات ، وكان الاستعمال لتدعيم اداة الاعتداء فى المستقبل ، وقد رأينا مثلا أن امتناع المتحاربين عن غزو سويسره فى الحرب العالمية الثانية لم يك بناء على ضمان حيادها وانما لأن مصلحتهم كانت فى حياد هذا البلد الصغير ، الذى لا يقف عقبة فى سبيل عملياتهم الحربية والذى اتخذوا منه ميدانا لمعاملات النقد وتبادل المعدن النفيس والأوراق المالية وحركة الترانسيت . وتقرر الدولة حيادها باعلان منها تبعا لمصالحها مستندة على مبادىء القانون الدولى الحديث ووجوب نبذ الحروب وفض المنازعات الدولية سلميا بالتفاهم لا بالسلاح ، وفى هذه الحالة تحتفظ الدولة المحايدة من الناحية القانونية بحقوقها كاملة إذا لم تستطع أن تحتفظ بها من ناحية الواقع ، ولا يمكن الاحتجاج بأنه ما دام الحياد متعذرا من الناحية الفعلية فعلى الدولة أن تفرط فى حقوقها وأن تهدر استقلالها وتسلم مفاتيح الوطن عن طيب خاطر . ورأينا أيضا تركيا تتخذ ما تراه فى مصلحتها فى البواغيز حتى لا تفاجأ بعمل عدوانى يهدد استقلالها ويجتاح

بلادها ، هو وقوفها فى الحرب العالمية الثانية موقفاً بعيداً عن العمليات الحربية أقرب الى الحياد منه الى الحرب مع ميلها الى الجبهة الديموقراطية

(٨) ان السياسة الدولية لها أثرها فى حياة القناة الدولية وان مركز الدولة التى تتبعها القناة له أثره فى سياسة وحركة المرور فى القناة ، وهذا ماتشاهده فى قناة بنما وقبض الولايات المتحدة على ناصيتها .

(٩) ان تتمسك انكلترا بالبقاء على ضفة القناة للدفاع عنه ضعيف من الناحية الإستراتيجية فان من يرغب فى الدفاع عن ممر مائى أو بقعة معينة يتعين عليه إذا كان جاداً فى حمايته لها أن يتقدم مئات الأميال للدفاع عنها لا أن يعسكر خلفها ليحتمى بها وينتظر عمليات الغزو التى قد تكون فى غير مصلحته .

وهكذا يتضح بما لايدع مجالا للشك:

(١) ان حق مصر فى سيادتها على قناة السويس وأراضيها حول ضفتى القناة حق لاشك فيه ثابت بموجب المعاهدات والمواثيق الدولية وبما للدولة من سلطان على الإقليم وعلى أراضيها بلا منازع .

(٢) إن حق سيادتها على القناة يتعارض مع احتلال الجيوش البريطانية لضفة القناة ، ولا يستقيم هذا الاحتلال مع المواثيق الدولية ومع ماقررته الأمم المتحدة من وجوب جلاء الجيوش عن الأراضى التى تحتلها قسراً رغم إرادة الاهلين.

(٣) ان الجيوش المحتلة هذه لاتتمكن من الدفاع عن القناة وهى تتمسك بالاحتلال للدفاع عنها بوقوفها خلفها فهى تحتمى بالقناة بدلا من الدفاع عنها وتعرض أراضى البلد التى تحتلها للعدوان دون مبرر

(٤) ان حق مصر في تفتيش السفن التى تمر عبر القناة فى حالة

اشتباهها فى حملها المعدات لإسرائيل لتدعيم أداة عدوانها حق سليم لاغبار عليه مادامت إسرائيل تسىء استعمال حق حرية المرور فى القناة ، ولا يتعارض التفتيش مع حرية الملاحة فى القناة فلا يعنى بحرية الملاحة فيها تدبير العدوان ضد البلد صاحبة السيادة على القناة ، ولا يؤدى امتياز القناة إلى الانتقاص من حق السيادة وإهدار استقلال هذا البلد.

(٥) لمصر بصفة خاصة ولسائر الدول الموقعة على اتفاقية القسطنطينية إذا أرادت إعادة النظر فى نظام المرور فى القناة أن تدعو الدول التى أبرمت الاتفاقية الى مؤتمر لبحث نظام الملاحة فيها والنظر فى حرية هذه الملاحة والاتفاق على ماتراه فى هذا الشأن.

(٦) ان المادة العاشرة من اتفاقية القسطنطينية تعطى لمصر فى وضوح تام الحق بناء على ضرورة المحافظة على سلامتها من الاعتداء وعلى الأمن فى أراضيها فى اتخاذ ماتراه من احتياطات فى القناة ، وهذه الضرورة قد تلجئها الى عمليات التفتيش وغيرها دون أن يكون فى ذلك أى مساس بحرية الملاحة فى القناة من حيث المبدأ .

(٧) تحابى الدول الغربية إسرائيل كما يتضح مما بيناه آنفاً ، وهى لا تألو جهداً فى اتخاذ القرارات التى تســاعد إسرائيل على الازدهار وتضر بحركات الوعى القومى والنهوض فى بلدان الشرق الأوسط العربية بما فى ذلك مصر ، ونرى إسرائيل تضرب بقرارات الامم المتحدة عرض الحائط وتتجاهلها تجاهلا تاما ، ثم تشكو مصر فى حالة تمسك هذه بسيادتها القومية واتخاذ ماتراه لازما للمحافظة على استقلالها والدفاع عن سيادتها

على أراضيها وفى حدود مياهها الإقليمية (١)

(١) دأبت اسرائيل رغم عدم اكتراثها بقرارات الأمم المتحدة وبما تبديه الهيئة الدولية المشرفة على تطبيق أصول الهدنة من ملحوظات قاسية تنم عن إدانتها تبعا لارتكابها أبشع الجرائم ضد العرب الآمنين فى دورهم وقراهم وقد ساقهم الحظ السيء أن هذه تتاخم دولة إسرائيل — دأبت إسرائيل على إرتكاب جرائمها هذه والقيام بدعاية واسعة النطاق تشكو فيها من البلدان العربية وتصفها بالوحشية والاستبداد والظلم وكذا ترفع شكوها إلى لجنة الهدنة المختلطة والى مجلس الأمن وسائر الهيئات الدولية، وهى بعملها هذا تحاول أن تؤثر فى الرأى العام العالمى لتجذبه اليها وتثير حفيظته ضد العرب، وتلبس ثوبا من العدل والقانون وإن يك زائفا وفى الوقت نفسه تبث الفوضى والإضطراب على الحدود الوهمية التى تفصلها عن الدول العربية، فى حين أن التراث باكمله عربى، وتلقى الذعر فى نفوس العرب استعداداً لتنفيذ سياسة التوسع متى سنحت الفرصة، ومما يسقط حجج إسرائيل ضد للعرب استمرار عدوانها ثم شكواها بعد ذلك ومثلها مثل من يضرب ثم يبكى ليظهر أنه الضحية المعتدى عليه، ويكفى أن نذكر وقوفها موقف التعنت فى حل مشكلة اللاجئين وضربها بالوضع الدولى للقدس عرض الحائط واتخاذها عاصمة لدولتها وتصريح رئيس الحكومة بعد نقل العاصمة إلى القدس « لايمكن أن يطرأ أى تغيير على وضع مدينة القدس كعاصمة لإسرائيل، كما أنه لايمكن أن يطرأ اى تغيير على سيادة إسرائيل التامة فى عاصمتها القدس »

ومن أبشع الجرائم التى ارتكبتها إسرائيل ضد العرب الاعتداء الوحشى المسلح على قرية قابية من أعمال الأردن، وقد وصف تقرير الجنرال بنيك Bennike رئيس الهيئة المشرفة على تطبيق أصول الهدنة فظاعة الاعتداء وقد رفع الى مجلس الأمن فقال: « عبرت قوات حربية نظامية من إسرائيل خط

الهدنة فى ليلة ١٤ — ١٥ اكتوبر سنة ١٩٥٣ قوامها نصف أورطة pattalion وكانت كاملة الاستعداد للقتال واتجهت الى قرية قابية ودخلتها ، وهاجمت أهلها بالأسلحة الأوتوماتيكية والقنابل اليدوية وسائر القذائف والمفرقعات ، وترتب على ذلك نسف ٤٢ منزلا ومدرسة نسفا تاما كما قتل ٤٢ شخصا بين رجال ونساء وأطفال وجرح ١٥ كما تلفت سيارة للبوليس ... » ، وقد أدانت لجنة الهدنة المختلطة إسرائيل فى هذه الجريمة الشنعاء ، وجاء فى التقرير أن عدد الأورطة يتراوح من ٢٥٠ إلى ٣٠٠ جندى كاملى العدة مدربين تدريبا تاما على القتال مما يظهر بوضوح النية التى كانت تبيتها اسرائيل للاعتداء ومما يجعل موقفها عسيراً فى محاولتها الإفلات من مسئولية هجومها على قابية ، وكما ذكر التقرير وتردد هذا فى مجلس الأمن « ان الموقف يزداد تعقيداً بما تظهره اسرائيل من عدم استعداد الحكومة البتة لتوقيع العقوبة على المسئولين فى مثل هذه الحوادث مما يشجع على ارتكاب غيرها وعلى إشاعة روح العنف فى مواطنى اسرائيل وينذر بأسوأ النتائج فى المستقبل » كما فند التقرير مزاعم اسرائيل فى أنها استفزت على ارتكاب هذا العمل وأكد ان مدى هذا الإستفزاز مشكوك فيه وهو لا يبرر ارتكاب أعمال النسف والتقتيل ، وتأيد هذا التفنيد فى مجلس الأمن الذى اجتمع لبحث أعمال اسرائيل العدوانية وأصدر قراره فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٣ ضدها « يدينها بشدة نظراً لارتكابها أعمال العدوان والهجوم على قابية من أعمال الأردن » وكان التصويت لإدانتها تسعة أصوات ضد صفر وامتنعت جمهوريات اتحاد السوفييت عن التصويت

ويمكن الرجوع فى هذا الصدد الى « تقرير الجنرال بنيك رئيس الهيئة الدولية المشرفة على تطبيق أصول الهدنة » ونشر بمعرفة هيئة الأمم المتحدة — ١٩٥٣

« Report by Major General Bennike, Chief of Staff cf the Truce Supervision Organisation in Palestine » U. N. O. 1953.

٤ — شكوى إسرائيل إلى مجلس الأمن بخصوص تفتيش مصر السفن المشتبه فى اتجاهها إلى اسرائيل محملة بالمواد التى تدعم اداة عدوانها :

الحرب اليوم كلية totalitaire وتشحذ الأمم قواها وسواعد أبنائها فى سبيل القيام بها ، وتعبىء شتى مواردها فى الرجال والثروة والمال بقصد كسبها ، ولا فرق بين الحياة المدنية والحياة العسكرية فى الاضطلاع بأعبائها. وعقدت مصر الهدنة مع اسرائيل فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٩ ، ولم ترمصر بحق فى هذه الهدنة انهاء حالة الحرب بينها وبين اسرائيل ، بل هى إغماد للسيف وكف عن اطلاق النار ، غيرأن نوايا اسرائيل العدوانية وسياستها الغادرة تنفيذا لبرامج الصهيونية التى بدأت منذ عقد أول مؤتمر صهيونى ثم دمغت فى أواخر عهد الانتداب الانكليزى على فلسطين بفتك وسطو العصابات الارهابية الصهيونية على قرى العرب وبيوتهم وأموالهم بل وازهاقها أرواح الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ - هذه النوايا التى صحبها الاعتداء وسفك الدم ، والأدلة على ذلك لاتحصى (١) ، حدت إلى وقوف مصر موقفها المعروف فى الحيلولة ما أمكن دون وصول العتاد وسائر المواد التى تمهد لإسرائيل عدوانها وتدعم اداتهـا الحربية (والحرب اليوم حرب كلية) كما سبق أن ذكرنا وذلك عن طريق تفتيش السفن المارة عبر المياه المصرية متجهة إلى إسرائيل والمشتبه فى أمر شحنها بهذه المواد الحربية أو المساعدة على تغذية اداة الحرب أو بالعكس القادمة من اسرائيل إلى جهة ما ، وخاصة السفن التى تخترق قناة السويس أو الماخرة عباب خليج العقبة فى المياه المصرية .

(١) أنظر تقرير الجنرال بنيك رئيس لجنة مراقبة الهدنة .

Report by General Bennike,-Chief of Staff of Tthe ruce Supervision Organistion in Palestine

وحاولت اسرائيل منذ أكثر من ثلاث سنوات أن تجبر مصر على الاقلاع عن استعمال حقها هذا فى تفتيش السفن دفاعا عن حـــدودها ومستقبل بنيها وحالة السلام إذا تمادت اسرائيل فى استعداداتها الحربية على أساس تكديس المواد الأولية والعتاد المستورد من الخارج وإقامة شتى الصناعات المساعدة على القيام بحرب طويلة الأجل ، وتقدمت إسرائيل بشكوى إلى مجلس الأمن ضد مصر صادفت الترحيب من كبريات دول الغرب التى شجعت الصهيونية فيما مضى وهى اليوم تتبنى دولة اسرائيل وتمدها بالمال والمصانع وتؤيدها ماديا ومعنويا ودوليا ، وأصدر المجلس رغم ما اتضح له من عدوان اسرائيل على حدود مختلف الدول المجاورة والمتاخمة لها وتزايد طاقتها الحربية وعقدها العزم على تحقيق برنامج توسعها على حساب الغير قراره فى أول سبتمبر سنة ١٩٥١ « بضرورة أن تنهى مصر حالة الحصار وسائر القيود التى تفرضها على الملاحة الدولية والبضائع عبر قناة السويس وأن تكف عن أى تدخل يتعدى الضرورى المتبع عادة فى الملاحة الدولية والمتخذ لصالح سلامة السفن فى القناة نفسها وأن تراعى الاتفاقات الدولية المعمول بها فى هذا الصدد » .

واستند القرار إلى أن الهدنه التى عقدت بين المتحاربين فى رودس ليست هدنة مؤقتة بل هى مقدمة صلح دائم ، وهى اغماد نهائى للسيف وايقاف بلا رجعة للقتال وخطوة جدية يجب أن يعقبها خطوات حاسمات لإقامة صلح وسلام نهائى فى فلسطين . وبناء عليه فالتجاء مصر إلى حق التفتيش دفاعا عن كيانها ولضرورة حماية الدولة من العدوان وسلامتها لا يستقيم مع نصوص الهدنة وروحها وهدفها وقرارات مجلس الأمن وخاصة قراره فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ يذكر فيه الدول ذات الشأن

فى هذه الهدنة أنها الطريق إلى الصلح الدائم فى فلسطين وألا سبيل إلى عودتها إلى امتشاق الحسام .

وعادت اسرائيل إلى رفع شكوى ثانية ضد مصر فى أنها تفرض حصراً على السفن فى مياهها الى مجلس الأمن بدأ النظر فيها فى ٤ فبراير سنة ١٩٥٤ ، وكانت أسانيد مندوب إسرائيل فى المجلس من نوع أسانيده فى الشكوى الأولى كما اشتقها من حيثيات القرار الاول ، وذرف دموع التماسيح وشدد النكير على مصر ، وهى فى حالة دفاع شرعى عن ديارها فالموقف بلا شك موقف عدوان مستمر من إسرائيل ضد البلدان العربية للشرق الأوسط ، لينتزع قراراً مشعباً بالعطف والمحاباة من مجلس الامن ضد مصر ، وطلب مندوب إسرائيل أن توقف مصر حالا فى زعمه الحصر وما يتبعه من « الاعمال العدوانية التى تعتبر اعتداء على المبادىء العامة للقانون الدولى ومقاصد الأمم المتحدة وشروط الهدنة وقرار مجلس الأمن الذى صدر فى أول سبتمبر سنة ١٩٥١ فى نفس هذه القضية » .

ولجأت اسرائيل فى شكواها إلى المبادىء المعروفة والعبارات الخلابة التى تؤثر فى الرأى العام العالمى ولتضم إلى صفها الدول المختلفة فى مجلس الأمن وفى محيط الأسرة الدولية ، وأهمها أن حق التفتيش الذى تدعيه مصر على السفن المارة عبر قناة السويس وغيرها من المياه المصرية وخاصة خليج العقبة (إلاث Elath) يتنافى مع المبادىء العامة لحرية البحار ولحرية الملاحة البحرية وحق السفن فى عبور الممرات المائية ، وأن المصادفات الجغرافية التى تجعل دولة ما مطلة على ممر بحرى لا يعطيها الحق والسلطان فى التحكم فيه وتعطيله واساءة استعمال موقفها هذا للاضرار بسفن الغير

وشلل التجارة الدولية وأن مثل هذا العمل يعتبر عدوانا يجب المبادرة بايقـــافه ، وفضلا عن ذلك فقد اسندت الشكوى ضد مصر إلى أن الاتفاقات التى تضمن حرية الملاحة فى قناة السويس وعلى رأسها اتفاقية القسطنطينية لسنة ١٨٨٨ تتنافى مع سياسة الحصر والتحكم التى تفرضها مصر على السفن ، وقد ذهبت الشكوى المشار اليها إلى نعتها بانهـــا نوع من « القرصنة piracy » ، وتضمن معاهدة القسطنطينية فى ما دتها الأولى حرية الملاحة للسفن بلا تمييز وفى كافة الظروف كما تكفل هـذه الحرية التى تعتبر الدول الموقعة على الاتفاقية بما فيها الدولة التى تمر فى أراضيها القناة حارسة عليها بشرط الا تؤدى هذه الحرية إلى اعاقة المرور فى القناة وذلك فى ظروف السلم والحرب .

وضربت الشكوى على نغمة عذبة فى آذان الدول الاعضاء فى مجلس الأمن والرأى العام الدولى ، وهى أن ما تدعيه من حقها فى تفتيش السفن استنادا إلى «حقوق الحرب» Rights of war هو ضد قرار مجلس الأمن السالف الذكر فى سنة ١٩٥١ وضد نص الهدنة وروحها التى تنهى حالة الحرب بصفه قاطعة فى الشرق الأوسط وتعيد الحالة إلى وضعها الطبيعى فى السلام والصفاء .

كما زعمت اسرائيل أن حالة التفتيش هذه تشيع الفوضى فى الميدان للدولى وخاصة فى هذه المنطقة الحيوية من العالم وتكبد الدول التى ترغب بصدق فى التعامل مع اسرائيل خسائر مالية كبيرة ، كما تحرم اسرائيل من مورد هام من موارد الانعاش الاقتصادى بل من شريان حيوى لتعاملها مع الخارج ، فهى تجبر الدول على اتباع طرق طويلة لملاحتها التجارية مع اسرائيل وهى ليست الطرق الطبيعية وتجبر اسرائيل أيضا على البحث عن

البترول بعيداً آلاف الأميال عن ديارها ، والوضع الطبيعى أن تجلبه من إيران وسائر موانىء البلدان العربية ، والخلاصة أن تتحاشى مرور البضائع المصدرة منها أو المستوردة اليها عبر المياه المصرية وقناة السويس حتى لاتصادر وتؤدى هذه العملية إلى إعراض عميلاتها عنها تفاديا للخسائر المحتملة ، وعددت الشكوى حالات المصادرة على سبيل المثال فذكرت أن السلطات المصرية وضعت قائمة سوداء للسفن التى يحتمل أن تحمل بضائع إلى إسرائيل حتى تفتح السلطات المذكورة أعينها لرقابتها وتفتيشها ، ووصلت هذه السفن فى منتصف سنة ١٩٥٠ إلى ٨٨ سفينة منها ٧٠ سفينة حاملة بترول ، وصادرت السلطات المصرية فى ٣١ اكتوبر سنة ١٩٥٢ السفينة النرويجية المسماة ريمفروست Rimfrost وهى محملة لحوما قادمة من مصوع الى حيفا عبر قناة السويس ، وفى ٢٤ يناير سنة ١٩٥٣ حجزت السفينة الدنمركية أندريازبوى Andreas Boye فى خليج آلاث وكانت متجهة الى ممباسه واتخذت حيالها شتى الأساليب التعسفية كما أتبعت نفس الإجراء معها فى عودتها من ممباسة فى ١٠ مارس من نفس السنة ، وحجزت السفينة اليونانية بارنون Parnon فى ٢ سبتمبر سنة ١٩٥٢ فى بورسعيد وكانت قادمه من حيفا محملة سيارات وآلات الى ممباسة ، وحجزت السفينة النرويجة ريمفروست فى ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٣ مرة أخرى وكانت تسير عبر القناة إلى حيفا وصادرت سفينتين للصيد كانت تحملهما السفينة المذكورة ضمن شحنتها ووجهتهما إيطاليا ، وأطلقت السلطات المصرية النار على السفينة الأمريكية البيون Albion فى مدخل خليج العقبة وكانت تحمل قمحاً للأردن لتفرغه فى ميناء العقبة ، وصادرت السلطات المصرية فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٥٣ لحوما قدرها ١٤٠ طن

علاوة على ٢٠ طن من الجلود كانت تحملها السفينة الإيطالية فرانكا ماريا Franca Maiar فى طريقها عبر المياه المصرية من مصوع إلى حيفا، وصادرت فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٣ شحنة من الملابس والدراجات فى طريقها من ملبورن بأستراليا إلى جنوه كانت تحملها السفينة النرويجية لاريتان Laritan لأنها علمت فى زعمها أن وجهتها إسرائيل، وأطلقت السلطات فى أول يناير سنة ١٩٥٤ النار تجاه السفينة الإيطالية ماريا أنتونيا Maria Antonia فى مدخل خليج العقبة فى طريقها من مصوع إلى الاث واضطرت السفينة أن تعود إلى الميناء الأصلية التى أبحرت منها.

أما النظرية المصرية التى تتمسك بحق التفتيش فهى تقوم على الواقعيه وعلى سوابق إسرائيل فى استمرار عدوانها وعلى موقفها القائم على تدعيم أداتها الحربية وعلى أن الحرب اليوم كليه تشمل كافة مرافق الإنتاج ويحشد لأغراضها المدنيون والعسكريون وعلى الضرورة والدفاع الشرعى وحق مصر الذى لاشك فيه فى حماية نفسها وأراضيها تجاه تحرش إسرائيل وإعتداءاتها وخطر تسلحها المستمر وعلى نفس معاهدة القسطنطينية التى تبيح لمصر بموجب المادتين التاسعة والعاشرة أن تتخذ ماتراه من الوسائل الضرورية لضمان حرية المرور فى القناة واحترام حيادها وعدم إساءة إستعمالها لأغراض الحرب وما شابهها، وكذلك للدفاع عن مصر ولحماية الأمن والنظام فى هذه المنطقة Le maintien de L,ordre public ، كما أن مصر ترى بحق ان موقف إسرائيل حيالها المترتب على الهدنة ليس بموقف سلام فالهدنة لايعنى بها إقامة دعائم سلام فى هذه المنطقة ولا تزال الحالة معلقة هى أقرب الى الحرب منها الى الاستقرار وإسرائيل تتمادى فى العدوان وتنسف القرى المجاورة وتعتدى على شروط الهدنة وتتذرع بأوهى

الأسباب لارتكاب أعمالها غير المشروعة مما يجعل ، حالة الحرب قائمة ، بينهما ويوجب على مصر بما لها من حق السيادة أن تسهر على مصالحها وحدودها ومستقبل بنيها وأن تتخذ ماتراه من الوسائل التى يبيحها القانون الدولى تفاديا لعدوان الجار وتماديه فى استعداده للجولة الثانية، ومنها حق التفتيش ، ومصر لاتلجأ إلى هذا الحق إلا فى سبيل الدفاع المشروع عن كيانها self defense ،وهذا الحق لم يصل إلى ماتزعمه إسرائيل من تطبيق مصر حصراً على السفن المارة فى مياهها يؤدى إلى شلل التجارة الدولية فهذا محض افتراء .

وإلى جانب هذه الأسانيد يمكن أن نذكر حجة قوية تؤيد وجهة النظر المصرية وتهدم كافة ادعاءات إسرائيل من أساسها وهى أن الممر المائى وغيره من المياه الإقليمية المصرية يجب ألا تتخذ سبيلا الى إساءة استعمال الحق وألا تتذرع إسرائيل وغيرها من الدول المتحيزة لها بمبادىء حرية البحار والتجارة الدولية الحرة وبمقاصد الأمم المتحدة ووجوب استقرار الحالة فى الشرق الأوسط وشروط الهدنة وغيرها من مبادىء السلام الخلابة لنصرة إسرائيل للتمادى فى عدوانها وعبور السفن القناة تحمل المواد المختلفة باسم الحريات المذكورة وفى الواقع لتجهيز إسرائيل تجهيزاً عسكريا خطراً على السلام هناك ومدها بالمال والمواد التى تساعدها على اتساع رقعتها على حساب جاراتها وتقتيل العرب وتشريدهم من ديارهم وانتزاع أراضيهم وثرواتهم . فهى فى هذه الحالة تلبس الباطل أو العدوان ثوب الحق والعدالة والحريات المزيفة وهو يخفى أشد أنواع السموم خطراً على السلام ، ولمصر باسم أبسط قواعد القانون ومبادىء العدالة وأسس الحق والواقع وحماية لسيادتها

ولمستقبل بنيها ودرءاً للعدوان المبيت أن تسهر فى نطاق مياهها الإقليمية وممراتها المائية على سلامتها وأن تطبق حق التفتيش ، وهو ليس حصراً بحال ، فالمرور مستمر وسليم ولا يتأثر إلا بحالات فردية على أضيق نطاق وقد أسيء استعمال حق المرور وتعسفت إسرائيل بالحق منتهزة رواج مبادىء الحريات وتأييد فكرة حرية الملاحة البحرية وتدعيم السلام العالمى ووجوب مراعاة الاتفاقات الدولية فى هذا الصدد فاتخذت من قناة السويس وغيرها أداة لاستعداداتها الحربية الجبارة ولجولتها العدوانية القادمة . ولا يمكن بحال أن تقف شروط الهدنة حائلا دون دفاع مصر المشروع عن سيادتها وكيانها ومستقبل بنيها ، وإذا كانت شكوى إسرائيل قد تضمنت حالات معدودة للتفتيش لم تسفر عن خسارة فادحة ملموسة فان اعتداءات إسرائيل على الحدود المصرية وغيرها من الدول المتاخمة لها لاحصر لها منذ عقد الهدنة وهى مصحوبة بالبارود والدم والخسائر المادية الفاضحة ، وقد أصبحت هذه الاعتداءات مع الأسف وهى من الكثرة بمكان الأساس والقاعدة فى حياة الجوار الدولى بين هذه الدولة الغريبة الدخيلة وسائر الدول العربية صاحبات الدار فى هذه البقعة الحيوية من العالم القديم .

تم بحمد الله

فهـــرس عام الـكتاب

الصفحة	الموضـــوع

فهرس حسب ترتيب الحروف الهجائية

(للموضوعات لا لأسماء الأشخاص والأعلام)

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٨	٧	كثين	كثير
٧٨	١١	المحكوم	المحكوم
٨٠	٩	الفلسفية	الفلسفة
٩٠	٣	يثن	يئن
١١٦	٤	من	فى
١١٩	١٠	عددهم تكدسهم	عددهم وتكدسهم
١٤٤	٨	١٤ مارس سنة ١٩٤٢	١٥ مارس سنة ١٩٤٨
١٤٩	١٤	انهاء	انتهاء
١٥٦	١٢	الأمريكى	الأمريكية
١٦٨	٢٠	بخصوس	بخصوص
٢٢٣	٣	بواسطة	بواسطته
٢٣٣	١٦	٢٣٠	١٣٠
٢٣٨	١٢	اسرائل	اسرائيل
٢٥٠	٦	الأموال	الأحوال
٢٥٠	١٦	السياسية	السياسة
٢٥١	١	السياسى	السياسية
٢٥٣	٧	فلسين	فلسطين
٢٦٢	٣	Shapes	States
٢٧٣	٥	الحزب	الحرب
٢٧٧	٢	تحاوله	تحاول
٢٨٢	٨	الحد شرقا البحر الأحمر	الحد البحر الأحمر
٣٠٦	١٤	الصفرة	الصفوة
٣٢٠	١٥	الاستعمر	الاستعمار
٣٢٦	٨	Prognam	program

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٢٦	٢١	Conncil	Council
٣٢٧	١٦	يواجهنا	يوجهنا
٣٣٧	٨	Krguer	Krüger
٣٤٧	١٤	اعنقها	اعتنقتها
٣٥٨	١٩	من	فى
٣٥٩	١٤	بنيت	بينت
٣٦٤	١٢	افخارج	الخارج
٣٩٦	١	بمقاطعة	بمماطلة
٤٠١	٢	وما رسمته	ما رسمته
٤٠٦	٦	ان تتمسك	ان تمسك
٤٠٩	١	pattalion	battalion
٤١٠	٢٢	Tthe ruce	The Truce
٤١٥	٢	Maiar	Maria
٤١٦	١٦	المذكووة	المذكورة

أهم بحوث وكتب المؤلف وهى :

في الملكية الصناعية ، والتشريع التجارى التكميلى ، والاقتصاد ،والعلاقات السياسية الدولية ، والقانون العام ، وعلم السياسة

الكتب :

١ — « مقدمة فى الدراسات الاقتصادية من الناحية العلمية » ، نشر فى مايو سنة ١٩٤٨ ، ويقع فى نحو ٥٠٠ صفحة .

٢ — « العلاقات السياسية الدولية فى ضوء القانون الدولى العام » نشر فى يونيه سنة ١٩٤٩ ، ويقع فى نحو ٦٠٠ صفحة .

٣ — « الاتجاهات الاقتصادية والسياسة الحديثة » نشر فى يونيه سنة ١٩٥٠ ، ويقع فى نحو ٤٠٠ صفحة .

٤ — « السياسة والحكم فى ضوء الدساتير المقارنة » نشر فى يونيه سنة ١٩٥٢ ، ويقع فى نحو ٥٦٠ صفحة .

٥ — « بحوث فى السياسة » نشر فى يونيه سنة ١٩٥٣ ، ويقع فى نحو ٤٠٠ صفحة .

٦ — « الشرق الأوسط ومشكلة فلسطين » نشر فى مايو سنة ١٩٥٤ ، ويقع فى نحو ٤٣٠ صفحة .

البحوث :

١ — بحث فى تنظيم الصناعة ومكافحة الغش فى الشوكولاته فى سويسرا وما يحسن اتباعه عندنا .

٢ — بحث فى تنظيم صناعة وتجارة ومنع غش الصابون فى الخارج وفى مصر .

٣ — بحث فى تنظيم تجارة وسوق الصوف فى الخارج وفى مصر .

٤ — بحث فى مكافحة الغش التجارى ، ودراسة تحليلية لقوانين الغش التجارى فى فرنسا وانجلترا وما يحسن اتباعه عندنا .

٥ — بحث فى نظام المخـــازن العامة وتشريع سند المخزن فى فرنسا وغيرها وما يحسن عمله فى مصر .

٦ — بحث فى نظم المخازن العامة المبردة من الناحيتين الاقتصادية والتشريعية مسترشدا بمخازن ميناء الهافر فى فرنسا .

٧ — بحث فى نظام السند الزراعى وأثره فى تسهيل عمليات التسليف الزراعى فى فرنسا وإمكان الأخذ بهذا النظام فى مصر .

(وكل هـذه البحوث نشرت تباعا من سنة ١٩٣٤ إلى سنة ١٩٣٦ فى مجلة التجارة والصناعة التى تصدرها وزارة التجارة والصناعة « وكانت مصلحة » وتقع جميعها فى نحو ٥٦٠ صفحة) .

٨ — بحث فى نظم التسليف الصناعى وتشريع رهن المحال التجارية والصناعية وقوانين التعاون الصناعى وإنشـــاء البنك الصناعى وإمكان الأخذ والعمل بهذا النظام فى مصر .

٩ — بحث فى سوق القمح وتقلبات أسعاره ونظم التسليف عليـه فى الخارج وسحب السند الزراعى على القمح المخزون فى الخارج وإمكان العمل بهذا النظام فى مصر .

١٠ — بحث فى ضريبة الميراث وأهميتها وتطوراتها فى الخارج وإمكان الأخذ بذلك فى مصر .

١١ — بحث فى مبادى الملكية الأدبية والفنية والصناعية فى الخارج والعمل على إدخال هذه النظم فى مصر .

(وكل هذه البحوث نشرت تباعا ما بين سنة ١٩٣٨ وسنة ١٩٤٣ فى مجلة الغرفة التجارية للقاهرة وتقع فى نحو ٣٥٠ صفحة) .

١٢ — رسالة بالفرنسية بعنوان الضرائب فى الاسلام -- باريس سنة ١٩٣٠ وتقع فى نحو ١٥٠ صفحة .

«Le Conception de l'Impôt chez les Musulmans.»

١٣ — بحث بالفرنسية فى مكافحة بطالة الشبان المتعلمين فى الخارج وفى مصر نشر فى مجلة مصر المعاصرة سنة ١٩٣٧ ويقع فى نحو ٢٧ صفحة .

« Le Chômage des Intellectuels en Egypte et ailleurs.
« L'Egypte Contemporaine » 1937

١٤ — بحث بالفرنسية فى البناء الاقتصادى لمصر ونشر فى مجلة مصر المعاصرة سنة ١٩٣٨ ويقع فى نحو ٣٠ صفحة .

«La Structure Economique de L'Egypte» L'Egypte Contemporaine-1938

١٥ — رسالة بالفرنسية ألقيت فى المجمع العلمى المصرى فى نوفمبر سنة ١٩٥١ بعنوان « العلاقات الاقتصادية بين مصر وأوروبا » من سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٨٨٢ من واقع تقارير لم تنشر بعد لقناصل فرنسا فى مصر فى ذلك العصر ، ونشرت بمجلة المجمع العلمى وتقع فى ١٦ صفحة فى المجلد رقم ٤٣ دورة ١٩٥١ — ١٩٥٢ .

« Les Relations Economiques entre l'Egypte et l'Europe de 1850 à 1882 d'Après les Rapports Inédits des Consuls de France » Bulletin de l'Institut d'Egypte T. XXXIV Session 1951 - 1952 - Le Caire.

١٦ — بحث بالفرنسية قدم إلى المؤتمر الدولى للعلوم السياسية الذى عقد فى لهاى برعاية اليونسكو فى سبتمبر سنة ١٩٥٢ بعنوان « اشتراك المرأة فى الحياة السياسية فى مصر » وطبعه المؤتمر فى حينه لنشره ، ويقع فى سبع صفحات .

«La Participation de la Femme à la Vie Politique en Egypte» Congrès International des Sciences Politiques—La Haye—Septembre 1952 (U.N.E.S.C.O.)

١٧ – بحث بالعربية والفرنسية قدم إلى الاجتماع العلمى الذى نظم فى هيئة مؤتمر بمعرفة هيئتى اليونسكو (.U.N.E.S.C.O) وجمعية الدراسات الدولية ، وعقد الاجتماع فى أثينا فى أكتوبر سنة ١٩٥٢ وهو بعنوان «تنقيح الدستور المصرى ليتمشى والاتجاهات الاقتصادية الحديثة» ويقع فى ١٧ صفحة ، ونشر بواسطة المؤتمر المذكور .

« L'Amendement de la Constitution Egyptienne d'Après les Tendances Economiques Modernes»Symposium tenu à Athènes (Octobre 1952) organisé par L'(U.N,E.S.C.O.) et la Société d'Etudes Internationales.

١٨ – تقرير يتناول « دراسة العلوم السياسية فى الجامعات المصرية » قدم إلى المؤتمر الدولى للعلوم "سياسية الذى عقد بلهاى تحت رعاية اليونسكو فى سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، وطبع ونشر فى حينه ، ويقع فى اثنتى عشرة صفحة .

Rapport Concernant « L'Enseignement des Sciences Politiques aux Universités, Egyptiennes» presenté au Congrès International des Sciences Politiques-La Haye Septembre 1952 (U.N.E.S,C.O.)

16—«L'Impôt sur les Successions.»

17—«La Propriété Littéraire Artisttque et lndustrielle à l'Etranger et en Egypte.»

(Ces Etudes ont été pnbliées dans la Revue de la Chambre de Commerce du Caire de 1938 à 1943.)

Etudes publiées en Langue Fiancaise :—

18—Thèse intitulée «La Conception de l'Impôt chez les Musulmans» Paris 1930.

19—«Le chômage des Intellectuels en Egypte et ailleurs» voir Revue . «L'Egypte Contemporaine» Le Caire 1937.

20—«La Strueture Economique de l'Egypte» voir Revue «L'Egypte Contemporaine» Le Caire 1938.

21—«Les Relations Economiques entre l'Egypte et l'Europe» d'après les Rapports inédits des Consuls de France — Communication à l'Institut d'Egypte-Session 1951-1952 Le Caire.

T. XXXIV.

22—Rapport Concernant « L'Enseignement des Sciences Politiques aux Universités Egyptiennes» presenté au Congrès International des Sciences Politiques-La Haye-Septembre 1952 (U.N.E.S.C.O.)

23—«La Participation de la Femme à la Vie Politique en Egypte» Congrès International des Sciences Politiques-La Haye Septembre 1952-(U.N.E.S.C.O.)

24—«L'Amendment de la Constitution Egyptienne d'Après les Tendances Economiques Modernes» Symposium tenu à Athènes (Octobre 1952) Organisé par L'U.N.E.S.C.O. et la Société d'Etudes Internationales. Publié par L'U.N.E.S.C.O. 1954.

Ouvrages et Etudes Publiés Par l'Auteur en Langues Arabe et Francaise.

Ouvrages en Langue Arabe (Ouvrages Politiques et Economiques) :—

1—Introduction à l'Etude de l'Economie Appliquée — Le Caire 1948.

2—Les Relations Internationales-Le Caire 1949.

3—Les Courants Economiques et Politiques Modernes-Le Caire 1950.

4—La Politique et le Pouvoir-Le Caire 1952.

5—Etudes Politiques -Le Caire 1953.

6—Le Moyen-Orient et le Problême de la Palestine-Le Caire 1954.

Etudes en Langue Arabe (droit Commecial Complementaire et Ecomomie Dirigée) :—

7—La Répression de Fraude dans l'Industrie et le Commerce du Chocolat en Suisse et Son Application en Egypte.

8—L'Organisation de l'Industrie et du Commerce de Savon à l'Etranger et en Egypte.

9—L'Organisation de l'Industrie et du Commerce de la Laine à l'Etranger et en Egypte.

10—Les Lois sur la Repression des Fraudes en France et en Angleterre et Leur Introduction en Egypte.

11—Les Magasins Généraux et les Warrants—Recepissés en France et en Egypte.

12—Les Frigorifiques comme Magasins Généraux.

13—Le Warrant Agricole en France et en Egypte.

(Ces études ont été publiées dans La Revue de Commerce etde l'Industrie du Ministère de Commerce et de l'Industrie en Egypte de 1934 à 1936.)

14—Le Crédit Industriel et la Création de la Banque Industrielle Financée par l'Etat.

15—L'organisation du Marché de Blé et l'Emmagasinage de la Récolte à l'Etranger et en Egypte.

Table des Matieres

De L'Ouvrage :

« L Moyen—Orient et le Problème de la Palestine.»

ETUDES POLITIQUES

LE MOYEN-ORIENT
ET LE PROBLÈME DE LA PALESTINE

par

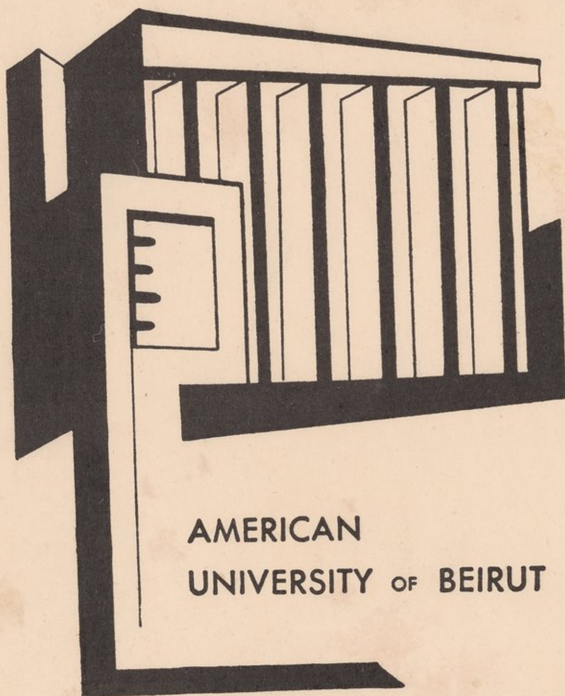
Dr. Ahmed S. El Emary

Professeur des Relations Internationales
et Sciences Politiques,
Directeur de l'Institut des Sciences
Politiques,
Université du Caire.

Mai 1954

ANGLO-EGYPTIAN BOOKSHOP
SOBHY & CO.
165, Mohamed Bey Farid, Cairo.




AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

